

مجموعتنا
الدكتور
أسدرستم
٢٢

كنيسة فلانيللاناظر كليل العظمى

للكتور اسدرستم
مؤرخ الكرسي الانطاكي



الجزء الثالث
١٤٥٣ - ١٩٢٨ م

منشورات المكتبة البولسية

طبعة ١٩٨٨

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة البولسية والمؤلف
(لبنان)

منشورات المكتبة البولسية
شمارح لبنان - بيروت - ص ٤٤٥٩ - ١١ لسان
هناقلت : ٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شمارح القديس بولس - جونيه - ص ١٢٥١ لسان
هناقلت : ٩١١٥٦١ - ٩٣٠٥٢



صاحب الغبطة له بطريرك أغياناوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

17

18

19

20

21

22

23

24

محتويات

الجزء الثالث

الباب الرابع النصرانية في دار الإسلام

(١٤٥٣ - ١٩٢٨)

٣ الفصل السادس والأربعون: الفتح العثماني

سقوط القسطنطينية (١٤٥٣)، ٣، امتيازات البطريرك المسكوفي ٥، البلقان في حوزة الأتراك ٦، العثمانيون والمماليك ٨، نظام الحكم ١١، مذهب الدولة ١٣، الشرع والقانون ١٣، البطريرك المسكوفي والبطاركة ١٣، آل عثمان ١٥.

١٦ الفصل السابع والأربعون: طمع واضطراب ووجل

الولاية والجنود ١٦، بطاركة القرن السادس عشر ١٧، البطريرك دوروثيوس الثالث ١٨، مجمع قارة (١٥٣٩) ١٩، البطريرك دوروثيوس الرابع ٢٠، اتصاله بالموارنة وخلعه ٢٠، البطريرك يواكيم الرابع ٢١، نقد البتات والأرامل ٢٢، البطريرك ميخائيل السادس ٢٣، رومة تواضل وتحادث ٢٥، البطريرك يواكيم الخامس ٣٠، بطريركية موسكو ٣١، البطريرك يواكيم السادس ٣٢، دير البلمند ٣٣، حرص يباعد ٣٤، مدرسة للموارنة في رومة ٣٥، البطريرك دوروثيوس الخامس ٣٦، البطريرك أثناسيوس الثالث ٣٧، البطريرك أغناطيوس الثالث ٣٧، مجمع رأس بعلبك (١٦٢٨) ٣٩، البطريرك أفثيميوس الثالث ٤٣، البطريرك أفثيميوس الرابع ٤٥، الكتلكة تنحصر في الموارنة ٤٦.

الفصل الثامن والأربعون: البطريرك مكاريوس الثالث

٤٨

البطريرك مكاريوس الثالث ٤٨، جولة بطريركية رعائية ٥٠، مكاريوس ومشكلة الجحود ٥٢، بيروت وبعبك والزبداني ٥٣، السفر إلى بلاد المسيحيين ٥٣، يوداص الثاني وقطعه ٥٤، طيخ الميرون ٥٦، عودة إلى بلاد المسيحيين ٥٩، النظم والقوانين ٦٠، إنتقاء الكهنة والإكليروس ٦٢، المدارس الإكليريكية ٦٤، إنتقاء الأساقفة ٦٤، انتخاب البطريرك ٦٥، مكاريوس والتعاليم البروتستنتية ٦٦، أمولوجية دوسيئوس أو رسالة البطارقة ٧٤، مكاريوس ورومة ٩٦.

الفصل التاسع والأربعون: الروم الكاثوليك

١٠٣

نيوفيطوس وكيرلس ١٠٣، نيوفيطوس ١٠٤، بدء رسالة اليسوعيين وغيرهم ١٠٦، أثناسيوس الرابع ١٠٨، إصلاحات كيرلس الثالث ١١١، رومة تكمل رسالتها ١١١، دير مار يوحنا الشوير ١١٢، رجل رومة الأوحى ١١٣، أفتيموس أسقف الخاضعين لرومة ١١٥، كتاب الدلالة اللامعة ١١٦، تحف أفتيموس وتحرمه ١١٧، كيرلس والكثلكة ١١٩، كيرلس وأفتيموس ١٢٥، البطارقة يحرمون أفتيموس ١٢٥، حرم البطارقة ١٢٦، أثناسيوس الرابع ١٣٠، مجمع القسطنطينية (١٧٢٢) ١٣٢، اختصار صوم الرسل ١٣٣، الليتورجية والأورولوجيون ١٣٣، كتاب صخرة الشك ١٣٤، تاريخ البطريركية الأنطاكية ١٣٤، أثناسيوس وأفتيموس ١٣٥، أثناسيوس وحلب ١٣٦، أثناسيوس ودمشق ١٣٨، مجمع دير المخلص ١٣٨، اغناطيوس مطران صور وصيدا ١٣٩، وفاة البطريرك أثناسيوس ١٣٩، البطريرك كيرلس طاناس الكاثوليكي (١٧٢٤) ١٤١، سلفسترس الأول ١٤٣، سلفسترس في بلاد المسيحيين ١٤٦، منع الاشتراك في القدسيات ١٤٨، كيرلس ودمشق ١٤٨، كيرلس يعود إلى دير المخلص ١٤٩، سلفسترس في دمشق ١٥٠.

الفصل الخمسون: وصول البروتستانت إلى الشرق واتساع الجبهة

١٥٢

أبرشية حلب ١٥٢، خضوع حلب للكرسي القسطنطيني ١٥٥، البطريرك فيليمون ١٥٥، مجمع دمشق (١٧٦٧) ١٥٧، التطواف الرعائي والوفاء ١٥٧، كنيسة بيروت ١٥٨، البطريرك دانيال ١٥٩، كندراية دمشق ١٦٠، فرنسة والكثلكة في الشرق ١٦٠، الروس والأرثوذكسية ١٦٢، الروس حجة المسيحيين ١٦٣، اضطهاد الروم في بيروت ولبنان ١٦٤، اضطهاد النصارى في دمشق ١٦٥، مغمودية اللاتين ١٦٦، البطريرك سيرايم ١٧١، الكتبة الكاثوليكيون ١٧٢، كنيسة صيدا ١٧٢، البطريرك مثوديوس ١٧٥، الدولة تعترف بالأرمن الكاثوليك ١٧٦، ممارسة الحقوق

المكتسبة ١٧٦، براءة باسيليوس ١٧٧، مجمع طرابلس (١٨٣٦) ١٧٨، مثوديوس في مصر ١٧٨، مكسيموس رئيس مرخص ١٨٠، السلطان يرم وينقض ١٨٤، مكسيموس بطريرك مستقل ١٨٥، البروتستانت ١٨٦، البطريرك الأورشليمي ينقبض ويقبح ١٨٧، وداعات يونس كينغ ١٨٧، موقف الموارنة والكاثوليك ١٨٨، البطريرك مثوديوس والمرسلون ١٨٩، البطريرك مثوديوس وترميم الكنائس ١٨٩، مدرسة اليلمند الإكليريكية ١٩٠، مثوديوس يستجدي الروس ١٩١، أزمة في كنيسة حاصبيا ١٩٢، أصابع الإنكليز ١٩٣، رأي المعلم بطرس البستاني ١٩٤، الأمطوش الأنطاكي في موسكو ١٩٧، البطارقة والبابا ١٩٧.

الفصل الحادي والخمسون: اليونان والروس

١٩٩

الروس والدين القويم ١٩٩، الروس وكنيسة أورشليم ٢٠١، نبذة روسية عن كنيسة أنطاكية ٢٠٢، البطريرك ٢٠٢، الأبرشيات ٢٠٢، الأديار ٢٠٤، الكهنة ٢٠٥، المدارس والتعليم ٢٠٦، الشعب والكنائس ٢٠٨، إيروثيوس البطريرك الأنطاكي ٢٠٩، أبرشيات أنطاكية ٢٠٩، الخط الهايوني ونظم الكنيسة ٢١٠، عودة إلى الأرثوذكسية ٢١٤، الحركة أو الطوشة ٢١٤، التوراة والإنجيل ٢١٦، إيروثيوس والقضية البلغارية ٢٢١، مجمع القسطنطينية (١٨٧١) ٢٢٣، اجتماع بيروت (١٨٧٢) ٢٢٣، الجمعية الروسية الأرثوذكسية ٢٢٤، إيروثيوس مخلص وفي ٢٢٥، ملاتيوس اللاذقية ٢٢٦، ميصائل صور وصيدا ٢٢٦، نيقوديموس عكار ٢٣٠، إيروثيوس والعلوم الإكليريكية العالية ٢٣١، جراسيموس يارد ٢٣٢، البطريرك جراسيموس ٢٣٢، الأنوار في الأسرار ٢٣٥، استقالة البطريرك جراسيموس ٢٣٦، تسرع الأب هنري موسى ٢٣٩، دخل الكرسي البطريركي ٢٤٠.

الفصل الثاني والخمسون: اسبيريدون وملاتيوس

٢٤١

سيرايم القائم البطريركي ٢٤١، تشاغل الأفكار في انتخاب الخلف ٢٤١، الجرائد اليونانية ٢٤١، ملاتيوس اليافوي ٢٤٢، الأرثوذكسيون جميعهم واحد ٢٤٢، ملاتيوس وخليل ٢٤٣، الدعاية لاسبيريدون ٢٤٣، المجمع الأنطاكي (١٨٩١) ٢٤٤، الوالي والترشيح ٢٤٦، الترشيح ٢٤٦، الاحتجاج على ترشيح اسبيريدون ٢٤٧، جواب الباب العالي ٢٤٨، حرب العرائض ٢٤٨، روسية والانتخاب ٢٥١، تدخل الباب العالي ٢٥١، اسبيريدون بطريرك أنطاكية ٢٥٣، قانون الانتخاب البطريركي ٢٥٤، إسقاط اسبيريدون في دمشق ٢٥٥، قدوم البطريرك المنتخب ٢٥٦، الرسائل السلامية ٢٥٧، سحق واستبداد ٢٥٧، دمشق

تستصرخ ٢٥٨، المدارس الروسية ٢٦١، موقفنا من رومة ٢٦١، خشونة
وفظاظه ٢٦٧، المناداة بالسقوط ٢٦٨، جرمانوس القائمقام البطريركي ٢٦٩،
ملاطيوس القائمقام البطريركي ٢٧٠، البطريرك ملاطيوس الثاني ٢٧٠، تنصيب
البطريرك ٢٧١، المجمع والبطاركة ٢٧٤.

٢٧٧ الفصل الثالث والخمسون: ملاطيوس الثاني

مدرسة البلمند ٢٧٧، وجوب تعليم الإكليروس ٢٧٨، افتتاح المدرسة
الإكليزيكية ٢٧٩، ملاحظات بطريركية ٢٧٩، البراءة السلطانية ٢٨٠، جولة
رعائية ٢٨١، مدرسة جامعة في بيروت ٢٨٣، البطريرك في اللاذقية ٢٨٤، مجلس
للملة في اللاذقية ٢٨٥، مجلس للملة في طرابلس ٢٨٥، ما لقيصر لقيصر ٢٨٦،
حيث دُعي المؤمنون مسيحيين أولاً ٢٨٦، كتاب التيسكون ٢٨٨، التعاليم
السنية ٢٨٩، رفيق المسافر ٢٩٠، شفاعة القديسين ٢٩٠، جمعيات التعليم
المسيحي ٢٩١، جمعية القديس بولس البيروتية ٢٩٢، الغاية الجليلة في حمص
٢٩٣، أخوة التقوى في إزمير ٢٩٣، شغور الكراسي ٢٩٤، إنتقاء المطارنة ٢٩٤،
أبرشية بيروت ولبنان ٢٩٧، فصل لبنان عن بيروت ٣٠٠، نومرو (١٦٣٧) ٣٠٠،
الترشيح والانتخاب ٣٠١، بولس متروبوليت جبيل والبترون ٣٠١، منشور بولس
الرعاي ٣٠٣، جراسيموس متروبوليت بيروت ٣٠٥، مجلس بيروت الملي ٣٠٧،
مجلس حمص الملي ٣٠٨، باسيلوس متروبوليت عكا ٣٠٩، مجلس ملي في
دمشق ٣١٠، استفانوس متروبوليت حلب ٣١٠، يواكيم الثالث البطريرك
المسكوني ٣١١، يواكيم والكنيسة الأرثوذكسية الجامعة ٣١١، توثيق عرى الاتحاد بين
الكنائس الأرثوذكسية ٣١٢، اتحاد الكنائس المسيحية ٣١٣، الكاثوليك
القدماء ٣١٣، الأنكليكان ٣١٣، مسألة تصحيح التاريخ ٣١٤، يواكيم وكنيسة
أنطاكية ٣١٤، الدعاية لاتحاد الكنائس ٣١٤، أسقف على السوريين في أميرة
٣١٥، جرمانوس متروبوليت سلفكياس ٣١٨، جولة رعائية بطريركية ٣١٨، إجتاع
الإخوة جميعاً ٣٢٠، البطريرك في البلمند ٣٢٠، خطاب الدكتور حبيب مالك
٣٢١، دير مار جرجس الحمير ٣٢٢، دير مار الياس الشوير ٣٢٢، عيد تحرير
الكرسي الأنطاكي ٣٢٢.

٣٢٣ الفصل الرابع والخمسون: غريغوريوس الرابع

وفاة ملاطيوس الثاني ٣٢٣، صدق الوفاة في القسطنطينية والاسكندرية ٣٢٤،
الترشيح ٣٢٥، غريغوريوس بطريرك أنطاكية ٣٢٥، حفلة التنصيب ٣٢٧، رسائل

الجلوس ٣٣١، زخريا عيّن البطريرك ٣٣٤، شغور الكراسي ٣٣٥، رائد غريغوريوس
ونخطه ٣٣٦، مدرسة السلام ٣٣٨، كلية حمص الأرثوذكسية ٣٣٩، أبرشية
ترسيس ٣٣٩، زخريا متروبوليت بصرى ٣٤١، قاضي الشرع وطلاق
النصارى ٣٤٢، الدستور العثماني والكنيسة ٣٤٢، تجنيد النصارى ٣٤٣، المجمع
الأنطاكي المقدس (١٩١٠) ٣٤٥، الخطبة والزواج ٣٤٧، البطريرك
وهوران ٣٤٨، إصلاح ومصالحة ٣٤٩، راشيا ٣٤٩، البطريرك في زحلة ٣٥٠،
بيروت ٣٥١، بين الحدث وبعدها ٣٥٣، منشور المحبة ٣٥٤، طرابلس ٣٥٧، إنضمام
مطران السريان في حمص ٣٥٧، روفائيل مطران حلب ٣٦٢، الدستور وامتيازات
النصارى ٣٦٣، ردّ على الماديين ٣٦٣، الأدلة الغراء ٣٦٤، البطريرك
والسلطان ٣٦٤، البطريرك الأنطاكي في جرائد روسية ٣٦٧، البطريرك في
روسية ٣٦٧، نكرم بأقنومك سلطان الكنيسة الأعلى ٣٦٨، مقابلة القيصر ٣٦٨،
اليوبيل ٣٦٩، الكنيسة الروسية والكنيسة المنحازة ٣٦٩، ألكسي أسقف
تحفنين ٣٦٩، الأوسمة ٣٧٠، العودة ٣٧٠، دير مار الياس الشوير ٣٧٠،
غريغوريوس والحرب ٣٧١، فيصل الأول ٣٧٢، المجمع المقدس وأميرة ٣٧٣،
ثيودوسيوس متروبوليت صيدا وصور ٣٧٣، نيفون متروبوليت بعلبك وزحلة ٣٧٥،
اغناطيوس متروبوليت حاه ٣٧٥، إيفانيوس متروبوليت حمص ٣٧٧، إيليا أسقف
معاون لمتروبوليت بيروت ٣٧٨، غريغوريوس والانتداب الفرنسي ٣٧٩، وفاته ٣٨٠.

٣٨١ الفصل الخامس والخمسون: النظم والقوانين

لجنة السنة (١٨٩٠) ٣٨١، لجنة السنة (١٨٩٨) ٣٨١، قانون السنة (١٩٠٦)
٣٨٢.

٤٠١ الفهارس

* سلسلة البطاركة (١٤٥٣ - ١٩٢٨)

* الفهرست الهجائي

الباب الرابع
النصرانية في دار الإسلام

١٤٥٣ - ١٩٢٨

الفتح العثماني

سقوط القسطنطينية : (١٤٥٣) وفي اذار السنة ١٤٥٢ بدأ محمد الثاني السلطان العثماني بانشاء قلعة بالقرب من القسطنطينية أطلق عليها اسم « روم ايلي حصار » ليهدد بها الإبحار من مرفأ القسطنطينية . فقامت هذه القلعة في الساحل الاوروبي مقابل كوزل حصار التي كان بايزيد قد أنشأها على الشاطئ الاسيوي . فأرسل قسطنطين الحادي عشر وفداً يمتنع على ذلك . فأمر محمد بهم فقطعت رؤوسهم !

فرم قسطنطين الاسوار وذخر المؤن وراسل يوحنا هونيادي والقوتز الخامس ولوح بامثيازات هامة لكل من البندقية وجنوا وكتب الى البابا نيقولاووس الخامس . ولكنه لم يتلق من الغرب شيئاً سوى شخص اسيدورس الذي كان قد أصبح كردينالا . فانه جاء من رومة موجياً اعلان اتحاد الكنيستين في كنيسة الحكمة الالهية وذكر البابا في الذبيحة . فضغط الفسيلفس على بعض كبار الاكليروس واقام في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٤٥٢ قداساً حافلاً في كنيسة الحكمة الالهية بموجب الطقس اللاتيني . وما ان فعل حتى ضجعت المدينة بالاحتجاج . وترغم سكلاريوس هذه المعارضة وقال نوتاراس الدوق الكبير قوله المشهور : « عمائم الشيوخ ولا تيجان الكرادلة » ! وبدأ الحصار وظل قسطنطين يسعى لاستدراار المعونة من الغرب . ولكنه لم يلق سوى سبع مئة محارب بقيادة يوحنا الجنوي . وألح سفير البندقيسة والكردينال اسيدورس على الاميرال تريفزانو الذي كان قد واكب الكردينال ان يبقى في مياه القسطنطينية ولكن ربانة البوارج آثروا الخروج على البقاء . وحسدا حذوهم اهل الحل والربط من رجال الحامية الجنوبية فقالوا بأن بقاءهم على الحياد يكون في صالح الروم !

ويستدل من افضل المراجع الأولية على ان عدد المحاربين الروم لم يتجاوز الـ ٤٩٧٣ رجلاً وان عدد الاجانب المقاتلين معهم تراوح بين الالفين والثلاثة الاف وان سلاح هؤلاء كان ابيض وانسه لم يكن لديهم سوى بعض المدافع المتوسطة الحجم وان القوة البحرية كانت مؤلفة من سبع بوارج وان الذخيرة لم تكن كافية وان الفسيلفس اضطر ان يسك النقود من فضة الكنائس (١).

وفي الثاني من نيسان سنة ١٤٥٣ مـدد الروم السلسلة العظيمة فأقلوا بها مـدخل القرن الذهبي . وفي الخامس منه وصل محمد الثاني بستين الف مقاتل وبعده كبير من الدراويش والتجار والفلاحين الذين استهواهم النهب والسلب . وفي السابع انسدر السلطان الفسيلفس بوجوب تسليم المدينة فرفض فبدأ الحصار . وفي الثامن عشر من نيسان أمر السلطان بهجوم عنام ولكنه نكص على اعقابيه . وحاول اقتحام مداخل القرن الذهبي باسطوله الكبير فلم يفلح . وفي العشرين من نيسان اطل اسطول غربي مؤلف من اربع بوارج وثلاث ناقلات كبيرة . فأمر السلطان بصددهم عن الوصول الى القسطنطينية . ونشب القتال بين الطرفين وانتصر الاسطول الجنوبي ووصل الى القرن الذهبي ناقلات حبوباً من صقلية الى المدينة الخالدة . وقام السلطان في السابع من ايار وفي الثاني عشر منه بهجومين عنيفين ولكنه اخفق في المرتين . ورأى البطريرك المسكوني والوجهاء ان يغادر الفسيلفس العاصمة ليجيش الروم في المورة وغيرها ويستدر المعونة من الغرب . ولكن قسطنطين الحادي عشر أثر الموت مسح قومه في الدفاع عن النفس . وفي الثالث والعشرين من ايار أوفد السلطان امير سينوب يقاوض الفسيلفس في تسليم المدينة مقابل خروجه منها وخروج من رغب في ذلك فلم ير قسطنطين في ذلك سوى فتح منصوب فرفض . وفي التاسع والعشرين عماد الاترك الى الهجوم . وكان قد تهدم السور الخارجي بالقرب من باب ادرنة فتسلل الانكشاريون من هذه الثغرة الى السور الداخلي . وعلموا من اعوانهم

1) Phrantzes, III, 338 ; Léonard de Chio, Lettre au Pape Nicolas V, P. G., Vol. 159, Col. 934 - 936.

في داخل القسطنطينية ان الباب الخفي الصغير كبير كوبروته السدي كان يطل على الخندق في هذا القاع كان مهملاً . فاقحموه ونفذوا منه الى داخل المدينة فذب الدعر في العاصمة . وكان القائد غوسطنيانى قد جرح فنقل الى جزيرة خيوس وتوفي لسدى وصوله اليها . وتابع قسطنطين الجهاد وما فتى يحارب حتى خرب صريعاً في ميدان الشرف . وأباح السلطان المدينة ثلاثة ايام بلياليها . ثم دخلها وذهب نواً الى كنيسة الحكمة الالهية فعلا الأميون وصلى وجعل الكنيسة مسجداً ثم استقر في القصر المقدس (١) .

امتيازات البطريرك المسكوني : ودخل الروم في «ذمة» الفاتح فدفعوا الجزية وأمنوا على دنائهم وعرضهم واموالهم . وتوقع الفاتح مقاومة البابا وامراء أوروبا الغربية والوسطى وملوكها وخشي حرباً صليبية جديدة فتهيأ وتجهز ورأى من الحكمة ان يظل الشقاق قائماً بين الكنيستين اليونانية واللاتينية (٢) . وكان والده مراد الثاني قد اتبع الخطة نفسها فلم يرض عن مقاضات فراري فلورنسة كما سبق واشرنا .

وتوفي غريغوريوس الثالث (ممس) موالي رومة في السنة ١٤٥٣ فرأى الفاتح ان يوصل الى السدة البطريركية شخصاً معارضاً لا يرضى عن الاتحاد . وكان جاورجيوس سكولاريوس قد تزعم هذه المعارضة بعد وفاة مرقس متروبوليت افسس (٣) . فانتخب الجميع سكولاريوس في ايار او حزيران السنة ١٤٥٣ (٤) وأعلنه بطريركاً مسكونياً باسم جناديوس الثاني (١٤٥٣ - ١٤٥٧) . وحل الفاتح محل الفسيلفس فاعترف به بطريركاً مسكونياً قائلاً : « كن بطريركاً

1) Critobule d'Imbros, Hist., I, 68 ; Doukas, Chron., P. G., Vol. 157, Col. 1112 ; Annales Sallanorum Othomanidarum, P. G., Vol. 159, Col. 573-650 ; Pears, E., Destruction of the Greek Empire, 1903 ; Amanos, C., La Prise de Constantinople, Athens, 1953 ; Babinger, F., Mehmed der Eroberer und seine Zeit, Munich, 1953 ; Guerdan, R., Vie, Grandeur et Misères de Byzance, Paris, 1954, 205 - 247.

2) Paparrhigopoulos, C., Istoria Ellenichon Ethnons, V, 504, 522 ; Elliot, Sir Charles, Turkey in Europe, 242 ff.

3) Petit, L., Oeuvres Complètes de Scholarios, III, 117 ff.

4) Papadopoulos Kerameus, Ereuna peri Chronias, Nea Hmera, 1910, 1851 ; Papadopoulos, Th., Hist. of Greek Church and People, 2, n. 1.

حرسك الله وسأوليك عظمي . وتمتع بجميع الحقوق التي مارسها سلفاؤك » (١) .
 وزار السلطان البطريرك في دير الباما كاريستوس Pammakaristos وحادثه في الدين
 المسيحي . ثم اعد البطريرك بياناً في الدين المسيحي جاء في عشرين فصلاً (٢) وقدمه
 الى السلطان . فسر السلطان به وعطف على « الامة المسيحية » وأمر بحمايتها (٣) .
 ويرى رجال الاختصاص ان السلطان الفاتح أصدر براءة ضمن فيها احترام
 شخص البطريرك وعدم التعدي عليه واعفائه من جميع الضرائب واستقراره في
 كرسيه وحرية وانتقال امتيازاته الى خلفائه من بعده وامتداد سلطته لتشمل
 الرؤساء الدينيين الخاضعين له (٤) .

واعترفت السلطات العثمانية البطريرك المسكوني مسؤولاً عن الملة المسيحية
 فخولته سلطة زمنية على المسيحيين علاوة على سلطته الروحية . فأصبح من حقه
 النظر في « الخصومات التي قد تنشأ بين الروم من رعايا السلطان وان يستمع الى
 الشهود ويجري الاقسام وينهي المشاكل » . وأمسى من واجبه جمع الضرائب
 المفروضة على الروم وكنائسهم ومن واجب الموظفين المدنيين تسهيل اموره (٥) .
 وقول بعض رجال البحث ان صلاحيات البطريرك انحصرت في امور الاكليروس
 الارثوذكسي قول ضعيف لا يتفق وصراحة النصوص (٦) .

وعاد عدد كبير من الروم الى القسطنطينية واستقروا حول البطريركية .
 وكان لهم من ثروتهم القائمة على التجارة ومن براعتهم في السياسة ما ضمن لهم مركزاً
 رفيعاً في مختلف العهود .

البلقان في حوزة الاتراك : وهدد الحزب الفتوحات العثمانية في البلقان
 فتحتم القضاء على استقلال الصرب فقام محمد الثاني بنفسه الى بلغراد وضرب

- 1) Suvorov, N., Manuel de Droit Ecclésiastique, 78 ; Papadopoulos, Th., op. cit., 2, n. 2.
- 2) Confessio Fidei, Pol. Ist. Kunst., Petit, L., Oeuvres, III, 434-452, 453 - 484.
- 3) Turcograeca, 120.
- 4) Phrantzis, Chronicon, III, 11 ; Papadopoulos, Th., op. cit., 4 - 7 ; Papadopoulos, C., Les Privilèges du Patriarcat Oecuménique dans l'Empire Ottoman, 24.
- 5) De Testa, I., Recueil, V, 162 - 170.
- 6) Mathieu, H., La Turquie et ses Différents Peuples, II, 104.

الحصار عليها . فاندفع هونيادي عبر الدانوب على رأس جيش مختلط من
 الصليبيين فوق الى القضاء على هجوم العثمانيين واضطر محمد الى الانكفاء
 (١٤٥٦) . وتوفي هونيادي ثم مات ملك الصرب واصطرع وارثوه فنهض محمد
 الفاتح في السنة ١٤٥٨ الى بلاد الصرب فخطم المقاومة واخضع السكان وادخل
 البلاد في حوزته .

وقضى السلطان في هذه الآونة نفسها على امارتي الروم في المورة وعلى
 دوقية اثينة اللاتينية فأمست ببلاد اليونان في معظمها ولاية عثمانية . وفي السنة
 ١٤٦٤ استولى السلطان على امبرطورية طرابزون الرومية الكومينية . وكان خان
 التركمان اوزون حسن قد شيد دولة فتية في ارمينية وضم اليها فارس والجزيرة
 القزاقية . فلما دخل محمد الفاتح في حرب طاحنة ضد البندقية حالف البنادقة
 اوزون حسن وزجوا خصمهم العثماني بين نارين ولكن الفاتح خرج منتصراً على
 خصميه في آسية واوروبا .

وبعد فتح القسطنطينية انطلق الاسطول العثماني الى بحر ايجه فاستولى على
 جزائر تاسوس وسموتراقية وجمبروس وملتوس وفوق الجديدة بالقرب من ازمير .
 اما رودوس فانها صمدت في وجه هذا الاسطول واكرهته على التراجع (١٤٨٠) .
 وامر السلطان باعادة الكرة في العام التالي فعاجلته المنية وقضى نحبه في معسكره في
 اسية الصغرى في الثالث من ايار سنة ١٤٨١ .

وأوصى محمد بالخلافة لابنه الاصغر جم فثار الانكشاريون واندلعت
 نيران الفوضى فاضطر بايزيد اكبر الامراء سناً ان يغفر لهم فظائعهم ويزيد في
 اعطياتهم . واقترح جم على اخيه بايزيد اقتسام الامبراطورية فلم يرض بل هجم
 عليه وهزمه عند بني شهر . فالتجأ جم الى قايتباي سلطان الماليك وحاول قلب
 الحكم في آسية الصغرى بالتعاون مع قرمان اوغلو قاسم بك فافق فالتجأ الى
 رودوس حيث حاول التحالف مع فرسانها وبعض دول اوروبا . وفي السنة ١٤٨٨
 اسلم الفرسان هذا الامير التركي الى البابا انوشنسيوس الثامن لاهتمامه بصليبية
 جديدة . وحاصر شارل الثامن ملك فرنسا رومنة واستولى على جم . وكان

بايزيد قد حرض البابا على قتل اخيه فأتى جم مسموماً في نابولي في شباط السنة ١٤٩٥ .

واصفى بايزيد (١٤٨١ - ١٥١٢) ابنه احمد وأحب ان يتخلى له عن العرش فطالب ابنه سليم بأن يتولى ادارة احدى ولايات اوروبة بدلاً من طرابزون وكان جندياً بالفطرة شجاعاً مقداماً فأحبه الجنود . وفي السنة ١٥١١ هدد ادرنة على رأس خمسة وعشرين ألفاً . ثم هزم بايزيد ابنه سليماً وأكرهه على الفرار فالتجأ الى خان القرم . وعاد في السنة ١٥١٢ فظهر امام ابواب القسطنطينية فاستقبلته الحامية استقبالا حماسياً فأكره والده على التنازل وأمر به قدس له السم فتوفي في هذه السنة نفسها .

العثمانيون والمماليك : (١٥١٦-١٥١٧) وكان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) من اعظم سلاطين العثمانيين واكثرهم انتصاراً وفتحاً . وتنازعت فرنسا والنمسة السيادة في اوروبة واندلعت نار الشقاق الديني بين الكاثوليكين والبروتستانت فانتهاز العثمانيون هذه الفرصة السانحة وانجهوا بفتوحاتهم شطر آسية .

وكان على عرش فارس حينئذ الشاه اسماعيل الصفوي الشيعي فطمع في مناطق الحدود بينه وبين الاتراك العثمانيين وحرّض الشيعة في آسية الصغرى . فعزم سليم على غزو فارس وخرج في السنة ١٥١٤ بجيش عظيم ماراً على ديار بكر وكردستان . فتراجع الفرس الى وادي جلديران قرب تبريز . ولكنهم لم يقووا على مقاومة الانكشارية والمدفعية العثمانية فانهمزوا . فدخل السلطان تبريز حاضرة الفرس آنئذ . ثم اضطر الى التراجع لتمرّد الانكشاريين عليه واكتفى بضم ديار بكر وكردستان .

وصادق السلطان الظاهر برقوق (١٣٨٢ - ١٣٩٢) معاصره السلطان يلدرم بايزيد العثماني . ودامت هذه الصداقة حتى ايام بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح . ودارت بين سلاطين الطرفين رسائل الوداد وعقود المهادنة . وكان ما كان من امر الامير جم ففر الى الاشرف قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٨) ملتجئاً فأجاره . وطلب بايزيد تسليمه فلم يجبه قايتباي فحقد بايزيد . وانضم هذا الحقد الى نزاع

حول امارة ابناء ذي الغادر . وكانت هذه الامارة تركمانية قائمة في ارمينية وكردستان وكان لا يتولى امير فيها الا باذن صاحب مصر . وكانت الدولة العثمانية قد تدخلت في شؤون هذه الامارة وادعت حمايتها . وبلغ بايزيد ان قيتباي اخذ من رسول ملك الهند هدايا كان ارسلها الى السلطان العثماني . فجهز بايزيد جيشاً وتوغل في ارض المماليك حتى مداخل حلب . فصمد المماليك في وجهه وهزموه . فأتبعه بايزيد بجيش آخر فكانت عاقبة وخيمة . فزحف المماليك عبر الحدود العثمانية فالتقوا بجيش عثماني جديد فكانت الحرب سجالاتاً ثم انتهت بالصلح ولكن الطرفين أصبحا في تنافس وتراحم على النفوذ والزعامة في العالم الاسلامي .

ثم اخذ العثمانيون يحرضون القبائل والامارات الخاضعة لمصر على التخلص من سيادتها وبدأوا يضمعون العراقيل في سبل تجارتها مع فارس وما وراءها مما جعل ورود الصوف ومنسوجاته وانواع القراء نادراً . ومنعوا تجار الرقيق من اخذ المماليك الشراكسة الى مصر . فكان عملهم هذا شديداً على سلاطين المماليك لان المماليك الشراكسة كانوا آتتذ مادة الجيش المصري ورجال الحكومة فيها . واخذ سلاطين المماليك يحبرون كل من التجأ اليهم من ابناء السلاطين العثمانيين والامراء والاعيان الفارين من وجه الدولة العثمانية . واسترسلوا في هذه السياسة فهبوا يوادون من عادى العثمانيين امثال اوزون حسن ثم بعده الشاه اسماعيل وغيرهما . وحاول الشاه الصفوي تحويل هذه المودة الى محالفة فلم يفلح للفرق في المذهب . واستطاع شرر هذه الاحقاد بسلاح قانصو الغوري (١٥٠١ - ١٥١٦) بأن يمر الوفد الفارسي المفاوض في سورية بطريقه الى الهندية ليعرض عليها اتحاداً ضد الاتراك العثمانيين وبأجارة السلطان الغوري للامير قاسم ابن اخي السلطان سليم الاول العثماني واجارة الشاه اسماعيل للامير مراد اخي قاسم . واراد السلطان سليم قتل هذين الاميرين فطلبهما فلم يجيباه . وخشي سليم تحول المودة بين مصر وفارس الى حلف فأعلن الحرب على فارس كما سبق واشرنا ثم على مصر . ولما زحف سليم على فارس اتلف الشاه اسماعيل كل ما خلفه في مدينه وقلاعه من المؤونة والذخائر وانتظر سليم ورود غيرها من بلادهم فلم ان قبائل التركمان وامارة الغادرية التابعة

لمصر قد اغارت على قوافله ومنعت وصولها اليه . فاضطرب جيشه فحرمه ثمة انتصاره في جلديران !

وعاد سليم من فارس الى بلاده فانتقم من اماره الغادرية فقتل اميرها علاء الدين وضم الامارة الى ملكه . واحتج السلطان قانصوه الغوري على ذلك فقابل سليم احتجاجه برسالة رأس علاء الدين اليه : فعلم الغوري ان الحرب واقعة .

وكانت مملكة البرتغال قد قطعت طريق التجارة الهندية الشرقية على مصر فنضبت اهم موارد الثروة . وكان الفساد قد دب في اخلاق المماليك وقل ولاؤهم وكان قد جرّأهم على ذلك ميل الغوري الى ممالكه الذين جلبهم لنفسه . فلما اراد ان يستجمع كل ما عنده من قوة تحاذل المماليك القدماء وتعللوا بقلة النفقة . وبعد تساهل من الطرفين تمكن الغوري في شتاء السنة ١٥١٥ - ١٥١٦ من اعداد جيش يخرج به الى حدود العثمانيين . وجمع في هذا الجيش قوة مصر الادبية فخرج فيه الخليفة العباسي وقضاة المذاهب الاربعة واشياخ الطرق وكبار العلماء والاعيان ورؤساء المغنين والموسيقيين وارباب الصناعات . وبلغه ان الاسطول العثماني يقصد الاسكندرية فعزز حاميتها وحصن قلاعها بنحو مئتي مدفع . وأتاب عنه الدودار الكبير طومان باي ابن اخيه . وخرج جيش المماليك من القاهرة في صيف السنة ١٥١٦ فقامى الجنود الشدائد في اجتياز صحراء سيناء . ثم دخلوا دمشق وحماه وحلب .

وخرج السلطان سليم الاول من القسطنطينية بجيش بلغ مئة وخمسين ألفاً مسلح بكثير من الاسلحة النارية بالمكاحل والمدافع والبندقيات . فلما صار على حدود المماليك استمال خير بك نائب حلب وچان بردي الغزالي نائب حماة ووعد الاول بولاية مصر والثاني بولاية سورية . وعرف الغزالي اللبنانيين وما تحلوا به من شجاعة وبأس وحذق في أساليب القتال فاستمال المعنيين ومن شد أزهرهم من المشايخ والأعيان . وأراد سليم ان يخدع الغوري ويصرفه عن القتال فأرسل اليه بتوسط نائب حلب رسالة يعتذر فيها عما فرط ويعده بالخير . ثم أرسل الى حلب وقداً

يؤكد اخلاص السلطان شرط الا يتدخل الغوري في النزاع القائم بين العثمانيين والصفويين . فأكرم الغوري أعضاء هذا الوفد وأرسل يعرض توسطه في الصلح بين سليم واسماعيل . فغضب سليم وهم بقتل الرسول . ثم قال : قل لاستاذك ان اسماعيل الصفوي خارجي وانت مثله وسأبدأ بك قبله وموعدا مرج دابق على بعد يوم عن حلب . والتقى الجحفلان في مرج دابق وكاد الغوري ينتصر . فعمل خير بك والغزالي والامير فخر الدين المعني على تثبيت الممهم فتحول النصر الى الهزام وقلج الغوري لساعته وسقط عن جواده . وشاع موته فتفرق جيشه .

وانتظر أهل حلب قدوم السلطان سليم فسلموه المدينة وخطبوا باسمه في مسجدها فجعلوه حامي الحرمين الشريفين فاغرورقت عيناه بالدموع ونهض لساعته وخلع على الخطيب فألبسه فراءه ! وانضم الى العثمانيين خير بك والغزالي والامير فخر الدين وغيرهم . واستولى السلطان على دمشق وجميع مدن سورية . ورجع المنهزمون الى مصر فكابد طومان باي المشقات في جمع شتاتهم . وكانت موقعة غزة فالريدانية ١٥١٧ فدخلت مصر ايضاً في حكم الأتراك العثمانيين وكذلك الحجاز .

نظام الحكم : وبعد ان أتم السلطان العثماني فتح مصر ووضع نظاماً لادارتها عاد الى دمشق ليعنى بتنظيم الادارة في سورية ولبنان وفلسطين . فأبقى على نظام النيابات وعين على نيابة حلب حاكماً تركياً ثم جعل سائر النيابات في يد چان بردي الغزالي . وعطف على الأمير فخر الدين المعني فعزز سلطته على لبنان وحط من قدر غيره من الأعيان . وأبقى القديم على قدمه فجاء فتحه يسيراً . وأخلص الغزالي الولاء لسليم فحضر البدو والخرافشة وغيرهم ممن عاون المماليك في اثناء اعمال الفتح ووطد السلطة والامن في البلاد .

ثم مات سليم في السنة ١٥٢٠ فأعلن الغزالي استقلاله في الجامع الأموي في دمشق متخذاً لنفسه لقب الملك الاشرف . فأنفذ السلطان سليمان حملة لتأديبه بقيادة فرهاد باشا . فكانت موقعة القابون في السابع والعشرين من كانون الثاني سنة ١٥٢١ وكان تأديب على طريقة الترت وتيمورلنك . فاستغنت السلطات التركية عن

خدمات كبار الموظفين المحليين وأسندت أعمالهم الى اترك عثمانيين . ولا نعلم بالضبط متى ألغت الحكومة العثمانية النيابات القديمة وما تبعها من أنظمة . ولكن تقارير قناصل الدول الأجنبية تشير الى باشاويات ثلاث تم تنظيمها قبل نهاية القرن السادس عشر وهي باشاوية حلب وباشاوية دمشق وباشاوية طرابلس . وجاء في تقرير رسمي يعود الى عهد السلطان احمد (١٦٠٣ - ١٦١٧) ان هذه الباشاويات كانت مقسمة الى سناجق اهمها في جنوب البلاد سناجق غزة والقدس ونابلس وتدمر وصيدا وبيروت . ومنها في الشمال سناجق طرابلس وجبله وحمص والسلمية . وشملت باشاوية حلب تسعة سناجق مماثلة . وانشأت الدولة العثمانية باشاوية صيدا في السنة ١٦٦٠ للاشراف على لبنان ومراقبته !

وجاء على رأس كل باشاوية وال يعينه السلطان لسنة واحدة . وكان ينوب عن الوالي في كل مدينة حاكم اداري يدعى متسلماً . اما الريف فانه كان مقسماً الى زعامات وتيارات وموزعاً على ضباط عسكريين مدة حياتهم . وكان على هؤلاء ان يلجوا الدعوة للحرب بشروط معينة وعلى نفقتهم الخاصة وان يقوموا باعباء الحكم في مقاطعاتهم .

وكان يحيط بالباشا في عاصمة الباشاوية (الايالة) رؤساء الجنود وهم قواد الفرق التي كانت تشكل حامية الباشاوية . وتألّف من اجتماع هؤلاء الرؤساء ديوان الوالي . وكان لهذا الديوان سلطة واسعة اذ لم يكن في وسع الوالي ان يبرم امراً هاماً الا بموافقة الديوان . وكان اذا وقع خلاف بينه وبين الديوان رفعه الى الاستانة للفصل فيه . وكان للديوان ان يطلب عزل الوالي اذا شاء . واحاط الباشا نفسه في غالب الاحيان بعدد من الجنود غير النظاميين « باش بوزق » يناسب ومقدرته على الانفاق منهم الكردي والكريتي والناضولي والارناؤوطي والمغربي .

وقضت قوانين الدولة بأن يقترح « قاضي عسكر » الاناضول تعيين من تتوفر فيهم الشروط اللازمة لتولي القضاء في باشاويات آسية فتصدر بذلك فرمانات رسمية . فكان يعين في كل سنة « مولى خلافة » من علماء الأتراك في كل من حلب

ودمشق وطرابلس والقدس . وكان يعين هذا المولى خلافة بدوره نواباً عنه في سائر مدن الباشاوية التي ولي القضاء فيها . وكان يتولى الافتاء في كل من حلب ودمشق مفتون اربعة من المذاهب الاربعة يجيبون عما يلقي اليهم من المسائل المشكوك في احكامها .

مذهب الدولة : وقال السلطان العثماني بالمذهب الحنفي فأصبح هذا المذهب هو المذهب السائد بحق للمتداعين ان يطلبوا تطبيقه اذا رأوا في تطبيق غيره اجحافاً بحقوقهم . واقبل العلماء على درس هذا المذهب وصنفوا فيه . واشهر ما صنف من هذا القبيل في القرن السادس عشر كتاب المتقي للشيخ ابراهيم الحلبي مفتي السلطان سليمان القانوني .

الشرع والقانون : وخضع السلطان العثماني للشرع الشريف واعتز بحكمه واحكامه . ولكنه قال في الوقت نفسه بالعادة والعرف والقانون . والعادة هي ما استمر الناس عليه عند حكم العقول وعادوا له مرة بعد اخرى . والعرف هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطبائع السليمة بالقبول . والعرف عند الأتراك العثمانيين كان ارادة السلطان السنية . وهو من المعاني الخصوصية التي انفردوا بها (١) . والقانون هو العرف المدون بأمر السلطان او هو مجموعة الارادات السلطانية المدونة . وهذه الارادات السنية كانت لا تصدر قبل مشاورة العلماء المقربين من السلطان العارفين المطلعين الذين كانوا يجارون السلطان في فتاويهم للمحافظة على المصلحة السياسية والاجتماعية ومقتضى الظرف . ومن هنا هذه الامتيازات التي خص بها محمد الفاتح وخلفاؤه بطاركة القسطنطينية .

البطريك المسكوني والبطاركة : وكانت قرارات المجامع المسكونية قد قضت بتقدم بطريك القسطنطينية على بطاركة الشرق الثلاثة وباعتباره الثاني بعد بطريك رومة . وكان قد سبق لهؤلاء البطاركة الثلاثة ان اعترفوا بهذا التقدم

1) Hammer, Joseph von, Staatsverfassung, 30 ; Heideborn, A., Manuel de Droit Public et Administratif de l'Empire Ottoman, 37 ff ; Fehmi, Y., Hist. de la Turquie, 237 ; Lybyer, A., Government of Ottoman Empire, 152 - 159.

في الكرامة . وكان بطريرك القسطنطينية قد اتخذ لنفسه لقب البطريرك المسكوني بمعناه البيزنطي اي بطريرك الامبراطورية فوافق بطاركة الشرق على ذلك واعتزضت رومة . وكان بطريرك القسطنطينية قد حاول في الربع الاول من القرن الحادي عشر ان يصبح ذا سلطة شرعية على بطاركة الشرق فطلب الى رومة الاعتراف بذلك فكادت تعترف ثم أبت . وقد سبق الكلام في هذا الموضوع عند الكلام عن بدء الانشقاق . ثم وقع الشقاق ووسعته الحروب الصليبية وثبته الحملة الصليبية على القسطنطينية فخسرت رومة ما تبقى من نفوذها في الشرق .

واستولى الاتراك على القسطنطينية ثم على جميع ابرشيات البطريركيات الشرقية فأصبح بطريرك القسطنطينية بطريرك عاصمة الدولة العثمانية يفاوض باسم البطريركيات الاخرى ويسهل امورها في عاصمة الدولة ويدافع عن حقوقها امام السلطة العثمانية العليا . وكان من الطبيعي جداً ان تعترف السلطات العثمانية بتقديم بطريرك العاصمة على بطاركة الولايات وان تمنحه امتيازات ادارية يتميز بها على اقرانه . فقد جاء في براءة سلطانية صادرة في اواخر ايلول سنة ١٨٥٥ موجهة الى البطريرك كيرلس خلف افثيموس انه اذا ام القسطنطينية بطاركة البلدان الاخرى لترتيب امورهم يتوجب عليهم ان يفعلوا ذلك بواسطة البطريرك المسكوني والمطارنة (١) . وجاء في قرار اتخذ في السنة ١٧٦٧ البطريرك المسكوني صموئيل انه عملاً بالامتيازات القديمة التي تخوله حق الرئاسة (Ephoros) والاشراف (Epistates) على عرش احد البطاركة لدى وفاته وعملاً برئاسته واشرافه في جميع كنائس المسيح وبصفته رأس الجسم كله ونظراً لطلب كيوريوس فيليمون الخطي بأن يخلفه على كرسي انطاكية كيوريوس دانيال ولما كان اخوه في النعمة كيوريوس افرايم بطريرك اوروشليم يرى الرأي نفسه وكذلك مجمع الاساقفة المقدس فانه يعلن حق كيوريوس دانيال بتولي العرش الانطاكي (٢) . ولكنه جاء ايضاً في قرار أصدره البطريرك المسكوني نيوفيطوس في العاشر من كانون الثاني سنة ١٧٩٢ ان

1) De Testa, I., Recueil, V, 170.

2) Appendix I, Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, 194.

رعاية مصالح البطريركيات الاخرى واجبة ولكن التعدي على حقوقها امر مشجوب لا يجوز التفكير به ولا يليق بالمقام البطريركي (١) .

آل عثمان

١٧٣٠ - ١٧٠٣	اخذ الثالث	١٥٢٠ - ١٥١٢	سليم الاول
١٧٥٤ - ١٧٣٠	محمود الاول	١٥٦٦ - ١٥٢٠	سليمان الاول
١٧٥٧ - ١٧٥٤	عثمان الثالث	١٥٧٤ - ١٥٦٦	سليم الثاني
١٧٨٩ - ١٧٥٧	عبد الحميد الاول	١٥٩٥ - ١٥٧٤	مراد الثالث
١٨٠٧ - ١٧٨٩	سليم الثالث	١٦٠٣ - ١٥٩٥	محمد الثالث
١٨٠٨ - ١٨٠٧	مصطفى الرابع	١٦١٧ - ١٦٠٣	احمد الاول
١٨٣٩ - ١٨٠٨	محمود الثاني	١٦١٨ - ١٦١٧	مصطفى الاول
١٨٦١ - ١٨٣٩	عبد المجيد	١٦٢٣ - ١٦١٨	عثمان الثاني
١٨٧٦ - ١٨٦١	عبد العزيز	١٦٢٣ - ١٦٢٠	مراد الرابع
١٨٧٦	مراد الخامس	١٦٤٠ - ١٦٤٨	ابراهيم
١٩٠٩ - ١٨٧٦	عبد الحميد الثاني	١٦٤٨ - ١٦٨٧	محمد الرابع
١٩١٨ - ١٩٠٩	محمد الخامس	١٦٨٧ - ١٦٩١	سليمان الثاني
١٩١٨	محمد السادس	١٦٩١ - ١٦٩٥	احمد الثاني
		١٧٠٣ - ١٦٩٥	مصطفى الثاني

* * *

1) Ibid. 196.

واستوطن الانكشاريون والسباهيون حلب ودمشق وطرابلس فصيدا واستقروا بها فصار لهم صيغة محلية وكثرت مظالمهم ومشاكلهم ولجأوا في غالب الاحيان الى القوة للوصول الى ما كانت تصبو اليه نفوسهم . وكانت تغلق الحوائط ويجري الدم فيضطر كل صاحب مهنة ان يأخذ أسلحته معه الى محل عمله . وأصبح « اهل الذمة » بحالة يرثى لها يتكيسون باصحاب السطوة من المسلمين لصيانة انفسهم او يفرون الى لبنان ليعيشوا فيه احراراً معززين .

بطاركة القرون السادس عشر : ويختلف الرواة في اسماء البطاركة وفي تسلسل سلطتهم ومدة رئاستهم . وليس لدينا من السجلات الرسمية ما نستعين به لاثبات هذه الحقائق التاريخية الاولى . فحوادث السنة ١٨٦٠ في دمشق قضت على كل ما كان قد تجمع في البطريركية من اوراق وسجلات واحرق ما كان قد تبقى من كتب طقسية ودينيخات في الكاتدرائية البطريركية !

ويقول قسطنديوس القسطنطيني ان دوروثيوس الثالث تولى السدة البطريركية الانطاكية من السنة ١٥١١ حتى السنة ١٥٢٣ وان يواكيم الرابع خلفه في السنة ١٥٢٤ فساس الكنيسة ثلاثين عاماً وان ميخائيل الخامس جلس اثنتي عشرة سنة (١٥٥٥ - ١٥٦٧) وان يواكيم الخامس ظل متولياً من السنة ١٥٦٧ حتى السنة ١٥٨٥ وان دوروثيوس الرابع خلفه فتوفي بعد اثنتي عشرة سنة اي في السنة ١٥٩٧ (١) .

وجاء في كتاب الأرج الزكي مثل ما جاء في لائحة قسطنديوس حتى نهاية عهد ميخائيل الخامس في السنة ١٥٦٧ . ثم جاءت بطريركية يواكيم الخامس سنة واحدة تلتها رئاسة يواكيم السادس فدامت سبع عشرة سنة (١٥٨٥) ثم بطريركية دوروثيوس الرابع حتى السنة ١٦١٠ . وأضاف صاحب الأرج الزكي ان الارشمندريت بولس ابو عضل تكرم عليه بالسلسلة البطريركية وان غريغوريوس متروبوليت طرابلس (البطريرك فيما بعد) نظر فيها واجازها .

واذا ما قابلنا هاتين اللائحتين بما صنفه البطريرك مكاريوس (زعيم) وابنه

الفصل السابع والاربعون

طمع واضطراب ووجل

الولاة والجنود : وما كاد الاتراك العثمانيون يستولون على ابرشيات انطاكية حتى دخلوا في دور من الانحطاط دام طويلاً . فانهم بلغوا اقصى مجدهم وعظمتهم في عصر سليمان . وبعد وفاته في السنة ١٥٦٦ ابتدأوا في انحطاط مستمر اللهم الا فترات كانوا ينتعشون فيها ويظهرون بعض علامات القوة والنشاط .

وترجع اسباب انحطاط الاتراك العثمانيين الى اسباب داخلية وخارجية . وأهم الاسباب الداخلية انه جاء بعد سليمان القانوني عدد من السلاطين الضعفاء الذين لم يكن لهم هم سوى الانغماس في الملذات . فلما أصبح الجنود بلا سلطان شجاع يقودهم الى النصر في ساحات الوغى سقطت هيبة السلاطين من اعينهم وشعروا بما لهم من حول وقوة فبدأوا يعزلون ويولون من يشاءون متطليين الاعطيات الجزيلة مبتزين الاموال الكثيرة .

وادی استئثارهم بالسلطة على هذا الوجه الى الانغماس في الترف والفساد ففقدوا صفاتهم الحربية القديمة واصبحت ترقياتهم مشروطة بما يبذلونه من الرشوة لولاة الامور منهم ولبطانة السلطان . وعمت الرشوة مصالح الحكومة بأسرها واصبحت جميع الوظائف تباع وتشترى . فاضطر الولاة ان يبتاعوا وظائفهم . وكان الواحد من هؤلاء لا يوفق الى تجديد مدة ولايته دون ان يرسل الى عاصمة الدولة ما يرضي به رؤساءه فيضطر والحالة هذه ان ينظر الى وظيفته كوسيلة لا ابتزاز المال . واصبحت مناصب القضاء ايضاً تباع وتشترى وتعرض في اسواق المساومة فترسو على من يدفع الثمن الاعلى . وكان المولى خلافة لا يعرف العربية فيتكل في استماع المرافعة الى مترجم يصبح هو صاحب القول الفصل في بعض الاحيان .

1) Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, 179 - 180.

بولس (١) وبما جبره الخوري ميخائيل بريك « الخلاصة الواقية في تاريخ بطاركة انطاكية » (٢) هالنا التناقض وأرهبننا . وليس في ما ظهر في مجلة المنار الارثوذكسية بقلم غطاس قندلفت او في ما اورده الاب كرافسكي في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسي ما يسكن روعنا ويخفف جأشنا . ولولا جهود المغفور له السيد خريسوستومس (بابا ذوبولوس) رئيس اساقفة اثينة (٣) وصبر الاب الارشمندريتي جوزف نصرالله (٤) لما تمكنا من رسم الخطوط الرئيسية التالية . وأملنا ان يقوم بعدنا من يعنى بجمع ما تبقى من الآثار الخطية في اللغتين العربية واليونانية ليتسنى خلفائنا الوصول الى استنتاجات سليمة كاملة .

البطريوك دوروثيوس الثالث : (١٤٩٧ - ١٥٢٣) وجاء لبولس ابن الزعيم ان دوروثيوس (ابن الصابوني) كان يسوس الكنيسة الانطاكية في ايلول السنة ٧٠٠٦ للخليفة (١٤٩٧) . وجاء ايضاً في ذيل انجيل خطي في السابع والعشرين من اذار سنة ١٥٢٣ تصديق لدوروثيوس يفيد ان هذا الانجيل اصبح آتئذ وقفاً على كنيسة دير عطية (٥) . فرائنا مضطرين والحالة هذه ان نجعل مدة رئاسة دوروثيوس الثالث تشمل هذه السنوات كلها . ولكنه ليس في نص بولس ما يمنع القول بابتداء هذه الرئاسة قبل السنة ١٤٩٧ . وقد جاء للمغفور له خريسوستومس رئيس اساقفة اثينة في كتابه في تاريخ كنيسة الاسكندرية ان يواكيم بطريرك الاسكندرية تسلم عكاز البطريركية المرقسية في دمشق في السادس من آب سنة ١٤٨٧ . وهو يستند في قوله هذا الى مازاراكي وماليشيفسكي (٦) . وجاء لدوسيثيوس في تاريخه « جلاء الابصار من غشاء الاكدار » ان دوروثيوس الانطاكي اشترك مع زميله فيليب فيليبوس الاسكندري ويواكيم الاوروشيحي في شجب اعمال مجمع

1) *Patrologie Orientale*, Vols, 22, 24, 26.

2) وقد داعبها ولعب بنصها سليم قبمين في كتابه الحقائق الوضعية في تاريخ الكنيسة الارثوذكسية . ثم نقل هذا النص المسوخ الى اليونانية بورفير اوسبنيكي فنشره في ترودي اكاديمية كيف سنة ١٨٧٤ .

3) *Papadopoulos, Ch., Istoria Ecclesias Antiocheias, Athena, 1951.*

4) *Nasrallah, J., Chronologie des Patriarches d'Antioche, Proche - Orient Chrétien, 1956, 293 - 311, 1957, 26 - 43, 207 - 217*

5) *Nasrallah, J., Chronologie, Proche - Orient Chrétien, 1957, 28 - 29.*

6) *Papadopoulos, Chrys., Ist. Ecc. Alex., 591.*

فلورنسة في القسطنطينية في السنة ١٤٨٤ . ويرى الاب نصرالله ان ما ينسب الى دوروثيوس قبل السنة ١٤٩٧ هو من اعمال سلفه ميخائيل . والواقع انه لا يجوز البت في شيء من هذا ومراجعتنا الاولى لا تزال على ما هي عليه من نقص وغوض .
البطريوك ميخائيل الخامس : (١٥٢٣ - ١٥٤١) ولنا في تاريخ تجليد مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤١٨ وفي تصديق وقفية الانجيل الخطي الذي قدمه جرجس ابن الياس الملاقي الى كنيسة القديس حنانيا في دمشق (١) وفي اخبار مجمع قارة الذي التأم في السنة ١٥٣٩ وفي كلام بولس ابن الزعيم ووالده البطريرك مكاريوس (٢) ما يجعلنا نرجح الحدين ١٥٢٣ و١٥٤١ لرئاسة ميخائيل الخامس كما ورد اعلاه . ويلاحظ هنا ان لا اساس لفترة الخلو بين السنة ١٥٠٠ والسنة ١٥٢٣ التي قال بها الاب اسحق ارملة في مقاله في مجلة المشرق سنة ١٩٣٦ وان لا صحة لما رواه الاب قسطنطين الباشا عن بطريرك انطاكي اسمه ميخائيل جاء في مخطوطة الفاتيكان رقم ١٤٧ بتاريخ ١٩ اذار سنة ١٥٢٢ (٣) . والبطريرك ميخائيل الخامس هو ابن الماوردي الذي زار الاماكن المقدسة تبركاً في السنة ١٥٣٩ . وهو الذي ترأس مجمع قارة .

مجمع قارة : (١٥٣٩) ونشأ خلاف في السنة ١٥٣٩ حول حساب عيد الفصح . فاجتمع حول السيد البطريرك الانطاكي ميخائيل في قارة عدد من رجال الكليروس بينهم يوحنا اسقف بيروت ويوحنا اسقف صيدنايا وجرمانوس اسقف بعلبك واسقف الزبداني وجماعة من الخوارنة والقساوسة والشمامسة . ولم يعرفوا كيف يحسبوا من الحدود الذي من العباد الى مرفع اللحم . واشتبه الحساب عليهم بسبب زود الدقائق الزائدة . فارسلوا الى الشاس ابراهيم عطنت في بيروت يستشيرونه في الامر فأجاب : « وانا اختلف الحساب علي » ! وعندئذ حضر في الشيخ ابراهيم ابن العكيكة فبرهنت لهم حساب الدقائق وزودها . وجمعت لهم الزود الى سنة سبعة عشر وسنة ثمانية عشر وتسعة عشر تكون تجعل ايام الخليفة

1) *Vat. Arab., 52.*

2) *Vat. Arab., 689, Fol. 127, Voyage, 23, (Nasrallah, J., Chron. P. O. C., 1957, 29).*

3) نجة من سفرة البطريرك مكاريوس ص ٢٢

سبعة حتى صبح لهم الحساب . لانهم لم يكونوا في زمان الاول يؤرخوا لنسب سنة القلطة . وحسبت لهم ان يرفعوا في تسعة ايام من شباط . وظهر لهم الحق والعيد في ستة ايام من نيسان .

« اما طوائف الاراطقة فانهم اكلوا اللحم جمعة النقية اول جمعة الصوم وصاموا جمعة الفصح المجيد وبردوا النقاش امين كنيسة القدس بألف دينار فأشعل لهم من القنديل . واخذني الغيرة فاخرجت لهم من شبكة يوحنا الدمشقي من سنة سبعة الاف وسبعة واربعين الى ستة سبعة الاف ومائة وسبعة وثلاثين برهنت فيها كم يكون فيها العيد العظيم وكم تكون القاعدة الشمسية وكم تكون عدة صوم الرسل » (١) .

ويلاحظ هنا ان المشادة نشأت بين الارثوذكسيين وبين اليعاقبة والارمن والاحباش والموارنة وان الكرج والافرنج والاقباط وافقوا الارثوذكسيين على موقفهم من حساب الفصح . ويلاحظ ايضاً ان وجه الصواب التمس على الاب كارالفسكي فظن في مقاله عن انطاكية في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسي ان المشادة المشار اليها وقعت حول اختلاف بين البطريرك ميخائيل ويواكيم متروبوليت بيروت (٢) .

البطريرك دوروثيوس الرابع : (١٥٤١ - ١٥٤٣) ولا نعلم الشيء الكثير عن دوروثيوس الرابع قبل وصوله الى السدة الانطاكية . ولعله كان قسطنطيني المولد والنشأة والترهب . ولعل اسمه في الرهينة كان يوحنا .

اتصاله بالموارنة وخلعه : وجاء في رحلة البطريرك مكاريوس ان دوروثيوس أحب ان يتفقد شؤون الرعية فقام بجولة في ابرشيات الكرسي الانطاكي وجاء طرابلس فاتصل ببطريرك الموارنة في قرية داريا من منطقة الزاوية وفأوضه في نوع من التعاون بين الطائفتين فاقترح تبادل الخدمات الروحية بين الكهنة والسماح

(١) مأخوذ بتصرف من مخطوط مجهول المؤلف وجده الاب لويس شيخو في حصص في السنة ١٩٠٢ فأضافه الى مجموعة المكتبة الشرقية في جامعة الآباء اليسوعيين في بيروت . المشرق ١٩٠٢ ص ٩٥١ - ٩٥٢ .

(٢) Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 30 - 33.

بالتزاوج بسين الطائفتين مع الاحتفاظ بالعقائد القديمة . ويضيف كاتب الرحلة : « وقد وجدنا هذا كله مدوناً في قلايتنا في حلب . ووجدنا ايضاً الرسالة العربية التي وجهها يواكيم البطريرك الاسكندري الى دوروثيوس التي حرمه فيها من ممارسة الاسرار المقدسة . وجاء في هذه السنة نفسها ارميا الثاني البطريرك القسطنطيني (١٥٢٢ - ١٥٤٥) اوروشليم فاجتمع بجرمانوس بطريركها (١٥٣٤ - ١٥٧٢) ويواكيم بطريرك الاسكندرية فحكموا بخلع البطريرك الانطاكي وشرطنوا يواكيم متروبوليت بيروت ببطريركاً محله (١) .

وليس في المراجع المارونية الباقية اي صدى لهذا الحادث . والبطريرك الماروني المعاصر هو البطريرك موسى العكاري (١٥٢٤ - ١٥٦٧) . وجل ما هنالك خبر الرسالة التي ارسلها هذا البطريرك الى البابا بولس الثالث التي يرجو فيها ارسال ستة كهنة من رهبان القديس فرنسيس « لينشأوا مدرسة في لبنان لتعليم بعض الشباب اللغة اللاتينية لانه منذ مدة طويلة لم يأت احد من قبل الخبر الروماني لزيارتهم ولا استطاع هو ان يرسل احداً يعرف اللغة الى قداسته » (٢) . وهنالك رواية اخرى تفيد ان سمعان اسقف طرابلس لم يتمكن من الاقامة في طرابلس لما حلّ بالكاثوليكين فيها من اضطهاد (٣) . وهنالك ايضاً ما يفيد بمشادة نشأت في عكار بين الروم والموارنة حول بعض الاوقاف (٤) . وجاء في رسالة وجهها البابا بيوس الرابع الى البطريرك موسى العكاري بتاريخ اول ايلول سنة ١٥٦٢ « ان يحل البطريرك جميع الهراطقة والمشايق والمارقين سواء كانوا من الموارنة او من اية ملة كانت » (٥) .

البطريرك يواكيم الرابع : (١٥٤٣ - ١٥٧٦) وهو يواكيم ابن جمعة أبصر النور في دمشق ولبس الاسكيم فيها ثم انتخب مطراناً على بيروت وساس

(١) Voyage, Val. Arab., 689, Fol. 127, (Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 34).

(٢) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للمطران يوسف الدبس ص ٢٨٦ - ٢٨٧

(٣) المرجع نفسه ص ٣١٥

(٤) المرجع نفسه ص ٣١٧

(٥) المرجع نفسه ايضاً ص ٢٨٦

هذه الارشية احدى عشرة سنة . وجاء لبولس ابن الزعيم ان يواكيم ابن جمعة ظل بطريركاً ستين سنة . وجاء له ايضاً ان ابن جمعة تولى الرئاسة ثلاثة وثلاثين سنة (١) . ويرى الاب نصرالله ان ليس في هذين القولين تناقضاً اذ يجوز ان يكون ابن جمعة قد انتخب بطريركاً في القسطنطينية في السنة ١٥١٦ فلم يتمكن من الوصول الى الكرسي قبل خلع دوروثيوس الرابع (٢) .

ويتفق مكاروريوس البطريرك المؤرخ وابنه بولس ابن الزعيم على ان يواكيم تحلى بالفضيلة والصلاح وانه ساس البطريركية بالعدل والاتقان (٣) واشترك يواكيم الرابع في اعمال مجمع القاهرة في السنة ١٥٥٧ فتعاون مع زميله الاسكندري والاوروشياني في حل مشكلة كنيسة سيناء . وعاد الى القضية نفسها في السنة ١٥٧٥ فاعترف مع ارميا القسطنطيني وجرمانوس الاوروشياني بامتيازات هذه الكنيسة (٤) .

ونازعه الرئاسة مكاروريوس ابن هلال اسقف قارة . وانقسمت الرعية حزبين فكان يواكيم وجماسته يصلون في كنيسة كبريانوس ويوستيني ومكاروريوس واتباعه يصلون في كنيسة حنانيا . ودام هذا الشقاق سبع سنوات . ثم مرض مكاروريوس فارسل في طلب يواكيم وسأله الصبح وتوفي . فعادت الالفه الى صفوف الارثوذكسيين وأصبح يواكيم وحده بطريركاً (٥) .

نقد البنات والارامل : « وكان من عادة الدمشقيين ان يكثرُوا نقد بناتهم . فكان الخطيب مهما قدّم الى خطيبته لا يقنع به اهلها بل يطلبون المزيد . وكان في حارة حنانيا رجل غني له ابنة مخطوبة . وكان خطيبها قد قدم لها اموالاً وهدايا كثيرة . فلم يقنع ابوها ومنع زواجها حتى يرضيه . ولما تمادى الامر على ذلك حجزت البنات . وكان لهم جار جندي فأرسل اليها وخذعها مع امرأة على ان تزوج به . فرضيت وخرجت الى الحاكم فأسلمت . وعقد لها على ذلك الجندي .

1) Voyage, 34, 36 ; Val. Arab., 689, Fol. 128.

2) Chronologie, P. O. C., 1957, 38.

3) Val. Arab., 689, Fol. 128.

4) Cheikhô, L., Les Evêques de Sinaï, 414, (Mel. Fac. Or. II).

٥) الحقائق الوضعية (تاريخ الآباء بطاركة انطاكية للتوري ميخائيل بريك) ص ٥١ - ٥٢ .

ثم احضرت اباها الى المحكمة واخذت منه نقدها سبعة الاف غرش . « وحينئذ ارسل البطريرك فجمع رؤساء كهنة الارشيسة وعقدوا مجمعاً مكانياً في داخل دمشق . ووجبوا ان يكون نقد البنات والارامل اربع طبقات . الطبقة الاولى عشرة غروش صاغ ويتبعها غرشان . والثانية عشرون غرشاً يتبعها اربعة غروش . والثالثة ثلاثون غرشاً يتبعها ستة غروش . والرابعة اربعون غرشاً يتبعها ثمانية غروش وهي الهدايا والاعباد وغير ذلك . وكتب هذا القانون على الحجر المشهور بباطن كنيسة دمشق كما يرى الى يومنا هذا . وكان ذلك سنة ١٥٧٣ ومكث هذا البطريرك في الكرسي ثلاثاً وثلاثين سنة وتوفي سنة ١٥٧٦ » (١) . وكتب يواكيم الى زملائه بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واوروشليم يطلب الموافقة على قرار مجمع دمشق فوافقوا (٢) .

البطريرك ميخائيل السادس : (١٥٧٧ - ١٥٨١) ولدى وفاة يواكيم الرابع التأم المجمع الانطاكي المقدس ففوض غريغوريوس متروبوليت حلب ومكاروريوس متروبوليت افخايطه (٣) ودوروثيوس متروبوليت طرابلس أمر انتقاء البطريرك الجديد . فأثر غريغوريوس الراحلة في حلب على متاعب البطريركية فرشح مكاروريوس متروبوليت افخايطه . فاضطر دوروثيوس ان يوافق على ذلك . ففاز مكاروريوس بالبطريركية بالاجماع . وصدق المجمع على هذه اللجنة فسيم مكاروريوس بطريركاً على انطاكية في مطلع السنة ١٥٧٧ واتخذ لنفسه لقب ميخائيل السادس (٤) وحرر رسائل الجلوس الى اخوته البطاركة فاعترفوا به (٥) .

وهو مكاروريوس ابن وهبة ابن عيسى الصباغ . أبصر النور في حماة ونشأ

(١) المرجع نفسه ص ٥٢

2) Val. Arab., 689, Fol. 128.

٣) ابرشية عامرة في العصور الوسطى مركزها محردة . ثم تضاءلت فضم قسم منها الى ابرشية حماة والقسم الآخر الى ابرشية حصص . وهي ليست افخايطه غلاطية كما توهم صاحب الارج الزكي .

٤) الحقائق الوضعية ص ٥٢ والمجموع اللطيف لمكاروريوس ص ٦٢١

5) Crusius, Turco - Graecia, IV ; Lequien, Or. Christ., II, Col. 771.

وترعرع فيها. ثم سيم على ابرشية افخايطية المجاورة فاذا به يجيد العربية والسريانية واليونانية (١) ويتقن الخط فينسخ عدداً من المخطوطات لا يزال بعضها باقياً حتى يومنا هذا (٢). وافخايطية اسم يوناني اطلق على بلدة حناك. وقصد ذكرها مكاريوس الحلبي فجعلها قرب معرة حلب. وشملت ابرشيتها محردة ومعلقا وافيون واليبا ويسارين. ونقل مكاريوس عن احد كهنة حماة الشيوخ انه كان على زمانه في محردة اربعة الاف انسان وكان يقيم فيها مطران افخايطية وان اخر من شرطن عليها ملاشيا. وتمر السنوات الاربع الاولى من بطريركيته هادئة خالية من كل ما يقلق البال فيطيب خاطر البطريرك الجديد ويهتم بشؤون الكنيسة الجامعة خارج ابرشيته. فيشارك في السنة ١٥٧٩ مع زميله ارميا القسطنطيني لحل نزاع نشأ في اوروشليم بين جرمانوس البطريرك الاوروشليمي وراهبان دير القديس سابا وانطوشه مار ميخائيل في اوروشليم وبين يواكيم متروبوليت بيت لحم. ويقوم بمهمة التدقيق والتحقيق دوروثيوس متروبوليت طرابلس بالنيابة عن البطريرك المسكوني وسباون اسقف صيدنايا بالنيابة عن البطريرك الانطاكي (٣).

وفي السنة ١٥٨٠ تحامل على البطريرك ميخائيل قوم من رعيته فاتهموه باثم قبيح ورفعوا امرهم الى القاضي وجاءوا براهب فشهد عليه بذلك « وواجبوا عليه السقوط من كهنوته وكتبوا عليه صكاً بذلك ». فخرج من دمشق ورجع الى حماة واقام فيها. وعلم غريغوريوس متروبوليت حلب بذلك فلام البطريرك « على نزوله عن بطريركيته بغير حق وبغير مجمع بطاركة ». فندم ميخائيل واحتفل بالقداس الالهى مع جماعة من رؤساء الكهنة والكهنة وحرم الدمشقيين (٤).

واقام الدمشقيون دوروثيوس متروبوليت طرابلس بطريركاً (١٥٨١) باسم يواكيم الخامس. فانقسمت الرعية وتراشق الطرفان بالحرم. وأيد ميخائيل

1) Zygomolas, Th., Lettre à Crusius, Lequien, Or. Chr., II, Col 772.

2) Val. Arab. 54 ; British Museum, Syr. 418 ; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 208 - 209.

(٣) هامش المخطوط في تفسير سفر التكوين ليوحنا الذهبي الفم الذي قدمه البطريرك غريغوريوس الرابع الى القيصر نقولا الثاني. راجع المشرق ١٩٢٤ ص ٦٧٣ - ٦٨٥.

(٤) الحقائق الوضعية ص ٥٢ - ٥٣.

اساقفة الشمال وشد ازر يواكيم اساقفة الجنوب. « فكان بين الفريقين شقاق عظيم وغرامات لا تحصى. واضطر البعض الى جحد ايمانهم لشدة ما نزل بهم من الضيق وقتل اناس في هذه الفتنة ظلماً » (١).

واضطرب ميخائيل ان يلجأ الى السلطات العليا. فأقسام غريغوريوس متروبوليت حلب نائباً عنه وألبسه الصاكون لأول مرة. « ولم يكن اسقف حلب يلبس الصاكون ». وسار ميخائيل الى القسطنطينية وشكا امره الى زميله البطريرك المسكوني. فنظر المجمع القسطنطيني في المشكلة الانطاكية وحكم لميخائيل. فاستصدر البطريرك المسكوني ارميا اوامر سلطانية بتأييد ميخائيل واعاده الى حلب معزراً بالقوة العسكرية. فتفاقم الشر واستطارت الفتنة وكثر الاعتداء وتنوعت المصادرات. « فعاد ميخائيل الى القسطنطينية (١٥٨٥) فحكم عليه بالنزول عن كرسيه وبالعودة الى مركزه في ابرشية افخايطية ». فعاد في البحر. ولدى وصوله الى جزيرة رودوس توفي فيها يوم عيد الميلاد سنة ١٥٩٢ (٢). وندم الراهب المفترى واعترف بذنبه امام يواكيم واستغفر. فأرغشت يدا يواكيم واصطكت ركبته وصاح لساعته : كل خامس يحرم. وانا يواكيم الخامس (٣).

رومة تواصل وتحادث : (١٥٨١ - ١٥٨٤) وضرب لوثيوس ضربته المؤلمة وصارح غيره كنيسة رومة وكاشفها بالخروج. فانجملت الشبهات وتنادى الآباء الغربيون وشحدوا للامر عزيمتهم واجتمعوا في تريندنتوم في الثيرول سنة ١٥٤٥ وفي غيرها واتخذوا قرارات من شأنها اصلاح الكنيسة ودرء الخطر البروتستانتي عنها. ولم تنته اعمالهم المتقطعة قبل السنة ١٥٦٣. فأصدروا في السنة ١٥٦٤ بياناً بالعقيدة الكاثوليكية الصحيحة عرف فيما بعد بالبيان التريندنتي. وتريندنتوم هي ترانت الحديثة.

وفي السنة ١٥٥٩ انصل اللاهوتي الالماني ميلانكتون بالبطريرك المسكوني يواصف الثاني (١٥٥٥ - ١٥٦٥) ودعاه الى ابداء رأيه في المشادة اللاهوتية القائمة

(١) المرجع نفسه ص ٥٣.

2) Note, Bodleian Collection, Ms. 92, (Nasrallah, J., Chron., 1957, 211).

(٣) المجموع الطيف ص ٦٢٣.

بسين البروتستانت والكاثوليك . وكان ميلانكتون يعطف على لوثيروس كثيراً ولكنه كان يسعى لتوحيد الصفوف . فأرسل البطريرك يواصاف شماسه ديمتريوس الى ويتنبرغ Wittenberg للبحث والتدقيق . وعاد الشماس حاملاً بيان اوغزبورغ Augsburg الشهير . وما ان اطلع البطريرك عليه حتى نفر فأعرض وابتعد . وعاد علماء ويتنبرغ الى المواصلة راغبين في تأييد الكنيسة الارثوذكسية . فكتبوا في ذلك الى البطريرك المسكوني ارميا الثاني (١٥٧٢ - ١٥٩٥) فألف في الرد رسائل طويلة طافحة بالتعاليم الصحيحة المشتركة بسين فرعي الكنيسة الجامعة . فغيب امهم واثبت وحدة الاعتقاد بين الكنيستين اليونانية واللاتينية في ما انكره لوثيروس واتباعه .

وأدى هذا كله الى تيقظ رومة . فأصدر البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠ - ١٥٥٥) في الثالث من تموز سنة ١٥٥٣ البولة *Cum Praesertim* فأمر بموجبها الرهبانية اليسوعية بفتح ثلاث مدارس في الشرق في اورشليم والقسطنطينية وقبرص « لترميم جدران الكنائس الشرقية واعادة رونقها القديم » (١). وجاء البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥) فانشأ مدرسة القديس اثناسيوس اليونانية في رومة في السنة ١٥٧٧ لقبول الطلبة الروم . وعزم على تجديد العلاقات الودية مع الموارنة فأوفد في السنة ١٥٧٨ الاب اليسوعي يوحنا اليانو للقيام بهذه المهمة . وكان الاب اليانو يجيد العربية والسريانية فجال جولة موفقة في ربوع الموارنة ووضع تقريراً ضافياً في الحالة الدينية الراهنة آنذ (٢) وعاد الى رومة فأثنى البابا على غيرته وفطنته وطول اناته واكد انه سيبدل الجهد لتنفيذ توصياته وانه مصمم على ايفاده ثانية الى لبنان . وعاد الاب اليانو ورفيق له اسمه الاب برونو في منتصف ايار سنة ١٥٨٠ ووصلا الى قنوبين في التاسع من تموز . وكان مجمع في قنوبين وكان احتفال رائع بزيارة القاصدين . وقضى الابوان سنة كاملة (آب ١٥٨٠ - ايلول ١٥٨١) يطوفان في ربوع لبنان ساعين لنشر قرارات مجمع قنوبين وتعميمها . وفي خريف السنة ١٥٨١ اجر المرسلان من طرابلس الى

1) Lammens, H., *Cum Praesertim, Etudes*, Jan. 1897.

(٢) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية للاب لويس شيخو ص ١٢ - ٢٢

يا نفسه لزيارة القبر المقدس والتبرك بمشاهدته . وعادا الى لبنان في اواسط كانون الاول عن طريق البر ليزورا الموارنة في دمشق ويتصلا بالبطريرك الانطاكي كما اوصاهما الكردينال سان سفرينو .

ولدى وصول الابوين المرسلين الى دمشق كتب احدهما الاب اليانو الى البطريرك يواكيم الخامس ان يسمح له بزيارته مع الاب برونو باسم حبر رومة غريغوريوس الثالث عشر وباسم الكردينال سان سفرينو « محامي الطائفة اليونانية » . فعين البطريرك الانطاكي يوماً استقبلها فيه مع اعيان الطائفة ورحب بهما . فدار الحديث عن محبة غريغوريوس الثالث عشر لطوائف الروم واليونان وعن المدرسة التي انشأها في رومة لتخريج الشباب الروم ثم عن رغبة حبر رومة في اتحاد الكنائس . فأجاب البطريرك الانطاكي انه لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل الاتصال بالبطريرك المسكوني . وكتب رسالة الى غريغوريوس الثالث عشر شكر له فيها لطفه وذكر سروره بمشاهدة المرسلين وشفعها برسالة ثانية للكردينال سان سفرينو (١) . وفي صيف السنة ١٥٨٢ قام الاب اليانو الى حلب لزيارة الموارنة فيها . وكان بطريرك البعاقبة اغناطيوس نعمته الله الماروني قد وقع في جدل مع بعض علماء المسلمين فاتهموه بالكفر واصدروا عليه الحكم بالاعدام . فحمله خوفه على الخروج . وتظاهر بالاسلام . وكان قد وخزه ضميره فقر من ديار بكر الى رودوس ومنها الى رومة سنة ١٥٧٨ . وكان قد اعلن توبته ووعد برد طائفته الى العقيدة الكاثوليكية . فاتصل الاب اليانو بداود شاه اخي البطريرك الجاحد والنائب البطريركي اليعقوبي فسوفه داود ووعدوه وعوداً عرقوبية . واجتمع الاب اليانو في اثناء اقامته في حلب بالبطريرك ميخائيل السادس مناظر البطريرك يواكيم الخامس وفاتحه كلاماً في اتحاد الكنائس « فاكني ميخائيل ببعض الوعود الطيبة » (٢) .

وفي السنة ١٥٨٣ سام غريغوريوس الثالث عشر الاب ليوناردو آبل المألطي اسقفاً شرفياً على صيدا وأنفذه الى الشرق ليعمل في سبيل الاتحاد ويدعو

(١) الطائفة المارونية ايضاً ص ٦٢ - ٦٣

(٢) المرجع نفسه ص ٦٨

للتقويم الغريغوري الجديد . ووصل الاسقف ليوناردو الى طرابلس واتصل ببعض الارثوذكسيين فيها ثم قام الى حلب وجالس ميخائيل البطريك الصاحب وفاتحه كلاماً في أمر الاتحاد . ويقول ليوناردو ان ميخائيل شكاً الظلم الذي لحق به والحيف الذي جره عليه بطاركة اليونان ورجا المعونة من الكرسي الرسولي وانه لاجل هذا يرسل بياناً بإيمانه مرفوقاً بالرسائل اللازمة (١) . وجاء في هامش سفره البطريك مكاريوس الحلبي التي نشرها الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩١٢ ان الاب قسطنطين وجد في مكتبة الفاتيكان تحت الرقم ٤٨ من المخطوطات العربية نص الرسالة العربية التي وجهها البطريك ميخائيل الى الكردينال سفيرينو . واليك قراءة الاب قسطنطين :

« الحمد لله دائماً : حضرة الاب الكردينال ستنا سافرينا وكيل ومدير الشرقيين بمدينة رومة . اقبل الطلعة الاقدسية الخاشعة الماسكية الناصكية العاملة فخر الملة المسيحية الاب الاقدس والاناء غير المندس الاب الكردينال سانتا سافرينا وكيل ومدير جميع الشرقيين بمدينة رومية العظمى ادام الرب الاله رياسته وسني حياته ويرحم ضعف الحقير بمقبول صلواته امين .

« بعد تقبيل الطلعة الاقدسية واهداء السلام الروحاني والوحشة الزائدة اليها قرب الاله الاجتماع بها بخير وعافية وسلامة فانه على كل شيء قدير . ليس بخافي عن محبة قدسكم حضور المحب الكامل العالم العامل المحقق المدقق فريد دهره ووحيد اهل زمانه وعصره الاسقف كير ليوناردو اسقف مدينة صيدا الى البلاد وانه انشأ محبة وسلاماً وصلحاً مثل الرسول بولس . وكل ذلك لاجل اتضاعه ومنطقه الحلو . ولجل محبة الزائدة اثر الحقير ان يصحبه مسافراً معه الى عند قدسكم ويشاهد طلعة قدس اب الابهاء كير سيسطوس البابا الجزيل قدسه بمدينة رومية العظمى وقدسكم ايضاً . وما قطعنا عن السفر الا الضعف في مدينة حلب وشيء من الشيخوخة وعدم القوة وشيء من عدم قوة الباصرة . ونرجو من الله ان يكون في العمر فسحة ويريد الله ان نحضر بين ايديكم ان شاء الله تعالى وبركة صلواتهم امين .

« ونطالع قدسكم لا تسلم عما جرى على هذا الحقير من الامتحان والشدائد . واخلفني الروم مرتين بشاويش . وصار على الحقير شيء ما صار على الشهداء . ولكن الشهداء جرى عليهم من الملوك عباد الاصنام واما نحن صار علينا هذا من ابنا جنسنا وعشيرتنا من جماعة الروم . وقدس الاخ الاسقف يعلم ذلك . وفي مطالعة الاب البابا مسطر ذلك . وصبرنا على ذلك جميعه وقبلناه بشكر وشكرنا الله عليه ونحن اضعف عباد . وفي التواريخ كما في شريف علمكم جرى على آباء وقديسين كانت اشباحهم تقيم الموتى . وكل ذلك سمح الله به لاجل خطايانا وقله حجتنا لبعضنا بعض وتعدينا على النواميس المقدسة اذ صارت البطركية والكهنوت ينياعوا بالمال ويوخذ عليهم الرشا . ويا ليت

ينياعوا من النصارى بل من الامة الغريبة . وجميع ما كتبناه وعرفنا به قدسكم من تعدي النصارى ما هو قيراط من اربعة وعشرين . ونعرف قدس الاب ان من عظم ما عملوا مع الحقير انه لم يعد يقدر على القوات واللباس بشهادة الله .

« بعد تقبيل طلعة قدس الاب ناكاً وطلعة من يلوذ بالولاية والاماكن المعمورة والمخلات السعيدة . زمان طويل . . . بشغاعة سيدتنا السيدة البتول والقديس مار بطرس الرسول صاحب الكرسي الروماني وجميع القديسين آمين . سطر في تاريخ شهر ايار سنة ١٥٨٥ الحقير البطريك ميخائيل » (١) .

ويلاحظ انه ليس في هذا النص ما يخولنا القول ان ميخائيل دخل في طاعة رومة او انه قال قولها في أمر الانثاق وغيره من الامور التي بحثها مجمع فلورنسة . ويلاحظ ايضاً ان رسالته الى البابا ضائعة وانه ليس لدينا من الروايات ما يثبت خضوع ميخائيل ودخوله في طاعة البابا سوى رواية الاسقف ليوناردو . ورواية ليوناردو فريدة في بابها ضعيفة في عدلها .

وقصد الاسقف البطريك اجالس يواكيم الخامس للتفاوض معه في أمر الاتحاد فوجده قابلاً في عيتا البقاع مبتعداً عن السلطات العثمانية المحلية . فتحدث اليه في أمر الاتحاد فأرجأ البطريك البحث الى اجتماع آخر يعقد في طرابلس بعد حين . وشددت السلطات على البطريك في أمر المال المطلوب فانتقل من عيتا الى صيدا ومنها الى القسطنطينية في طلب المعونة .

وعاد الاسقف ليوناردو الى طرابلس فالتف حوله كل من يوحنا ابن الياس النحوي ويوحنا ابن نصر الله وسليمان ابن مرتيه وثلاثة آخرون ميخائيل وفضل الله ووهبة فوافقوه على الاتحاد وكتبوا بذلك الى حبر رومة غريغوريوس الثالث عشر مؤكداً الطاعة مستمدين البركة :

« والذي يطالع به قدس سيدنا هو ان الاب الاقدس والاناء المقدس ايدينا وسيدنا كير دون ناردو اسقف صيدونيا خبرنا عن جميع احسان قدسكم وحنوك ومراحمكم والخير الذي تفعلوه مع ساير الطوائف المسيحيين وبالاكثر لطافتنا عبيدك الملكية . ويعدها سافر من عندنا السيد كير دولردو المشار اليه من طرابلس الى حلب ثم رجع الى مدينة الشام واجتمع مع سيدنا وبطريكنا كير يواكيم البطريك الانطاكي بطريك الملكية في قرية من قرى الشام تدعى عيتا . واتفق معه انه يجتمع عندنا

في طرابلس في بيت الحقير تلميذكم . وكان الاتفاق بين سيدنا بطريرك وبين كبير دولرودو ان « يكون » تمام المحبة والطاعة الى الكرسي البطريركي الروماني على ما رتبوه الآباء القديسين الثلاثية وثمان عشري مدينة نيقية وايضاً على ما رتبوه الآباء القديسين في مدينة فرنسا وعلى ان الاتحاد يكون واحد والامانة واحدة وهي الامانة المستقيمة الكاثوليكية الارثوذكسية تكون واحدة والمحبة واحدة . وايضاً خبرنا عن سبب القاعدة الجديدة التي صارت في كنيسة رومة المقدسة وهي قاعدة الاعمياد والمواسم تكون عند جميع الطوائف .

« ولكن ما قسم نصيب في الاجتماع في هذه المدة لكون ان سيدنا بطريرك كبير يواكيم صار عليه حيف كثير وخضر خضائر كثير وتدين مبلغ له صوره . وليس له قدرة على وفاء دينه وعشي من اصحاب الديون لا يجسوه فا قدر ان يحضر الى طرابلس فنزل في البحر وسافر الى مدينة القسطنطينية الى عند بطرك القسطنطينية شكى حاله وضرورته الى اخوته الاساقفة والارائخة والكهنة لعل يجمعوا له شيء يوفي به دينه . وعن قريب ان شاء الله تعالى يحضر الى عندنا وتتكلم معه وتنتم ما في خاطرهم وما رسمهم به » . (١) .

ويلاحظ هنا ان يواكيم البطريرك الجالس لم يفعل ما فعله مناظره ميخائيل البطريرك المخلوع ولم يكتب شيئاً الى رومة وانه ارجأ البحث مع الاسقف ليوناردو الى موعد آخر وسافر الى القسطنطينية قبل الاجتماع به مرة ثانية . ولعله رأى من المصلحة الملحة ان يكتب غيره الى رومة كتابة لطيفة تجعل جبرها يؤجل الاعتراف بميخائيل . لعل هؤلاء الطرابلسيين كتبوا بدون استشارته . ويلاحظ ايضاً ان انسطاسيوس متروبوليت طرابلس الذي ساس آنشد ابرشيات طرابلس وبيروت وصيدا وصور صنف في السنة ١٥٨٣ نفسها رسالة رد فيها على ما جاء في رسالة البابا الى البطريرك يواكيم وان هذا الاسقف لم يكن يونانياً بل وطنياً نشأ وترعرع في ممرين في وادي النصارى (٢) . ويلاحظ كذلك انه على الرغم من هذا كله ترى الاب اليسوعي بوسيفينو Possevino رسول البابا غريغوريوس الثالث عشر الى القيصصر الروسي ايفان الثالث يستبق ما جرى في حلب في السنة ١٥٨٤ فيؤكد في السنة ١٥٨١ ان بطريرك انطاكية اعترف بسلطة البابا وطلب تثبيته ! (٣) .

البطريرك يواكيم الخامس : (١٥٨١ - ١٥٩٢) ووصل يواكيم الى

- 1) Rabbath, A., Documents Inédits, I, 183 - 186.
- 2) Tornberg, C., Codices Arabici, (Upsala, 1849), 489; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 213.
- 3) Musset, H., Hist. du Christ., II, 48; Nasrallah, J., op. cit., 213.

القسطنطينية في السنة ١٥٨٤ فوجد جبرها ارميا منفياً الى رودوس ووجد خلفه باخوميوس طماعاً شرهاً لا يرى في الرئاسة الا وسيلة لجمع المال . فتابع السير الى كتيّف ومنها الى موسكو . ولدى وصوله الى عاصمة الروس جابه صاحبها القيصر فيدور بوجوب الاعتراف ببطريركية روسية والسعي لدى سائر البطارقة لتأييد هذا الاقتراح . ثم زار يواكيم روثينية ونظر في شؤون الكنيسة فيها فأسس رهبانية ونهى الكهنة عن الزواج بعد وفاة زوجاتهم (١) . وعاد الى مولدافية في السنة ١٥٨٧ فاتصل باسقفها جاورجيوس (موغيلة) واهداه ايقونة لا تزال محفوظة في دير سوكيفيتة حتى يومنا هذا (٢) . وقام يواكيم من مولدافية الى تسالونيكية فاجبر منها الى طرابلس قدمشق (٣) .

ويشير الاب نصرالله الى عبارة وردت في تاريخ المخطوطة الخامسة والثلاثين من مجموعة دير مار يوحنا الشوير جاء فيها ان ميخائيل اسقف طرابلس والكورة انتهى من نسخها في ١٣ نيسان سنة ٧٠٩٤ يوم كان في اميون ينظر في قضية البطريرك يواكيم نقول يشير الى هذا كله فيظن ان الامور لم تكن على ما يرام في اثناء غياب يواكيم في روسية (٤) .

بطريركية موسكو : (١٥٩٠ - ١٥٩٣) وضعف نفوذ المغول وازداد نفوذ امراء موسكو . وفي السنة ١٤٨٠ تجرأ ايفان الثالث امير موسكو على قتل رسول المغول الذي كان مكلفاً بطلب الضرائب . وعندئذ شرع امراء موسكو في التغلب على امراء الروس الآخرين وجمع السلطة في ايديهم الى ان كونوا مملكة عظيمة متحدة الكلمة .

وفي السنة ١٥٤٧ والسنة ١٥٤٩ التأم في موسكو مجمعان روسيان للبحث في امور وامور اهمها مسح ايفان الرابع «القاسي» فيلسافاً واعتبار موسكو رومة ثالثة . وتم المسح في السنة ١٥٤٧ ونودي بايفان فيلسافاً بدون استئذان

- 1) Ecclesiasticos Pharos, Alexandrie, 1924, 308; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 216, n. 40.
- 2) Radu, B., Patr. Or. XXII, 36.
- 3) Kratchkovsky, I., Izvestija Kavskogo Istoriko - Archeologicheskogo Instituta, 1927, 21 - 30.
- 4) Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 217.

البطريرك المسكوني . ثم طلب ايفان الرابع الى البطريرك المسكوني يواصف الثاني الاعتراف بما تم . فوافق هذا البطريرك في السنة ١٥٦٢ ولكنه اعترض على طقس المسح (١) . وفي السنة ١٥٨٦ فاتح القيصر فيدور البطريرك الانطاكي يواكيم كلاماً في رفع متروبوليت موسكو الى رتبة بطريرك كما سبق واشرنا . ثم عاد ارميا الثاني البطريرك المسكوني الى كرسيه في السنة ١٥٨٨ فوجد الخزينة فارغة والاملاك مصادرة . فأمر موسكو في طلب المعونة . فطلب فيدور اليه ما كان قد طلبه من يواكيم البطريرك الانطاكي . فوافق ارميا ونصّب في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٥٨٩ ايوب متروبوليت موسكو بطريركاً على موسكو . وفي ايار السنة ١٥٩٠ التأم مجمع في القسطنطينية اشتركت فيه الكنائس الرسولية الاربع . وبعد البحث في قضية البطريركية الروسية تقرر الاعتراف بايوب بطريركاً على موسكو والاعتراف بحق المجمع الرومي في انتخابه واعتباره الخامس رتبة بعد البطريرك المسكوني وسائر البطارقة الارثوذكسيين ووقع هذا القرار كل من ارميا بطريرك القسطنطينية ويواكيم بطريرك انطاكية وصفرونيوس بطريرك اوروشليم (٢) . ولم يرض فيدور عن رتبة بطريركه وساءه ان بطريرك الاسكندرية لم يوقع قرار القسطنطينية فعاد البطارقة الى الاجتماع في شباط السنة ١٥٩٣ وجسدوا القرار السابق ووقعه كل من ارميا الثاني البطريرك المسكوني وصفرونيوس بطريرك اوروشليم وملاطيوس بطريرك الاسكندرية بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن بطريرك انطاكية (٣) . وكان يواكيم قد توفي في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٩٢ .

البطريرك يواكيم السادس : (١٥٩٣ - ١٦٠٤) وهو الملقب بابن زيادة « وكان مطراناً على حصص فأقاموه بطريركاً ومكث احدى عشرة سنة . وفي ايامه خرج واحد من ابناء دمشق يعرف بابن الكباب فتزيا بزي راهب وجعل يطوف في البلاد حتى انتهى الى بلاد الكمخ (٤) وما والاها من بلاد المشرق . وادعى انه مطران مرسل اليهم من قبل بطريرك انطاكية وكانت معه كتب مزورة

1) Regel, *Analecta Byzantino - Russica*, LIII - LVI.

2) *Ibid.*, 98 - 100.

3) *Dositheos, Tomos Agapes, Jassi, 1698, 541.*

(٤) ولعل المقصود بلاد الكرج

عن البطريرك فقبلوه عندهم واكرموا . واقام يقدس عندهم وجعل منهم كهنة وشمامسة ورهباناً . وعمل كل مايعمله رؤساء الكهنة . ونفي امره الى البطريرك فاغتاز غيظاً شديداً ولا سيما حين علم انه قد جمع منهم مقداراً جزيلاً من المال . وكان النصراني في تلك الناحية يعادلون بقية النصراني في سائر الكرسي الانطاكي . فأرسل مكاريوس ابن خلف مطران حلب بكتاب منه الى غريغوريوس بطريرك القسطنطينية يعلمه بالامر . فاستعان بطريرك القسطنطينية بالوزارة وبعث فاشخص ابن الكباب الى هناك ورافعه الى مقام الوزارة وطالبه بالمال المجموع فجحد ايمانه واعتصم بالاسلام . فلم يحصل البطريرك منه على طائل . ولشدة ما ناله من الغيظ مرض وتوفي . واما الكهنة والشمامسة الذين اقامهم ابن الكباب فحكم البطريرك ومجمعه في دمشق ان تعاد شرطونيتهم لان ذلك المحروم لم تكن عليه شرطونية (١) .

ومن اخبار هذا البطريرك انه طبخ الميرون المقدس وكرسه كالعادة يوم الخميس الكبير سنة ١٥٩٤ وانه وافق على تقسيم ابرشية افخايطية في السنة ١٥٩٧ بين مطراني حصص وحماة (٢) . ومن اخباره ايضاً انه تدخل في شؤون كنيسة قبرص وطالب بخضوعها الى الكرسي الانطاكي متذرعاً بما اسماء القانونين السابع والثلاثين والثاني والاربعين من قوانين المجمع المسكوني الاول مبرزاً نصاً عربياً قديماً بذلك . فأقنعه زميله الاسكندري البطريرك ملاطيوس (بيغاس) بأن هذه النصوص مدموسة على قرارات نيقية . وكان السبب في تدخله في شؤون قبرص الاضطراب الذي نشأ فيها من جراء الاختلاف بين مجمعها المقدس وبين رئيس اساقفتها اثناسيوس (١٥٩٢ - ١٥٩٨) (٣) .

دير البلمند : (١٦٠٣) وبقي دير البلمند خراباً بعد خروج الصليبيين حتى اوائل القرن السابع عشر . فقد جاء في كراس قديم بخط سيميون القس الراهب الذي اشترك في حفلات افتتاحه ثانية ما نصه :

« بسم الله الخالق الحي الازلي الناطق . لما كان بتاريخ شهر ايلول المبارك

(١) ميخائيل بريك : الحقائق الوضعية لسلم قيعين ص ٥٣ - ٥٤

(٢) نغمة من سفر البطريرك مكاريوس الخالي لثوري قسطنطين الباشا ص ٢٥ و ٢٦ - ٢٧ هامش

3) *Chrysostomos, (Papadopoulos), Ist. Ecc. Antiocheia, 1001 - 1002.*

سنة سبعة الاف ومائة واحد عشر لكون العالم (١٦٠٣) اتفق على بركة الله وحسن توفيقه تاريخ فتوح دير سنا السيدة ومار جرجس المعروف بدير القالمند باشارة السيد المطران ابواكيم مطران محروسة طرابلس . وانه اعتنى و اشار بعمارته وانه طلع لعند الحقير مكاريوس الديراني الذي كان سابقاً رئيساً على دير سنا السيدة الذي يعرف بدير كفتون . وانه اجاب الاب الحقير باشارة السيد المطران كير ابواكيم مطران نغر بيروت براي المشايخ ابو صالح والحاج سليمان باضحي يوسف باشا سيفاً ومشايخ قرية فيع الحاج فرحات والحاج بطرس . وابتدينا بفتوحه لانه كان خراب دأشر من زمان دخلوا الاسلام الى البلاد وهو تاريخ ثلاث مائة وثلاثين سنة « (١) .

حرص يباعد : وعني البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢-١٥٨٥) بالمؤمنين في الشرق عامة وخصّ الموارد برعايته فاستقصى اخبارهم واستجلى غوامضهم . ثم أوصى وأمر بالتنفيذ . وجدا حذوه اقليمس الثامن (١٥٩٢ - ١٦٠٥) فأعاد البحث وكرر التوصية . وغالى الخبران في العناية ونظرفا في الحرص فنقرا الارثوذكسيين وزادا الانشقاق اتساعاً .

« والاغلاط التي كانت لا تزال تعزى الى الموارد هي قولهم ان في المسيح طبعاً واحداً ومشية واحدة وفعلاً واحداً وان الروح القدس ينبثق من الآب وحده وان التقديسات الثلاث (تريساغيون) تدل على صلب الثالوث بجملته وان لا وجود للمظهر ولا للخطيئة الاصلية وان النفوس لا تنال ثواباً او عقاباً قبل الدينونة وانه يجوز انكار الايمان ظاهراً وان سرّ التثبيت لا يمتاز عن المعمودية وانه يلزم خلط الميرون بغير البلسم ايضاً وانه يلزم التقديس على الخمر وان المسحة تكون بالزيت الذي يباركه الكاهن لا الذي يباركه الاسقف وان طلاق الزوجة لعل الزنى والمرض جائز وان صور الاسرار ناقصة وانها ابتهالية « (٢) .

والتدقيق في هذه الامور وغيرها تم على يد الآباء اليسوعيين البانو وراچيو في السنة ١٥٧٨ ونددني وبيرون في السنة ١٥٩٦ . وأوصى هؤلاء الآباء باشياء

(١) مطبعة دير البلمند لعيسى زريق : المنار ١٩٠٢ من ٢٦٣ - ٢٦٤ وتاريخ سورية لجرجي نبي من ٣٩١ .

(٢) كتاب المجمع البتاني : النيل من ٩ وتاريخ سورية للديس ج ٧ من ١٤٠ - ١٤١ .

واشياء ووافقت رومة على معظم هذه التوصيات . والثام مجمع ماروني في قنوبين في السنة ١٥٨٠ وفي السنة ١٥٩٦ فكان اجتماع على القول بالطبيعتين والمشييتين وعلى حذف العبارتين « يامن وكُدت لاجلنا يامن صلبت لاجلنا » من التريساغيون وعلى تحريم جملة الايمان (١) وكان بالتالي تقارب من الارثوذكسيين . ولكن هذه التوصيات الرومانية أوجبت على الموارد القول بالانثاق من الاب والابن والاكتفاء بذكر كلمات السيد لاجل الاستحالة والابتعاد عن مناولة الاطفال وحظرت زواج المارونيات من « المشاقين » والبحث عن كتب المشاقين وحفظها عند البطريك في مكان مغلق وعدم السماح بمطالعتها الا للعلماء فتجانبت وباعدت (٢) . ثم جاءت السنة ١٦٠٦ فأمر البطريك يوسف الرزي باتباع الحساب الغريغورياني فعيد الموارد في طرابلس والجبّة والبترون وجبيل مع الافرنج وقبل الطوائف الشرقية بعشرة ايام ! ثم اتبع باقي الموارد هذا الحساب في دمشق وحلب وسائر المدن والقرى . اما موارد قبرص فانهم اصرروا على اتباع الحساب القديم واستمروا في ذلك مدة اخرى من الزمن (٣) .

مدوسة للموارد في رومة : (١٥٨٤) وأحسن بطاركة الموارد بحاجة طائفهم الى كهنة مثقفين فبدأوا يرسلون منذ السنة ١٥١٥ الى رومة احداثاً يتعلمون اللاتينية ويدرسون تعاليم الآباء . ومن هؤلاء بعثة البطريك شمعون الحدي سنة ١٥١٥ وبعثة البطريك ميخائيل الرزي سنة ١٥٧٨ فبعثة اخيه سركيس سنة ١٥٨٣ .

وفي السنة ١٥٨٤ بلغ عدد الاحداث الموارد المرسلين الى رومة لتلقي العلوم الاكليريكية فيها عشرين طالباً . فأفرد البابا غريغوريوس الثالث عشر داراً وكنيسة لهم . وفي الخامس من تموز من هذه السنة نفسها وافق على نظام تدريس هؤلاء الطلبة بالبولة *Humana sic ferunt* . وقد جاء في هذه البولة ما حمل البابا

(١) والاشارة هنا الى فرقة البياضية من الموارد الذين سكنوا العرقوب وقالوا بالنصرانية

باطناً وتظاهروا بالاسلام وتعمموا بعمائم بيضاء . الديس ايضاً ج ٧ من ١٣٤ .

(٢) De Clercq, Ch., Hist. des Conciles, XI, 3 - 27 ; Dib, Mgr. P., Les Conciles de l'Eglise Maronite de 1557 à 1644, Paris, 1926.

(٣) تاريخ سورية للديس ج ٧ من ١٣٣

على افراد المنزل السابق للطلبة الموارنة وجعله مدرسة ومسا كان يتوقعه منها من القوائد . ثم عُد المداخيل وشروط الالتحاق وغير ذلك من النظم . وجعل المدرسة تحت نظام محامي الطائفة المارونية . وكان هذا آتخذ الكردينال كرافة . ولا تزال قوانين هذه المدرسة محفوظة في سجلات الرهبانية اليسوعية التي تعود الى ذلك العهد . وقد نقل الاب شيخو شيئاً منها الى اللغة العربية (١) .

البطريك دوروثيوس الخامس : (١٦٠٤ - ١٦١١) وشاخ يواكيم السادس وذهب ضو عينيه فامتنع عليه امر الادارة واعجزه وأعياه . فطلب اليه اعيان الطائفة في دمشق ان يرسم اسقف قلاية يقوم بتدبير امورهم . فسام عبد العزيز ابن الاحمر شماساً في السنة ١٥٩٥ ثم قساً ثم خورياً ثم اسقفاً على قلاية البطريكية ودعاه دوروثيوس . وقام الاسقف دوروثيوس باعماله الادارية خير قيام وأصبح هو البطريك . وذهب يواكيم الى السيسانية مسقط رأسه في منطقة حصن الاكراد . ثم عول على العزلة في دير القديسة كاترينة في طورسينا فقام من السيسانية الى مصر . ولدى وصوله الى القاهرة لبي دعوة ربه فيها في السنة ١٦٠٤ فنقل جثثانه الى طورسينا ودفن فيه . فخلفه دوروثيوس (٢) .

وجاء في التختيكون للقس يوحنا العجيمي ان دوروثيوس لم يكن من ذوي العلم الواسع ولكنه كان غيوراً شجاعاً . فرمم دار البطريكية في دمشق ووسعها ورفع الضرائب عن الكهنة والرهبان وخفف وطأة البالص والظلم . وجعل جباية الاموال الاميرية من النصارى الارثوذكسيين بيد جباة ارثوذكسيين . وصمد في وجه الطغاة من الحكام وقاومهم . وذهب الى الاستانة نفسها ليقترض من متسلم انطاكية وعاد منها حاملاً امراً عالياً بعزله من منصبه ! وذكر بالاماس صاحب تاريخ مدينة اوروشليم اليوناني (٤٨٨) ان دوروثيوس الخامس زار اوروشليم في ١٦٠٨ فاشترك مع كيرلس البطريك الاسكندري في تنصيب ثيوفانس البطريك الاوروشليمي (٣) . وخرج من دمشق ليتفقد شؤون النورية (ابرشيات الكرسي)

ولدى وصوله الى حاصبيا أقام قداساً وشرطونية . وحين خروجه من القداس توفي فجأة فدفن في حاصبيا .

البطريك اثناسيوس الثالث : (١٦١١ - ١٦١٩) واختلفت الآراء في من يخلف دوروثيوس . وكثر عدد «المنتدبين» . وكان خلاف وكانت «مشاحة» شديدة . ثم برز اثناسيوس (ابن الدباس) متروبوليت حوران وطلب البطريكية لنفسه . ووعد بأنه «يؤدي عنهم في كل سنة ما يتبقى من جوالي المسيحيين . فرضوا وكتبوا عليه خطأ في ذلك» واقاموه بطريكاً عليهم (١) . وكانت حوران آتخذ تغذي الجالية الارثوذكسية في دمشق بالرجال والانفس . فكثرت عدد الحورانيين في المركز البطريكي ونفذت كلمتهم . وكانت اسرة بيت الدباس من اعز الاسر النصرانية في دمشق . فرحب الروم بالبطريك الجديد وعقدوا به حبل امانهم . ثم خرج البطريك في جولة رعائية فزار حصن وحماه وحلب وأدنه . وسار الى القسطنطينية لحاكمة ملاتيوس مطران حلب . وعاد الى دمشق . وحن اجل الجوالي فأدى الدمشقيون وغيرهم ما تيسر منها وطالبوا البطريك بالباقي بموجب الاتفاق الخطي . فامتنع عن ادائه . فشكوا امرهم الى الوالي فحكم على البطريك بالحبس في القلعة . فافتدى البطريك نفسه بمبلغ من المسال . وخرج الى نواحي طرابلس وتوفي هناك في الصوم الكبير ودفن في دير كفتين (٢) .

البطريك اغناطيوس الثالث : (١٦١٩ - ١٦٣٤) وبعد وفاة اثناسيوس الثالث حضر اخوه كيرلس متروبوليت حوران الى طرابلس . واستعان بالحاج سليمان النصراني كاخية يوسف باشا سيفاً حاكماً طرابلس وجهاتها فأسعفه بما طلب وأرسل جماعة من الجند فأحضروا سبائون متروبوليت حماة وعازر متروبوليت حصن وديونيوسيوس اسقف الحصن واكرهمهم على تنصيب كيرلس بطريكاً . ففعلوا ونصبوه في اميون . واقام في طرابلس يسانده يوسف باشا .

وكان اهل دمشق قد انتدبوا الى البطريكية لدى وفاة اثناسيوس الثالث

(١) الحقائق الوضعية ص ٥٥

(٢) المرجع نفسه وسفرة البطريك مكاريوس ص ٣٦

(١) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية للاب لويس شيخو ص ٦٩ - ٨٠

(٢) الحقائق الوضعية ص ٥٤ ونجدة من سفرة البطاركة مكاريوس للثوري قسطنطين الباشا ص ٥٥

(٣) اسرة آل فرعون للثوري قسطنطين الباشا ص ٤١ - ٤٤ والحقائق الوضعية ص ٥٥

اغناطيوس (عطية) متروبوليت صور وصيدا . وكان اغناطيوس قد سافر الى القسطنطينية على رأس جماعة من الاعيان . فاستقبله بطريركها تيموثاوس بكل ترحاب وأقامه بطريركاً على انطاكية في اليوم نفسه الذي تسلم فيه كيرلس عكاز الرعاية في اميونيون . وعاد اغناطيوس الى دمشق حاملاً براءة سلطانية فاستقبله الدمشقيون بفرح واحتفال عظيمين .

وارسل كيرلس ابن عمه جرجس الى القسطنطينية فأخرج له امراً عالياً بغزل اغناطيوس ونفيه الى قبرص . فدفع اتباع اغناطيوس اموالاً طائلة فأبقوه في كرميه . فقصد كيرلس سميه كيرلس (لوكارس) بطريرك الاسكندرية وشكا الدمشقيين اليه . فكتب هذا الى الدمشقيين يلومهم فأجابوه جواباً جافياً ولم يسمعوا له في ذلك قولاً . وجاء لغطاس قندلفت انهم قالوا : « لا نريد كيرلس ولا نرضاه واما انت فانظر الى حالك وليس لك ان تلزمننا وتحكم علينا في شيء لا نرضى به » (١) . وازداد التعصب والشر وتوفي ابن سيفا حاكم طرابلس . فهرب كيرلس من طرابلس خوفاً من ابن معن . وقام الى حلب ونزل في دار المطران ملاتيوس . واقام هناك اثنين واربعين يوماً . ولم يدعه المطران الى القداس ولا شارك احدهما الآخر في ذلك .

ثم خرج كيرلس من حلب الى القسطنطينية . وكان كيرلس بطريرك الاسكندرية قد أصبح بطريركاً مسكونياً . وكان جراسيموس قد خلفه في كرسي مرقس . ففرج كيرلس الاسكندري بمقدم كيرلس الانطاكي وارسله الى بلاد الفلاخ والبغدان وأصبح برسائل منه الى اكابر تلك البلاد فأكرموا . ثم عاد الى القسطنطينية واستخرج امراً سلطانياً بغزل اغناطيوس . فتجددت الغرامات في دمشق وانفق اهلها اموالاً جزيلة واستخرجوا امراً بغزل كيرلس . ففعل هذا مثل ذلك وهكذا حتى اضمحلت احوال المسيحيين في البرشية كلها ولا سيما في دمشق . وتكاثر الضغط والضيق فاضطر الكثيرون الى الاختفاء . وتوارى الكهنة عن الانظار . وتوفي احد الاكابر فلم يجدوا كاهناً يتولى دفته . وكان اغناطيوس في

هذه المدة كلها في بيروت وصيدا .

وعاد كيرلس من القسطنطينية الى حلب في السنة ١٦٢٤ فنزل في دار احد اكابر الارمن لان ملاتيوس لم يقبله في دار المطرانية . وأدب كيرلس مأدبة فاخرة ودعا اليها اكابر المدينة من الاشراف والجنود (الانكشارية) وطريركي الارمن والسرمان وكانوا يومئذ في حلب مع حاشيتها واكابر الافرنج وغيرهم . فأرسلوا واحضروا ملاتيوس من قلايته وحضوه على مشاركة كيرلس في القداس فأبى وانصرف وتمارض . فأرسل كيرلس يطالبه بواسطة مجلس الحاكم بمال اثني عشرة سنة . فأمر الحاكم فجاء ملاتيوس ثمانين جلدة وحمل على بساط وحبس اثني عشر يوماً . فقضى نفسه بمال كثير وخرج واختبأ في بيت احد شيوخ المسلمين . وفي السنة التالية جمع كيرلس مجعاً عظيماً آخر وخاطب ملاتيوس في شركة القداس فأبى وانصرف الى القسطنطينية . فتبعه كيرلس اليها وجرت بينهما مخاصمات كثيرة . ثم عاد ملاتيوس الى حلب وعاد كيرلس ايضاً اليها في السنة ١٦٢٨ . وترافعا الى الحاكم . فحبس الحاكم ملاتيوس في القلعة وسجن سبعة وعشرين من اتباعه في سجن المتسلم . وغرمهم بمال كثير .

جمع وأس بعلبك : (١٦٢٨) وسار كيرلس بعد ذلك الى دمشق . فلم يقو الدمشقيون على مقاومته . فأرسل يسأل ابن معن ان يأمر بعقد مجمع من رؤساء الكهنة لينظر في المشكلة القائمة بينه وبين اغناطيوس . فأجابته الامير الى ذلك . وقام اغناطيوس سنة ١٦٢٨ الى قرية رأس بعلبك الى دير السيدة بجوارها وتوافد رؤساء الكهنة ايضاً . ولكن كيرلس تواني فأحضره الامير بالقوة . ونظر الاساقفة في أمره فأجمعوا على قطعه وافرازه « لانه صار بغير رضى اهل ابرشيته ولكثرة اذاه وضرره » وثبتوا رئاسة اغناطيوس . وغضب فخر الدين ابن معن على كيرلس فنفاه الى مغارة الراهب بالقرب من الهرمل « وفيها كان قبره » .

ووضع الرؤساء المجتمعون في رأس بعلبك قوانين كيفية انتخاب البطاركة والمطارنة وانتداب الكهنة . وحرموا بعض العادات بين المسيحيين تتعلق بالزيجات والاعراس والأديار . وجعلوا قوانينهم في عشرين مادة . وكان عدد رؤساء

الكهنة احد عشر وهم سمعان متروبوليت حماة ويواكيم متروبوليت حصص وملاطيوس متروبوليت حلب ومكاريوس او مرقس متروبوليت صور وصيدا ونقولاووس متروبوليت حوران وابيفانيوس متروبوليت بعلبك ويواكيم متروبوليت طرابلس واغناطيوس متروبوليت باباس من اعمال قيليقية وسمعان اسقف صيدنايا ويواكيم اسقف الزبداني ويواصف اسقف قارة . وكان يحيط بهم عدد من وجهاء الملة . وكان ذلك في حزيران السنة ١٦٢٨ . وجاء لبولس ابن الزعيم ان الرؤساء كتبوا بذلك «صورة» حفظوها في خزانة كتب البطريركية وانه كان لديه نسخة عنها . وجاء لغطاس قندلفت انه عرف هذه الأحكام وانه سينشرها في مقال عن تاريخ نظام الكنيسة (١) .

«اولا : كان للمسيحيين عادة ردية اذا مات البطريرك يحضر رئيسي كهنة او ثلاثة ويصلوا عليه بغير حضور باقيهم فن الان لا يجوز ان يصير بطرك الا بحضور رؤساء كهنة الابرشية جميعهم والمتروبوليت الاكبر وان صار بخلاف التاموس جماعة السينودس تحرمه .

«ثانياً : كان لهم عادة يصير بطرك بغير قرعة حسباً يامر في النواميس المقدسة فن الان لا يجوز ان يصير بطرك بلا قرعة وبغير رضى الشعب بل اذا حضر جميع رؤساء الكهنة ينتخبوا ثلاثة منهم يكونوا تربوا بالعفة والبتولية والذي تقع عليه القرعة من الثلاثة يصير بطرك وان صار بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«ثالثاً : كان لهم عادة ردية يصيروا بطرك بغير مشورة ويسبب ذلك يصير انشقاقات وشروخ وقتن فن الان لا يجوز ان يصير بطرك بغير مشورة بسبب يكون برضى الشعب لان البطريرك خليفة المسيح والمسيح هو فخر السلامة وان صار بطرك على غير ذلك وعمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«رابعاً : كان لهم عادة ردية ان اموام المسيحيين وبعض كهنة يدخلوا في امر البطريركية ويعملوا بطرك على مرادهم وشهوتهم فن الان لا يجوز لاحد من الاموام المسيحيين ولا من الكهنة ان يدخلوا في امر البطريرك بالكلية بل ان كان في امره شغب فليؤخذ راي الاكثر منهم ومن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«خامساً : كان لهم عادة ردية اذا مات البطريرك قبل ان يلتم رؤساء الكهنة يعملوا بطرك ويصلوا عليه ويحتجوا بخدمة الحاكم فن الان لا يجوز فعل ذلك بسبب يهملوا الحاكم حتى يحضروا

(١) تاريخ البطارقة الانطاكيين لغطاس قندلفت : مجلة المنار ج ١ ص ٢٣١ وسفرة البطريرك مكاريوس لقوري قسطنطين الباشا ص ٣٨ والحقائق الوضعية ص ٥٥ - ٥٨ .

روسا الكهنة كلهم واذا حضروا كافتهم يرموا قرعة ويصلوا على واحد ويصبروه بطرك وهو يعطي الخدمة كالعادة ومن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«سادساً : كان لرؤساء الكهنة عادة ردية اذا مات البطريرك يسبق واحد منهم حتى يعمل بطرك بامر الحاكم قبل مسا يجوا رفقة ويكون غير مستحق البطريركية واخر يتأخر عن الحضور خوفاً من التنب والنصب فن الان لا يجوز لاحد ان يسبق لياخذ البطريركية بامر الحاكم ولا يجوز لاحد ان يتأخر كسلا منه وتهاوناً بالجمع . وهذه المهلة التي يحضروا فيها رؤساء الكهنة شهر من الزمان والكثير شهرين وان زاد عن ذلك ثلاثة شهور على مسا في التاموس المقدس ومن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«سابعاً : كان لهم عادة ردية ان البطريرك ياخذ على الشرطونية من الروسا الكهنة وروسا الكهنة ياخذوا من الكهنة والشمامسة فن الان لا يجوز لبطريرك ولا لمطران ولا لاسقف ياخذ على الشرطونية ولا احد يعطي على الشرطونية لان ذلك في الشرطونية خطيئة وأصله الى الله وهي كالتجديف على الروح القدس واعظم من تسليم يوحنا المعمدان واكثر كفر من ابوليناريوس واعظم تجديف من مكديونيوس فن اخذ على الشرطونية فجماعة السينودس تحرمه .

«ثامناً : كان لرؤساء الكهنة عادة ردية اذا جاء اليهم انسان ليرتسم كاهن وكان مشهور بالاسم ما يبحثوا عنه ولا عن سيرته بل بشرطونه بغير فحص ويمتقدوا ان الشرطونية تغفر الخطايا الكبيرة فن الان لا يجوز ان يصير كاهن بغير فحص لثلا يكون سقط في خطيئة من الخطايا التي تمنع الكهنوت بل يكون حر طاهر من بيت احرار ولا يكون امي بل كامل بالعلم والعمل وكل من عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«تاسماً : كان لهم عادة ردية ياخذوا رشوة على الزيجة الحرم سواء كانت جسدانية او روحانية بالشبونية وتكون ناقصة وجه ويسموا الرشوة قانون ويقولوا نعطيه للقراء فن الان لا يجوز لاحد ان يخل الزيجة الناقصة وجه لا جسدانية ولا روحانية اعني الشبونية لان قراءة الميرون الروحانية اعظم من القرابة الجسدانية فكل من رشى او ارتشى وعمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

«عاشر : كان لهم عادة ردية ان في عماد اولادهم يهدوا لهم اشياينهم هدية اما ذهب واما فضة واما قاش او غير ذلك ويعملوا يوم العباد ويوم الاسبوع ولائم وضيافات للاكل والشرب والسكر والمصيبة الكبيرة انهم يطلقوا للاشايين ان يكون راهن من غير مانع فن الان لا يجوز فعل ذلك جميعه ومن عمل بخلاف تاموس الله فجماعة السينودس تحرمه .

«حادي عشر : كان لهم عادة ردية يقلوا صداق البنت وياخذوا في عربون الخطبة اما اساور ذهب واما مبلغ له صورة او غير ذلك من المتاع وكذلك في الصداق يطلبوا مال كثير حتى ان البنت كانت تقوم مقام النسا ولم تخطب والرجل يشيب ولم يتزوج فلذلك عملنا للبنات صداق حسد محدود فعدنا لروس الطلقات اربعون غرشاً وعربون اربعة غروش والحد الاوسط ثلاثين غرش وعربون

ثلاثة غروش والحد الذي دونه عشرين غرش وعريون غرشين وأقل ذلك عشرة غروش وغرش عربون وأما الهدايا في الاعياد تكون بالقتاعة بغير حيف على العريس مدة الخطبة ثلاث سنين كما في التاموس ومن خالف ذلك فجماعة السينودس تحرمه .

« ثاني عشر : كان لهم عادة ردية ان الكهنة يدخلوا الى الاعراس التي فيها الطبل والزمر ويجلسوا في الولائم والنزائم ويشربوا الى ان يسكروا بالخمر فن الآن لا يجوز لكاهن من الكهنة ولا لشماس من الشمامسة ان يفعلوا مثل هذه الافعال المذمومة لثلا يكتهم الكتاب القائل « اذ كان الطعام في أفواههم طلع عليهم رجز الله وقتل اكثرهم وعزقل مختاري اسرائيل » والكتاب الآخر القائل « لا تشربوا الخمر لثلا تنسوا الحكمة » والرسول الالهي قال ان السكيرين بالخمر لا يدخلون ملكوت الله ومن سكر وعمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« ثالث عشر : كان لهم عادة ردية انهم يكللوا العريس والعروس من المساء وفي الليل برا الكنيسة ويكون الكاهن فاطر والعريس والعروس فاطرين وينتشروا ينسوا ورجليها بالمشاة مثل الام ونسوا ان الاكالييل مثل القداس الالهي وجهلوا ايضاً انه لا يجوز الاكالييل الا في الكنيسة ويكون الكاهن صائم والعروس والعريس صائمين وغير مزينة بالمشاة حتى يحل عليهم الروح القدس فن الآن لا يجوز ان يصير اكالييل برا الكنيسة الا من ضرورة ويكون الكاهن صائم والعريس والعروس صائمين وغير مزينة بالمشاة فن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« رابع عشر : كان لهم عادة ردية ان الكهنة يكتبوا الحروز والعوام يعلقوا الحروز والتعاويذ على رؤوس اولادهم ويقرأوا صلاة السيدة ويعلقوها على اولادهم وكثير من المسيحيين ويصدقوا المنتجين والرقائين وربما انهم يرقوا وقوات مثل الامم ويفتحوا القفال ويمضوا الى عند السحرة فن الآن لا يجوز فعل ذلك لان الكتاب الالهي يقول لا يكون فيكم من يفتح القفال ولا من يقول بالرقا ولا من يكتب الحروز ومن فعل ذلك ان كان كاهن يقطع من كهنته وان كان علماني يفرز من بيعة الله فن عمل بخلاف تاموس الله فجماعة السينودس تحرمه .

« خامس عشر : كان لهم عادة ردية ان الرجال يتامون في ديورة النساء والراهبات يختلطن في الرجال فن الآن لا يجوز فعل ذلك لان الشيطان له مدخل عظيم في مثل هذا الامر فن تعنى ذلك وعمل بخلاف تاموس الله فجماعة السينودس تحرمه .

« سادس عشر : كان لهم عادة ردية بغير معرفة وجهلا منهم يدخلوا كتب الاراتقة الى الكنيسة ويظنوها كتب الارثوذكسين ويقرأوا منها قصص واخبار وميامر وغير ذلك فن الآن لا يجوز فعل ذلك على ما يأمر به التاموس المقدس فن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« سابع عشر : كان لهم عادة ياخذوا على التوبة والاعتراف دراهم ويسموها قانون ويحتجوا حجاج بليدة ويقولوا ما نأخذ لنا بل صدقة للفقراء او ثمن قداسات او ثمن خام للمحتاجين . فن الآن لا يجوز لمعلم اعتراف ان يعمل سوى صوم وصلاة ومطانيات وان امر بصدقة للثائب او بقداسات فيقول المعترف ان يعطي ذلك للفقراء من يده الى يدهم وعلى يد معلمه ومن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« ثامن عشر : كان لهم عادة ردية الرهبان المرسومين على دير ينتقلوا الى دير غيره والرهبان الكهنة والرهبان العامية يدوروا في المدن والقرى ويقبلوا اولاد من المعمودية ومنهم اناس يلموا دراهم ويأخذوا نذرة على اسم كنيسة قديس من القديسين او على اسم دير من الديورة ويكون معهم كتب من غير منشور بطرك الارشية فن الآن لا يجوز فعل ذلك ومن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« تاسع عشر : كان لهم عادة ردية ان البطرك يرسم شماس او قس من غير ان يكون معهم منشور من رئيس كهنتهم ولا كتاب في خطوط ايادي اهل بلدهم بانهم مستحقين للكهنة . واشتر من ذلك ان بعض كهنة يكونوا مرسومين على كنيسة فيتركوها وينتقلوا الى كنيسة غيرها . فن الآن لا يجوز فعل ذلك . وكل من عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« العشرون : كان لهم عادة ردية انهم يعملوا في كل موضع مرتشي لاجل قبض البرطيل الذي سموه قوانين الذي ياخذوها على زيجات الحرام ويسموا المرتشي وكيل البطرك . والمصيبة العظيمة يكون الوكيل عامي من اعوام الناس ويدخل في امور الكهنة ويمترض على رئيس كهنة البلد في امور الدين . فن الآن لا يجوز يكون مثل هذه العادة الردية . ولا يصير وكيل بطرك في بلد التي فيها رئيس كهنة . فن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

« الحاتمة : ولتعلم جماعة المؤمنين ان اعراس المسيحيين لا يجوز فيها الطبل والزمر والدق والرقص ولا الاكل والشرب والسكر وغير ذلك . وبالجمله ان الكلفة على مثل ذلك حرام وبقله يسخط الله . وقد بطلنا هذا جيمه واقصيناه وردلناه . ونوصيكم بحفظ جميع هذه السنن وبحفظ جميع وصايا الله وان لا تحيدوا عن التاموس لان الاحادة عن التاموس تقفر الارض كلها وافتنال الشر ينقض كراسي المقتدرين . الى ههنا انتهى كلامنا فن عمل بخلاف التاموس فجماعة السينودس تحرمه .

البطريك افيسيوس الثالث : (١٦٣٥ - ١٦٣٦) وعاد اغناطيوس الى

دمشق ودار دفسة الرئاسة سبع سنوات متتالية . وتوفي مرقس متروبوليت صيدا ١٦٣٤ وكان اغناطيوس البطريك في بيروت فقام الى صيدا ليرأس الصلاة عن نفس مرقس . ثم عاد الى بيروت ليلا بزي تيري لان الحرب كانت قد اندلعت بين فخر الدين وبين الاتراك العثمانيين . وكان رجال الامير قد علموا ان تترياً قدم الى صيدا حاملاً يريد السلطان الى الوزراء . فكمنوا لهذا التتري في السعديات . ومر البطريك فظنه هؤلاء التتري المنشود . فأطلقوا عليه النار فوقع عن فرسه فتقدموا لسلبه فدهشوا واسفوا . ثم حملوا البطريك الى الشويقات . فدفن فيها (١) .

(١) سفرة البطريك مكاريوس ص ٣٩ . طائفة الروم الملكية للثوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٨٩ - ٩٠ .

وكان ملاطيوس متروبوليت حلب قد رعي أبرشيته بالتقوى والحكمة متمسكاً بالقانون مناضلاً في سبيل الإيمان الأرثوذكسي . فلما بلغ الدمشقيين خبر اغناطيوس ارسلوا وفداً من اكابرهم ووجهائهم الى حلب يرجون ملاطيوس القبول بالبطريركية . ثم اتوا به الى دمشق بوافر الاحرام والاحترام واحتفلوا بدخوله الى مركز البطريركية احتفالاً شائقاً . ودعي افثيميوس الثالث ولقب بابن كرمة .

ولد ملاطيوس في مدينة حماة سنة ١٥٨٦ من ابوين تقيين حوران وسعادة . وتوفي والده وهو لا يزال صغيراً . فعنيت والدته به عناية مسيحية فشب على التقوى وزار اورشليم فقدم النذر في دير القديس سابا ودعي افثيميوس . ثم استدعاه سميان متروبوليت حماة فرسمه شماساً ثم قساً وعينه واعظاً . فأحرز محبة الجميع بشدة تقواه وكثرة فضائله . وتميز في غيرته على اعمال البر والاحسان . وتراكت الاموال الاميرية على المسيحيين فارسله سميان الى حلب ليسترحم من اليها تخفيفها فاستجاب الوالي التماسه . واقام افثيميوس في حلب مدة من الزمن يعلم ويقضي فأحبه الخليليون . وكانت ابرشيتهم قد تزلزلت فانتدبه مطراناً عليهم وطلبوا الى اثناسيوس الثالث السيد البطريرك ان يوافق على ذلك . ففعل وسامه مطراناً على حلب في دمشق ودعاه ملاطيوس وذلك في السنة ١٦١٢ . وعاد ملاطيوس الى حلب فرعى ابنائها في مراعي الخلاص « واغنى فقر نفوسهم بالغنى الروحاني واسعدهم بحسن تدبيره الجسداني فاقبل المؤمنون على حلب وغرسوا بها فاينعوا واثمروا وزادوا وتكاثروا » . وانشأ ملاطيوس منزلاً في قلاية المطرانية « متقن البنيان عالي الجدران » بديعاً متيناً ووقفه على من بعده من رؤساء الكهنة . ونقل الى العربية كتاب القنداق والافخولوجيون والسواعي والسنكسار وغيرها من الكتب الكنسية . وسعي لطبعها في رومة مركز الطباعة العربية آنثد (١) .

وقد قال رحمه الله في مقدمته لكتاب التبييكون : « اما بعد فاني لما رأيت اختلاف كنائس المسيحيين في الترتيب والطقس والنظام وما دخل على اهلها من

(١) سفر البطريرك مكاريوس ٣٩ - ٤٠ والحقائق الوضعية ص ٥٨ - ٥٩

النقص في السجود والركوع والصيام وما قد ابطوه من فرائض الكتب المحقة الصادقة وما قد اثبتوه من عوايد المخالفين وسنن الارائقة ... فلم ازل افحص عن اصل مخالفتهم فحسباً شافياً وابحث عن عللة تعديلهم بحثاً كافياً حتى وجدت اصل هذا الغلط . وعلته عدم وجود تبييكون رومي قديم ... فلما وجدت تبييكون تأليف القديس سابا العظيم الذي كملته القس يوحنا الدمشقي الحكيم فبالغت أنا الحقيير ملاطيوس بالكد والجهد والطلب وانا يومئذ مطران مدينة حلب فاخرجته من اللغة الرومية الى لغة الاعراب وذلك بتاريخ سنة ٧١٢٠ لكون الدنيا موافق ١٦١٢ لتجسد سيدنا يسوع المسيح » . وجاء في مقدمة كتاب الافخولوجي « اجهدت نفسي في ترجمتها وتفسيرها واخرجتها الى اللغة العربية وانا يومئذ مطران في مدينة حلب وحررتها بتاريخ سنة ١٦٣٤ لسيدنا يسوع المسيح » (١) . وشرطه رؤساء الكهنة بطريركاً في اول شهر ايسار فازداد حرصاً على التعاليم الالهية واندفاعاً في سبيل المؤمنين . وحث الشعب على التعرف الى الله وعلى العمل الصالح . واثمر وعظه في دمشق فرد الخطاة الى الله وجعلهم آتية طاهرة . وشرطن في حياته بابا غفرائيل الفاضل مطراناً على باياس . وبعد مدة يسيرة مرض فاستدعى الكهنة والاكليروس وباركهم وانتدب في حياته بابا ملاطيوس الصاقرزي بطريركاً انطاكياً . وانتقل الى الرب بسلام في اليوم الاول من شهر كانون الثاني (٢) .

البطريرك افثيميوس الرابع : (١٦٣٥ - ١٦٤٨) وأثر بابا ملاطيوس ان يحمل اسم سلفه . فقلده عصا الرعابة كل من فيلوثيوس متروبوليت حمص وسياون اسقف صندنايا ويواكيم اسقف الزبداني ودعي افثيميوس الرابع . وبابا ملاطيوس بدأ حياته الروحية راهباً في دير القديس سابا وبرع في رسم الايقونات . فلما تبوأ افثيميوس الثالث السدة البطريركية استدعاه الى دمشق وطلب اليه ان يزین الكنيسة الكتدرائية فيها . واقتدى افثيميوس الرابع بسلفه الصالح فكان مثال الوداعة والتقوى . وطاف الابرشيات مراراً واعظاً مرشداً مدبراً .

(١) حياة البطريرك افثيميوس كرمه بقلم تلميذه البطريرك مكاريوس الحلبي لناشرها الاب لاونديوس كلزي مجلة المصرة ١٩١٣ ص ٨٦ - ٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ١٩١٣ ص ١٤٣ - ١٤٤

وأهم أخباره انه أيد ملاتيوس سيريجوس *Sgrigos* في موقفه من مصنف بطرس موغيلة متروبوليت كيتف في العقيدة الارثوذكسية فاستمسك بالابليكسيس في سر الاستحالة وامتنع عن القول بالمطهر واشترك مع اخوته البطارقة الثلاثة سنة ١٦٤٣ في قبول مصنف موغيلة بعد هذا التنقيح (١). ومن أخباره ايضاً انه وكل تثقيف ابن اخته الذي أصبح فيما بعد البطريرك نوفيوس الى الاب اليسوعي ابرونيوس قيروط وذلك في السنة نفسها التي أكد فيها موقفه من بعض نقاط الاختلاف بين العقيدتين الكاثوليكية والارثوذكسية (٢).

الكتلكة تنحصر في الموارنة : وكانت كنيسة رومة قد بدأت منذ السنة ١٦٢٧ تعمل في اوساط اليعاقبة والارمن والارثوذكسيين في حلب لتدخلهم في طاعة البابا فوكلت أمر اجتذابهم الى الآباء الكبوشيين اولاً ثم الى الآباء اليسوعيين والكرملين (٣). وكانت الكتلكة آنذاك لا تزال محصورة في الأوساط المارونية دون سواها (٤). وتذرع الآباء المبشرون بالتطبيب وبالوعظ الفردي والافتناع السري. ثم لجأوا الى المدرسة والتعليم ليثبتوا في صدور الأحداث تعاليم رومة وموقفها من الأرثوذكسيين وغيرهم (٥). ثم استغلوا القحط والجوع والفقر ونفذو فرسة للغاية نفسها (٦).

وجاء في تقرير وضعه الأب يوحنا اميو *Jean Amien* اليسوعي في السنة ١٦٥٠ ان هنالك مجالاً لتثبيت أوامر « الصداقة » مع بطريرك الروم الذي « يدعي انه بطريرك انطاكية » وان سلف هذا البطريرك توفي كاثوليكياً وانه يظن ان بعض رهبان الروم دسوا له السم لانه جهر بطاعته للبابا. وجاء ايضاً ان افثيموس الرابع اكد لهذا الأب اليسوعي انه يعترف بالبابا ويدين له بالطاعة ولكنه لا يجرأ ان يجهر بذلك خشية ان يحل به ما حلّ بسلفه (٧). ويلاحظ هنا

1) *Moghila, Confession de, Dict. Théol. Cath., X, Col. 1070 - 1081.*

2) *Besson, P., La Syrie Sainte, 68 ; Nachi, Lettres Edifiantes, 226.*

3) *Relation de la Mission d'Alep, Rabbath, A., Doc. Inéd., I, 451.*

4) *Philippe de la T. S. Trinilé, Rabbath, A., op. cit., I, 445, 446.*

5) *Alexandre de Saint - Sylvestre, Rabbath, A., op. cit., 434.*

6) *Relation de la Mission d'Alep, op. cit., 452 - 458.*

7) *Ibid., I, 401 - 402.*

ان رواية السم ضعيفة ينقصها شيء كثير من العدالة والضبط وبالتالي فانه لا يجوز اثباتها والقول بها ويلاحظ كذلك ان الاب اميو نفسه لم ير في افثيموس الرابع سوى صديق مصادق وان افثيموس الرابع نفسه جهر في السنة ١٦٤٣ بتمسكه بالعقيدة الارثوذكسية كما سبق واشرنا. بيد انه لا بد من الإشارة هنا الى تساهل هذا البطريرك في أمر المدرسة التي انشأها الآباء اليسوعيون في دمشق والى سيطرة هؤلاء على عقول الأحداث وما نشأ عن ذلك من استعداد في بعض الأوساط الارثوذكسية للدخول في طاعة رومة في الربع الاول من القرن الثامن عشر.

والخلي والاسثانبولي وبقية البدلات والاواني المقدسة . ثم وجد رسائل الجلوس « وارسل البركة والدعاء الى سائر البلاد » . وشرطن الخوري ميخائيل ابن القسيس بشارة الخلي مطراناً على حلب ودعاء متروفانس وسام ابنه بولس ارشديا كوناً على مدينتي دمشق وحلب وسائر بلاد العرب (١) .

وهو يوسف ابن الخوري بولس ابن الخوري عيسد المسيح البروطس المشهور « بيت الزعيم » . ولد في حلب ونشأ فيها . وتلقى علومه الاكليريكية على البطريرك افثيميوس الثالث . وتزوج من امرأة ناموسية فرزق اولاداً . ثم ترمّل فرسم قساً . ولما رقي معلمه افثيميوس الثالث السدة البطريركية سامه خلفاً له مطراناً على حلب .

« واما ما كان من امر اهل حلب فانهم يوم عيد الصليب افتتح السنة ٧١٤٤ للعالم (١٦٣٥) اجتمعوا في قلاية المطرانية الكهنة والاراضة والاكليروس مع باقي المسيحيين واستخاروا الخوري يوحنا والذي ليكون عليهم مطران . وارسلوه صحبة القفل الى الشام ووجهوا معه رفقة من كهنة واعوام . وبعد ان وصل بالصحة والسلامة شرطته الاب السيد البطريرك افثيميوس المذكور مطراناً على حلب سابع وعشرين يوم خلت من شهر تشرين الاول يوم الاحد . ولكثرة وده له ورعايته لخطر المرحوم معلمه ووصيته له جعله كاتوليك مشرفاً على سائر نوريته وعييره اكسرخوساً اي وكيلًا وناظرًا على بلاد آمد وما يليها وانطاكية التي هي كرسي البطريركية ونواحيها . واذن له ايضاً ان يقدس فيها اذا مضى اليها » (٢) .

وساس مكاريوس ابرشية حلب اثني عشرة سنة « مقتفياً في ذلك آثار السادة السالفين متمماً وصايا الله تعالى بغير انتقاص فازداد بفيان الجماعة واستعماهم عما سلف » . واشترك في السنة ١٦٣٩ في استقبال السلطان مراد الرابع الذي ام حلب استعداداً للزحف على بغداد وضرب قزل باش الذي امتنع بها . وفي التاسع من آب سنة ١٦٤٠ زاره في حلب البطريرك افثيميوس الرابع وشرطن فيها الخوري يوسف الخلي مطراناً على عكار ورجبة واوفده الى « بلاد المسيحيين حد بلاد المسكوف » . واقام البطريرك مئة يوم في حلب استوفى في اثنا عشر النورية . وخرج منها في الثاني عشر من تشرين الثاني فرافقه مكاريوس وابنه

(١) سفر البطريرك مكاريوس ص ٥١ - ٥٥

(٢) سفر البطريرك مكاريوس ص ٤٣ - ٤٤

الفصل الثامن والاربعون

البطريرك مكاريوس الثالث

البطريرك مكاريوس الثالث : (١٦٤٨ - ١٦٧٢) ومرض افثيميوس مرضة شديدة . وأثنته وأوهنته . فاجتمع الاكليروس حوله وعملوا له زيتاً مقدساً واستشاروه في أمر خلفه . فقال : « ان كنتم تريدون اصلاح اموركم وتوفيق احوالكم فلا تجعلوا غير مطران حلب بطريركاً عليكم » . فكتب الاكليروس بذلك الى مكاريوس متروبوليت حلب وعرضوا الكتابة على البطريرك فعلم عليها بيده . ووجهوا بها ساعياً وحثوه على السير . ووصل الساعي الى حلب ولكنه لم يجد مطرانها لانه كان قد فر من جور واليهام قره حسن باشا والتجأ الى المعرة وكلس . وما قىء الساعي يسعى حتى اتصل بمكاريوس وسلمه الرسالة . فاعتذر ولم يحضر . فاغتاظ البطريرك وهدد بالقطع . فقام مكاريوس الى الشام يرافقه ابنه الشاس بولس . ولدى وصولهما الى حماة التقيا بساع ثالث يحمل خبر انتقال افثيميوس في الحادي عشر من تشرين الاول سنة ١٦٤٧ والحاح الاعيان بوجوب الاسراع الى دمشق لتسلم عكاز الرعاية وتدارك ما قد ينجم عن التأجيل والتأخير من اختلاف في الرأي وتفرق في الكلمة .

ووافق كل من ملاتيوس متروبوليت حماة وفيلوثيوس متروبوليت حمص على ارتقاء مكاريوس ورافقاه الى دمشق . وانضم اليها اسقف قارا يواصف . ولدى وصولهم الى دمشق وجدوا فيها غريغوريوس متروبوليت حوران . فنصبوا البطريرك الجديد في الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٤٧ . وتشاور الآباء في الديون التي خلفها افثيميوس فوجدوها ستة الاف غرش . وبلغ مجموع ما انفق على دفنه و « حشره » وما قدم الى الباشا محمد كوبرلي لاستصدار البيورلدي باسم البطريرك الجديد اربعة الاف غرش . فرهنوا التيجان الاربعة القديم والكبير

حتى حاة : وفي السنة ١٦٤٢ قام مكاريوس لزيارة الأماكن المقدسة على رأس جماعة من الحجاج الحلبيين . واقام في دير القديس سابا يومين وشاهد بام عينه الوف القلايات المنقورة في الصخر . وعاد الى حلب يوم خميس الصعود (١) .

جولة بطورية وعائية : (١٦٤٨ - ١٦٤٩) ولما كانت الديون قد تراكت على الكرسي تقرر ان يخرج مكاريوس ويطوف في ابرشيات الكرسي الانطاكي لتفقد شؤون الرعية وجمع التبرعات والحسنات . وبعد ان زار العذراء في صيدنايا تبركاً والتاساً عاد الى دمشق . وفي السادس من تموز سنة ١٦٤٨ خرج منها الى الديماس وعيتا والقرعون ومشغرة وكفر ملكي فصيدا . وخرج من صيدا الى عبرا ووادي الليمون وبرتي وكفرييت وكفرحتا ويسري وعنبال . ثم زار الامير ملحم ابن معن في بعقلين وعاد الى عنبال وغريفة والمزرعة وعين قنية وعماطور وباتر ونبحا ثم بعذران والخرية والمعاصر وبتلون والفريديس والباروك وعين زحلنا وبصين وبريح وعين وزيه والسقمانيّة ودير القمر والشويقات . وقدم في الشويقات الاحد الثالث عشر بعد العنصرة . وانتقل الى بيروت في الحادي والعشرين من آب وخرج منها في الحادي والعشرين من ايلول . وصعد الى بكفيا والمحيدثة وقدم في كنيسة نهار الاحد الاول من لوقا . وزار دير مار الياس والشوير وبسكنتا وقدم في كنيسة نهار الاحد الاول من لوقا . وصعد الى كفرعقاب . فكرس كنيسة نهار الاحد الثاني عشر من ايلول . وعاد الى بيروت في السادس عشر من تشرين الاول . وفي الثامن عشر منه اقلع بجراً الى طرابلس يرافقه يواصف متروبوليت بيروت . فاستقبله في ميناء طرابلس يواكيم مطرانها وجميع المسيحيين . فبقي في بيروت . وزار كفتين في التاسع عشر من تشرين الثاني وقدم فيها وشرطن فيها الخوري الياس المرمريتي مطراناً على صور وصيدا وسماه ارميا . وفي العشرين من الشهر نفسه قام الى دير القديس يعقوب المقطع وقدم فيه عيد دخول السيدة الى الهيكل . ثم زار دير البلمند وقلحات وفيه وبطرام المشهورة بنساخها ثم دير سيدة الراس وبدبا واميون المشهورة بعلائها واقام فيها اسبوعاً . وخرج منها الى

كفرعقا وكوسيا ودير حماطورة ودير مار جرجس وقرية كفر قاهل فدير مار الياس النهر فالبلمند فدير الناطور ثم انفة وحامات وسيدة النورية والبرج . وعاد الى طرابلس وقدم عيد الميلاد والغطاس (١٦٤٩) . ثم خرج الى البترون وعبرين وكفر حلدا والكفور حيث اعشاش النسر . وفيها اصطادوا له نسرأ فاستخرج دهنه . ثم قام الى دوما وتولا « قرية المقدم علي » ومنها الى بجزوز وشيخان وجبيل وغزير . وعاد الى طرابلس وخرج منها نهار الخميس من الجمعة الثانية من الصوم وتوجه الى بقرزلا وعرقه وجبرائيل « ذات الكنيسة اللطيفة التي يخرج من تحت مائدة هيكلها ماء تجري في وسطها الى خارجها تربي المرضى » . ثم قام الى خنيقة ورحبة وبقي فيها اسبوعين وخرج منها عياث وعين يعقوب وزبينا « وكانوا خراباً » .

وفي يوم الاثنين من الجمعة الخامسة من الصوم ذهب الى السيمنية والبيضة وصافيتا وقدم فيها في كنيسة مار ميخائيل « المعظمة » في البرج . ثم ذهب الى تنورين ومرمرتا والحصن وتفرج على قلعتها « نجمة الصبح » وقام منها الى عناز . وقدم احد الشعانين في مار جرجس الحميرة . ويوم الاثنين الكبير ذهب الى رباح وافيون .

وفي الحادي والعشرين من اذار سنة ١٦٤٩ دخل حماة وعيد فيها عيد الفصح . وفي الخامس والعشرين من نيسان شرطن الخوري عطا الله الآمدي مطراناً على آمد وما يليها وسماه نيودوسيوس وذلك « بحسب استيهاله واختيار ورضى اهلها وارسالهم اياه » . وكان خبر الاختلاف بين متروفانس متروبوليت حلب وبين رعيته قد فشا وتفشى . وكان البطريك قد قطعه ثم حرمه . فلما وصل البطريك الى حماة قصده متروفانس وطلب عفوه وكتب « تمسكاً بخط يده وحلف عن الخمر والمسكر وعن سائر ما نقل عنه » واستغفر عما صدر منه فباركه البطريك وحله وصفح عنه . وقام البطريك الى حلب واقام فيها الى ان هدا الهياج . ثم خرج منها يوم عيد دخول المسيح الى الهيكل . ووصل الى دمشق في الحادي عشر من شباط سنة ١٦٥٠ .

« وحاسب البطريرك الكهنة والاعيان والاكليروس على ما اورده في هذه الدورة فبلغ ستة الاف غرش . فدفعوا جانباً من اصل الدين والباقي قدموه رباة ومكاسب » (١) .

مكار يوس ومشكلة الجحود : وجاء في تقرير رفعه تلميذ مكار يوس المطران افيثيم يوس الصيفي الى مجمع انتشار الايمان (٢) انه فتش عن الخلل الذي ادى الى دخول النصراني في دين الاسلام في زمن مكار يوس وكيرلس فوجده ناجماً عن الفقر وقلة المعاش ومخالطة الامم وكثرة الاصوام . ومما جاء في هذا التقرير قوله ان الاصوام بلغت في ذلك العهد ثلاثة ارباع السنة : اولا الاربعة والجمعة على مدار السنة وثانياً الصيام الكبير المقدس وثالثاً صوم الرسل ورابعاً صوم العذراء وخامساً صوم الميلاد وسادساً صوم الصليب وسابعاً صوم القديس ديمتريوس وثامناً صوم رئيس الاجناد وتاسعاً نسكيات سكان البراري والرهبان وقد لزم العوام بها . ويؤكد افيثيم يوس ان هذه الاصوام العديدة دفعت الوفاً من الارثوذكسيين في قلبية الى الدخول في الاسلام والوفاً غيرهم من الارثوذكسيين في برحمة الى النكران والخروج . ولعل هؤلاء هم قبيلة الصليب كما ارتأى الاب انستاس الكرملي (٣) . ويفيد افيثيم يوس انه « من مدة خمسة وخمسين سنة وانما في الشام صار غلا عظيم وكان في قرية عين التينة مقدار خمس مائة نفس نصراني فن شدة الغلا وفقرهم طلبوا من البطريرك مكار يوس جد البطريرك كيرلس ان يطلق لهم اكل الالبان في زمان الصيام وراجعوه مرات فما امكن يسمح لهم وكان مد القمح بقرش . فن اجل هذه الضيقة العظيمة والقساوة الظالمة مضى كهنة الضيقة اربعة مع رعاياهم كلها ودخلوا في دين محمد . والكهنة صاروا لهم خطباً وعملوا كنيستهم جامعاً . وهذا نظرتهم بعيني ما عدا الذين يفعلون ذلك بالافراد والتدريج من ضيق العيشة وغير اسباب » .

وقصد جماعة من أهل غزة مكار يوس وشكوا تناقل ضريبة الخراج فقالوا

(١) سفر البطريرك مكار يوس ص ٥٩ - ٦٥

(٢) ج ٧٥ عدد ٣٨٨

(٣) المشرق ج ١ ص ٦٧٣

انها كانت تفرض على اربع مئة وخمسة وثمانين رجلاً وان معظم هؤلاء « خرجوا من الديانة » وانه لم يبق من المسيحيين في قريتهم بسين مسكين وغائب وحاضر اكثر من ثلاثين وان السلطات لا تزال تفرض عليهم خراج الاربعة مئة والخمسة والثمانين ! « واعلنوا للبطريرك بأنه ان لم يتحنن عليهم ويخفف ويسقط هذه الاسماء الزائدة والا يرحلوا ويتركوا مواطنهم او يخرجوا من دينهم حسبما فعل غيرهم » . فتحنن البطريرك وخشي ان تستولي الامم على كنيستهم الرومانية القديمة التي عمرها القديس بورفيريوس مطرانها . فاستعطف الوالي بشير باشا واعتمده فأجاب سؤله واسقط عن هؤلاء مئة واحداً واربعين اسماً . وانفق البطريرك لهذه الغاية الفين غرش . فقال اهل الشام نحن اولى لانتا رعيتك . فجد واجتهد واسقط مائة وعشرين اسماً عنهم وخمسة عشر اسماً عن اهل قارا وثلاثين عن اهل يبرود وخمسة وثلاثين عن اهل دير عطية (١) .

بيروت وبعليك والزبداني : (١٦٥٠ - ١٦٥١) وشرطن مكار يوس في الثالث عشر من تشرين الاول سنة ١٦٥٠ الخوري فرح البيروني مطراناً على بيروت وسماه فيليب يوس . وسام في العاشر من كانون الثاني سنة ١٦٥١ الخوري عازاريا الطرابلسي مطراناً على بعليك ودعاه انطونيوس ورسم في السادس عشر من ايار من السنة نفسها تلميذه جراسيموس مطراناً على الزبداني والفرزل . واقام الخوري سليمان ابن الخوري فرج الله الحلبي كاثوليكاً على القلاية البطريركية في دمشق ودعاه سيليفستروس (٢) .

السفر الى بلاد المسيحيين : (١٦٥٢ - ١٦٥٩) وبلاد المسيحيين في عرف مكار يوس وابنه هي بلاد البلقان وروسية بلاد الارثوذكسيين المستقيمي الرأي . وكانت الديون لا تزال متراكمة . وكان امراء الفلاخ والبغدان (رومانية) قد فوا ديون الكرسي الاورشليمي وكرسي القسطنطينية والكرسي الاسكندري . فلما كتب باسيلي بن امير البغدان الى مكار يوس يستدعيه اليه أدى البطريرك للسفر

(١) سفر البطريرك مكار يوس ص ٦٥ - ٦٧

(٢) المرجع نفسه ص ٦٧

رامياً هذا الأمير الارثوذكسي بآماله . وبعد ان اقام سيليفستروس كاثوليك القلاية البطيركية نائباً ووكيلاً خرج من دمشق في الحادي عشر من شباط سنة ١٦٥٢ طالباً حلب . وما ان وصلها حتى بلغه خبر وفاة نائبه بالطاعون ففوض تلميذه جراسيموس متروبوليت الفرزل والزبداني تدبير شؤون البطيركية في اثناء غيابه . وسام قبل خروجه من حلب الخوري ناصر الحموي مطراناً على عكار ورحبة وسماء نيقولاوس . وبعد ذلك بثلاثة ايام رسم الخوري ميخائيل منها الحلبي مطراناً على طرابلس وسماء ملاتيوس (١) .

وفي اليوم الخامس من آب سنة ١٦٥٢ خرج مكاريوس من انطاكية قاصداً القسطنطينية ووصل الى الاسكندرونة ليلة عيد التجلي . فاستقبله القبارصة وحضر الاغبرنية في كنيستهم . وعند الايصوذن دخل الكهنة واخذوا الكيرون و«داروا في الايصوذن حسب عاقبتهم مصلين ايها النور البهي» . وقدس البطيريك قداس السحر ثم خرج الى باباس وقدس فيها الاحد الثامن بعد العنصرة . وبلغ القسطنطينية في العشرين من تشرين الثاني وزار كنائسها وآثارها القديمة .

وفي السابع من كانون الثاني سنة ١٦٥٣ خرج من القسطنطينية الى ياسي عاصمة البغدان واقام فيها تسعة اشهر ضيفاً على باسيلي بك . وكانت الحرب قد اندلعت بين البغدان والقوزاق فلم يوفق البطيريك لنيل ما تمنى . فذهب الى طرغشته عاصمة الفلاح الصيفية واقام فيها نصف سنة ضيفاً على اميرها متى . ثم قام الى كيف عاصمة القوزاق ومنها الى موسكو . فاستقبله القيصر الكسيوس ميخائيلوفيتش بكل ترحاب واحترام وساعده كل المساعدة في احتياجاته . فعاد الى رعيته في السنة ١٦٥٩ ووفى قسماً كبيراً من الديون التي كانت على الكرسي .

يوداص الثاني وقطعه : (١٦٥٩) ويوداص الثاني في نظر مكاريوس وابنه بولس هو اثناسيوس متروبوليت حمص نسيب متروفانس متروبوليت حلب فقد جاء في اخبار سفرة مكاريوس المشار اليها ان الدمشقيين دعوا اثناسيوس متروبوليت حمص ليكون بينهم نائباً بطيريكياً في اثناء غياب البطيريك وانه ما

كاد اثناسيوس يصل الى كرسي النيابة حتى « قدس في الكرسي البطرسي في الصاكو وشرطن ووقف في الكاتدرا وزوج زيجات حرام وفعل قبائح عظيمة اكبر من قبائح ابن حماء مطران حلب . ولما سمع بقدم سيدنا البطرك خزي لانه كان يصيت علينا بأننا متنا كلنا وبأن ما بقي يجي قطعاً وانه هو يتبطرك عليهم . وجاء ايضاً ان اثناسيوس خرج من دمشق قبل وصول البطيريك اليها وانه اقام في صيدنايا « وارسل عوانات للحكام لاجل ضرر الدمشقيين المسيحيين » (١) .

ولما وصل مكاريوس الى حمص خرج اثناسيوس لاستقباله . فضمه البطيريك الى حاشيته واخذه معه الى دمشق وعاتبه في الطريق وذكر له قبائحه واحدة واحدة . فانكر اثناسيوس وتامل . ولدى دخول البطيريك الى دمشق في اول تموز وفي خمسة عشر الف غرش . وقدم للباشا ولبقية الاكابر ما قيمته ثلاثة آلاف غرش .

وفي الثامن والعشرين من آب سنة ١٦٥٩ التأم المجمع الانطاكي المقدس للنظر في قضية اثناسيوس ابن عميش فثبت عليه انه وقف في الكاتدرا وانه بدل في الترتكس مع « طون ذسبوتين » وانه شرطن كهنة وشمامسة وانه رهب راهبة بعد وفاتها لاجل متخلفاتها وانه كان يقول « انا بطرككم وانه زوج زيجات حرام في المدينة والبر لقبض الدراهم . فحكم عليه المجمع بالقطع من كهنوته والحرم الى ان يتوب . وكتب استاتيكوناً بذلك واذاعه في ابرشيات الكرسي . واليك نصه :

« المجد لله دائماً : مكاريوس برحمة الله البطيريك الانطاكي وسائر المشرق انه لما كان بتاريخ نهار الاحد ثامن وعشرين شهر اب سنة ٧١٦٧ لكون العالم (١٦٥٩) الموافق اول شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٩ للهجرة الاسلامية صار مجمع مقدس بحضور الحقيير الواضع خطي وعلامتي اعلاه وادناه وبحضور رؤساء كهنة ابرشية النورية الانطاكية الواضعين خطوطهم ادناه بمدينة دمشق الشام في كنيسة القديس نقولاوس . وكان اجمعهم ودعواهم على اثناسيوس مطران حمص بأنه جاء الى دمشق وتوطا كرسي البطيركية بغير امر البطيريك وبغير شورهم

ورضاهم وانه قدس في كنيسة البطيركية ولبس بدلته خارجاً في الترتكس وانه شرطن قسوس وشمامسة بغير اذن صاحب الكرسي وانه وقف في الكاتدرا التي لا يصعد عليها غير البطرك وانه حمل على اخوته رؤساء الكهنة بالافتراء وانه زوج زيجات حرام في المدينة والبر وحلل ذلك بقبض الدراهم . وبعد اثبات ذلك في وجهه واحدة فواحدة بحضور المجمع المقدس وكهنة البلد ووجوه الاكليروس واعيان الشعب وايضاً انه مضى الى دير صيدنايا وطلع الى الكرسي وقدس بغير اجازة بعد ان ارسلاوا له الكهنة والاكليروس واعيان الشعب وانه عن ذلك فلم ينتهي . وقد ظهرت عليه قبل ذلك قبائح كثيرة مدونة في دفاتر عليه وثبتت عليه في وجهه .

فبموجب ذلك قد حكمت عليه انا الحقير مكاريوس البطيرك الانطاكي حالاً بموجب ما تأمر الشريعة المسيحية بأمر الرحان والسلطان ان هذا الرجل المدعو اثناسيوس المذكور فيكون مقطوعاً من سائر درجات الكهنوت وليس له تصرف في قداس ولا في غيره ولا ان يضع بطرشيلاً في عنقه . وان تعدى ما حددناه فيكون محروماً مفروزاً من مجد الآب والابن والروح القدس ومن المجمع المقدس الى ان يرجع ويتوب ويخلص نفسه وذمته مما اختلسه لنفسه من البطيركية والكنيسة والوقف والقوانين من الاحيا والاموات .

« وعلى هذا الاصطباتيكون وقد فصلناه من مجمعنا المقدس المحرر في اليوم الاحد ثامن وعشرين شهر آب المبارك لشهور سنة ٧١٦٧ للعالم الموافق للهجرة الاسلامية سنة ١٠٦٩ وبالله التوفيق .

« المجد لله دائماً : ملاتيوس مطران طرابلس فيلبوس مطران بيروت غريغوريوس مطران حوران ارميا مطران صيدا جراسيموس مطران الزبداني ناوفيوطوس مطران اللاذقية نقولاوس مطران عكار الارشدياكون الشاس بولس » (١) .

طبخ الميرون : (١٦٦٠) وقل الميرون المقدس الذي طبخه يواكيم السادس البطيرك الانطاكي ولم يبق منه سوى زجاجة واحدة . فكتب مكاريوس

انواع الادوية والعقاقير في دفتر وأمر بجمعها . وارسل الى مصر لاستحضار دهن البلسم . وسجد الارشدياكون بولس لوالده البطيرك واستمد البركة وشرع في اعداد المواد اللازمة . ثم دقها في الهاون وجعلها خمس طبخات . ووضع كل طبخة في ورقة كبيرة وكتب عليها اسمها وحفظها حتى جمعة الشعانين .

« وهذه اجزاء الطبخة الاولى : دار شيشان وهو نوار اي زهر القندول مائة وعشرون درهم وعود سليخة حرا ستون درهم وحاماً ياقوتية ستون درهم واصول السوسن ثلاثون درهم وقصب الذريرة ثلاثون درهم . ثم اننا رضينا منها ما وجب رضى كايين في الكتاب . وتنقع بماء مقدس وخر عتيقة بمقدار ما يغمرها وازود باصبعين او ثلاثة في وعاء نظيف الى عشية احد الشعانين لتطبخ في الغد . ففي نسخة الاصل يمين جزءاً واحداً اي مثلاً من زهر القندول اربعون درهماً فتحن جعلناه ثلاث مثاله اي مائة وعشرون درهم . ومثل ذلك من غيره . وعلى هذا فقس . وسياتي ذكر بقية الطبخات بعد هذا » .

وفي يوم الجمعة قبل سبت العازار قام البطيرك ورؤساء الكهنة والكهنة بعد صلاة السحر الى كنيسة مار نقولاوس فصلوا على الموقد وعلى الاجياز موس والموقدين القائمين في وسط الكنيسة الموجهين نحو الشرق . ووضعوا على الموقدين ماعونين نحاسيين كبيرين مبيضين . وصباح الاثنين العظيم وضع البطيرك حوائج الطبخة الاولى في الماعون الكبير وافرج عليها ثمانية وعشرين رطلاً من الزيت الصافي وخرأ عتيقاً وماء مقدس . وكان كلما وضع جزءاً من الاجزاء يترنم ويقول على اسم الآب والابن والروح القدس اله واحد . ثم وضع ورق الغار وورق الآس وورق الحصلبان وكشة من الحصلبان الذكر فالخمر العتيق والماء المقدسة . ثم تناول سيدنا البطيرك ثلاثة عيدان وثلاثة اعواد من القنب وثلاث شمعات مشتعلة ووضعهم في الموقد . وبل جانباً من الحطب بماء مقدس سخنة . وألهب النار وجلس أحد الكهنة مقابل الموقد يوقد ويبل الحطب بالماء السخنة ويوقده قليلاً قليلاً . وكان يحرك الزيت بمغرفة من الخشب ويضيف شيئاً من الماء السخنة وكان البطيرك لا بساً بطرشيله والاموفوريون وكذلك رؤساء الكهنة . ولبس الكهنة كل بطرشيله والشمامسة زنانيرهم . والجميع مكشوفو الرؤوس يرغنون الرسائل والنبوات والمزامير والشمامسة يروحون بالمرائح .

« بيان أجزاء الطبخة الثانية من الميرون المقدس : قسط مر جيد ستون درهم . وورد آخر عراقي أو جورى منزوع الاقاع ستون درهم . وصندل مقاصيري ستون درهم . ولادن وبخور جاورى وزنجبيل وقرقة القرنفل وعيدانه من كل واحد ستون درهم وقسط يابس ثلاثون درهم . يرش الجميع ويبالغ في ريش الصندل . ويصب عليها من الماء المقدس ما يغمرها . ونقعنا من ظهر يوم الاثنين العظيم الى سحر الثلاثاء . ثم اتنا جبنه ووضعناه على الزيت الذي طبخ بالامس . واوقد البطريك النار كما ذكرنا اولاً والتحريرك عمال وكان يزداد اذا احتاج قليلا من الماء المقدس . وطبخ اربع ساعات زمانية . ثم نزلناه وتركناه الى العصر حتى برد وصقناه . ورؤساء الكهنة والكهنة يصلون والشمامسة بالمراوح يتبادلون الى النهاية . وكنا قد نقعنا حوائج الطبخة الثالثة من سحر هذا اليوم واتينا بها ووضعناها فوق الزيت المصفى واوقد البطريك النار ثانياً .

« بيان أجزاء الطبخة الثالثة : زرنب ستون درهماً . وقشور السليخة الحمراء المختارة احد وعشرون درهم . وجوز طيب خمسة عشر درهم . وسنبل الطيب العصافيري الجيد ثلاثون درهم . وقرنفل جيد عشرون درهم . ويسباسة ثلاثون درهم . وطبخناها من عصر الثلاثاء الى العشاء . فنزلناه عن المستودع الى ان برد وصقناه سحر الاربعاء كالعادة . وعزلنا الافاده ناحية بعضها على بعض . وكنا قد دقينا أجزاء الطبخة الرابعة من يوم الثلاثاء .

« بيان صفة الطبخة الرابعة : دار صيني طيب عال او قرنفل ثلاثون درهم . مر احمر جيد عربي ستون درهم . عود هندي خالص وهو بخور العود ثلاثون درهم . زعفران شمري عراقي جيد ثلاثون درهم . ثم رصينا منها ما وجب رصه . وصينا عليها من الماء ما غمرها وزيادة ونقعناها ليلة الاربعاء في ماء مقدس ايضاً الى سحر الاربعاء . ووضعناها فوق الزيت المطبوخ ثلاث مرات . وطبخناها بنار لينة كالعادة من سحر الى الظهر . والطقس الاول عمال من القراءة والمراوح وغير ذلك . ونزلناه عن النار الى ان برد . وصقناه وعزلنا الافاده على بعضها بعض . ثم جمعنا أجزاء الطبخة الخامسة .

« بيان صفة الطبخة الخامسة : الاصطراك الجيد الاحمر الفلكي مائة وعشرون درهم وضعناها في الزيت المطبوخ مع ثلاثة ارطال عسل منزوع الرغوة وماء مقدس ايضاً . ووضعناه في الزيت على النار بعد ظهر يوم الاربعاء الى المساء حتى ذهبت منه رطوبة الماء جميعها وهدبت عنه البقية بالكلية وطابت رائحته . وعلامة تجربة ذلك هو ان الحكيم الذي كان يدبر هذا العمل جاب فتيلة قطن وغطها في الزيت المطبوخ وقدمها للشعلة فلم تطفئ . فبينا حينئذ ان الرطوبة قد ذهبت . ثم نزلناه عن النار . وفي اثناء ذلك كنا قد دقينا أجزاء الطبخة السادسة .

« بيان صفة الطبخة السادسة : دار صيني اي القرقة مائة وثمانون درهماً . ومن سنبل الطيب الجيد العصافيري ستون درهم . ومن قشور السليخة الحمراء الجيدة ثلاثون درهم . ومن السباسة اربعة وعشرون درهماً . ومن العود الهندي القافلي خمسون درهم . وسحقنا الجميع وخلطناهم في كريمة حرير . ووضعهم البطريك في الزيت المطبوخ ودافهم به . ثم اضاف الحكيم دهن اللسان

وكان نحو من مائة وخمسون درهم في وعاء من نحاس على نار حتى ذاب . واضاف معه اربعة عشر مثقال من المسك الخالص المسحوق ومن العنبر الجيسد ايضاً الى ان اختلط في بعضه بعض . وحصة من الميرون القديم ووضعه البطريك على الزيت المطبوخ ايضاً : وحرك الجميع وغطناه الى الغد .

« وفي هذه الليلة ظهر سر برهان عظيم من بعض الايقونات التي على باب هيكل هذه الكنيسة . وذلك انهم من اول الليل نضحوا حيل كان يزرع منهم كساقية واندهلنا . وضحوه نهار الخميس حضر البطريك ويدايي الميرون في اواعي الزجاج الجدد ولم يكن وضع فيهم شيء . والجميع مكشوفو الروس مترنين بالطروبريات الرب يرعاني فلا يموزني شيء وغير ذلك . وعزلناهم على حدة .

ونقل البطريك والاساقفة والكهنة والشمامسة الميرون المقدس بباعوث ورتلوا ارحمني يا الله بتمامها . ودخلوا الى الكنيسة المريمية ووضعوا الميرون على المائدة المقدسة وابتدأوا بصلاة القداس . وعند دورة الجسد حمل الكهنة الميرون امام الجسد وداروا به واعادوه الى المائدة . وأخني البطريك رأسه وتلا الافاشين المعينة . وبعد القداس وضع الميرون تحت المائدة الى سحر الفصح المجيد . ثم نقل الى خزانة الميرون في الكنيسة المريمية (١) .

عودة الى بلاد المسيحيين : (١٦٦٦ - ١٦٦٩) وتولى نيكون في السنة ١٦٣٢ رئاسة كنيسة موسكو وتوابعها . فحضر المؤمنين على العمل الصالح والاستمسك بالانجيل وقوانين الرسل وقرارات المجامع المسكونية . وقال باستقلال الكنيسة عن الدولة . ثم ذهب الى ابعد من هذا فأجاز للبطريك التدخل في شؤون الدولة بشكل غير مباشر لما لشؤون الدولة من علاقة مع الدين وخلص النفوس . ونسبة الكهنوت للدولة في نظره كنسبة النفس للجسد والشمس للقمر . وحاول نيكون الانتقال من القول الى الفعل فاصطدم بمقاومة القيصر الكسيوس ميخائيلوفيتش . وادت المشادة بين هذين الكبيرين الى تدخل البطاركة . وتفصيل ذلك ان القيصر وجه الى البطاركة خمسة وعشرين سؤالاً يستفتيهم في امر نيكون وموقفه من السلطات الزمنية . فاتخذ المجمع القسطنطيني المقدس قراراً قضى بتكليف باثيسوس البطريك الاسكندري ومكاريوس البطريك الانطاكي القيام الى موسكو لمعالجة الموقف .

ووفد البطريرك الاسكندري على اخيه الانطاكي فقاما الى ارضروم في السنة ١٦٦٦ وانتقلا منها الى بلاد الكرج . فتفقد مكاريوس شؤون الرعية الانطاكية وعلم ان الكهنة كانوا قد اكتفوا بالمبرون في ممارسة سر العادة فأعاد تعميم الكرجيين جماعات جماعات بالماء والمبرون وباسم الاب والابن والروح القدس . ووصل الكبيران الى موسكو بطريق استراخان واتصلا بالاساقفة الروس واشتركا في اعمال مجمع موسكو في السنة ١٦٦٧ . فأقر المجمع استقلال الكنيسة ولكنه لم يرض عن تدخلها في شؤون الدولة وأوجب تنحي نيقون عن الكرسي البطريركي (١) .

النظم والقوانين : وجاء في رسالة صغيرة اعدها مكاريوس نفسه ونشرها كل من الاب نيوفيطوس ادلي وحبيب الزيات (٢) ان كنيسة انطاكية شملت في عهد مكاريوس الابريشيات التالية : حلب وصور وصيدا واللاذقية العظمى وطرابلس وآمد وهوران وحصص وحمّة وبيروت وباباس وبعلبك وعكار والزبداني وصيدنايا وارضروم . وجاء ايضاً ان ترتيب هذه الابريشيات هو « بمقدار المدينة وكثرة اهلها » وان تغيير هذا الترتيب جائز كما جرى في كنيسة القسطنطينية . ولا يخفى ان ابرشية عكا ساحت عن كنيسة انطاكية وضمّت الى كنيسة اوروشليم في عهد البطريرك اغناطيوس في اوائل القرن السابع عشر .

ويقول مكاريوس ان لكل بطريرك مديحاً غير مديح الآخر وان مديح بطريرك انطاكية هو هكذا : « سنيناً كثيرة يمنحك الرب الاله ايها الكلي الغبطة والجزيل القداسة سيدنا ومعلمنا اب الآباء وراعي الرعاة ورئيس الرؤساء وثالث الاثنا عشر رسولا الاب السيد البطريرك كبير فلان بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وكافة النواحي الثغرية وسائر البلاد الشامية وكل الاقاليم الكرجية وجميع الاقطار الشرقية سيدنا ومولانا فلان لكنا يجرسك الرب الاله سنيناً كثيرة ايها

1) Gedeon, M., *Kanonikai Diataxeis*, I, 341 - 368 ; *Delicanis, Patriarchika Eggrapha*, III, 92.

اطلب وصف صليب مكاريوس في مجلة النعمة : كانون الاول ١٩١٠ ص ٣٩٦ - ٣٩٧

2) *Les Sièges Episcopaux du Patriarcat Melkite d'Antioche en 1658, Proche - Orient Chrétien*, 1953, 341 - 350.

السيد في الارتقاء والرفعة الالهية بغير مرض ولا سقم ناجحاً من الاسواء معافى سنيناً جزيلة مكرماً ممدوحاً معتوقاً من سائر افعال الشياطين متغالباً وظافراً بأعداء المنظورين والغير منظورين . والله تعالى لاجل صلواتك وطلبائك المغبوبة والجزيلة قداستها يخلص ويشدد كافة المطارنة المحروسين من الله والاساقفة المحبين لله والكهنة في الرهبان الروحانيين والقسوس الموقرين والاكليروس المكرمين والشمامسة المبجلين وذوي الحسب والاراخنة والاكابر المنتخبين وسائر الشعب الارثوذكسيين شعب المسيح محفوظين سنيناً عديدة . ثبت الله الامانة المستقيمة الى الابد آمين آمين آمين .

ويوجب البطريرك المتأف بعد هذا بالعبارة « اسبولا اتي ذسبوطا » ثلاث مرات وسجود القارئ للبطريرك وتقبيل يمينه ثم السجود له ثانية فالرجوع « فطرح الذوكسا » وجعلها استيخونات بين الخوروسين كل استيخن في خورس دفعة واحدة فقط ثم اكمل التاسعة والمكارزمي كالعادة .

وقال مكاريوس ان التيبكون قضى ببوليخرونينون المتقدم وان هذا كان « معدوماً في عصره بالجملة » وان الآباء الالهيين أوصوا به . واذاف ان لكل رئيس كهنة مديحاً وانه اجتهد وتعب وعمل لكل رئيس كهنة « من رؤساء كهنة بلادنا » مديحاً لائقاً بكرسيه وابريشيته . ثم اثبت نصوص هذه المدائح هكذا :

« حلب : فلان المتكامل قدسه والمنطقي مطران المدينة المقدسة حلب الفائق الاكرام المتسلط على ابرشية سيريا الاولى الضابط لمدينة منبج وكافة البلاد القرائية بولا طا اتي » (١) .

اما القاب سائر المطارنة فهي هكذا : « المسلط على سائر ابرشية بار الياس » (٢) « لتروبوليت صور وصيدا » و « المسلط على سائر ابرشية ثيودور يادوس » « لتروبوليت اللاذقية » و « المسلط على سائر ابرشية فينيكي الاولى » « لتروبوليت طرابلس » و « المسلط على سائر ابرشية ارمينية الرابعة والضابط لمدينة الرها وبين النهرين » « لتروبوليت آمد » و « المسلط على سائر ابرشية فوسطرا اراية »

(١) وجاء باليونانية مثله تماماً مسع اللقبين اكسارخوس سورية الاولى وتوبوتيريش هيرابوليس وكافة البلاد القرائية .

(٢) *Paralias* الساحلية اي فينيقية الاولى وهي الساحلية

لمتروبوليت « المدينة المقدسة حوران » و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الثانية »
لمتروبوليت حمص و « المسلط على ساير ابرشية سوريا الثانية والضابط لمدينة ابامية
الشام » لمتروبوليت حماة و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الاولى » لمتروبوليت
بيروت و « المسلط على ساير ابرشيات كيليكيا الاولى والثانية والضابط لمدينة سلفكية
ايصورية » لمتروبوليت باياس و « المسلط على ساير جبل لبنان » لمتروبوليت
بعلبك و « المسلط على ابرشية جبل لبنان والضابط لمدينة عرقا » لمتروبوليت عكار
و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الثانية » لمتروبوليت الزبداني و « المسلط على
ساير ابرشية فينيكي الثانية » لمتروبوليت صيدنايا و « المسلط على ساير بلاد ارمينية
الكبرى » لمتروبوليت مدينة ثيودوسيوس اي ارضروم .

وتدل اخبار هذا البطريك على ان متروفانس ترأس ابرشية حلب وارميا
ابرشية صور وصيدا ونيوفيطوس ابرشية اللاذقية وملاطيوس ابرشية طرابلس
وثيوفانس ابرشية آمد وغريغوريوس ابرشية حوران واثناسيوس ابرشية حمص
وملاطيوس ابرشية حماة وفيلبوس ابرشية بيروت وجبرائيل ابرشية باياس حتى
السنة ١٦٤٤ وانطونيوس ابرشية بعلبك ونيقولاوس ابرشية عكار وجراسيموس
ابرشية الزبداني ولاونديوس ابرشية صيدنايا ومكاريوس ابرشية ارضروم .

انتقاء الكهنة والاكليروس : وتفيد الآثار التي خلفها مكاريوس وابنه
بولس ان المبادرة في انتقاء الكهنة خدمة الرعية كانت بيد الشعب . فلم يكن
البطريك او المطران يرسم كاهناً الا بموافقة من كان يخدم من الشعب . وكان
المرشح لهذه الرتبة يقدم صكاً من قومه يشهدون له فيه بالسيرة الصالحة والتقوى
واستقامة الايمان والعلم الكافي ويتعهدون له بالطاعة والدخل اللازم لمعيشته .
وكان الكاهن ينتقى في غالب الأحيان من أبناء الوجهاء والأعيان تشريراً له
ولاسرته . وكان بيته يعتبر بيت الطائفة وديوانها فيه يجتمع أعيانها ومنه تصدر
القرارات في الملأ والظروف الاستثنائية . وكان المطران او البطريك يجهز
الكاهن لدى رسامته ببيان يذكر فيه اسم الكنيسة التي ارتسم فيها واسم الكنيسة
التي ارتسم لخدمتها ووجوب تقديم الطاعة له والاحترام . وكان هذا البيان يدعى

ستاتيكوناً يتلوه الكاهن في كنيسته لدى وصوله اليها وتسلمه الرعاية فيها .
وقضت التقاليد الموروثة ببقاء هذا الكاهن في القرية التي رسم لها وعليها وبعدم
عزله قبل محاكمته بموجب الناموس والقوانين المقدسة .

اما المبادرة في انتقاء الاكليروس فانها كانت في يد البطريك او مطران
الابرشية . فقد يلاحظ هذا السيد ان احد الشبان يداوم على حضور الصلوات
ويشارك فيها بالقراءة والترتيل فيثبت من رصانته وتقواه ويقربه ويرغبه
بالكهنوت . فاذا ما وثق من رغبة أكيدة عني بأمر تعليمه اما بذاته او بواسطة
من يعتمد عليه ثم رسمه اناغنوساً وألبسه الصباية السوداء والقلنسوة الصغيرة .
ويظل هو حراً في أمر البقاء في الخدمة او تركها .

وقد يتميز احد الوجهاء من ابناء الطائفة بالتنزه عما يُعاب ويصون
العرض من الدنس وبعفة اليد واللسان وبالاندفاع في سبيل الكنيسة فيمنحه
البطريك او مطران ابرشية لقب شماس الكنيسة فيزداد هو بهذا اللقب وجاهة
وكرامة . وقد يسعى البعض لنيل هذا الشرف رغبة بما يناله من اجر وثواب .
وكان الشماسة نوعين شمامسة قلاية وشمامسة بيت واعمال . وكان على
شمامسة القلاية ان يعيشوا فيها ويقوموا ببعض الخدمات الادارية
والكنسية لابسين الثوب حافظين العفاف . وكان بإمكان هؤلاء ان يخلعوا الثوب
ويتزوجوا زواجا ناموسياً قبل ترقيتهم الى رتبة شماس انجيلي . اما شمامسة البيوت
والاعمال فانهم كانوا يزاولون صناعاتهم وتجاراتهم واعمالهم العادية كسائر افراد
الشعب ولا يأتون الى الكنيسة الا للاشتراك بالصلوات والاحتفالات الدينية .

ولم يذكر بولس ابن مكاريوس في اخبار الزيارة الرعائية التي قام بها
والده سنة ١٦٤٨ من الاديرة في سورية سوى دير صيدنايا ودير مار جرجس
الخميرة . وذكر ديري مار تقلا ومار سركيس في جوار معلولة ولكنه لم يذكر
ان والده قدس فيها . وليس هنالك اي ذكر لدير مار يعقوب قارا . وجاء في
اخبار هذه الرحلة ان البطريك زار دير السيدة في كفتين ودير مار يعقوب دده
ودير السيدة في الهمند ودير سيدة الراس ودير مار الياس شوبا (الشوير) وانه

قدس فيها جميعها . وجاء ايضاً ان البطريك زار دير سيدة حاطورة ودير سيدة النورية ودير مار الياس كفر قاهل ولكنه لم يرد ذكر لاقامة القديس فيها . واغفل الشاس بولس ذكر مار يوحنا الشوير ومار سمعان كفر عقاب . ولعل السبب في اهمال ذكر بعض الاديار وفي عدم اقامة القديس فيها انها كانت قد اُهملت فأُست غير لائقة بزيارة البطريك او باقامة القديس فيها . والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به هو ان الاضطرابات وقلة الامن وشدة الفقر كانت قد زعزعت الحياة الرهبانية في معظم هذه الاديار وان الديرين الوحيدين اللذين نالا شيئاً من العناية كانا دير صيدنايا ودير البلمند . ولا يخفى ان الاول كان ملجأً للدمشقيين المسيحيين والبطريك والكهنة في اثناء الضيق والاضطراب وقبلة انظار الارثوذكسين في جميع انحاء الكرسي الانطاكي لما اشتهرت به سيده من الحماية والمعونة وان الثاني كان ملجأً للطرابلسيين وقد رعاه بعنايته يواكيم متروبوليت طرابلس فجدد بناءه في السنة ١٦٠٣ .

المدارس الاكليريكية : ولم يكن هنالك مدارس اكليريكية عالية . وأُست قلايات المطارنة والبطريك افضل المدارس لرجال الاكليروس والكهنوت فكان الاناغنوسطس القائم في القلاية يدرس في مدرسة الطائفة التابعة لها . فيقرأ الاسفار المقدسة وتفسيرها المعربة عن اليونانية ويعنى عناية خاصة بمواعظ القديسين يوحنا الذهبي الفم وباسيليوس الكبير . ثم يعكف على تفهم كتاب المنطق ليوحنا الدمشقي او غيره ويتفهم عرض هذا القديس لقضايا الايمان القويم فيجده في كتاب « المنة مقالة » . وكان عليه ان يلم باللغة اليونانية قراءة وكتابة وباللغة العربية وان يجيد كتابتها وان يتعلم الطب ويمارسه بخير الرعاية . ولكي ينال الخطوة والترقية في درجات الكهنوت كان عليه ان يكون سالماً من كل عاهة بلا عيب جميل المناقب حلو الشائل رخم الصوت يجيد الترتيل باليونانية والعربية ليسبح الله في كنيسة ويذكر اجماده بين المؤمنين . واذا ما توفرت فيه هذه الشروط او معظمها واعظمها رقي الى درجة شماس انجيلي ثم الى درجة رئيس الشمامسة اي ارشدياكون .

انتقاء الاساقفة : ويتضح من اخبار الاساقفة الذين تمت سيامتهم في هذا

القرن السابع عشر ان عدداً كبيراً منهم جاؤوا من صفوف الكهنة المترملين فكانوا عاديين بعملهم وفضائلهم . وكان بعضهم غير لائق لتسليم العرش الاسقفي . ونخص بالذكر من هؤلاء اثناسيوس متروبوليت حصص ونسييه متروفانس متروبوليت حلب . وكانت المبادرة في انتقاء الاساقفة بيد البطريك والشعب . فاما ان يختار البطريك مرشحاً ويتصل بأعيان الابرشية التي يريد اسقفها عليها او ان يتقدم الاعيان من البطريك بمرشح يريدونه اسقفاً عليهم . وكان لا بد من اتفاق الطرفين على المرشح . وقد يكون هذا المرشح كاهناً مترملاً وقد يكون راهباً من رهبان القلايات او الاديار المهمة في الكرسي الانطاكي او في فلسطين او قبرص او احدى الجزر اليونانية او اي بلد ارثوذكسي اخر . ويلوح لنا ان الكلمة الاولى والاخيرة في انتقاء المرشح كانت للبطريك نفسه . وانه كان لا بد من اشتراك البطريك في الرسامة متعاوناً في ذلك مع بعض الاساقفة كما قضت شروط الشرطونية في جميع الكنائس . وكان لا بد من اصدار براكسيس بالسيامة يتضمن ذكر الرسامة وتاريخها والمذبح الذي تمت عليه والمذبح الذي اجريت لاجله .

انتخاب البطريك : والبطريك في عرف الكنائس الشرقية هو خليفة الرسل الاطهار ورئيس الكنيسة المحلية . وهو ايضاً رئيس العشيرة بكاملها اي زعيم الطائفة التي يرأس كما يدل على ذلك معنى اللقب نفسه وكما تؤكد المراجع التاريخية . وكان البطريك ايضاً اسقف كنيسة مدينة انطاكية نفسها . فكان لا بد والحالة هذه من اشتراك ابناء مدينة انطاكية في انتخاب البطريك الجديد ولا بد من موافقة اعيان الطائفة جمعاء . وبانتقال المركز البطريكي من انطاكية الى دمشق اصبح البطريك الانطاكي اسقف انطاكية واسقف دمشق ايضاً .

ولم يجر اي انتخاب بطريكي انطاكي بدون اشتراك المطارنة اصحاب الابرشيات الخاضعة لانطاكية . فهؤلاء هم الذين نصبوا البطريك الجديد في عرشه وهم السذين سلموه عكاز الرعاية . وهم الذين تولوا سيامته اسقفاً على الكتندرا البطريكية اذا كان كاهناً او شماساً .

وكان على البطريك الجديد ان ينال اعتراف السلطات الزمنية برئاسته

ليمارس الحقوق التي نصت عنها امتيازات محمد الثاني العثماني وكان هذا الاعتراف السلطاني يصدر ببراءة سلطانية يهد لها البطريرك المسكوني ويسهل الحصول عليها. وكانت السلطات تتقاضى بعض الرسوم والهدايا. فلما دب الفساد الى اداة الحكم تعاضمت هذه الرسوم والهدايا وتنوعت. فاضطر البطريرك الجديد ان يتحملها لدى وصوله الى العرش وان يأخذها فيما بعد من واردات الكرسي فنشأ عن هذا كله نوع من الدفع والقبض عرف في الاوساط الكاثوليكية الارثوذكسية بالسمعية نسبة الى سمعان طرابزون اول من تعاطى بها (١). وهي غير السيمونية التقليدية التي نبذتها الكنيسة منذ ايام الرسل الاطهار. وادى طمع الحكام في المال وطموح بعض الاساقفة الى الشغب على البطريرك الجالس ومحاولة خلعه واجلاس غيره محله والى غير ذلك من ظواهر الشر والفساد (٢).

سر الاعتراف : وترادفت الاسقام وتوالت الانصاب « فتخطى » الكهنة بعضهم بعضاً « ودفنوا وعمدوا وقندلوا » بدون اذن صاحب الجمعة . فنعمهم مكاريوس عن ذلك . ومنع الكهنة الغرباء عن قضاء مصالح اهل المدينة . وكان المسيحيون يهجمون على تناول الاسرار في الاعياد الكبيرة بدون اعتراف فصدر أمر البطريرك بوجوب اعطاء كل معترف بالخطايا ورقة تنبئ باعترافه يظهرها في الكنيسة لدى تقدمه من جسد الرب ودمه (٣).

مكاريوس والتعاليم البروتستنتية : واشتد الجدل في فرنسة في منتصف القرن السابع عشر بين اتباع كلوينوس وبين ابنساء الكنيسة الغربية . وأنكر الكالوينيون اسرار الكنيسة وسلطتها وغير ذلك من العقائد الكاثوليكية الغربية . ثم انحصر الجدل في حقيقة وجود المخلص في سر القربان الطاهر واستحالة الخبز والخمر الى جسد سيدنا ودمه . ودار الجدل مدة حول آيات الكتاب فافحم الكاثوليكيون الغربيون الكالوينيين . فادعى هؤلاء ان هذه العقيدة جديدة في

1) Papadopoulos, Th., Hist. of the Greek Church and People under Turkish Domination, 29, n- 2.

2) Ibid., 30 - 31, 122 - 158.

الكنيسة اخترعتها رومة منذ سنين معدودة . ثم اختلفوا في تعيين زمن الاختراع فحصره بعضهم في القرن السابع وآخرون في التاسع . وقال غيرهم ان القول بالاستحالة لم يعرف قبل القرن الثالث عشر. وزعموا ان آباء كنيسة الارثوذكسية الجامعة وآباء الكنائس الشرقية الاخرى ينكرون وجود المسيح وجوداً حقيقياً في سر الافخارستية ويرذلون استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد يسوع ودمه . فسعت الاوساط الكاثوليكية الغربية لدى السلطات الروحية الشرقية في تحصيل شهادات رسمية في معتقد هذه الكنائس الشرقية . فهب هؤلاء للدفاع عن هذا السير المقدس وقدم بطاركة الأقباط والأرمن واليعاقبة ما أثبت اشتراكهم مع رومة في قول واحد بسر الافخارستية (١).

ودبح مكاريوس في الخامس عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٧١ رسالة في الرد على « الارائقة الحديث ظهورهم الموجودين في بلاد غاليسيا اي القرانسا وغيرها من البلاد الافرنجية المقول لهم القلوينيين الذين أنكروا سائر تقاليدات الكنيسة الشرقية وغيروا وأبطلوا سائر ما وضعه الرسل الالهيين والآباء القديسين اصحاب الجامع السبعة المسكونية وأنكروا عادات الكنيسة الشرقية ونقضوا منها ثلاثة عشر اعتقادات صالحة » . ولا تزال مكتبة باريز الوطنية تحفظ نسخة رسمية عن هذه الرسالة ولعلها بخط صاحبها (٢). وقد نشرها الاب انطون رباط في مجلة المشرق ١٩٠٧ (٣). واليك خلاصة هذه الرسالة بلغة واضعها (٤).

« الراس الاول : قولهم عن الاسرار الطاهرة بأنها بعد تقديم الكاهن لها على المذبح وقوله عليها الكلام الجوهري بأنها تصير شبه جسد المسيح ودمه وليس هي بالحقيقة جسده ودمه . واعلم ان الانجيلية الاربعة كل واحد منهم أخبر بالهام الروح القدس بعض عجائب المسيح وجزء من وصاياه واما عن هذه الاسرار المقدسة فانهم كلهم أخبروا عنها بافصاح وانه قال عن الخبز والخمر الذي قدمه

(١) الآثار الشرقية في مكاتب باريز للاب انطون رباط اليسوعي : المشرق ١٩٠٣ ص ٥٠٢-٥٠٤

2) Cat. Mss. Arabes, 224, p. 57.

(٣) الطوائف الشرقية وبدعة الكالوينيين ص ٧٦٦ - ٧٧٣ و ٧٩٥ - ٨٠٢

(٤) وتوقيع حفيده كيرلس الثالث كما جاء في مسنن رسالة كيرلس الى البابا اقليمس الحادي عشر بتاريخ ٢٠ آب سنة ١٧١٦ . وسيرد نصها كاملاً في الفصل الآتي .

لهم بأن هما جسده ودمه الخاصيان بالحقيقة . فكيف يكون شبه جسده . فالقائلين هذا الكلام قد كذبوا وكذبوا انجيل سيدنا يسوع المسيح . وكذبهم فهو تلقين الشيطان وهو ظاهر مثل الشمس .

« الراس الثاني : وقالوا بأن الخبز والخمر في تمام الذبيحة ليس ينتقلان ولا يستحيلان من جوهرهما الخاصي . فأعلم ان السيد المسيح لم يقطع لحماً من جسده ولا أخرج منه دماً وأعطاه لتلاميذه لكنه قدم لهم خبزاً وخمراً وقال لهم بأن هذا هو جسدي وهذا هو دمي . فليخزوا اذاً القائلين عن هذه الأسرار بأنها شبه جسده ودمه .

« الراس الثالث : ثم ذكروا هولاي المخالفين ان عمل القداصات ليس فيه منفعة للأحياء والأموات . فأعلم بأن الآباء القديسين أمرونا بأن نذكر الأحياء والأموات في كل صلاة وقداص وجعلوا قداصات ايام السبوت كلها لأجل نياح الراقيين . وقد أمرنا بذلك ديونيسيوس قاضي العلماء وباسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغوس ويوحنا فم الذهب واثناسيوس الكبير . فن فعلها كان تابعاً لهؤلاء القديسين والذي ينكرها فهو من الأراطقة المخالفين .

« الراس الرابع : ثم قالوا هؤلاء الأراطقة بأن من يتناول الأسرار المقدسة ليس يتناوله بتمامه حقيقة . فأعلم بأن قد تقلدنا بأن الكاهن يتناول سائر ما قدمه ذلك اليوم . والعلماني الذي يتناول من الأسرار جزءاً يسيراً فان هما قد تناولا جسد المسيح ودمه بتمامه وليس جزءاً منه . ومن يتناول شيء يسير من جسد المسيح ودمه يتناول المسيح بتمامه كمثل من ينظر وجهه في المرآة ينظر جسده وصورته بتمامه . وكذلك اذا قطع تلك المرآة فانه ينظر في قطعة منها صورته بتمامها . والكاهن يقول قبل تناول الأسرار نفصل ونقسم حمل الله تقسيماً ونأكل منه كل حين وهو غير منتقصاً .

« الراس الخامس : ثم ان هؤلاء الاراطقة ينكرون سائر الأصوام المفروضة علينا من الله . فأعلم يا هذا بأن اول وصية امر الله بها لاينا آدم قوله من هذا كل ومن هذا لا تأكل . فن ها هنا أبان فريضة الصوم . وموسى صام اربعين يوماً وإيليا صام اربعين يوماً ودانيال صام ثلاثة سوايع . ثم سيدنا يسوع المسيح اعتمد وصعد الى الجبل وصام اربعين يوماً وعلمنا بأن كل معتمد يجب عليه في كل سنة بأن يصوم اربعين يوماً . وهكذا رسله القديسين بعد صعوده الى السماوات عملوا مجمع مقدس في اوروشليم ووضعوا فيه قوانين كثيرة مشهورة ومن جملتها امروا المسيحيين بأن يصوموا في كل اسبوع يومي الاربعاء والجمعة وان يصوموا الصيام الكبير في كل سنة مثل ما صام سيدنا يسوع المسيح . وكذلك الآباء القديسين وضعوا في المجمع المقدسة قوانين كثيرة شرعت لنا الأصوام المقدسة وهكذا قلدوا اولاد البيعة الأرثوذكسين جيل بعد جيل ان يحفظوا ذلك الى انقضاء العالم .

« الراس السادس : ثم ان هؤلاء الاراطقة يقولون ان لا يجب تكريم القديسين لأنهم لا يتفنون احداً من الذين يكرمهم اصلاً بالتجائه وتضرعه اليهم . فأعلم يا هذا بأنه اذا كان تكريم القديسين ليس هو بواجب فلماذا كرمهم الله تعالى في العتيقة وصنع على ايديهم المعجزات العظيمة وقال عن داود اعضد مدينة اوروشليم لأجلي ولأجل داود عبدي . وكيف لا يجب اكرامهم وهم أعباء المسيح وورثاؤه وكيف لا ننشيء هياكل لله باسمهم ونقرب النذور لهم ونكثر التوسل اليهم ولا سيما سيدتنا العذراء والدة الاله مريم رجاء الذين ليس لهم رجاء .

« الراس السابع : ثم ان هؤلاء الاراطقة يحاربون الايقونات المقدسة ويدعونها اصنام . فأعلم بأن سيدنا يسوع المسيح شمس العسل استبانته صورة وجهه المقدسة بألوان من الاصباغ على السبئية التي ارسلها ابجر ملك الرها وظهر منها عجائب لا ترام ولا تحصى . وايضاً بعد صعود السيد المسيح عمل لوقا ايقونة سيدنا يسوع المسيح ثم ايقونتين الرسولين بطرس وبولص ثم زوق ثلاث ايقونات على اسم سيدتنا والدة الاله . وبعد تكميلهم ذهب الى عند والدة الاله لأنها كانت

بعد بالحياة واخبرها بما فعله وطلب اليها ان تمضي معه وتشاهدهم وتباركهم فذهبت وحين نظرتهم تبسمت ثم باركتهم وقالت : النعمة التي خرجت مني وكانت في تكون عليهم وفيهم . واكرام الصورة واصل الى عنصرها الاول كما قال القديس باسيليوس الكبير . والآباء القديسين اصحاب المجمع السابع المسكوني قد افرزوا كل من لا يسجد للايقونات المقدسة وأحرموا الذين يزعمون ان المسيحيين يأهلونها .

« الراس الثامن : ويقولوا هؤلاء الارطاقة بأنه لا يجب ان يكون في الكنيسة طغمة الكهنوت . فاعلم بأن الكنيسة تدعى سماء ارضية . وكما انه في السموات طغيات الملائكة تسعة يخدمون الله ويسبحوه فهكذا في كنيسة المسيح التي على الأرض طغيات الكنيسة المقدسة يخدمون الله ويمنحون نعمة الكهنوت . وهم منصوبين بأمر الله وينيلوا المواهب للمؤمنين . والقديس باسيليوس يقول في قداسه اذكر يا رب الكهنة خدام المسيح و كل طغيات الكهنوت .

« الراس التاسع : وقال ايضاً هؤلاء الارطاقة بأن ليس يجب ان يكون في الكنيسة اسقفاً . فاعلم ان درجة الاساقفة ضرورية ولازمة في البيعة الارثوذكسية لأجل تدبير المسيحيين لان الأسقف تفسيره المشرف والراعي للرعية . والسيد المسيح يقول عن نفسه أنا هو الراعي الصالح . وهو الذي قبل آلامه سام يعقوب الرسول ابن يوسف وجعله اول اسقف على اورشليم وهو الذي بعد قيامته المقدسة قال لبطرس ارع خرافي . وبولص الرسول يقول تيقظوا لانفسكم وللرعية الذي اقامكم الله عليها اساقفة .

« الراس العاشر : وقالوا هؤلاء الارطاقة بأن كنيسة المسيح قد أخطت وما اصابها بحيث انها افرضت ووضعت قوانين لا يجب حفظها . اعلم بأن بيعة المسيح الكاثوليكية لم تخطي اصلاً . وهي منظورة دائماً على الارض وعادمة للضلالة . وهي اساس الحق وعمده ومعها المسيح الى انقضاء العالم . وفيها البارقليط وثابت معها الى الأبد . وهو الذي ألهم ونطق على السن الرسل الالهيين والآباء القديسين بأنهم وضعوا فيها

نواميس والقوانين والسنن والفرائض . ولم يخطوا بذلك لكنهم اصابوا وكانت جميع اقوالهم بالشرعية والحقيقة والطريقة . والقديس باسيليوس الكبير يقول في قداسه نحو الرب : وايضاً نطلب منك يا رب ان تذكر كنيسةك المقدسة الجامعة من اقصى المسكونة الى اقصاها التي اصطنعتها بدم مسيحك الكرم وسلمها وثبت هذا البيت المقدس الى انقضاء الدهر .

« الراس الحادي عشر : وقالوا هؤلاء بأن اصرار الكنيسة السبعة ليس هم حقيقة : فاعلم بأن الانبياء والرسل تكلموا فيهم وذكروا عن سبعة ارواح الله وبعضهم دعاهم مواهب وبعضهم نعم . وبالحقيقة انهم سبعة مواهب : العباد والميرون والاسرار المقدسة والاعتراف والزيت المقدس للمرضى واكليل الزواج والكهنوت .

« الراس الثاني عشر : ثم ان هؤلاء الارطاقة لم يعتقدوا بتحقيق في الكتب المقدسة كلها . فاعلم بأن الكتب المقدسة هي الاساس الى امانتنا . وليعلم هؤلاء المخالفين اننا نقبل كافة الكتب المقدسة الالهية التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسية وفي سائر الكتب التي للآباء القديسين . ومنها الابوكاليسيس ورسالة يعقوب اخو الرب وطوبيا ويوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين . فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدسة الطاهرة الارثوذكسية .

« الراس الثالث عشر : ثم ان هؤلاء الارطاقة يشنعون عنا لأجل اننا متمسكون بتقليدات الكنيسة الارثوذكسية المقدسة المقدم ذكرها . اعلم ان هذه الرؤوس المقدم ذكرها قد تسلمناها من الرسل الالهيين والآباء القديسين . ولعرفنا بأنها اعتقادات صالحة محقة اعتقدنا فيها اعتقاداً كلياً من صميم القلب وبصدق اللسان . وليخزوا القائلين كذباً عن كنيسةنا الطاهرة المقدسة انها تمسكت باعتقادات رومية فلتخرس السنهم . ونحن حين وكدنا الحق كتبناه بخط يدينا وختمناه بمدينة دمشق الحروسة انا الفقير ماكارايوس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى في اليوم العشرون من شهر تشرين الاول سنة ١٦٧١ مسيحية الموافق لسنين

ابونا آدم سبعة آلاف ومائة وثمانين وللهجرة الف واثنين وثمانين . ونحن بالله نستعين له المجد سرمداً . المجد لله دائماً ماكاريوس برحمة الله تعالى البطريك الانطاكي وسائر المشرق .

« وهذا الاعتقاد المفسر بلسان سيدنا البطريك فهو اعتقادنا نحن جماعة الروم وشهرت به أنا الحقير غريغوريوس باسم مطران بصرى وخوران وأنا الحقير يواكيم مطران حصن أقر واعترف بهذا الاعتقاد وأنا الخوري يوحنا ابن طاشات وأنا أيضاً الخوري يوسف ابن صيدح وأنا الخوري عبد العزيز هلال وأنا الخوري مخايل علم وأنا الخوري مخايل نقاش أقر واعترف بهذا الاعتقاد . أقر واعترف بهذا الاعتقاد بقلبي وفي أنا الحقير في الكهنة الخوري يوحنا المكشي بابن الذيب وأنا الخوري جرجس أقر واعترف بهذا الاعتقاد بقلبي وفي وفي أنا القسيس موسى وأنا القسيس يوسف » .

« باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد . وان بعد وضع ختمنا وخط يدنا على ما شرحنا اعلاه من الرؤوس السابق ذكرها سمعنا عن هؤلاء المخالفين المذكورين انهم قد زادوا في تجديدهم المتقدم قولنا عنه وبطلوا رسم الصليب على جبهاتهم ولم يعلموا ان هذه عادة مأخوذة من زمن سيدنا يسوع المسيح لأنه كان حين يكسر الخبز كان يختمه شكل الصليب على ما تقلدنا ذلك من باسيليوس الكبير وغيره من القديسين ، وكذلك كانوا يفعلوا رسل المسيح وهكذا القديس اغناطيوس المتوشح بالله بطريك مدينة انطاكية امر المسيحيين ان يفعلوا هكذا ومنه اشتهر هذا الأمر في سائر المسكونة . فن هذه الجهة صار رسم الصليب لازماً لسائر المسيحيين ان يرسموه على جبهاتهم واجسادهم ليتقدسوا به وتنطرد عنهم الشياطين .

« الراس الثاني : من أجل الرهينة وشروطها ونذورها وقالوا هؤلاء المخالفين بأن الشيطان قد ابدعها . فاعلم ان قبل مجيء سيدنا يسوع المسيح استساروا بهذه السيرة ايلياس النبي ويوحنا المعمدان . وحين حضر سيدنا يسوع المسيح فأراد ان يثبت هذه العادة الصالحة فقال من أراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني .

« الراس الثالث : وقالوا هؤلاء المخالفين بأن ليس لاحد من البطارقة ورؤساء الكهنة المعظمين سلطة بأن يمنع لأحد المسيحيين استغفارات لخطاياهم

وتكون نافعة للأحياء والأموات الذين فعلوا جنايات وعليهم قوانين . فاعلم بأن ربنا له المجد في اما كن كثيرة قال لرسله القديسين كلما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ومهما حللتموه على الأرض يكون مخلولاً في السماء . وثم انه بعد قيامته نفخ في وجه تلاميذه وقال لهم اقبلوا الروح القدس ان تركم لقوم خطاياهم تترك لهم ومن امسكتموها عليهم فلتمسك .

« الراس الرابع : ثم قالوا هؤلاء المخالفين بأن الله وضع على الناس وصايا ثقيلة لا يقدر على فعلها وانه لا يساعدهم بنعمته ومعونته الكافية . والجواب قال تعالوا الي ايها المتعبين والثقيلين الأحمال وانا اريحكم احمّلوا نيري فانه صالح وحلي خفيف .

« الراس الخامس : وقالوا هؤلاء المخالفين ان المسيح ليس مات عن جميع الناس بل عن بعض منهم فقط لأنه لم يريد خلاص الكل . فاعلم بأن هذا الكلام مخالف للشريعة المسيحية لأن بولص الرسول يقول لما كانوا جميع الناس خطاة مات المسيح عنهم ليخلصهم . وقال هو تعالى اسمه ما اتيت لأدعو الصادقين بل الخطاة الى التوبة .

« الراس السادس : وقالوا هؤلاء المخالفين بأن زيارة الأماكن المقدسة باطلة . فكيف أمر الله موسى بأن يأمر بني اسرائيل بأن يزورا اوروشليم وكيف كان رسل المسيح يطوفوا المسكونة ويعودوا الى اوروشليم ويسجدوا فيها . واكثر القديسين المعظمين ذهبوا الى هذه الأماكن المقدسة وسجدوا بها وحظوا بنعمة الروح القدس .

« الراس السابع : وذكروا هؤلاء المخالفين بأن الزيجة مسامح بها للرهبان والاساقفة وليس عليهم بذلك خطية . فاعلم بأن كل هؤلاء الاساقفة والرهبان قبل ان يلبسوا الاسكيم الملائكي كانوا قد نذروا على نفوسهم باختيارهم من غير اكراه ولا اغتصاب بانهم قد اوقفوا اسجادهم هياكلا لله . ثم ان رسل المسيح والآباء القديسين جميعهم امروا الاساقفة والرهبان بعدم الزيجة واستعمال العفة والطهارة .

« الراس الثامن : ثم قال هؤلاء الارباطقة بأنه ليس يجوز للمسيحيين بأن يصلوا في كنائسهم بالفاظ غريبة لا يعرفها اهل البلاد . فاعلم بأن الرسل القديسين تكلموا في سائر اللغات وخلقوا لنا بأن نصلي بأفضلها وان الشعب تتقدس مسامعه بتلاوة هذه الالفاظ الطاهرة اذا سمعوها الملائكة يحضروا والشياطين يهربون من قوتها ولاجل ذلك نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا ومنازلنا .

« ومها شرحناه في هذه الروس فهو من اعتقادنا القويم رأيه ووكدنا حقه بخط يدنا وختمناه في مدينة دمشق الخروسة في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٦٧١ مسيحية الموافق لستين أبونا آدم سنة ٧١٨٠ المجد لله دائماً ماكارىوس برحمة الله تعالى البطريك الانطاكي وسائر المشرق . هكذا آمنت أنا الحقير غريغوريوس مطران بصرى وحوران . وأقر أنا المطران يواكيم بهذه الامانة » .

امولوغية دوسيثيوس او رسالة البطاركة : (١٦٧٢) وعني دوسيثيوس بطريك المدينة المقدسة (١٦٦٩ - ١٧٠٧) بترميم سقف كنيسة المهسد . فلما انتهى من عمله هذا دعا في اوائل السنة ١٦٧٢ الكنائس الى الاشتراك معه في التدشين . فاجتمع في بيت لحم في العشرين من آذار واحد وسبعون اكليريكيّاً عالياً بينهم البطريك والمتروبوليت ورئيس الاساقفة والاسقف . وتفاوض المجتمعون في شؤون الكنيسة الجامعة فأقروا اموراً اهمها الرد على ما كان قد ذهب اليه كيرلس (لاسكارس) البطريك القسطنطيني في موقفه من كلونينوس وبعض آرائه الدينية الفلسفية . وأعد هذا الرد دوسيثيوس البطريك الاوروشيليمي فنسب اليه وعرف فيما بعد بامولوغية *Omologia* دوسيثيوس . وجاء في ثمانية عشر بنداً تتلوا اجوبة اربعة على اربع مسائل . ثم تبنى البطاركة في مجمع عقوده في القسطنطينية في السنة ١٧٢٣ هذه الامولوغية في ما ارسلوه الى الروس وما دعوه الاكثيسيس الارثوذكسي *Ekthesis* . واشترك في توقيع هذا الاكثيسيس كل من ارميا بطريك القسطنطينية واثناسيوس بطريك انطاكية وخريستوس بطريك المدينة المقدسة وعدد من اعضاء المجمع القسطنطيني المقدس . واطلق الرؤساء الروحانيون في روسية على هذا الاكثيسيس الاسم رسالة البطاركة فعرف به ايضاً منذ ذلك

الحين (١) . واليك تعريب الامولوغية كما أعده الشاس غفرائيل كرابتا كيس في السنة ١٩٠٤ وأقره البطريك الاوروشيليمي زاميانوس في التاريخ نفسه :

القضية الاولى : نؤمن بالله واحد حق ضابط الكل لا حدة له أب وابن وروح قدس أب غير مولود وابن مولود من الآب قبل كل الدهور ومساو له في الجوهر وروح قدس منبثق من الآب ومساو للآب والأب في الجوهر . وهذه الاقانيم الثلاثة نسميها ثالوثا اقدس في جوهر واحد تباركه البرايا بأسرها في كل حين وتمجده وتسجد له .

القضية الثانية : نؤمن بأن الاسفار الالهية موحى بها من الله . ولذلك يجب علينا ان نثق بها غير مرتابين ونصدقها دائماً على حسب ما فسرناها وسلمتها لنا الكنيسة الجامعة الارثوذكسية . نعم ان اصحاب البدع الرجسة يقبلون هم ايضاً الاسفار الالهية ولكنهم يحرفون فيها الكلمات عن مواضعها بادعاء ترادف الكلمات والتأويل والسفسطة بمقتضى حكم العقل والحكمة البشرية خالطين في ما لا خلط فيه ومتلاعبين في ما لا يباح التلاعب فيه . فلو صح ذلك وانفرد كل واحد بالرأي لما كانت كنيسة المسيح الجامعة حاصلة ، مع تمادي الأيام الى يومنا هذا ، على وحدة الرأي من جهة الايمان والثبات الدائم بدون ترزعز في اعتقاد واحد ولما كانت الكنيسة عمود الحق وقاعدته ولا خالية من الدنس والعيب بل كانت تنشق بالبدع الى فرق شتى فتصبح مجتمع اشرار خبيثاء . وهو ما صارت كنائس المراطقة والحال ظاهرة بلا اشكال . وهؤلاء مع كونهم قد تعلموا من الكنيسة الجامعة فانهم يرفضونها عن خبث ورداءة . اما نحن فانا نعتقد ان شهادة الكنيسة الجامعة ليست اقل من شهادة الاسفار الالهية لأن مبدعها واحد هو الروح القدس . واذا كان مصدر شهادة الكنيسة اي التقليد الشريف وشهادة الاسفار الالهية واحداً فلا مشاحة في ان تعليمها ايضاً واحد . ثم انه اذا تكلم انسان اياً كان من عنده فن الممكن ان يخطيء ويضل ويضل . اما الكنيسة الجامعة فاذا كانت لم تتكلم

1) Papadopoulos, Ch., Dositheos, Nea Sion, 1907, 97 - 168; Hardouin, Acta Conciliorum, XI, 179 - 274; Florovsky, G., The Orth. Churches and the Ecumenical Mvt., 182 - 188.

قط ولا تتكلم ابداً من تلقاء نفسها بل انها تكلمت وتكلم من الروح القدس «الذي يغني المعلم ايضاً الى الدهر» فلا يمكن اصلاً ان تخطيء او تضل او تضل بل هي متفقة مع الكتاب الالهي . وهي ثقة على الدوام في ما تعلمه .

القضية الثالثة : نؤمن بأن الله الفائق الصلاح منذ الأزل قد اختار البعض فعينهم للمجد ورفض آخرين فسلمهم للدينونة . ولكنه لم يشأ تبرير الاولين ولا دينونة الآخرين على بساط الحال وبدون علة فان ذلك لا يليق بالله جلّ شأنه ابي الكل الذي ليس عنده محاباة الوجوه ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (تيموثاوس ٢ : ٤) بل نظر ان الاولين يستعملون حريتهم حسناً والآخرين رديئاً فأنازل اولئك ما عينهم له وقضى على هؤلاء . ونحن انما نفهم باستعمال الحرية ان النعمة الالهية المنيرة التي ندعوها اعدادية الموهوبة بفرط الصلاح الالهي نوراً للموجودين في الظلام الذين يريدون ان ينصاعوا لها لانها انما تنفع من يريد لا من لا يريد وان يرتضوا بما توصي هي به مما هو ضروري للخلاص نقول ان هذه النعمة تمنحهم نعمة خصوصية تساعدتهم وتقويهم وتجعلهم ثابتين في محبة الله اي في ما يريد الله ان يفعلوه من الخير مما فرضته النعمة الاعدادية وتكملهم وتبررهم وتجعلهم معينين للخير بسابق التحديد . اما الذين لا يريدون ان ينصاعوا للنعمة ويرتضوا بها ومن ثم لا يعملون بما يريد الله ان يفعلوه بل يستخدمون الحرية التي نالوها من الله لاستعمالها طوعاً في فعل الخير ويستعملونها في الحركات الشيطانية فهؤلاء يدفع الله الى الدينونة الابدية .

اما ما يقوله المهرطقة من ان الله تعالى سبق فيحدد البعض للخلاص والبعض للدينونة بقطع النظر عن اعمال كل منهم فاننا نعتبره قولاً شنيعاً مردوداً دنساً جداً . فلو كان ذلك صحيحاً لنا قضت الاسفار الالهية بعضها بعضاً لانها هي تعلم ان المؤمن يخلص بالاعمال وان الله تعالى انما هو السبب بمنحه النعمة المنيرة قبل الاعمال لكي توضح للانسان حقيقة الالهيات وتعلمه ان ينصاع لها ان شاء ويفعل الخير وما هو مرضي عند الله فينال الخلاص . فالطاعة لله او عدم الطاعة له لا تقتضيان ارادة الانسان او عدم ارادته . او ليس هوساً بل جنوناً الزعم بأن

الارادة الالهية هي علة للاعمال تفعل عفواً او بدون داع . او لا يكون هذا الزعم وشاية بحق الله جلّ شأنه وتظلماً وتجديفاً عليه تعالى . فاننا نعرف بأن الله بريء من الشر يريد خلاص الجميع على السواء وانه لعدله يسمح بدينونة للذين ضلوا بسوء ارادتهم وصلابة قلوبهم وعدم توبتهم خطاة دنسين . فلا تزعم البتة بكون الله القائل انه يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب سبباً للعذاب الابدی وينبوع قساوة وعدم تحن ومقت للبشر معاذ الله ان نؤمن بمثل ذلك او يتبادر فهمنا اليه ما دمنا غير فاقددي الشعور واننا نوثق الذين يقولون مثل ذلك ويعتقدون به بالحرم الابدی ونعترف بأنهم اقبح كل الكافرين .

القضية الرابعة : نؤمن بأن الله المثلث الاقانيم الاب والابن والروح القدس هو خالق كل ما يرى وكل ما لا يرى . ونعني بما لا يرى القوات الملائكية وكل النفوس الناطقة والشياطين . « على انه من المعلوم ان الله لم يخلقهم شياطين بل هم من تلقاء ارادتهم أمسوا كذلك .

وبما يرى نعني السماء وكل ما تحتها . ولما كان الخالق سبحانه وتعالى كلي الصلاح بالطبع صنع كل ما صنعه حسناً جداً ولا يمكن ان يكون خالق الشر اصلاً . فان رأينا في الانسان او الشيطان شراً ما اي خطيئة حادثة على خلاف الارادة الالهية فيكون ذلك صادراً اما عن نفس الانسان او نفس الشيطان . فانه لا شر في الطبيعة مطلقاً . وهي قاعدة صادقة ثابتة ان الله ليس بخالق الشر وبالتالي فلا يحق ان يحكم على الله بخلق الشر .

القضية الخامسة : نؤمن بأن كل المخلوقات منظورة كانت أم غير منظورة تسوسها العناية الالهية . فالشرور كيف ما كانت يسبق الله فيعرف ويسمح بحدوثها ولكنها لا تحدث عن عناية له اذ ليس هو خالقها ولكنه عملاً بصلاحه الالهي يحولها احياناً بعد حدوثها الى شيء افضل على قدر طاقة البشر . ولذا فانه يفرض علينا والحالة هذه ان نحمل العناية الالهية لا ان نبحث في احكامها المكنونة وغير المعلنة لنا البتة بل كل ما سلمتناه الاسفار الالهية عن هذه العناية الالهية يجب علينا ان نبحث فيه بطيب خاطر وسلامة ضمير لانه يجدي نفعاً للحياة

الابدية وبالتالي فانه يجب ان نقبل المعاني الاولى على الله سبحانه وتعالى بدون شك ولا ارتياب فيها .

القضية السادسة : نؤمن بأن الانسان الاول المخلوق من الله في الفردوس سقط بغواية الحية وخالف وصية الله فنتجت الخطيئة الجدية بالتسلسل فلم يولد احد بدون ان يكون حاملاً على عاتقه هذا العبء ويشعر بعواقب هذه الخطيئة في هذا الدهر . وبقولنا عبثاً وعواقب لا نعني الخطيئة كالكفر والتجديف والقتل والعداوة وما شاكل ذلك مما يضاد مشيئة الله لحدوثه لا حدوثاً طبيعياً بل عن خبث ارادة فان كثيرين لم يكونوا قد ارتكبوا ما اشبه تلك الزلات كالاجداد والانبياء وغيرهم وكثيرين لا يحصون عدداً ممن عاشوا في شريعة الظل شريعة الحق مثل يوحنا السابق الالهي ولا سيما مريم ام كلمة الله الدائمة بل بقولنا عبثاً وعواقب نعني اقتراب الشر منا وكل ما نال الانسان بالمعصية من قبل العدل الالهي قصاصاً له كعرق التعب والضيقات والأمراض الجسدية وانحاض الولادة والعيشة بالشقاء والآتاعاب في دار الغربية هذه واخيراً الموت الجسدي .

القضية السابعة : نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله قد احتمل الاخلاء أعني انه قبل في اقنومه الخاص البشرية اذ حبل به من الروح القدس في بطن الدائمة البتولية مريم وتأنس وولد دون ان يسبب وجعاً او مخاضاً بمن صارت امه بالجسد او ان ينزع بتوليته . وانه تألم وقبر وقام بمجد في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب . ونحن ننتظر مجيئه الثاني ليدين الاحياء والاموات .

القضية الثامنة : نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد وانه بذل نفسه فداء عن الكل واجرى بدمه الخاص المصالحة بين الله والناس وانه يعني بخاصته فهو المعزي والكفارة عن خطايانا . ونعترف ايضاً بأن القديسين هم شفعاء في صلواتهم وتوسلاتهم الى الرب ولا سيما ام كلمة الله الكلية الطهارة والملائكة القديسين الذين نعتبرهم شفعاء لنا والرسول والانبياء والشهداء والابرار

وكل الذين مجدهم الله جل جلاله لكونهم خداماً امناء له . ونحصى في مصافهم رؤساء الكهنة والكهنة ايضاً لكونهم اشخاصاً دأبهم المثل امام المذبح الالهي . وكذلك الرجال الصديقون المختارون بقضائهم . وذلك لاننا نتعلم من الاقوال الالهية ان نصلي بعضنا من اجل بعض وان صلاة الصديق تقدر كثيراً وان الله يستجيب للقديسين اكثر مما يستجيب للمنغمسين في الخطايا . ونعترف ايضاً بأن القديسين لا يكونون وسطاء وشفعاء وهم في دار الغربية هذه فقط بل بعد الموت ايضاً وخاصة متى تخلصوا من المرأة فصاروا يشاهدون عياناً الثالوث الأقدس الذي بنوره الغير المحدود تنجلي لاذهانهم معرفة شؤوننا لاننا كما لا ترتاب بأن الانبياء وهم بالاجساد يعلمون الامور الساوية وبه يوحون الى الناس المستقبلات كذلك لا نشك بأن الملائكة ايضاً ومن أصبحوا كالملائكة من القديسين يعلمون امورنا بواسطة ذلك النور الالهي الذي لا حد له بل بالاحرى نؤمن نحن بذلك ونعترف به من دون ادنى ارتياب .

القضية التاسعة : نؤمن بأن لا احد يخلص بدون ايمان . والايمان في عرفنا هو الاعتقاد القويم بالله ولا بهليات . فهذا الايمان عندما يفعل بالحجة اي بالوصايا الالهية يبررنا لدى المسيح . وبدونه لا يمكن ان نسترضي الله .

القضية العاشرة : نؤمن بأن الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية الارثوذكسية التي تعلمنا ان نؤمن بها تضم في احضانها كل المؤمنين بالمسيح عموماً اي الموجودين في دار الغربية هذه ولم ينتقلوا بعد الى الوطن السماوي . فبعض المراطقة يتوهمون اننا نخلط بين الكنيسة التي في دار الغربية هذه والتي في الوطن وذلك لان اعضاءهما هم خراف لله رئيس الرعاة وانهم يتقدسون بالروح القدس الواحد . ولكن زعمهم هذا لا محل له وهو غير ممكن . فالاولى من الكنيستين لا يزال تجاهد الى الان وهي في الطريق والثانية قد حازت الظفر ونالت الجائزة واستقرت في الوطن . ولما كان غير ممكن للانسان المائت ان يكون رأساً ابدياً لهذه الكنيسة الجامعة كان من الواضح ان رأسها هو ربنا يسوع المسيح نفسه القابض يمينه على ادارتها ومديرها بالآباء القديسين . ومن

ثم جعل الروح القدس لكل كنيسة على حدة من الكنائس التي يحق ان تدعي كنائس . وهي مؤلفة من اعضاء حقيقيين مدبرين ورعاة هم رؤساء على وجه الحقيقة لا المجاز ينظرون الى راس خلاصنا مكمله واليه وحده يعززون اتمام الفعل المختص بالرئيس . ان الهراطقة قد اضافوا الى بدعهم الشنيعة اعتقادهم بأن الكاهن ورئيس الكهنة هما واحد لا فرق بينهما وانه يمكن على ذلك ان يستغنى بالاول عن الثاني وان الكنيسة تساس بواسطة بعض الكهنة فقط وان كاهناً يمكنه ان يشرطن كاهناً وان عدداً من الكهنة يشرطون رئيس كهنة .

وعن خبث يزعمون متشددتين بأن الكنيسة الشرقية تشاركهم بهذا الاعتقاد اما نحن فاستناداً الى رأي الكنيسة الشرقية منذ القديم نعترف بأن رتبة رئيس الكهنة هي بهذا المقدار ضرورية للكنيسة حتى انه بدونها لا يمكن وجود كنيسة ولا وجود مسيحي او تسميته بذلك . فان رئيس الكهنة بصفته خليفة للرسل وبنوالة على التسلسل من الرب بوضع الايدي واستدعاء الروح القدس موهبة الحل والربط الممنوحة لهم انما هو صورة لله حية على الارض وبمساهمته كمال فعل الروح القدس هو مصدر لجميع اسرار الكنيسة الجامعة التي بها تنال الخلاص . فأصبح وجوده في الكنيسة والحالة هذه ضرورياً بمقدار ما التنفس ضروري للانسان والشمس للعالم . ولذلك حق تقوم ان يقولوا في مديح رتبة رئيس الكهنة انه كما يعتبر الله في كنيسة الابكار السماوية والشمس في العالم كذلك يعتبر كل رئيس كهنة في كنيسته على حد سوى لأن الرعية تتألف به وتزهر وتصير هيكل الله .

ومن الواضح ان سر الاسقفية العظيم ودرجتها يمنحان بالخلافة الى يومنا هذا . فان الرب بقوله انه سيكون معنا الى الابد ، مع كونه معنا على طرق لنعمته واحساناته غير هذه متنوعة ، انما يقصد انه يختصنا بذاته ويكون معنا بواسطة شرطونية الاسقفية وانه يتحد بنا بواسطة الاسرار المقدسة التي يضمها بواسطة الروح ويرأس حفلاتها الاسقف الذي لا يدع ان نسقط في الهراطقة . ولذا قال يوحنا الدمشقي في رسالته الرابعة الى اهالي افريقية ان الاساقفة عموماً قد ائتمنوا

على الكنيسة بأسرها وان كليمنضوس اول اساقفة رومة وافذويوس اسقف انطاكية ومرقس اسقف الاسكندرية يعترف بكونهم خلفاء بطرس . والقديس اندراوس اقام استاخيس خليفة له في كرسي القسطنطينية . وفي اوروشليم المدينة العظمى المقدسة اقام السيد له المجد يعقوب خليفة وبعد يعقوب قام اسقف آخر ثم آخر وهكذا حتى يومنا هذا . وعلى ذلك دعا في رسالته الى بابيانوس كل الاساقفة خلفاء للرسل . وافساييوس الملقب بمفيلس يشهد بخلافة الاساقفة للرسل ويكون منزلتهم وسلطانهم رسوليين . ويشهد بذلك الآباء القديسون ايضاً عموماً الذين لا حاجة الى تعدادهم وتؤكدوا العادة الجارية منذ القديم في الكنيسة الجامعة .

ومن الواضح ايضاً ان درجة الاسقف تمتاز عن درجة الكاهن البسيط . فان الكاهن يشرطن من الاسقف . واما هذا فلا يشرطن من الكاهن بل اتباعاً للقانون الرسولي يشرطن من رئيسي كهنة او ثلاثة . والكاهن ينتخب من الاسقف واما رئيس الكهنة فلا ينتخب من الكهنة اي القسوس ولا من ذوي المناصب والرتب المدنية ولو امتازوا بالفضيلة بل من مجمع الكنيسة الكبرى التي في الاقليم الواقعة فيه المدينة المراد اقامة اسقف لها او على الاقل من مجمع الابرشية التي يقام لها الاسقف . فان حدث احياناً ان تنتخب مدينة ما اسقفاً فلا يتم ذلك بمجرد انتخابها لان الانتخاب يعرض اذ ذاك على المجمع . فاذا رأى الانتخاب قانونياً يشرطن المنتخب بوضع ايدي الاساقفة واستدعاء الروح القدس عليه والا فينتخب المجمع من يشاء فيشرطن ويرقى الى درجة الاسقفية . ثم ان الكاهن يحفظ في نفسه فقط سلطان الكهنوت ونعمته التي حصل عليها . واما رئيس الكهنة فيهبها لغيره ايضاً . ومن نال من رئيس الكهنة رتبة الكهنوت فله يحق ان يتم سر المعمودية المقدسة وصلاة الزيت المقدس والذبيحة غدير الدموية ومناولة الشعب جسدينا يسوع المسيح ودمه الاقدسين ومسح المعمدين بالميرون المقدس وتكليل الذين يتزوجون زواجا شرعياً من الحسني العبادة والصلاة من اجل المرضى ومن اجل خلاص كل الناس واقبالهم الى معرفته . وخاصة من اجل ترك وغفران خطايا الحسني العبادة من احياء واموات . وان

امتاز بالخبرة والفضيلة فبعد ان يأخذ السلطان عن الاسقف يسوغ له ان يصلح من يقصده من المؤمنين ويقودهم الى سبيل الفوز بالملكوت السماوي . ويقام واعظاً في البيعة المقدسة . اما رئيس الكهنة فعلاوة على تنميته كل ما يتممه الكاهن ، لانه مصدر للاسرار الالهية وموهاب للروح القدس كما تقدم القول ، يحق له وحده ان يصنع الميرون المقدس وله وحده يحق ان يشرطن ويعنح الرتب والدرجات الكنسية . وله وحده يحق على وجه خاص ومن باب اولى ان يربط ويحل . وحكمه حسن القبول عند الله حسب قول الرب وتعليم الانجيل المقدس . وهو يناضل عن الايمان المستقيم ويطرد المخالفين من حظيرة الكنيسة كوثنيين وعشارين ويرشق الهرطقة بالحرم والاناثيا ويبدل نفسه عن الخراف . ومما تقدم يتضح لنا جلياً الفرق بين الكاهن البسيط ورئيس الكهنة وعدم مقدرة كل كهنة العالم على رعاية كنيسة الله وتدبيرها بدون رئيس كهنة .

وقد أحسن أحد الآباء بقوله انه ليس بأمر هين ان نجد هرطوقياً حكيماً عاقلاً . فان الهرطقة يتركهم الكنيسة تركهم الروح القدس فلم يبق عندهم حكمة ولا نور بل ظلام وصلابة قلب . ولولا ذلك لما اعترضوا على اوضح الامور التي منها سر الاسقفية العظيم حقاً . وقد علمتنا عنه وأثبتته وأكדתه لنا الاسفار الالهية وكل التواريخ الكنسية والآباء القديسون في مؤلفاتهم . ولا تزال الكنيسة الجامعة تتعاطاه وتعترف به .

القضية الحادية عشرة : نؤمن بأن اعضاء الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية انما هم المؤمنون كلهم الذين يعتقدون اعتقاداً لا يخامره ريب بايمان مخلصنا يسوع المسيح الذي لا عيب فيه . وهذا الايمان قد أعلنه المسيح نفسه والرسل الاطهار والحجاء المسكونية المقدسة ولئن كان بعضهم قد سقط تحت طائلة خطايا متنوعة لأن مثل هؤلاء لو لم يكونوا اعضاء للكنيسة لما كانت الكنيسة تحكم عليهم . والآن فاذا كانت الكنيسة تحكم عليهم وتدعوهم الى التوبة والندامة وتقودهم الى اتباع الوصايا الخلاصية فانهم لعدم قنوطهم وقطع رجائهم ولما برتهم على الاعتصام بايمان الكنيسة الجامعة القويم مع كونهم مدسسين بالخطايا لا يزالون اعضاء للكنيسة الجامعة وهكذا تعرفهم هي .

القضية الثانية عشرة : نؤمن بأن الكنيسة الجامعة انما تتعلم من الروح القدس فانه هو المعزي الحقيقي الذي يرسله المسيح من عند الأب ليعلم الحق ويطرد الظلام عن اذهان المؤمنين . وتعليمه يزين الكنيسة بواسطة آباء الكنيسة الجامعة القديسين ورؤسائها . فانه كما ان الاسفار الالهية بأسرها هي كلام الروح القدس ، وهكذا تدعى لأن الروح القدس نطق بها رأساً بل بواسطة الرسل والانبياء ، كذلك الكنيسة تتعلم من الروح القدس الحي وذلك بواسطة الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة السذين من المقرر ان دستورهم هو الحجاج المسكونية المقدسة . ولا أزال اكرر ذلك مراراً كثيرة . ولذلك قد اقتنعنا بأن الكنيسة الجامعة لا يمكن ان تخطيء او تضل او تؤثر حيناً ما الكذب على الصدق بل نقر معترفين بصدق اقوالها وصحتها لا محالة . فان الروح القدس السذي يفصل دائماً بواسطة الآباء القديسين والرؤساء الخادمين بأمانة بقي الكنيسة من كل ضلال .

القضية الثالثة عشرة : نؤمن بأن الانسان لا يبرر بمجرد الايمان بل بالايمان المقرون بالحبة اي بالايمان والاعمال . واما الزعم بأن الايمان الخالي من الاعمال يتم به تبريرنا بالمسيح فتبلغ انخلاص فتل هذا الامر نعتبره بعيداً عن كل صحة في الاعتقاد وحسن العبادة . فلو كان الايمان على هذه الصفة لكان شائعاً لكل الناس وكان الكل يخلصون . وهذا كذب محض فنحن نؤمن بأننا لا بالايمان وحده نبرر بالمسيح بل بالايمان المقرون بالاعمال . وهذه الاعمال ليست بشهود تثبت ميلنا بل هي اثمار قائمة بذاتها وبها الايمان يأخذ صورة عمله ظاهرة لينال كل واحد من المؤمنين حسب الوعد الالهي ما يقتضيه عمله وهو في الجسد خيراً كان ام شراً .

القضية الرابعة عشرة : نؤمن ان الانسان قد تهوّر بعصيانته فائل البهائم واشبهها اي انه شوه صورته وسقط من رتبة الكمال وعدم التألم . ولكنه لم يجرد عن الطبيعة والقاعلية اللتين نالهما من الله الكلي الصلاح لانه لو تجرد منها لم يكن بعد ناطقاً بل لم يكن انساناً . ولذا نؤمن بأنه حائز على تلك التي بها خلق وعلى فاعليتها . وهي الحرية حية فعالة الى درجة انه يقدر بطبيعته ان يختار

الخير ويكره الشر ويهرب منه. فلا يليق بنا والحالسة هذه ان نزع من ان الطبيعة الصالحة المخلوقة من الله الكلي الصلاح هي عادمة الفاعلية الصالحة لاننا بزعمنا هذا نعتقد بأن الطبيعة رديئة. فان فاعلية طبيعة الانسان تكون على ذلك معلقة. واما طبيعة الخالق فلا ولئن اختلفت الطريقة. اما كون الانسان يستطيع ان يعمل الخير من تلقاء طبيعته الذاتية فان السيد له الحمد اثار الى ذلك بقوله ان الوثنيين ايضاً يحبون الذين يحبونهم. وبولس الرسول علم بذلك في رسالته الى رومة (١ : ١٩) وفي مواضع اخرى حيث قال ان الامم الذين ليس لهم ناموس يعملون بالطبيعة بما في الناموس. فيتضح من ذلك ان الخير الذي يعمله الانسان لا يمكن ان يكون خطيئة لان الخير لا يمكن ان يكون شراً. على ان الخير عندما يجري بمجرد الطبيعة ويغلب بتعاطيه جسدياً لا روحياً لا يفيد شيئاً، وهو مجرد بدون ايمان، لاجل الخلاص ولا يفضي بالانسان الى الدينونة لان الخير ان كان خيراً فحاشا ان يكون مصدراً للشر. وهذا الخير عند الذين اعيدت ولادتهم بالنعمة يجعل من يفعله بالنعمة كاملاً اهلاً للخلاص. فالانسان اذا يستطيع قبل اعادة ولادته ان يميل بطبيعته الى الخير وان يختار ويفعل الخير الادبي. ولكنه بعد اعادة ولادته فلنكي يعمل الخير الروحي، وانما نسمي اعمالاً روحية اعمال المؤمنين المسيحية الخلاص المفعولة بنعمة خارقة الطبيعة، يلزمه ان تسبق وتذكره النعمة كما قلنا آنفاً في كلامنا عن سابق التحديد بحيث لا يستطيع الانسان من تلقاء نفسه ان يعمل عملاً يكون به اهلاً للحياة المسيحية ولكنه يستطيع على ارادة الرضوخ للنعمة او عدم ارادة ذلك.

القضية الخامسة عشرة : نؤمن بأن الاسرار الانجيلية في الكنيسة انما هي سبعة وان عددها في الكنيسة لا ينقص عن ذلك ولا يزيد. وما خالف هذا العدد في الاسرار هو بدعة هوس شنيعة. وهذه الاسرار السبعة قد اشترعها نفسه كسائر عقائد ايمان الكنيسة. فان المعمودية المقدسة قد فرضها الرب بقوله اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس (متى ٢٨ : ١٩) وبقوله من آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان (مرقس ١٦ : ١٦).

وسر الكهنوت سلمه بقوله اصنعوا هذا الذكرى (لوقا ٢٢ : ١٩) وقوله كل ما تربطونه او تحلونته على الارض يكون مربوطاً او محلولاً في السماء (متى ١٨ : ١٨).

وسر الذبيحة الافخارستية الغير الدموية فقد سلمنا اياه بقوله خذوا كلوا هذا هو جسدي. واشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد (متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٨) وبقوله ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم (يوحنا ٦ : ٥٣).

وسر الزواج سلمه بذكره ما قيل عنه في العهد القديم بقوله تثبيتاً لذلك ما جمعه الله فلا يفرقه انسان (متى ١٩ : ٦) وبولس الرسول يدعوه سرّاً عظيماً (افسس ٥ : ٣٢).

وسر التوبة الذي حليفه سر الاعتراف سلمه لنا بقوله : من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت (يوحنا ٢٠ : ٢٣) وقوله ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون (لوقا ١٣ : ٣).

وسر الزيجة المقدس المعروف باليونانية بافثيليون قد ورد ذكره في مرقس البشير (١٣ : ٦) واثبته يعقوب اخو الرب في رسالته جلياً (١٤ : ٥ و ١٥). اما الاسرار فهي مؤلفة من شيتين طبيعي وخارق الطبيعة. وليست هي علامات بسيطة لمواعيد الله بل نعرف بأنها اثر للنعمة نافذة بالضرورة ومؤثرة في من يتلقن معرفة الاسرار. ونرفض الزعم بأن كمال السر يقتضي تناول المادة الطبيعية. ونعتبر ذلك غريباً عن التعليم المسيحي لانه مناقض لسر الافخارستية الذي سن بما قاله المخلص نفسه وتقدس باستدعاء الروح القدس فكملت به استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه. وهذا الكمال يتقدم على تناول لانه لو لم تكن الاستحالة كاملة قبل تناول لما كان من اساء في تناول يا كل ويشرب دينونة لنفسه متناولاً خبزاً وخمراً بسيطين فبتناوله اياها بدون استحقاق انما يأكل ويشرب دينونة لنفسه. فالسر اذاً يكمل لا حين تناول بل قبله. وكذلك نرفض الزعم بأن السر يحصر كماله بتناوله بقله ايمان وتنبذ ذلك نبذ قذارة ورجاسة. فان

المراطقة الذين بعد رفضهم بدعهم وانضمامهم الى الكنيسة الجامعة لقبولهم الكنيسة مع عدم كمال ايمانهم تعتبر معموديتهم كاملة بحيث لا تعيد معموديتهم متى كمل ايمانهم .

القضية السادسة عشرة : تؤمن بأن المعمودية المقدسة المأمور بها من الله التي تم باسم الثالوث الاقدس هي من اعظم الضروريات فانه ليس احد يستطيع ان يخلص بدونها حسب قول الرب : « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت السموات » (يوحنا ٣ : ٥) . وهي على ذلك ضرورية للأطفال ايضاً لانهم هم ايضاً تحت طائلة الخطيئة الجديدة وبدون المعمودية لا يمكنهم ان ينالوا المغفرة عنها . والرب تأكيذاً لذلك لم يستعمل التقييد في كلامه في ذلك بل الاطلاق والتعميم قائلاً من لم يولد أعني كل الذين يدخلون بعد مجيء مخلصنا المسيح الى ملكوت السموات يجب ان يولدوا ثانية . فإن كان الاطفال بشرأ وكانوا محتاجين الى الخلاص فانهم محتاجون الى المعمودية ايضاً . ومن لا يعتمد منهم فهو لعدم نواله المغفرة عن الخطيئة الجديدة لا يزال تحت قصاص الخطيئة الابدي اللازم عنها وعلى التالي لا خلاص له بدون المعمودية . ومن ثم كان من باب الضرورة ان يعمدوا . وقد ورد عن خلاص الاطفال قول متى البشير : « ومن لا يعتمد لا يخلص » . فمن الضروري على ذلك تعميد الاطفال . وقد ورد ايضاً في اعمال الرسل (١٦ : ٣٣) قوله ان البيوت كانت تعتمد اي باطفالها . وقد شهد بذلك الآباء القديسون شهادة صريحة . منهم ديونيسيوس في مؤلفه المعنون « في الرئاسة الكهنوتية » ويوستينوس في المطلب السادس والخمسين حيث يقول صريحاً عن الاطفال انهم يستحقون ما يترتب على سر المعمودية من الخيرات بايمان مقدميهم الى المعمودية . وافغوستينوس يقول : « ان من التقليدات الرسولية ان يخلص الاولاد بالمعمودية » وفي موضع آخر يقول : « ان الكنيسة تجعل للأطفال ارجل الغير لكي يأتوا اليها وقلوب الغير لكي يؤمنوا وألسنة الغير لكي يبعدوا » . ويقول ايضاً : « ان الأم الكنيسة تمنح اولئك قلوب امهات » .

وسر المعمودية انما يجري بالمواد بالماء الصافي لا بسائل آخر ويتم على يد

كاهن وعند الضرورة القصوى يجوز ان يتم على يد انسان غيره علماني شرط ان يكون ارتوذ كسياً قاصداً الغاية الملائمة لجوهر المعمودية المقدسة .

اما فوائد المعمودية فهي بالاجمال هذه : اولا مغفرة الخطيئة الجديدة وكل ما يكون قد ارتكبه المعتمد من الخطايا . ثانياً النجاة من العقاب الأبدي الذي يكون مقتضياً به عليه اما بسبب الخطيئة الجديدة او الخطايا المميتة التي يكون قد ارتكبتها . ثالثاً منح غبطة الخلود لان المعمودية تبرر الانسان من الخطايا السالفة وتجعله هيكلًا لله فلا يسمح لنا والحالة هذه بان نقول ان الخطايا التي يكون الانسان قد ارتكبتها قبل المعمودية لا تحل كلها بل تلبث ولكنها لا تقوى . فان هذا الزعم مقع من معظم الكفر وهو مناف لحسن العبادة على خط مستقيم . بل نقول ان كل خطيئة سبقت المعمودية او ارتكبتها الانسان قبلها تضمحل بها وتعتبر كأنها لم تكن او لم تحدث . لان الرمز الدالين على سر المعمودية وكل العبارات المقبولة التي تدل على كل منها تجعل السر كاملاً وتشير الى كمال التطهير .

ثم ان اسماء المعمودية ايضاً تظهر وتوضح ذلك . فان كانت المعمودية بالروح والنفار فمن الواضح ان التطهير للجميع يكون كاملاً لان الروح يظهر تطهيراً كاملاً . وان كان نور فالظلام ينحل وان كان اعادة ولادة فالقديم يزول . وليس هذا القديم الا الخطايا . وان كان المعتمد ينزع الانسان العتيق فيكون بذلك قد خلع الخطيئة ايضاً . وان كان يلبس المسيح فيكون قد اصبغ بالفعل بواسطة المعمودية بلا خطيئة لان الله بعيد عن الخطاة . وبولس الرسول يعلم باجلى بيان قائلاً لانه كما انه بمصيبة انسان واحد جعل الكثيرون خطاة كذلك بطاعة واحد يجعل الكثيرون ابراراً . فان كنا ابراراً فنحن معترفون من الخطيئة لانه من المستحيل اجتماع الحياة والموت . وان كان المسيح قد مات حقاً فالمغفرة بالروح هي ايضاً حقيقية . فمن ثم يتضح ان كل الاطفال الراقدين بعد تعميدهم يخلصون لا محالة لانهم قد اعدوا لذلك من ذي قبل بموت المسيح . فان عرئ الاطفال من كل خطيئة من الخطيئة العمومية تخلصهم بواسطة الحميم الالهي ومن الخطايا الخاصة لتعذر ارتكابهم شيئاً منها وهم لا ارادة لهم فعلاً . فلا ريب

بأنهم يخلصون . ثم ان المعمودية تأثيراً لا يمحى . فان من اعتمد مرة معمودية صحيحة لا يمكن ان تعاد معموديته ثانية ولو ارتكب خطايا لا يحصى عددها بل لو اتصل الى جحود الايمان نفسه . فانه ان اراد اذ ذاك الرجوع الى الرب لنال بواسطة الندامة التيني الذي يكون قد اضاعه .

القضية السابعة عشرة : نؤمن بان سر الافخارستية الكلي قدسه الذي جعلناه فيما تقدم رابعاً في تعداد الاسرار هو ذاك السر بعينه سلمه الرب في الليلة التي فيها اسلم نفسه فداء عن حياة العالم . فانه أخذ حيثنذ الخبز وبارك وأعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلاً : « خذوا كلوا هذا هو جسدي » . وأخذ الكأس وشكر وقال : « اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي يهرق عنكم مغفرة الخطايا » (متى ٢٦: ٢٦ - ٢٧) . ونؤمن أنه في تكميل هذا السر يحضر ربنا يسوع المسيح لا على وجه رمزي او على سبيل التشخيص او بفرط نعمة كما يحضر في باقي الاسرار وانه لا يحضر حضوراً مجرداً كما قال بعض الآباء عن حضوره في سر المعمودية ولا على سبيل الامتزاج بحيث يتحد لاهوت الكلمة بجزء الافخارستية اقنومياً كما يعتقد اتباع لوثيروس عن جهل وغرور بل حضوراً حقيقياً فعلياً حتى انه بعد تقديس الخبز والخمر ينقلب ويستحيل ويغدو اما الخبز فنفس جسد الرب المولود في بيت لحم من الدائمة بتوليبتها مريم والمعتمد في الاردن والماتم والمدفون والناهض من بين الاموات والصاعد الى السماء والجالس عن يمين الآب والمزمع ان يأتي على سحب السماء . واما الخمر فيستحيل ويغدو نفس دم الرب الحقيقي الذي اريق عن حياة العالم على عود الصليب .

ونؤمن ايضاً انه بعد تقديس الخبز والخمر لا يبقى جوهرهما المادي بل يغدوان نفس جسد الرب ودمه تحت هيئة الخبز والخمر .

ونؤمن ايضاً بأن جسد الرب ودمه الطاهرين يتناولان ويدخلان في افواه ومعد المشتركين فيها سواء حسنت عبادتهم ام ساءت غير انها يمنحان من يتناولهما عن حسن عبادة واستحقاق مغفرة الخطايا والحياة الابدية ومن يتناولهما عن سوء عبادة وغير استحقاق فدينونة وعذاباً ابدياً .

ونؤمن ايضاً بأن جسد الرب ودمه يجزأان ويفصلان ولكن ذلك يجري عليهما على سبيل العرض العارض للخبز والخمر اللذين نظن بأنهما منظوران وملموسان غير انهما يلبثان بنفسهما غير منقطعين ولا مقسمين البتة . ولذلك تقول الكنيسة الجامعة : « يفصل ويجزأ حل الله الذي يفصل ولا يتقسم الذي يؤكل دائماً ولا يفرغ ابداً ولكنه يقديس المشتركين باستحقاق » .

ونؤمن ايضاً بأن كل جزء وقطعة من الخبز والخمر المستحيلين مهما كان صغيراً ليس هو بجزء من جسد الرب ودمه بل هو كل السيد المسيح بجملته هو هو بنفسه ولا هوته الهاً تاماً وانساناً تاماً ومن ثم فباقامته قدايس عديدة في ساعة واحدة في المسكونة كلها لا يكون اجساد متعددة للمسيح بل يحضر المسيح نفسه الواحد حضوراً حقيقياً فعلياً ويكون كلا جسده ودمه واحداً في كل كنائس المؤمنين المتفرقة الاماكن . ولا نقصد بكلامنا هذا ان جسد السيد الموجود في السماوات ينزل ويحل على المذابح بل ان خبز التقديم المقدم في كل الكنائس المتفرقة الاماكن يستحيل ويتبدل بعد التقديس فيصير نفس جسده الذي في السماوات لأن جسد الرب في كل الاماكن المتعددة هو واحد لا متعدد . ولذلك كان هذا السر عجباً . ويدعي عجباً وانما يدرك بالايمان لا بسفسطات الحكمة البشرية التي ديانتنا الحسنة العبادة والمسلمة من الله ترفض ميلها الباطل الناشئ عن جهل وغباوة الى استطلاع الامور الالهية والتنقيب عنها بنور العقل البشري .

ونؤمن ايضاً بوجوب تكريم جسد الرب ودمه اللذين في سر الافخارستية مزبد الاكرام وان نسجد لهما سجود عبادة . فان السجود للرب ولجسد ودم الرب واحد : ونؤمن بأنه ذبيحة حقيقية تكفيرية تقرب عن كل المسيحيين الحسني العبادة الاحياء والاموات ومن اجل منفعة الجميع كما ورد في صلوات هذا السر المسلمة من الرسل الى الكنيسة عن امر الرب الصادر لهم .

ونؤمن ايضاً بأن الخبز المقدس المحفوظ في مستودعات الهيا كسل لمناولة المشرفين على الموت بعد تقديسه وقبل تناوله هو ايضاً نفس جسد الرب الحقيقي لا يفرق عنه اصلاً بحيث يغدو بعبد التقديس وقبل تناوله وحال تناوله وبعبد تناوله نفس جسد الرب الحقيقي بكل الوجوه .

وبحسب اعتقادنا لا نغني بكلمة استحالة الكيفية التي بها يتقلب الخبز والخمر الى جسد الرب ودمه فإن ذلك يتعذر ادراكه اصلاً على الجميع ما عدا الله تعالى وينسب الى المعتقدين به الجهل والكفر بل انما نغني بها ان الخبز والخمر بعد تقديسهما يتحولان الى جسد الرب ودمه لا على وجه الرسم ولا على سبيل التشخيص ولا بفرط النعمة ولا بشركة لاهوت الله الوحيد او حضوره فقط ولا بطريق العرض اي عرض الخبز والخمر يغدوا عرضاً لجسد المسيح ودمه على سبيل التحويل او التبديل بل يغدو حقيقة وفعلاً وجوهرياً اما الخبز فنفس جسد الرب واما الخمر فنفس دمه كما تقدم .

ونؤمن ايضاً بأن سرّ الافخارستية المقدس انما يتم على يد كاهن حسن العبادة مشروطاً قد منح درجة الكهنوت من اسقف قانوني حسن العبادة على مقتضى تعليم الكنيسة الرسولية . فهذا رأي الكنيسة الجامعة واعترافها الصادق وتقليدها القديم جداً في هذا السرّ ايضاً على وجه الايجاز . ولا يجب ان يشوّه مطلقاً على اي وجه كان من قبل حسني العبادة عن رغبة في الاحداث وميل الى بدع الهرطقة الرجسة وانتحالها . بل يجب ان يحفظ التقليد المفروض المسلم سالماً ثابتاً غير متزعزع لان الكنيسة الجامعة ترفض وتحرم كل من يخالفه .

القضية الثامنة عشرة : نؤمن بأن نفوس الراقيدين هي اما في الراحة او في العذاب بمقتضى عمل كل منهم . فانها بعد انفصالها عن الاجساد تنتقل في الحال اما للفرح والسرور واما للحزن وتنفس الزفريات . ومن المقرر ان لا الفوز يكون اذ ذاك كاملاً ولا الدينونة . فان كل واحد ينال ما يستحقه بفعله من الجزاء كاملاً بعد القيامة العامة حين تتحد النفس بالجسد الذي سلكت وهي فيه سلوكها الحسن او الردي .

اما الذين فسدوا بخطايا مميتة ولم يرقدوا على اليأس بل نادمين في حال حياتهم وهم في الاجساد بعد ولكنهم لم يلحقوا ان يأتوا بشيء من ثمار التوبة كذرف العبرات والسهر في الصلوات والحزن وتعزية الفقراء واخيراً اظهار الحجة لله وللقريب بالفعل، فنؤمن ان نفوس هؤلاء ايضاً تذهب الى الجحيم حيث تكابد

القصاص عما ارتكبه من الخطايا ولكنها تشعر بمستقبل النجاة منه . ونؤمن ايضاً بأن هذه النفوس تخلص بفرط الصلاح الالهي بواسطة صلوات الكهنة والصدقات التي يعملها أقارب المتوفي من أجله ولا سيما الذبيحة الغبير الدموية التي تقدمها الكنيسة الجامعة الرسولية خصوصاً عنه وذلك بطلب اقاربه وعموماً عن الجميع كل يوم . ومن المعلوم ان زمن النجاة غير معلوم عندنا . ولكننا نعلم ونؤمن ان هتق مثل هذه النفوس من عذاباتها يكون قبل القيامة والدينونة العامة لجاهلين تعيين وقته .

هل يباح لكل من المسيحيين عموماً ان يقرأ الكتاب المقدس ؟ : كلا ! لاننا نعرف ان الكتاب المقدس بجملته موحى به من الله ومفيد . وهو بهذا المقدار ضروري يحد نفسه حتى انه بدونه لا يستطيع الانسان ان يحسن عبادته على وجه ما ولكننا لا نرى ان الجميع يمكنهم قراءته بسهولة قراءة تفيدهم بل الذين بالبحث اللائق يتعمقون في معاني الروح ويعرفون كيف يبحث في الكتاب المقدس وكيف يقرأ بوجه الاجمال . ومن ثم كان من المسموح لكل انسان حسن العبادة ان يسمع تعليم الكتاب المقدس لكي يؤمن بالقلب للبر ويعترف بالفهم للخلاص . ولكنه يحظر عليه ان يقرأ بعض مواضع من الكتاب المقدس لا سيما العهد العتيق للأسباب السابق ذكرها وما اشبهها . وتوصية عديدي الخبرة بعدم قراءة كل الكتاب المقدس هي موازية تماماً لتوصية الأطفال بعدم اتخاذ قوت قوي .

هل الكتاب المقدس واضح المعنى لكل من يقرأه من المسيحيين ؟ : لو كان الكتاب المقدس واضح المعنى لكل من يقرأه من المسيحيين لما كان الرب له المجد سمح بالبحث عنه للراغبين في نوال الخلاص ولكان باطلا قول بولس الرسول ان موهبة التعليم قد جعلت في الكنيسة ولما قال بطرس الرسول عن رسائل بولس الرسول ان فيها ما يعسر فهمه . فيتضح جلياً ان من المعاني ما هو عويص وسام جداً وان البحث فيه يختص برجال متأهي الالباب وذوي علم قانون لادراكه على وجه الحقيقة ولعرفته معرفة صحيحة وفهمه فهماً مطابقاً لكل فحوايه ولمقصد ميدعه الروح القدس . وبناء على ذلك فان الذين قد اعيدت

ولادتهم وان كانوا معتصمين بالايمان بالثالوث الاقدس وعاملين ومعترفين بتجسد ابن الله وآلامه وقيامته وصعوده الى السماء وما قبل عن تجديد الكون والدينونة مما لم يحجم كثيرون منهم عن احتمال الموت لأجلها لا يلزمهم بل يتعذر عليهم ان يعرفوا تلك الامور ايضاً التي انما كشفها الروح القدس للذين تمرنوا بالحكمة وتروضوا بالقداسة .

كيف يجب ان نعتقد بالايقونات المقدسة وبالسجود للقديسين ؟ :
لما كان القديسون ، كما قلنا في القضية الثامنة ، شفعاء ، وهكذا تعتبرهم الكنيسة الجامعة ، صح لنا ان نقول اننا نكرمهم كأصفياء لله مبتهلين من أجلنا الى اله الكل . ونحن نكرمهم على نوعين : الواحد ندعوه فرط العبودية وهو تكريم ام كلمة الله . فان والدة الاله ، وان تكن امة للاله الواحد فهي امه لولادتها احد أقانيم الثالوث بالجسد . وعلى ذلك تسبح كفائفة على كل الملائكة والقديسين بغير قياس . ومن ثم نقدم لها سجود فرط عبودية . والثاني اكرام مجرد عبودية نقدمه ساجدين للملائكة والرسل والانبياء والشهداء وكل القديسين عموماً .

وكذلك نسجد لعود الصليب المحيي الكريم الذي تألم عليه مخلصنا لخلاص العالم . وكذلك لرسم الصليب المحيي والمذود بيت لحم الذي به خلصنا من البهيمية ولموضع الجلجلة والقبر المقدس المانح الحياة ولسائر المزارات المقدسة والاناجيل الشريفة والاواني المقدسة التي بها تم الذبيحة غير الدموية . ونكرم ايضاً القديسين مبجلين اياهم بتذكارات سنوية وأعياد حافلة عامة وبناء هياكل شريفة وتقديم ندور الهية . ونسجد ايضاً ونكرم ونقبل ايقونة ربنا يسوع المسيح ووالدة الاله الفائقة القداسة وكل القديسين بل ايقونات الملائكة القديسين ايضاً مصورين اياهم على هيئة ظهورهم لبعض الاجداد والانبياء . ونصور كذلك الروح القدس على هيئة حمامة كما ظهر .

فان قال البعض عنا اننا نعبد اوثاناً بسجودنا للقديسين وصورهم وباقي ما ذكر آنفاً فأننا نعتبر قولهم افكاً وبهتاناً لأننا انما نعبد الله

المثلث الاقانيم لا سواه . اما القديسون فأننا نكرمهم لسببين الاول نسبتهم الى الله لأننا من أجله نكرمهم والثاني نسبتهم الى انفسهم لأنهم صور لله حية . وتكرميناً لهم بالنسبة لانفسهم يدعى تكريم عبودية كما تقدم . اما تكرميناً للايقونات المقدسة فهو تكريم اضافي يتجه الى الاصل الذي تمثله الايقونة . فان من يسجد للايقونة انما يسجد للاصل الذي تمثله . وشرف الايقونة ومن تمثله واحد لا يتميز وذلك كما يكون شرف السفير الملوكي ومن يرسله .

اما ما يتمسك به مثل هؤلاء من آيات الكتاب المقدس لاثبات رأيهم بأن اتخاذ الايقونات وتكرمينها اجداث فلا يجديهم نفعاً كما يرغبون بل بالاحرى يظهر ملاماً لنا . فنحن لدى قراءتنا الكتاب المقدس نبحث عن الوقت والشخص وعن المثل والمرادف والسبب فنرى ان الله الأحد تارة يقول : « لا تصنع لك تمثالا ولا صنماً ولا تسجد لهما ولا تعبدهما » وأخرى يأمر بصنع شاروبيم . وعند معاينتنا ثيراناً واسوداً في الهيكل ولا نتعصب في فهم معناها ، فانه لا ايمان في التعصب ، بل نعتبر الزمان وباقي ما يلزم اعتباره فننقو بوضحة المعنى والرأي . فقولنا لا تصنع لك صنماً ولا تمثالا هو في اعتقادنا مرادف تماماً لقوله لا تسجد لآلهة غريبة اعني لا تعبد الاوثان . ومن ثم جرت العادة في الكنيسة من عهد الرسل بالسجود للايقونات المقدسة سجوداً نسبياً يكون محفوظاً به سجود العبادة لله وحده . وكلام الله غير متناقض . واذ كانت الوصية انما تتعلق بعبادة الاوثان فانك ترى انه قد صنع قديماً شاروبيم وكذلك صور اي تماثيل للملائكة تمثلهم على هيئة ظهورهم وكانت تكرم ويسجد لها .

ومن يذكرهم الاضداد من القديسين مدعين انهم قالوا انه لا يسمح بالسجود للايقونات فانهم بالاحرى يعضدون معتقداً . فان القديسين المنوه عنهم اطلقوا كلامهم في نضالهم على المقدمين للايقونات سجود عبادة الذين احضروا صور اقربائهم المتوفين لتعليقها في الكنائس فأوجبوا عليهم الاناثيا لا على السجود الصحيح للقديسين وللايقونات وللصليب الكريم وباقي ما تقدم ذكره ولا سيما وان الذين ذكروا وجأهروا في مؤلفاتهم بوجود الايقونات

المقدسة في الكنيسة وبالسجود لها من عهد الرسل هم كثيرون . وقد شاركهم في ذلك في ما بعد المجمع السابع المسكوني المقدس الذي اشهر كل احداث للهراطقة في ذلك خازياً ممقوتاً .

ولما كان هذا المجمع المقدس قد أفهمنا صريحاً كيف يجب ان نسجد للايقونات المقدسة وأوضح كل ما سبق ذكره آنفاً وأوجب الاناثيا على الذين يسجدون للايقونات سجد عباداة او ينسبون الى الارثوذكسين عباداة الأوثان بسجودهم للايقونات فاننا نوجب نحن ايضاً مع الاناثيا على الذين يسجدون لقديس او ملاك او ايقونة او صليب او عظم قديس او اناة مقدس او انجيل او شيء آخر مما في السماء فوق وما في الأرض وفي البحر سجد عباداة . ونقدم سجد عباداة لله وحده المثلث الأقانيم ونوجب الاناثيا على الذين يزعمون ان السجود للايقونات هو عباداة لها فلا يسجدون لها ولا يكرمون الصليب والقديسين كما قلدنا الكنيسة .

ونحن نسجد للقديسين وللأيقونات على المنوال الذي تقدم الكلام عنه ونصورها لزينة الهياكل ولكي تكون اسفاراً للاغبياء وموضوع قدوة لهم بفضائل القديسين وذكرى وواسطة لنمو شغفهم بهم وتنبيههم الى السجود للرب دائماً كسيد واب . وللقديسين كعبيد له ومساعدين وشفعاء لنا .

على ان الهراطقة يقبحون نفس صلاة الحسني العباداة الى الله ولا نعلم كيف يخصونها بالنسك فقط . اما نحن فنعترف ونقر بأن الصلاة هي مناجاة الله وطلب للخيرات الملائمة التي نرجو نوالها منه تعالى والارتقاء بالعقل نحو الله واتجاه الفكر نحوه تعالى عن حسن عباداة وطلب الساويات وعون للنفس المقدسة وعبادة مكرسة لله وعلامة توبة ورجاء وطيد لا ريب فيه . وهي تتم اما بالعقل فقط او بالعقل والصوت معاً . ويعتبر فيها صلاح الله ورحمته وعدم استحقاق الطالب المصلي وشكره وموعد خضوعنا لله في المستقبل . وهي تتضمن ايماناً ورجاء وثباتاً وحفظاً للوصايا ولا سيما الساويات . ولها ثمار كثيرة لا حاجة الى تعدادها . وتقام على التواتر بالانتصاب وباحتناء الركب . ومنفعتها عظيمة

جداً حتى انها تعتبر قوتاً وحياة للنفس . وكل ذلك يستنتج من الكتاب المقدس واضحاً حتى ان من يطلب برهاناً عليه يشبه الجاهل او الاعمى الذي يحاول انكار وجود نور الشمس في رابعة النهار .

واما الهراطقة فاذا أرادوا ان لا يدعوا شيئاً مما أوصى به المسيح بدون تهشم تطاولوا على الصلاة ايضاً . ولكنهم لا ينجلون من ان يسيثوا العبادة قاصدين بذلك ان يجعلوا البسطاء يعضونهم ويعتبرونهم كدنيين ومحدثين ولا يطيقون ان يتعلموا منهم عقائد الايمان الحسن القويم . فان خصمنا الشيطان حكيم في الشر وبصير في الاباطيل ولذلك لا يحلو لاتباعه ، ومنهم هؤلاء الهراطقة خاصة ، ان يحسنوا العبادة بمقدار ما يتوقون ويهتمون بأن يتهوروا في هوات الشرور ويتهمشون في اماكن لا يفتقدها الرب .

والان فلنسألهم ما هي صلوات الرهبان على زعمهم . فان قالوا مثبتي ان الرهبان انما يفعلون من تلقاء انفسهم اموراً غريبة لا تتلاءم وديانة المسيحيين القويمة ننضم الى رأيهم فلا نعتبر الرهبان رهباناً بل لا نعتبرهم مسيحيين ايضاً . ولكن اذا كان الرهبان يذيعون مجد الله وعجائبه في الارتقاء العقلي ويعظمونه على الدوام بلا انقطاع وفي كل حين على قدر الطاقة البشرية وذلك بأناشيد التسبيح والتمجيد المتواصلة تارة مرتلين بعض آيات الكتاب وطوراً مقتبسين التسابيح منه فيصدعون ناطقين بما يوافقه نقر ونعترف انهم بذلك يعملون عملاً رسولياً ونبوياً وبالاخرى ربانياً .

وعلى ذلك فنحن ايضاً بترتيلنا في كتاب المعزي والتريودي والمناون لا نعمل عملاً غير لائق بمسيحيين لان مثل هذه الكتب تتكلم عن اللاهوت كلاماً اجمالياً ومفصلاً . ونرتل بها تسابيح منها ما هو مقتطف من الكتاب المقدس بقصد ان تكون عباراته العبارات الملائمة المؤمنين اكثر ملائمة وأسهل فهماً . ولكي ينضح جلياً اننا نرتل دائماً محاوي الكتاب المقدس نردف كل طروبانية مما نرتل بآية ، استيخن ، من الكتاب المقدس . واذا كنا نرتل ونقرأ ما لثيقاراً من الصلوات وما وضعه غيره من الآباء القدماء فليقل لنا المضادون اي تجديف واي شيء

مناقض لحسن العبادة اتى به هؤلاء حتى ننبذه ونرفضه معهم .

فان اقتصر الهراطقة على القول ان مواصلة الصلاة بدون انقطاع مضر بهم وبنا فليخاصموا المسيح . وقد قال مثل القاضي الظالم في وجوب مواصلة الصلاة وعلمنا ان نسهر ونصلي لكي ننجو من الضيقات ونتمكن من الوقوف امام ابن البشر . وليخاصموا ايضاً الرسول لما قاله في الاصحاح الخامس عشر من رسالته الاولى الى اهل تسالونيكي وفي مواضع اخرى كثيرة غيره . واني ادع زعماء الكنيسة الجامعة الالهيين من عهد المسيح الى عهدنا يتكلمون فانه يكتفي الاضداد خزيًا بمتابعة ومواصلة الاجداد والرسل والانبياء للصلاة .

ولما كانت اعمال الرهبان بمثابة اعمال الرسل والانبياء بل بمثابة اعمال الآباء القديسين واجداد المسيح انفسهم كان من الواضح ان صلواتهم هي اثمار الروح القدس فاتح المواهب . اما ما أحدثه الهراطقة مجدفين في ما يتعلق بالله والالهيات ومفسرين الكتاب المقدس على خلاف معانيه الصحيحة ومحرفين فيه فهو من سفسطات الشيطان واختراعاته .

ثم لا فائدة مما يقوله الهراطقة في ان لا يمكن الكنيسة ان تأمر بالاوصام والامتناع عن بعض المآكل بدون اضطرار ولا اغتصاب فالكنيسة تقصد امانة الجسد وكل اهوائه وقد احسنت جداً بأمرها بالصلاة والصوم اللذين صار الآباء القديسون قدوة لنا فيها وبهما . ومع النعمة التي من العلي يضمحل خصمنا الشيطان وكل جنوده وقواته بسهولة ويسم الطريق الموضوع لحسن العبادة . ولما كانت الكنيسة الجامعة قد بنت أراءها في ذلك فهي لا تضطر ولا تكره احداً بل تعزي وتنصح وتعلم تعاليم الكتاب المقدس وتقنع بقوة الروح القدس .

مكاروريوس ورومة : ويختلف الباحثون من اخواننا الروم الكاثوليكيين

في موقف مكاروريوس من رومة واسقفها . فيرى صديقنا المرحوم الخوري قسطنطين الباشا ان مكاروريوس اعترف بسلطة رومة وقال قولها . ويجادله في ذلك صديق آخر هو المرحوم حبيب الزيات فيرى ان مكاروريوس قال قول رومة واتخذ معها ثم عاد الى الانشقاق وتوفي غير كاثوليكي .

وتنحصر أدلة الخوري قسطنطين الباشا في ما يلي : (١) ان طائفة الروم لم تكن في عهد مكاروريوس منقسمة الى طائفتين كما هي اليوم بل كانت واحدة وكان مكاروريوس وحده بطريركها لا شريك له فيها . (٢) ان طائفة الروم لم تجهر آنئذ بالانشقاق والانفصال ولم يناقض احد من ابناءها تعليم الكنيسة الرومانية في تأليف او رسالة . (٣) ان الاشتراك في القدسيات مع الروم لم يكن ممنوعاً في ذلك العهد بل كان مباحاً جارياً بالفعل . (٤) ان كنيسة الروم كانت كاثوليكية بتعليمها وصلواتها وسائر طقوسها بخلاف باقي الطوائف الشرقية من ارمن وسريان واقباط وكلدان وان هؤلاء هراطقة مشهورون محرومون من شركة الكنيسة الكاثوليكية ولم يكن قد دخل الى كنيسة الروم الانطاكية عيد فوطيوس ولا عيد غريغوريوس بالاماس . (٥) ان احبار رومة لم يمنعوا الكاثوليك عن الاشتراك مع الروم الا بعد ان امتازت كل فئة من هذه الطائفة عن اختها باكليروسها وصورة ايمانها وتعليمها بشأن قضايا الخلاف . (٦) ان الكاثوليك لم يستطيعوا المجاهرة آنئذ باتحادهم مع رومة . (٧) ان السلطات العثمانية اعتبرت الروم وحدهم اهل للذمة واعتبرت الكاثوليك اعداء الاسلام لكثرة الحروب التي شنها ملوك اوروبة الكاثوليكيون على السلطنة . (٨) ان البطريك مكاروريوس كان كاثوليكياً على هذا الوجه وان اشترك في القدسيات مع الروم جرياً على العادة القديمة . فانه لم يشاركهم في انفصالهم بل بعكس ذلك كان بسلوكه وكلامه وكتابات كاثوليكية تماماً على ما تقتضيه احوال تلك الايام . فانه أمضى صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي بخط يده امام شهود ثقة وهي محفوظة في سجلات مجمع انتشار الايمان . ثم اعلن ذلك مصرحاً بصحة هذا الايمان في مواقف رسمية في كنيسة امام بطاركة ومطارنة وقناصل ومرسلين من شرقيين وغربيين او افرنج كانوا من معارفه واصحابه الذين عرفوه تمام المعرفة (١) .

ولا حاجة الى تفنيد هذه التعميمات التي تفتقر الى التدعيم بالنصوص المعاصرة الكاملة العدالة والضبط . بيد انه لا بد من الاشارة الى ان المسلمين لم

(١) نخب من سفرة البطريك مكاروريوس بقلم ولده الشهاب بولس، عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا : الملحق ص ١١٩ - ١٢٣ .

يفرقوا في الاعتراف باهل الذمة بين ارثوذكسي وكاثوليكي بل اطلقوا هذا الاصطلاح الفقهي على جميع النصارى واليهود وعلى غيرهم ايضاً . ولا بد كذلك من القول ان اقرب دول اوروبة الى الدولة العثمانية آنئذ كانت دولة فرنسة « ابنة الكنيسة البكر » وابعدها واشدها عداوة كانت روسية الارثوذكسية .

ويستطرد الخوري قسطنطين الباشا فيقول : « ولازالة كل ريبة ينبغي لنا ان نورد هنا ما بلغ اليه بحثنا من هذه للشهادات الشافية بنصها :

(١) « قال الاب ميخائيل نو اليسوعي في الفصل السابع من الجزء الرابع من الكتاب الذي ألفه بالعربية سنة ١٦٧٠ ، وعنوانه « احتجاج كنيسة الروم على صحة ايمانها » ، رداً على من يعترض فيقول ان البطارقة على خلاف مع البابا : « من الذي اخبرك عن رأي البطارقة وافعالهم وهل اعترفوا عندك بكل سر خفي . فقد سمعتُ وقرأتُ ان بعضهم بعدوا عن هذا الرأي الردي ورموا الطاعة للبابا على الطريق الممكن لهم » .

ونحن نقول ان شهادة الاب اليسوعي ميخائيل نو ناقصة في العدالة والضبط وانها ضرب من الدعاية قصد بها صاحبها اجتذاب القراء الى طاعة رومة وانها غامضة مبهمة لا تذكر البطريرك مكاريوس ولا تعيينه .

(٢) « ان رئيس الرسالة اليسوعية في الشام الاب يوحنا اميو قال في السنة ١٦٥٠ : وبطريرك الروم المقيم هنا في دمشق الذي يلقب بالانطاكي ليس متعذراً اتحاده مع رومية نظير اسلافه . وهو رجل صالح يحسن الوعظ وان لم يكن قد تعلم الفلسفة واللاهوت . وهو يحبنا لان آباءنا ساعدوه وشفوه من مرضه اذ كان مطراناً على حلب . وعندما زار صيدا قابلي فيها احسن القبول . ومن دأبه ان يعظ جماعته بأنه ينبغي ان نحب الافرنج كأنهم اخوتنا في المسيح ولا يجوز لنا ان نتجنبهم . وكان لكلامه هذا نتيجة حسنة عند الروم . وهكذا فعل في طرابلس حيث سمعت بذاتي وعظه في كنيستهم . فلو كان متعلماً لكان احسن » .

ونحن نرى ان الاب قسطنطين تصرف في الترجمة فجاءت غير صالحة للاعتماد عليها . ومثال ذلك قوله بالعربية « الذي يلقب بالانطاكي » والصحيح

ان النص الافرنسي يقول « الذي يدعي انه بطريرك انطاكية » ! وكذلك عبارة الاب قسطنطين : « ليس متعذراً اتحاده مع رومية » والاصل الافرنسي ينص « الذي يمكن جعله صديقاً لرومة » ! (١) . والواقع انه ليس في هذا النص ما يخولنا القول ان مكاريوس كان « كاثوليكياً تماماً » كما يريد الاب الباشا . وجل ما يجوز استنتاجه ان هذا البطريرك اعترف بفضل الرهبان عليه في حلب فلاطفهم وانه اعتبر الرومانيين الكاثوليكين اخوة له في المسيح فلم يرض عن مقاطعتهم .

(٣) « ان رؤساء الرسالات الكاثوليكية في حلب قالوا انه اذ نظر هذا بطريرك الروم اضطر ان يقر ان الدين الحق هو مذهب الرومانيين او الافرنج ولهذا دعا القنصل المذكور والمرسلين لحضور قداس حافل في كنيسة ثم اعلن فيه لشعبه ان الافرنج سالكون حقاً الطريق المستقيم . ولما عرف ان القنصل عازم على السفر الى رومية وفرنسة ارسل معه رسالة الى البابا يعترف فيها بأنه هو الخبر الاعظم العام على الكنيسة الارثوذكسية وانه سيبدل جهده في سبيل اخضاع طائفته كلها للكنيسة الرومانية » .

وهنا ايضاً يسيء الاب قسطنطين التعريب . وكان اجدر به ان ينقل خلاصة الفقرة السابقة فيصنف الضيق الذي حل بالمسيحيين في حلب في شتاء السنة ١٦٦١ واضطهاد الحكام وان يذكر المساعدات المادية التي قدمها المرسلون الرومانيون فيقول « ولما رأى بطريرك الروم هذا اضطر ان يعترف بأن الدين الحقيقي كان عند الرومانيين وانه دعا القنصل والمرسلين لحضور القداس في كنيسة حيث اظهر لشعبه بأن الافرنج كانوا سالكين طريق الخلاص . ثم بعد ذلك علم ان القنصل سيضطر الى السفر الى رومة وفرنسا فجاءه رسالة ورجاه ان يسلمها الى يد صاحب القداسة واعلن في هذه الرسالة انه عرف ان البابا هو سيد الكنيسة القوية الرأي وانه سيبدل جهده لاعادة وصل ملته بالكنيسة الرومانية بعد ان فصلتها العجرفة عنها » (٢) . ويلاحظ ان مكاريوس احب ان يعترف بفضل

1) Rabbath, A., Doc. Inéd., I, 401, 402.

2) Rabbath, A., op. cit., I, 459

القنصل والمرسلين على فقراء الروم في حلب فأقام قداساً نوه فيه بأثر الدين الحقيقي في نفوس الرومانيين وإبان لشعبه ان هؤلاء سلكوا طريق الخلاص وكتب الى البابا بأسف على الانفصال الذي حل بالكنيسة ويعد انه سيسعى لازالته !!

ويطلق الاب الباشا عنان الهوى فيستعين بغير هذه النصوص ولكنه يستمر في التسكع في بيداء الغواية . والى القارئ باقى الأدلة التي يتذرع بها هذا المؤرخ نوردها على سبيل الاحاطة وننصح بالتيقظ والتربص . فهو يدعي في المرتبة الرابعة ان مكاريوس خضع لرومة وقال قولها لانه « كان من اكبر المساعدين لانتخاب اندراوس اخيجان بطريركاً على السريان الكاثوليك » ولانه ، في المرتبة الخامسة ، شرب نخب البابا في وليمة قنصل فرنسة « وسماه رأس الكنيسة العام » . والنص الافرنسي يقول انه شرب نخب البابا وقال « لصحة الاب الأقدس زعيم الكنيسة واني اتوسل الا يكون سوى راع واحد وقطيع واحد كما كان في الماضي » . ويورد في المرتبة السادسة اتحاد البطارقة الثلاثة وعلان طاعتهم للحبر الروماني ولا يذكر ما قاله بطريرك السريان الكاثوليك في هذا الصدد عن مكاريوس : « ان بطريرك الروم ومعظم شعبه قد بدأوا يعرفون الحقيقة » (١) . ويهمل ملاحظة الاب رباط نفسه وشكه في موقف مكاريوس من الاتحاد المزعوم (٢) . ويرى مؤرخنا في المرتبة السابعة ان مكاريوس اتحد مع رومة لانه قال في رسالته الى لويس الرابع عشر : « يا اصيل في حسن العبادة والديانة . ونحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة من سلاتكم الطاهرة » . ويلاحظ الاب رباط خلو هذه الرسالة من اللفظ « كاثوليك » فيشك في قناعة مكاريوس واخلاصه . اما الاب قسطنطين فانه يرى في هذا النص ان البطريرك الارثوذكسي اراد ان يقول انه كاثوليكي مثل لويس ! وهكذا دواليك الى ان يقول في الصفحة ١٣٠ من النسخة المشار اليها انه وجد في مكتبة الفاتيكان نسخة من السواعي تحت الرقم ٦١٨ من المخطوطات العربية وقد كتب عليها هكذا : « وقد طبعت في مدينة رومية في عهد مكاريوس الجزيل قدسه بطريرك انطاكية

1) Ibid., 470

2) Ibid., 470, n. 1.

من جود واحسان سيدنا البابا الكسندروس السابع ذي الفضائل الكلية ثبت الله وجود احسانه ونعمه للانام وشيد معالي فضائله وفواضله للخاص والعام واجزاه عن فعله بالجوائز الفاخرة بسمو المقام في الدنيا والاخرة بتاريخ سنة ١٦٦٢ للتجسد الالهي . ونحن لا نرى في هذا النص اي دليل على خضوع مكاريوس لالكسندروس ولا سيما وان كاتب هذه العبارة مجهول . ويورد الاب الباشا ان الكسندروس كتب في ٢٢ تموز سنة ١٦٦٢ الى مكاريوس يقول : « علمنا من مکتوبك ومن ولدنا فرنسيس بيكت (قنصل فرنسة في حلب) انك ليس فقط تابعاً للايمان الارثوذكسي بل انك تبذل جهدك حتى تجمع كل الشعب الذي تحت سلطتك الى الكنيسة الرومانية رأس كل الكنائس » (١) ويخلص الباشا الى القول انه ليس بعد نص هذه الشهادة اوضح دلالة او اعلى مقاماً . وعندنا انه لا يجوز قبول هذا النص او رده مسا دامت رسالة مكاريوس الى البابا ضائعة لا نعلم ما جاء فيها .

ويلاحظ لهذه المناسبة ما يلي : (١) ان مكاريوس ظل محترماً مكرماً في جميع الاوساط الارثوذكسية الاكليريكية العالية طوال اسقفيته وبطريركيته . (٢) ان هذا البطريرك تعاون مراراً مع سائر البطارقة الارثوذكسيين في امور تتعلق بالكنيسة جماعاً . (٣) انه ما قئ يذكر البطارقة في الذبنيخة طوال عهده ولم يرو عنه انه ذكر بابا رومة مرة واحدة . (٤) ان ابنه بولس يطلق التعبير بلاد المسيحيين على البلدان الارثوذكسية . (٥) ان مكاريوس نفسه يشير الى الكنيسة التي اليها ينتمي باللفظ الارثوذكسية وحينما يستشهد بالجامع المسكونية يجعلها سبعة فقط . (٦) انه يطلق اللفظ كاثوليكي على الكنيسة الشرقية فيقول الكنيسة الشرقية الكاثوليكية ويقصد بذلك الكنيسة الجامعة التي يرأس هو احدى فروعها والتي يسميها ارثوذكسية ايضاً . (٧) يحتمل كثيراً ان يكون مكاريوس اوسع صدرأ من زملائه في الشرق والغرب فيعتبر الكنيستين اللاتينية واليونانية كنيسة واحدة جامعة « كاثوليكية » ويرحب باخلاص بكل ما يؤدي الى تقريب القلوب والرجوع الى ما كانت عليه الحال قبل الانشقاق . ولكن هذا لا يعني انه دخل في طاعة رومة . (٨) لا يوجد في محفوظات رومة اي اعتراف بطاعتها يمكن عزوه الى مكاريوس (٢) .

1) Arch. Vat., 1662, Alex. VII, Breves ad Principes, 224.

(٢) حبيب الزيات : المشرق ١٩٣٢ ص ٨٨١

مصنفات مكاريوس : وقد خلف هذا السعيد الذكر عدة مؤلفات منها :

(١) سلسلة البطارقة الانطاكيين (٢) سيرة البطريرك نيقون الروسي وسياسته (٣) سيرة البطريرك افثيموس الثالث (٤) شرح الخبر عن ابتداء بدعة محاربي الايقونات (٥) الرد على الكلوينيين (٦) عجائب العذراء (٧) اخبار القديسين (٨) اخبار الجامع المسكونية السبعة (٩) التاريخ الرومي العجيب من عهد آدم الى ايام قسطنطين (١٠) الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم من زمن قسطنطين الى السلطان مراد الرابع (١١) كتاب النحلة وفيه اخبار متفرقة دينية وادبية وتاريخية (١٢) كتاب الكنوز في الاعياد السيدية (١٣) رحلته الى روسية بقلم ابنه الشماس بولس .

وجاء في تاريخ قسطنطين باشا ان سلسلة البطارقة الانطاكيين ترجمت الى اليونانية بقلم الخوري ميخائيل بريك وان مكاريوس الف في اثناء رحلته الاولى الى روسية خمسة كتب في مواضيع مختلفة مفيدة جداً وعشرة في رحلته الثانية وجميعها في اليونانية فنقلها الخوري غنايسل بريك الى العربية . والخوري غنايسل بريك نفسه في سيرة البطريرك مكاريوس بحسب هذه المصنفات من ترجمة البطريرك لا تأليفه . فقد قال : « وله اتعاب كثيرة من جملتها كتب بخطه في الغيبة خمسة كتب وفي الغيبة الثانية عشرة كتب . وكلها لا اصل لها في اللغة العربية بل هو نقلها من الرومي الى العربي . وهي معروفة عند اخوتنا اولاد العرب وفيها فوائد عظيمة لاني انا الفقير اجتمعت بجانب منها بخطه وبغير خطه نسأل الله ان يجمعنا بالباقي » (١) .

ونقل بلفور الانكليزي اخبار الرحلة الى الانكليزية ونشرها في مجلدين بين السنة ١٨٢٩ والسنة ١٨٣٦ ثم نقلها جرجي مرقس الى الروسية في مجلدات خمسة وذلك بين السنة ١٨٩٦ والسنة ١٩٠٠ . وقام الاب انطون رباط اليسوعي فنشر رسالة مكاريوس في الرد على الكلوينيين في مجلة المشرق في السنة ١٩٠٤ تحت العنوان الطوائف الشرقية وبدعة الكلوينيين . ثم نشر الخوري قسطنطين الباشا « نخبة » من رحلة البطريرك مكاريوس سنة ١٩١٢ . وتولى في السنة ١٩١٣ الاب لاونديوس كلزي حياة البطريرك افثيموس كرمه فنشرها في اعداد مجلة المسرة .

(١) تاريخ البطارقة الانطاكيين لنطاس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤٧ - ٢٤٨

الفصل التاسع والاربعون

الروم الكاثوليك

نيوفيطوس وكيرلس : (١٦٧٢ - ١٧٢٠) وتوفي مكاريوس الثالث في الثاني عشر من حزيران سنة ١٦٧٢ كما نص بذلك حجر منقوش عرفه الخوري ميخائيل بريك في كنيسة كبريانوس ويوستينية في دمشق . وقيل ان اناساً من اشرار محلة الميدان ائتمروا فسقوه سماً فانتقل الى جوار ربه (١) .

وبعد وفاة هذا السعيد الذكر فضل الدمشقيون قسطنطين حفيد مكاريوس على غيره احتراماً لقدّر جده واکراماً لورع والده الخوري بولس واعتباراً لصفاته الممتازة . فقد كان فصيحاً لبيباً ذكياً نبيلاً فاضلاً . وقد ذكره قسطنديوس القسطنطيني بقوله : « واما الدمشقيون فنظراً لميلهم ومحبتهم للمغبوط مكاريوس وقياماً منهم بحق الشكر وعرفان الجميل والمنّة لفضله الوافر في نجاح الكرسي وتقدمه انتخبوا حفيده بصوت واحد وهو ابن الخوري بولس ابن البطريرك مكاريوس السعيد الذكر . ودعوه كيرلس في شرطونيته وارتقائه الى السدة البطريركية . ومع حداثة سنه فانه كان فصيحاً لبيباً متصفاً بتعقل الشيوخ وحكمتهم » (٢) .

وجاء لصاحب تاريخ ابرشية بيروت (٣) ان الدمشقيين استصدروا براءة لكيرلس فلما وصلت شرطنه بطريركاً كل من غريغوريوس متروبوليت حوران ورومانوس متروبوليت الزبداني ولاونديوس متروبوليت صيدنايا وجرمانوس متروبوليت بمقيلية وذلك في الثاني من تموز سنة ١٦٧٢ . وان قيل

(١) تاريخ البطارقة الانطاكيين لنطاس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤٧

(٢) Constantius, Patriarchs of Antioch; Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, 183.

(٣) ولعل هذا المؤرخ المجهول هو عبدالله ميخائيل طراد

كيف ان اساقفة الكرسي وآل دمشق اختاروا هذا الرجل الحدث السن جداً مع انه كان يومئذ في ابرشية الكرسي الانطاكي اكثر من عشرين اسقفاً أعله لم يكن بينهم كفوء للبطريركية الا هذا الحدث السن . فنجيب بلى انما انتدب هذا وشرطن لثلاثة اسباب : اولاً احتراماً لقدرة جده البطريرك مكاروريوس الذي جاهد جهاداً عظيماً بوفاء ديون كثيرة وانتظمت في ايامه الابرشية كلها اكثر من ايام سلفائه . ثانياً اكراماً لورع والده الخوري بولس . وكان هو وولده محبين للدمشقيين ومحبوبين منهم جداً . وكان هذان الفاضلان ملازمين للقلاية البطريركية ، وكانت مداخيل كراسي الابرشية بيد والده الخوري بولس مع جميع متعلقات جده . وليس لاحد سواه معرفة بذلك . ثالثاً ولئن كان كيرلس حدث السن الا انه كان كامل العقل متجعلاً بالفضيلة متأدباً فصيحاً لبيباً . فهذه الاسباب الثلاثة كانت تمنع البعض من الاساقفة وسائر المسيحيين وتبكمهم عن التكلم غير اللائق بحقه اذ كانوا مشتمزين منه لحدائته سنة .

نيوفيطوس : (١٦٧٤ - ١٦٨٤) ولم يرض آخرون ، ولعلمهم الاكثرية ، عن الخروج على القانون والتقليد قطعوا في حدائته سن كيرلس ونددوا بانتخابه غير الشرعي وقدحوا في شرطونيته غير القانونية وازدروا باقامته بطريركاً بصورة السلطات الزمنية . واتفق ان اجتاز دمشق في اثناء هذه المشادة البطريرك الاوروشيليمي دوسيتيوس الثاني العالم الشهير والحبر الجليل ونزل ضيفاً على الدار البطريركية فتسنى له ان يتعرف الى كيرلس في اوائل عهده في البطريركية وتحقق بذاته دور الحدائته الذي كان كيرلس لا يزال فيه فقال عنه انه « الطفل الصغير » وانه « بسطوة السلطة الغاشمة وجبروتها قد جلس على الكرسي » (١) .

واجتمع دوسيتيوس بنيوفيطوس متروبوليت حماة فأظهر له نيوفيطوس عدم الرضى عن شرطونية كيرلس وبطريركيته لخالفتهما القانون . وقدم المطارنة عريضة بالعربية الى الكنيسة المسكونية يشكون فيها أمر كيرلس ووصوله الى السدة

(١) البطاركة الانطاكيون لدوسيتيوس في مجموعة المقتطفات من مخطوطات القبر المقدس لكرمفس ٢٨٦ : ١ (بطرسبرج ١٨٩١) .

الرسولية الانطاكية . فعقد البطريرك المسكوني ديونيسيوس الرابع في اوائل تشرين الثاني من السنة ١٦٧٢ مجمعاً برئاسة البطريرك الاوروشيليمي . وبعد ان اطلع المجمع على عريضة مطارنة الكرسي الانطاكي وعلى رسائل اخرى شتى اصدر بناء على قانون الزسل ٣٠ والمجمع المسكوني السابع ٣ ومجمع قيصرية ١١ ومجمع ترولو ١٤ قراره بالاجماع بخلع كيرلس وطرده من الكرسي الانطاكي (١) . ثم رشح مجمع القسطنطينية للسدة البطريركية الانطاكية الشاغرة كلا من نيوفيطوس متروبوليت حماة وغريغوريوس متروبوليت قيصرية وافجانيوس متروبوليت خريستيانوبوليس . واخيراً تم انتخاب نيوفيطوس بالاجماع . فطلب رجالات الكرسي الانطاكي الى نيوفيطوس ان يتوجه الى القسطنطينية ويتقلد البطريركية بموجب كتاب منهم كما ان المجمع نفسه استدعاه الى المدينة المملوكة . فقام نيوفيطوس الى القسطنطينية فاقم فيها بطريركاً على انطاكية . وبعد انقضاء عام تقريباً على تنصيبه جاء الى دمشق وتولى زمام الكرسي البطريركي (٢) .

ثم قام كيرلس الى القسطنطينية واستصدر براءة سلطانية بالبطريركية وعاد الى دمشق . فانقسمت الرعية وتفاقم الشر وكثرت المغارم . فعاد نيوفيطوس الى القسطنطينية واستصدر براءة سلطانية جديدة ورجع الى دمشق وضبط الكرسي وبقيت الحال على هذه المنوال تسع سنوات . وترتب على نيوفيطوس دين كبير فقال له كيرلس انا اقضي هذه الديون عنك واتخلى لك عن اللاذقية وتوابعها تقيم بها وتستأثر بدخلها . فرضي نيوفيطوس بذلك . ودخل اللاذقية واستراح فيها مدة . وكان يوقع « البطريرك الانطاكي سابقاً » وبعد اربع سنوات توفي ودفن في كنيسة القديس نقولا ووس بهيكل مار موسى الحبشي (٣) .

ومن آثار نيوفيطوس اعتراف بالايمان المقدس لدحض اقوال كلونيوس .

(١) السجلات البطريركية ٢ : ١٥٩ (نشأة الكشلكة لسيادة اغناطيوس متروبوليت البرازيل : الراعي الصالح ج ٥ ص ٣٦ و ٥٢) .

(٢) مكتبة فوطيوس تصنيف جناديوس (اربابا ترغوا) متروبوليت هيروبوليس وثيرون (١٩٣٥) ص ٤٩ و ١٣٨ - الراعي الصالح ج ٥ ص ١٨٦ .

(٣) البطاركة الانطاكيون لفظاس قندلفت . المنار ١٨٩٩ ص ٢٦٧ . خريستوفرجي ص ٤٣

فإن الأب ميخائيل نو اليسوعي قابل هذا البطريرك في ايار السنة ١٦٧٣ وشكا اليه أمر الكلوينيين ورجاه تأييد الكاثوليكين . فحرر نيوفيطوس اعترافاً بالايان الارثوذكسي ووقعه معه غريغوريوس متروبوليت حوران وانطونيوس متروبوليت بعلبك ورومانوس اسقف الزبداني واربعة عشر كاهناً وستة شمامسة وعدد من الاعيان . ثم عرض الاب ميخائيل هذا الاعتراف على كل من ارميا متروبوليت صور وصيدا وفيليبوس متروبوليت بيروت فاشتركا في التأييد والتوقيع (١) .

بدء رسالة اليسوعيين وغيرهم : وكانت رومة لا تزال تتطلب وحدة الكنيسة عن طريق الخضوع والطاعة لاسقف واحد اعتبرته اسقف الاساقفة . وكانت قد أرهفت لهذه الوحدة غرار عزمها في مجمع ترينتوم (Trent ١٥٤٥ - ١٥٦٣) واخذت تتجهز لها وتندرع . فأصدرت في السنة ١٥٥٣ بولسة بتأسيس كليات ثلاث في اورشليم والقسطنطينية وقبرص . وكان غريغوريوس الثالث عشر قد أسس في السنة ١٥٧٦ كلية القديس اثناسيوس اليونانية في رومة . وكان قد انشأ في السنة ١٥٨٤ كلية للموارنة في رومة ايضاً . وكانت فرنسة قد جعلت من اهدافها الرئيسية في الشرق حماية « الدين الكاثوليكي » في اراضي الاسلام وكشف اهم عن اتباعه « ورد المسيحيين المشايق الى الطاعة » (٢) .

وأحب اوربانوس الثامن ان يستغل الصداقة القائمة بين فرنسة والسلطنة العثمانية ففاتح حكومة لويس الثالث عشر كلاماً في رد المسيحيين « المشايق » الى الطاعة فوافقت فأصدر امره الى الكرملين والكبوشيين واليسوعيين بوجوب ارسال آبائهم الى الشرق الادنى ولا سيما سورية لرد ابنائهم المسيحيين الى الطاعة . وأوصى لويس الثالث عشر هؤلاء المرسلين فكتب الى سفيره في الآستانة المسيو ده سيزي De Césy وحرر هذا بدوره بالمعنى نفسه الى قناصل فرنسة في الاسكندرية وصيدا ودمشق وحلب . وبسند المرسلون اعمالهم في حلب اهم مدن سورية ولبنان آنشد واقربها الى اسية الصغرى والعراق وانشأوا فيها في السنوات ١٦٢٥ - ١٦٢٧ مراكز

(١) تاريخ طائفة الروم الملكية للخورى قسطنطين الباشا ج ١ ص ٧٦ هامش ١

(2) Reg, La Protection diplomatique et consulaire, 305 ; Neuville, R., Heurs et Malheurs des Consuls de France à Jérusalem, Ronald Press, 1947.

لاعمالهم متعاونين في ذلك مع الآباء الفرنسيسكانيين مسبصرين بخبرتهم الطويلة وارشاداتهم . ثم انطلقوا من حلب فعملوا في دمشق وصيدا وطرابلس وخبوس وازمير وناكسوس (١) . « ومارسوا التطبيب مجاناً وتدخلوا مع الاساقفة الكهنة وترددوا الى الكنائس الارثوذكسية والى بيوت المسيحيين متظاهرين بالحجة والوداعة ووحدة الايمان ناشرين بين العامة ان معتقداتهم ارثوذكسية لا تختلف بشيء ابدأ عن معتقدات الكنيسة الشرقية ما عدا بعض فروق ليست بذات اهمية . وكثيرون منهم كانوا يحامون ويدافعون عن امور كثيرة في المعتقدات والطقوس الشرقية بحسبها الغريبون اليوم خللا وشواثب . وكانوا يظهرون علناً انهم ينكرون اهم المعتقدات التي يتمسك بها غير الارثوذكسيين . وهذا ما حمل البطريرك افثيمبوس الرابع الصاقزي ان يأوي البعض منهم الى دار البطريركية » (٢) . وسمح لهم ان يعلموا ابناء الطائفة وان يمارسوا سر الاعتراف في الكنائس الارثوذكسية وان يزوروا منازل المسيحيين .

وألقى هؤلاء المرسلون بذار تعاليمهم بواسطة سر الاعتراف . فلم يطلبوا من السذج وجمهور المؤمنين الارثوذكسيين سوى ايمان آبائهم وقرارات مجامعهم . ولكنهم صارخوا المثقفين في ظروف معينة وواجبوا رجوعهم عن الخطأ . واليك ما كتبه احد الآباء اليسوعيين في السنة ١٦٥٠ عن طريقته في اجتذاب النفوس : « عندما يأتي ارثوذكسي ليعترف عندنا نسأله اذا كان يؤمن بما علم به الآباء اليونانيون : باسيليوس واثاناسيوس وغريغوريوس والذهي القم والدمشقي فيجيب نعم . فنسأله ما اذا كان لا ينفذ ويلعن كل تعليم لا يتفق وما علم به هؤلاء الآباء القديسون فيجيب نعم . ولما كان دستور ايمانهم لا يختلف عن دستور ايماننا الا بالكلمة «والابن» ولما كنا نحن نعتبر هذه الكلمة مجرد تفسير للدستور فاننا نسأله ما اذا كان لا يفهم الدستور كما فهم آباء الكنيسة والجامع المقدسة فيجيب نعم . وعندئذ يتلو الدستور ونحله . وجميع الارثوذكسيين الازكياء المنعقلين يعترفون بتقدم البابا لانهم يقرأون في كتبهم كيف التجأ الذهي القم في اثناء محنته الى البابا وكيف اعاده البابا الى كرسيه مهدداً الامبراطور والامبراطورة بالحرم . ويستنتجون عندئذ ان الارثوذكسيين والامبراطور نفسه خضعوا في عهد الذهي القم الى البابا » (٣) .

1) Jock, Th., Jésuites et Chouérités, 3 - 11 ; Goyau, G., François Picquet Consul de Louis XIV à Alep.

(٢) تاريخ البطارقة الانطاكيين : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٨ - ٢٧٩

3) Les Jésuites dans le Levant vers 1650, L'Unité de L'Eglise, 1934, 64 ; Musset, H., Hist. du Christ, II, 131 - 133.

وهكذا فانه بينما كان الرؤساء الارثوذكسيون يتخاصمون ويشقون الطائفة كان هؤلاء المرسلون اللاتينيون يعملون لتقريب العقول والقلوب من رومة وحبها. وكان سفراء الدول الكاثوليكية وقناصلها يعضدونهم بكل ما امكنهم من الوسائل لتنفيذ رغبة رومة في «الكثلكة»^١

اثناسيوس الرابع : (١٦٨٦ - ١٦٩٤) وترملت ابرشية حلب وجسد ابناءؤها في التفتيش عن اكليريكي لائق . فاهتم المرسلون اللاتينيون للامر ووجهوا الانظار شطر المدينة المقدسة مشيرين الى بروكويوس رئيس دير بيت لحم . وكان بروكويوس (او باثيسوس) قد أبصر النور في دمشق من والدين ارثوذكسيين . فنشأ فيها باسم يولس الدباس وتعلم عند الآباء اليسوعيين فقال قولهم في الايمان ثم دخل معترك الحياة فاحترف الخياطة مدة من الزمن . وكان جميل الصورة « فخاف على عرضه من الاناس الاردباء » ورحل عن دمشق الى اورشليم لينذر نفسه لله . فلبس الاسكيم في دير القديس سابا واتقن اللغة اليونانية والعلوم الدينية وسم قساً ثم نصب رئيساً على دير الروم في بيت لحم . واتصل بالرهبان الفرنسيين « فتجدد فيه الايمان الروماني وتمكن منه بعد تراخيه من معاشره المشاقي » (١) . وأم اراخنة حلب المدينة المقدسة تبركاً واتصلوا بمرشح المرسلين فوجدوه وديعاً بشوشاً بارعاً في العلوم الدينية متضلعا باللغتين العربية واليونانية فرغبوا في انتدابه لاسقفية حلب واقنعوه ان يترك الدير ويرافقهم ماراً بدمشق ليشترطن فيها . فلما وصلوا الى دمشق وبخثوا الامر مع البطريرك كيرلس رضي ثم عدل (٢) . فحقد الحلبيون وتحرك الرهبان الفرنسيون « و ارادوا ان يقيموا بروكويوس بطريركاً على انطاكية لاجل تمكنه في الايمان الروماني المقدس عوض كيرلس الذي كان مشاقاً . فسعوا له في ذلك واقاموه بطريركاً بأمر السلطان » (٣) . وكان لبروكويوس خال اسمه ميخائيل شامبليم طرزي من ذوي الوجاهة (٤) فقام الى

(١) ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات جليس اثناسيوس وعشيرته في حلب : تاريخ الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) تاريخ البطارقة الانطاكيين لمطاس قندلفت : المنار ١٨٩٩ ص ٢٦٨ والحقائق الوضعية ص ٦٠ .

(٣) ديوان البدع أيضاً : تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٢٧ .

(٤) الحقائق الوضعية ص ٦٠ .

القسطنطينية حاملاً محضراً موقعاً من وجهاء الطائفة في حلب وكتب توصية من بعض قناصل الدول الافرنجية في حلب الى سفرائهم في القسطنطينية . فلما وصل اليها عرض اوراقه على المجمع فعزل المجمع كيرلس واستصدر لبروكويوس اوامر سلطانية على ما جرت به العادة (١) . وعاد الخال الى دمشق واطلع حاكمها وقاضيه على الاوامر السلطانية . وكان كيرلس يطوف في الابرشية . قتم في غيابيه انتداب بروكويوس بطريركاً على انطاكية يوم الاربعاء في ٢٥ آب سنة ١٦٨٦ بحضور ثلاثة من المطارنة هم لاونديوس مطران صيدنايا ويواصف مطران نابلس ومطران حوران . ودعي اثناسيوس . فلما نفي خبر ذلك الى كيرلس ارسل الى الاستاق واستحضر اوامر وبراعة سلطانية شريفة ودخل دمشق ووضع يده على دار البطريركية . واما اثناسيوس فسكن في امطوش مار ميخائيل ثم انتقل الى حلب .

وفي العاشر من نيسان سنة ١٦٨٧ كتب اثناسيوس الى سفير فرنسا في القسطنطينية يؤكد انه نشأ كاثوليكياً في دمشق بفضل الآباء اليسوعيين وانه ارسل مند بضعة اشهر اعترافه بالايمان الكاثوليكي على يد الآباء الفرنسيين الى الخبر الاعظم . ثم يرجو السفير ان يكون بظل حاية ملك فرنسا وان يستمد هذه الحماية في وقت الضرورة وان يحظى بها حيناً يطلبها . ويضيف انه يلتزم مراقبة خصومه خصوم الكنيسة الرومانية ومنعهم عن ايقاع الضرر به لدى الباب العالي (٢) .

وصورة اعتراف اثناسيوس بالايمان الكاثوليكي كتبت في الرابع من تموز سنة ١٦٨٦ قبل وصوله الى البطريركية بسبعة اسابيع . وعنوانها : « صورة اعتراف اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم » . واليك مقتطفات منها اثبتها الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفة الملكية نقلاً عن الاصل المحفوظ في رومة .

(١) المؤرخ البيروتي المجهول : تاريخ الطائفة الملكية ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) Rabboth, A., op. cit., II, 106.

« انا اؤمن ايماناً ثابتاً واعتقد بكلما تحويه فصول الامانة المستعملة في الكنيسة المقدسة الرومانية ... ثم بالجميع القسطنطيني الرابع وهو الثامن من المجامع العامة . واعتقد ان فوطيوس اترفص فيه وانحكم عليه بعدل وحق وان القديس اغناطيوس ارتد مكانه في الكرسي القسطنطيني ... وبالجميع الفلورنتيني واعتقد بجميع الامور المحددة فيه اعني الروح القدس هو ازلي من الآب والابن وله ذات وماكث مع الآب والابن معاً وعلى الدوام وهو متبثق من الاثنين كن مبدءاً واحداً ونفخة واحدة . ولاجل ذلك ان القول من الابن قد وضع في الامانة ضرورياً وحقيقة حتى يفسر الحق والضرورة العظمى ... والآن بحريتي وحسن رضائي من كل قلبي اعتقد بها وبالحقبة والصدق اتمسك بها سالمة من غسير عيب الى آخر نفس من حياتي بشيات بعون الله تعالى . واحفظها واعترف بها واحترس على ان تتمسك وتعلم وتكرز من الذين هم تحت تدبري ومن رعيي والخاصين لي . انا اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم اوعده وانذر واحلف وهكذا الله يعينني والاناجيل المقدسة والسيح الله دائماً » (١) .

وقامت الشرور والفتن ونحزب قسم لهذا وقسم لذلك . وحرم كل منهم الآخر . وفي السادس من حزيران سنة ١٦٨٧ اعترفت رومة باثناسيوس بطريركاً على انطاكية « على الرغم من الشذوذ التي احاطت بانتخابه » (٢) « وانتدب سافستروس الدهان لاسقفية بيروت فكره ان تكون اقامته على يد اثناسيوس وقال بطركنا افرنجي فلا ارض ان تكون اسقفيتي من يده » (٣) .

ونجم عن هذا الشقاق خسائر جسيمة واختباطات واضطرابات. وهدد بعض الاساقفة والاعيان بانتخاب بطريرك ثالث (٤) . « فعزّن اثناسيوس من هذه الامور ومن نفقات السياسة . واحب السلام والهدوء للكنيسة فتنازل لكيرلس في شهر تشرين الاول سنة ١٦٩٤ » (٥) . وتصالح الطرفان على ان تكون البطريركية لكيرلس وان تعطى ابرشية حلب لاثناسيوس يقيم فيها ويعيش من دخلها ودخل ادلب وكلس وعلى ان يحتفظ بلقب بطريرك الى ان يتوفى احدهما فينفرد الآخر

1) Scritture Originali riferite nelle Cong. Greci - melchite :

تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١

2) Dict. Hist. Géog. Ecc., III, Col. 644.

٣) المؤرخ البيروني : الطائفة الملكية ج ١ ص ١٣٦

٤) رسالة مطارفة بيروت وبعليك واللاذقية وطرابلس الى مطران صيدا : الطائفة الملكية لمخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٥) كلام اثناسيوس نفسه كما جاء في تاريخ بطاركة انطاكية الذي اعدّه باليونانية : الطائفة الملكية ج ١ ص ١٣١ .

بالبطريركية ولا ينتخب لها غيره . وتقرر هذا كله في مجمع الاساقفة ووافق عليه عموم اهالي دمشق وحلب (١) . ولكن رومة لم ترض عن هذا الوفاق ولم يعترف حبرها انوشنسيوس الثاني عشر به بل حض اثناسيوس على العودة الى الكرسي البطريركي (٢) .

وبعد ان تم الصلح بين كيرلس واثناسيوس قام اثناسيوس الى القسطنطينية والبغدان والفلاخ يستعطف المسيحيين وذلك في شهر اذار سنة ١٧٠٠ وفي ايام الامير « الحسن العبادة » قسطنطين . فعطف الامير وقدم الهدايا . ولما عرف ان كسب الكنيسة الانطاكية لا تزال مخطوطة اخذته الغيرة فأمر بصنع حروف عربية وتشرفت الطباعة العربية بطبع الليتورجية الارثوذكسية وكتاب السواعي (٣) . ولما عاد اثناسيوس الى حلب اصطحب هذه المطبعة معه . ثم نقلت منها الى دير البلمند . والتقليد البلمندي يقيد ان هذه المطبعة انتقلت فيما بعد الى دير مار يوحنا الشوير مع من أمه من الرهبان الموالين لرومة (٤) . اما التقليد الحناوي الشويري فانه يجزم بأن المطبعة الشويرية نشأت مستقلة بهمة الشماس عبد الله زاهر (٥) .

اصلاحات كيرلس الثالث : واستتبت الراحة بعد الصلح وساد السلام في دمشق ومعظم الابرشيات فوجه كيرلس انظاره الى تدبير امور الرعية . وكان صاحب نفوذ عند الحكام ومحبوياً عند الجميع من مسيحيين وغير مسيحيين فوسع الكنيسة الكتدرائية في دمشق وزينها وزاد في بنيان البطريركية . ورفع عن المسيحيين مظالم عديدة . واقام عنده اثني عشر وكيلا علمانيين من الوجهاء واصحاب الدراية والغيرة ليشتروا معه في النظر في شؤون الملة وتدبير احوالها ويهتموا في مساعدة الفقراء وفي العناية بالاوقاف والكنائس (٦) .

رومة تكمل رسالتها : واستمسك اثناسيوس بالصلح ولم يسع للعودة

(١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٩

(٢) Musset, H., op. cit., II, 165.

(٣) كلام اثناسيوس : الطائفة الملكية لمخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٣٢

(٤) مطبعة دير البلمند لعيسى زريق : المنار ١٩٠٢ ص ١٣٣ - ١٣٦ و ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٢٧ .

(٥) مطبعة دير الشوير لاحد ابناء الرهبنة الشويرية : المنار ١٩٠٢ ص ٤١٠ - ٤١١

(٦) تاريخ البطاركة لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٩ .

الى الكرسي البطريركي . فقامت رومة تكمل خطتها وفي السنة ١٦٩٧ خصص الاب اليسوعي فيرسو Verseau دير البلمند بعنايته لانه كان أهلاً بالرهبان « وكان للشقاق شأن عظيم فيه بحيث يتناول كل ملة الروم » . وحاول الاب فيرسو الدخول الى البلمند لايضاح الايمان الكاثوليكي مراراً ولكنه اخفق . ثم شعر اثنان من تلاميذ الآباء اليسوعيين بالدعوة الرهبانية واختاروا البلمند لخدمة الله فيه . « فأخذ الاب فيرسو يزورها ويرشدها منبهاً الى ما في هذا الدير من خطر » . ثم تحقق انهما راسخان في الكتلثة فاتخذها وسيلة للدعاية الرومانية بين الرهبان فأكثروا من زيارته للدير وتعرف بسائر الرهبان وصار يدخل ويشترك في اجتماعاتهم الديرية بدون مانع . « ولكي يرضيهم جميعاً » كان يمدح القديس باسيليوس الكبير ويتلو عليهم اخباره . ثم وضع بين ايادي صديقيه مؤلفات الاب كليسون Clisson والاب نو Nau (١) . وفي السنة ١٧٠٤ تقدم خمسة من رهبان البلمند بطلب وجهوه الى مجمع انتشار الايمان جاء فيه ما يلي :

« نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير قد تربينا منذ صبا في الديانة الكاثوليكية خاضعون دائماً لخبر الأعظم الكلي قدسه . الا اننا في هذه الديارة لم نوجد اطلاقاً وعنت لتكثير السيرة لاجل خلاص النفس كما ينبغي في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الديورة والرهبان . فاعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رسمتم تمنوا علينا وتأمرونا بأن نخضر لعندكم لذلك الطرف . نستمن فضلكم بأن تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان حقير نتأوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها وتتصدقوا علينا هناك بالقوت الضروري والشرب الزهيد كفاف الجسد اللطيف لا غير حتى نخدم الله بمكنتنا على الامكان ونُدعي لجلالتكم السامية البهية . سطر في دير البلمند من اعمال طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤ . عبيدكم مكاريوس الكاهن في الرهبان عبيدكم جرمانوس الكاهن في الرهبان عبيدكم الحقيرون حنانيسا الكاهن في الرهبان عبيدكم الحقيرون نصر الله الكاهن في الرهبان عبيدكم جرجس الشماس في الرهبان » (٢) .

دير مار يوحنا الشوير : وفي هذه الآونة نفسها وصل الى البلمند شابان حليبان راغبان في التبتل والزهد . فنصح لهما الاب نصر الله الحلبي « ان يذهبوا الى جبل لبنان ويفتشوا على مطرح خالي . وبعده نحن نجي الى عندكم ونعمل رهبنة

1) Lettres Edifiantes , I , 235 .

(٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

قانونية . لان في هذا الدير الانسان ما يحسن يعيش في حرية الايمان لان فيه اناس معاندين وعشرتنا معهم لا تصلح . فسمعوا من شوره وراحوا حوشوا دير الذي يقال له مار يوحنا الشوير وارسلوا اخبروهم عنه » (١) .

وكان هذا الدير حقيراً في بدء عهده لا يشمل سوى كنيسة صغيرة على اسم يوحنا الصايغ وغرفة حقيرة أوى اليها زاهد من ابناء امرة صوايا الشورية . وكانت الشوير تن من مشادة عنيفة بين اسرتها الكبيرتين آل مجاعص وآل صوايا فلما نشب الخلاف بين البطريرك اثناسيوس وكيرلس ونحزب قسم لهذا وقسم لذاك أيد آل مجاعص كيرلس فانبرى آل صوايا لمناصرة اثناسيوس . وشدد ازر آل مجاعص معظم العائلات الشورية فامتنع آل صوايا عن الصلاة في كنيسة السيدة كنيسة القرية واخذوا يصلون في كنيسة مار يوحنا المشار اليها . وهكذا فليس نسبة دير مار يوحنا الى مجرد وقوعه في خراج الشوير بل الى الزاهد الشوري المؤسس والى انسابه الشويريين الذين اتخذوا من كنيسته معبداً لهم وحوا من التجأ اليه من الرهبان القائلين بطاعة رومة .

رجل رومة الاوحد : وواحد الآحاد في طاعة رومة والخضوع لاسقفها افثيميوس الصيني متروبوليت صور وصيدا (١٦٨٢ - ١٧٢٣) . هو ميخائيل ابن موسى الصيني . ولد في دمشق في حوالي السنة ١٦٤٣ ونشأ فيها . وتعلم في مدرسة الطائفة في دار البطريركية ولقي عطفاً خصوصياً من الخوري جرجس بريق فتشرب بالكتلثة في حداته . وكان الخوري جرجس المذكور قد سافر الى رومة وتخرم فيها بالكتلثة . ولما شب ميخائيل تردد على دير الآباء اليسوعيين والكبوشيين فجذبوه اليهم وزادوه طاعة وخضوعاً . وتقرب الى نيوفيطوس الصاقزي النائب البطريركي فأخذ اليونانية عنه وفن الموسيقى الكنسي البسليطية . ولعل نيوفيطوس نفسه رسم ميخائيل شماساً انجيلياً في السنة ١٦٦٦ ثم كاهناً .

وتوفي ارميا متروبوليت صور وصيدا في حوالي السنة ١٦٨٠ فحضر المرسلون اللاتينيون اعيان الروم في صيدا على انتداب الخوري ميخائيل صيني .

بالقرب من جون عيشة مشتركة قانونية. ويرى الاب قسطنطين الباشا المخلصي ان تلاميذ المطران كانوا في اواخر القرن السابع عشر لا يقلون عن عشرة وانهم لم يستطيعوا الاقامة في صيدا وجوارها بدون ان يتعرضوا لكل تهمة ولكل بلاء من الجند وسواهم فاستأجروا مزرعة مشموشة من صاحبها الشيخ قيسلان القاضي ليقموا فيها ويستغلوها. وما فتئوا كذلك حتى تم لهم بعناية المخلص اقامة ديرهم على اسمه في السنة ١٧١١. ورتب افثيموس لرهبانه قانوناً خصوصياً ذاع وشاع بين الناس في حياته حتى بلغ حلب. ولا تزال رسالته الى احد اصدقائه في حلب تحفظ بعض ما اصطلح عليه الرهبان المخلصيون في بداية عهدهم وبعض ما جاش في صدر افثيموس من مبادئ. وكان صديق المطران قد كتب يعترض على ما اباحه المطران لرهبانه من اكل الزفر والسكك في الصيام. فأجابته :

« ليس خافياً عن معرفتكم ان كان تأملتم ورأيتم ضعف الملة وانحطاطها ثم اختارها للمعارف الضرورية والعلوم الروحية . وقد رأينا الكثيرين من النحفي المزاج ذوي غيرة صالحة ولهم بعض معارف ارادوا يصرفوا حياتهم بعيشة طاهرة مربية بحفظ الثلاث نفور التي هي اسس الرهبات كلها لكي ينفعوا ملتهم بعلمهم وعلمهم فاستمضوا الدخول الى الرهبة لاجل خشونة معاشها الان عندنا وتخلفوا عن تكميل قصدهم الصالح . فلما تحققت انا الحقير ان هذا السبب الجزئي مانع لذلك الخير الكلي استعملت انا الحقير سلطان الحل والربط المعطى لي من الله ومن كنيسة لاطلاق امر بل لاطلاق جبر مفهوم عند الجميع بسبب وضعه ودخوله وذلك حتى تكون العبادة في هذا المعنى امراً اختيارياً لا اضطرارياً . وليس كما هو الان مستعمل من الآخرين جهراً ومرفوض من الاكثرين سراً . وحتى ايضاً لا تمائل قساوة بعض الرعاة السالفين الذين استعملوا سلطانهم بالربط لا بالحل واحرى ان اقول باللعنة لا بالبركة الذين صدق فيهم قول الله بلسان ميخا : « اكلوا لحم شعبي وكسروا عظامهم » . فلماذا نرى حالتهم وقد سبوا خسراناً عظيماً على هذه الطريقة الطاهرة وعلى الامانة المسيحية الفاخرة فانا ايضاً نيتي ان اتفق هكذا فيكون مثل هؤلاء مفترقين عن الرهبان الآخرين بسكنى والمعاش فقط ومتفقين معهم بحفظ الثلاث نفور وبقية القوانين الاخر اذا كانوا كلهم تحت طاعة رئيس واحد . وان لم يوجد من تكمل بهم نيتنا فتكون حجة الله على المعتنين » (١).

افثيموس اسقف الخاضعين لرومة : (١٧٠٢) وأبى بعض الاساقفة الضيم الذي حل بالكنيسة من جراء الشقاق وعصفت في رؤوسهم النخوة فكتبوا الى افثيموس في حوالي السنة ١٦٩٤ ليكون عليهم رئيساً فتصبح الرعية لراع

ورضي البطريرك كيرلس الثالث فسامه مطراناً على صور وصيدا في السنة ١٦٨٢ ودعاه افثيموس . واول عمل هم به هذا الاسقف الجديد انه اسرع فارسل مع الاب اكورسيو الكبوشي صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي الى البابا انوشنسيوس الثاني عشر . والاب اكورسيو Accursio كان معلم اعتراف الاسقف الجديد في دمشق . ومما جاء في هذا الاعتراف ما يلي :

« لقد رفضت ضلال الروم وشقاقهم منذ زمان واعترفت بالايمان الكاثوليكي بين ايادي الرهبان المرسلين في دمشق . والان وقد صرت بنعمة الله مطراناً على كرسي صور وصيدا فيجب علي تقديم الطاعة الواجبة لحضرتكم والاتجاه الى كرسيكم المقدس اقتداء بالآباء القديسين اثنا عشر الكبار ويوحنا الذهبي الفم وسائر الآباء القديسين الذين قبلتهم الكنيسة الرومانية وقت جهادهم واضطهادهم . ولا ينبغي ان اذكر ما احتملته من النفي والحبس والاهانة وخسارة الاموال والتعدي علي من الاسلام بسماعة البعض من الروم واكليروسهم ولا سيا بطيريكهم المدعو كيرلس وذلك لاجل اعترافي بالايمان الكاثوليكي » (١).

وكانت ابرشية صور وصيدا واسعة ولكنها غير عامرة . فعمل الاسقف الجديد على تعميرها بتشجيع التزوح اليها فانفق في ايار السنة ١٦٨٦ مع اعيان الروم في صيدا على ان يكتب الى من اراد من النصاري ليدعوهم للاقامة في صيدا واستكتب قاضي الشرع صكاً بذلك لا يزال محفوظاً حتى يومنا هذا (٢). ثم جدد بناء كنيسة صيدا بماله الخاص وحرر صكاً رسمياً بذلك في الحادي عشر من نيسان سنة ١٦٩٠ . ولا يخفى ان مثل هذا الصك كان ضرورياً لان الشرع الاسلامي حرّم تشييد الكنائس والصوامع واجاز ترميم القديم وابقائه على قدمه (٣).

وأهم ما قام به افثيموس في هذه الفترة الاولى من ولايته انه انشأ الرهبانية المخلصية لنشر مبدأ الاتحاد مع رومة والخضوع لاسقفها. وبدأ هذا العمل في صيدا حيث جمع قبل السنة ١٧٠٠ عدداً من الرهبان ليعيشوا معه في مزرعة مشموشة

(١) عن الترجمة الايطالية وعلى ذمة الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ . ويلاحظ انه لا يلزم من نص هذا الاعتراف ان افثيموس كان يجاهر بالايمان الكاثوليكي قبل انتخابه ورسمه مطراناً ولا عند رسمه كما يتوهم المرحوم الخوري قسطنطين .

(٢) المرجع نفسه ج ١ ص ١١٨ - ١١٩

(٣) المرجع نفسه ص ١٢١ - ١٢٦

واحد (١). ثم تم التفاهم بين اثناسيوس وكيرلس وأصبح كيرلس البطريرك الاوحد فطوى فؤاده على عرقلة اعمال المرسلين وعدم تسهيل امورهم. وامتنع عن اعطاء سلطان الاعتراف الى الكهنة الذين صادقوا المرسلين وعملوا بارشاداتهم. ودخل اثناسيوس في دور التراجع عما وعد رومة به في بادىء الامر. وتولى السدة الرومانية في السنة ١٧٠٠ اقليمس الحادي عشر (١٧٠٠ - ١٧٢٠). فكتب افثيميوس بنى البابا الجديد ويجسد خضوعه. وفي الرابع والعشرين من شباط سنة ١٧٠١ اعد رسالة ثانية اوضح فيها احوال البطريركية الانطاكية وطلب ان يكون « وكيل البابا في الشرق » ليعطي سلطان الاعتراف للكهنة الكاثوليكين خارج ابرشيته. وأشار الى رغبة المطارنة في تنصيبه بطريركاً على انطاكية وارفق الوثيقة التي وقعوها ولكنه قال انه قصير اليد واللسان لا يتمكن من اجابة طلبهم لانه يتعلق « بسلطان المسلمين ». ولذلك فإنه يطلب « سلطان الذمة » فقط (٢).

وبحث مجمع انتشار الايمان طلب افثيميوس في جلسة عقدها لهذه الغاية في السادس من كانون الاول سنة ١٧٠١ فأجاب طلب متروبوليت صور وصيدا لمدة سبع سنوات بقرار رفعه الى البابا. واجاز اقليمس الحادي عشر قرار المجمع وأمر بالعمل بموجبه فوردت على افثيميوس الرسالة التالية :

« الى السيد افثيميوس مطران صور وصيدا والروم في كل البطريركية الانطاكية حيث لا يوجد اساقفة كاثوليك : نهار الاربعاء في ١٩ تموز سنة ١٧٠٢ في المقابلة المادية لخرقة الاب المحترم المساعد منح الاب الاقدس حسب ما عرض هذا عليه الطالب المذكور هذه الحقوق لمدة سبع سنوات بحيث لا يستطيع ان يارسها قطعاً خارج حدود البطريركية المذكورة ولا في الارشيات التي يوجد فيها اساقفة كاثوليك » (٣).

كتاب الدلالة اللامعة : (١٧١٠) وكان الاب ميخائيل نو Nau اليسوعي

قد لجأ الى التأليف لاقتناع الروم بالخضوع والطاعة لرومة وصنف في عهد البطريرك مكاريوس كتاباً اسماء « احتجاج كنيسة الروم المقدسة في استقامة ايمانها وحسن اعتقادها ». فلم يقف الآباء الارثوذكسيون موقف القنوع ولا سيارهبان القسبر

المقدس. فنقلوا الى العربية في مستهل القرن الثامن عشر رسالة زخريا اسقف اذنه في الدفاع عن التقاليد المقدسة وايضاح منهاج رومة وكشف المورث من اساليبها. ثم وزعوه في ابرشيات انطاكية فاضطربت به الالسة وتداولته الرواة. فكتب افثيميوس في العاشر من حزيران سنة ١٧٠٤ الى مجمع انتشار الايمان يقول : « ان اصحاب ابرشية اورشليم المشايقن احضروا كتاب زخريا جرغانو اسقف اذنه المقعم تجاديف ضد رأي كنيسة رومة واخرجوه الى العربية وبثوه في بلادنا بابرشية الكرسي الانطاكي ليسقوا السم الذي هو داخله ». و اضاف افثيميوس انه « عني بوضع كتاب « يرفع شرف الكنيسة الرومانية المقدسة ويخزي من عاكسها ، وطلب امداده بمصنفي يوحنا كاريوفيلوس Cariafill في الرد على زخريا والرد على نيلس التسالونيكى وبكتب بساريون متروبوليت نيقيا (الكردينال اوبوسكولا) وكتب ديمتريوس خيدونس وكتاب بطرس الكورفوي في خدمة الاسرار والمطهر لانها لازمة له . وارسل افثيميوس مخطوطه الى رومة فوافقت عليه باشراف الكردينال بربريني فظهر « كتاب الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة المشتمل على اتفاق كنيسة الروم الارثوذكسية الشرقية مع كنيسة رومية الجامعة الغربية واتحادهما برأي واحد وامانة واحدة مسيحية » بنفقة مجمع الايمان برومة سنة ١٧١٠ (١).

ووزع هذا الكتاب توزيعاً فهب ايكونوموس كنيسة حلب ورد عليه برسالة في السنة ١٧١٢ بقيت خطية فيما يظهر. وهذا الايكونوموس كان في عرف افثيميوس « صاحب معرفة وحافظاً لطقوس الروم بالكمال ومؤيداً لها ومناصراً » (٢). ولقت كتاب الدلالة اللامعة انظار البطارقة والمطارنة الارثوذكسيين فأشاروا اليه في الحرم الذي وضعوه في السنة ١٧١٨ على افثيميوس ومن تساه معه لانه « انشأ كتاباً من ذاته واجتذب شهادات كما رأى ونسبها الى الكنيسة المقدسة الشرقية » (٣).

تحقز افثيميوس وتحزؤه : وفوض افثيميوس أمره الى هواه فرأى في

(١) تاريخ الطائفة الملكية للثوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٨٠ - ٢٠٥

(٢) رسالة افثيميوس الى الكرادلة : المؤلف نفسه ج ١ ص ٢٧٣

(٣) مجموعة الآباء اليسوعيين في بيروت مخطوط رقم ٥٥٠

(١) تاريخ الطائفة الملكية للثوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥

(٢) تاريخ الطائفة الملكية أيضاً ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠

(٣) المرجع نفسه أيضاً ج ١ ص ١٧٦

أيلول السنة ١٧١٣ ان « ابرشية انطاكية ارض صالحة بدها فلاحين » وان كيرلس بطريركها « رجل عادم العلم يبغض الكنيسة الرومانية » ولكنه لا يجرؤ على تقديم الطاعة قبل بطريرك القسطنطينية والاسكندرية . ورأى ان اسقف صيدنايا جراسيموس الشامي « رجل على باب الله قداسه يرطل نبيل وما دام النبيلة في قلايته المسيح راضي عليه » وان اسقف معلولا وقارة « قبرصي هرطوقي معاند » وان اسقف بعلبك « قبرصي سالم من الغرض ان اسعده الله بمعلم ربما يوافق بكلمة نريد » وان اسقف حمص « عاجز بالدين والدنيا » وان اسقف حماة « قبرصي قوي بالكفر وبسب الدين للكنيسة ولنا . ومنذ سنتين حضر عندنا في اشغال له فاكرمناه واعطيناه احسان وافر ونصحناه بقدر الامكان . ومنذ ذلك اليوم ابطل المسبات ولكنه باقى على كفره » وان مطران بيروت « كان سابقاً يصدق بالكنيسة ويكرم ويمجد كنيسة الروم . ولأجل ذلك اسدينا اليه بعض احسانات وطلبناه الى صيدا وعرفناه النقص والغلط الذي وقعت فيه كنيسة الروم بعد الانشقاق » وان مطران طرابلس « كان سابقاً شهد لنا بعض رهبان من المرسلين انه كاثوليكي واما انا ما قشعت له علامات الكاثوليكية . وربما يكون اقر بالحق تحت رجاء فلما انقطع الرجاء منكم عاد كالكلب الى قبه » . وان مطران اللاذقية « صافرلي هرطوقي جاهل بالدين وباهرطقة ينبج ويقروش بغير وعي » . وان بطريرك حلب « معروف عند رومة بأنه كاثوليكي ومعروف عندي بأنه مساقل » . وان مطران ادنه « قبرصي عتي عدو الله وكنيسته » وان مطران ديار بكر كذلك قبرصي وان مطران ارضروم من اياالتها ومطران القرص من اباله ارضروم (١) . ولا يخفى ان هذه البضاعة كانت رائجة في ذلك الزمان موجودة عند الطرفين .

وهكذا فيكون افثيموس اسقف رومة الأوحد في ابرشيات انطاكية قد حاول اجتذاب المطارنة الى الكثلركة بأساليب قد لا يكون بعضها مشروعاً (٢) .

(١) رسالة افثيموس الى الكرادلة : تاريخ الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١

(٢) رسالته الى البابا : المرجع نفسه ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤

واما اليعاقبة فان جذبهم كان بعيداً في نظره « وانما بطريق القوة أقرب تناول » (١) ويلاحظ هنا ان الاتحاد الحقيقي لا يتم بالمال والقوة بل بالروح القدس والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها ولا تظن السوء بل تتأني وترفق وتصدق وتصبر .

كيرلس والكثلركة : وذكر افثيموس ان كيرلس البطريرك الانطاكي كان عزيز الجانب لا تلبس قناته لغامز فخاطبه في موضوع الاتحاد وجادله ولكن على غير جدوى . ثم ألح افثيموس على قنصل فرنسة في صيدا الميسو بولارد *Boulard* ان يخاطب البطريرك في الموضوع نفسه ففعل . وكتب الاب لورنسيوس رئيس الآباء الفرنسيين في اورشليم رسالة طويلة الى كيرلس اخبره فيها عما فعل باسم البابا لاعادة بطريرك الموارنة يعقوب عواد الى كرسيه واعادة كل حقوقه وشرفه . ثم اشار الى ما فعله احبار رومة للبطاركة والمطارنة الشرقيين من هذا القبيل . وذكر كيرلس كيف تظلم جده مكاريوس الى البابا الكسندروس السابع من جور الاتراك وصلفهم .

ثم اطلت السنة ١٧١٦ فاذا بحبر رومة نفسه يخاطب كيرلس ويدعوه الى الاتحاد فيقول بلغنا ان لاختوتك ميلا عظيما الى الاتحاد ففرحنا ورأينا ان نعظك بصوتنا الابوي ان لا تهمل هذا الالهام الصالح . وليكن محققاً عندك انك ما دمت مفترقاً عن الكنيسة الرومانية تبقى في خطر عظيم واكيد . ويجب عليك ان تعظ اخوتك الاساقفة وشعبك ليفعلوا مثلك . ومتى تحققنا انك اعتمدت على القبول الثابت لايمان الحبر الروماني نوضح لك حينئذ ما يجب عليك ان تفعل (٢) .

فأوضح كيرلس لرئيس الآباء الفرنسيين « ان الكنيسة الشرقية تمت ماسكة شروطها وفرائضها المرتبة منذ القديم . فبعد مدة لما ظهرت طقوس وتراتب غير موجودة في المجامع السبعة الكبار ولا في السبعة الصغار مثل الفطير والانتباق والمطهر وحظوى القديسين . فلما رأت الكنيسة الشرقية هذه الامور وحضرة قدس اخونا البابا الذي أبدع هذه الامور وثبتها وليس هي مدونة في

(١) الملحق لرسالته المشار اليها : المؤلف نفسه ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥

تاريخ الطائفة الملكية ايضاً ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ *Mansi, Coll., Vol. 46, Col. 110* 2)

ناموس ولا في قوانين الآباء ولا في المجامع السبعة فسخت الكنيسة عن الكنيسة الغربية . ومن المجمع السابع الى الان الكنيسة الشرقية ماسكة شروطها وما تسلمته من الآباء القديسين وهم باقين على طقوسهم وترتيبهم القديم . واما قولكم من ميل جدنا المرحوم البطريرك مكاروريوس بان مكتوبه مخطوط في خزانة رومية فليس انه بعث يطلب التثبيت ولكن نحن نفهم انه بعث يخبر قدس عزيزنا واخونا البابا بسبب القنصل بيكييت ويشهد له عما فعله من الخير في سنة الغلا الذي صار في حلب لأنه كان قد اصرف نحو سبعين كيس دراهم على الفقرا والمساكين . ونسأل الباري تعالى ان يلهمه (اي البابا) حتى يجمع اخوته واولاده الروحانيين ويغزي الشيطان « من الفريقين » (١) .

ثم وجه كيرلس رسالة طويلة في العشرين من آب سنة ١٧١٦ الى اقليمس الحادي عشر اعتبرها بعض مؤرخي الكتلثة اعترافاً صريحاً بسلطة السدة الرومانية وقبولاً واضحاً لجميع تعاليمها . ونحن لا نرى فيها سوى اعتراف بتقديم رومة شرط استمساكها بقوانين المجامع المسكونية السبعة . ولعل كيرلس تطرف في الملاحظة فاخذ كلامه على معنى أوسع مما أراد . ويلاحظ هنا انه لا بد من أخذ رسالته الى رئيس الفرنسيسيين بعين الاعتبار لأنها قريبة جداً من تاريخ الرسالة الى البابا . واليك نص رسالة كيرلس الى اقليمس :

« المجد لله تعالى دائماً : كيرلس برحة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق الى جناب حضرة الاخ الاقدس كير اقليمسوس البابا الحادي عشر مشرف كنيسة رومية القديمة العظمى حرسه الله لنا زماناً طويلاً .

« الى قداسة اب الآباء وسيد السادات قابل النعمة ومعطي البركة رأس رؤساء الكهنة الأبرار خليفة بطرس الرسول والائمه المختار فريد عصره الشائع ذكره بالاقطار قدوة الناسك الأطهار وكثر التعليم وقلب الأربعة الأقاليم ابراهيم في سماحته واسحق في وداعته ويعقوب في طاعته ويوسف في صفته والياس النبي في غيرته واشعيا في فصاحته ودانيال في طهارته وسليمان في حكته وزكريا في كهنوته ويوحنا التاولوغوس في أقواله ويوحنا المعمدان في كرازته وفم الذهب في تفسيره وانذاره . « اما بعد فالذي نعرضه لفضلكم هو ان وصل اليكنا مكتوبكم الشريف وقريناه

(١) عن النص الكامل الذي نشره الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفة ج ١ ص ٢٩٨ - ٣٠٢ .

وجدنا الله تعالى على سلامتكم وان قدسكم بكل خير . وقد بلغكم من المرسلين بأننا قوي رافسين شأنكم وذكركم غير منقطع عندنا في كل صلاة وقداس الهي . ونطلب من رب البرية ان يحقق المحبة الروحانية بين الخاص والعام لأن بلا محبة ليس سلام . لأن يعلم الله غاية قصدنا المحبة لان قد بلغنا من تلاميذ قدسكم ان كل قصدكم ان تكون المحبة والسلامة مع الاخوة والاولاد الروحانيين الى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ولكن باغض الخيرات دائماً لا يكف ولا يهدأ عن تليل الكنيسة حتى انه من جملة أفعاله أظهر اسم الكنيسة الشرقية والغربية . ولكن في المجمع الاول المسكوني بحضور سلفستروس بابا رومة وضعوا نؤمن بالله واحد . والمجمع الثاني المسكوني كان بحضور دماسيوس بابا رومية . والمجمع الثالث المسكوني كان بحضور كاليستينوس بابا رومية والمجمع الرابع المسكوني كان بحضور لاون بابا رومية والمجمع الخامس المسكوني كان بحضور فيجيليوس بابا رومية والمجمع السادس كان بحضور اغاثون بابا رومية والمجمع السابع كان بحضور بطرس وبطرس وكلام ادريافوس بابا رومية . . . ولم يكن يصير مجمع مسكوني بدون خاطر بابا رومية (١) .

« ومن ذلك الزمان الى الآن الكنيسة الشرقية تطلب دائماً ويقول كل يوم : من اجل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية من الرب نطلب . وما تقول كنيسة غربية وشرقية . بل دائماً نطلب السلام العالم جميعه حتى للذين ييغضونا والذين يظلمونا . هذا كله مطبوع في كتب الكهنة عنكم . ونشكر الله تعالى على ان كنيسةنا على ايماننا الذي نحن ماسكينه من السبعة المجامع المسكونية ونترحم على البابا افجانيوس الذي قصد المحبة والسلام في زمان المرحوم الملك يوحنا البالاولوغوس وعمل المجمع الثامن وقصد به المحبة والسلام والهدوء . ولكن باغض الخيرات حرك الفتن والروم من طبعهم العناد ما قبلوا . وبعده حركت نعمة الروح القدس البابا نقولاوس ان كل ما تمع فيه وعمله البابا افجانيوس قد خربوه الروم ركب بذاته الى مقابل القسطنطينية وارسل رسله الى الملك والاكليروس فاقبلوا كلامه حتى صار فيهم الذي صار ونحن رحنا بسببهم .

« نسأل الله المسيح بكل لغة ولسان ان يعطيك الرب الاله ان تجتمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم سيدنا يسوع المسيح بدمه الكريم الى صيرته الحقيقية . ثم ان جدنا المرحوم البطريرك مكاروريوس بعد حضوره من المصكوف كان غاية قصده الحضور الى رومية ليعمل محبة وسلامة ولكن بقي يقول ان الاخوة اذا تقائلوا ما يبقى احد عاقل يصلح بينهم . وان رحنا الى رومية يقول الروم البطريرك مكاروريوس صار فرنجي . وسابقاً المرحوم جيغالا رئيس اساقفة قبرس لاجل حضوره الى رومية عملوه بأنه افرنجي . ربنا يهلك كل من أيدع هذه البدع وفرق الاخوة عن اخوهم الاكبر لان جميع الناس يقولوا الوعا الكبير يسع الصغير . ولكن كل من قرب اليكم بالظاهر يصير عند الامم الغربية كافر . وربما بلغكم اخبار بطرك السريان كيف طائفته الارطاقة غلوا معه من المساوي ومات في المنفى وهو بلا شك من القديسين . والاساقفة والكهنة ما خلص منهم الا

(١) والكتابة هنا غير واضحة كما صرح بذلك الاب قسطنطين الباشا : تاريخ الطائفة ج ١ ص ٣١٠ هامش .

القليل . ونحن كنا دائماً نرسل مكاتيب الى تلاميذنا الذين هناك بأن يحسنوا اليهم وهم في الحبس ويخدموهم اكراماً للكنيسة الرومانية . وقنصل فرنسة بجلب لو انه يعطي خساية قرش ما كان صار فيهم هكذا .

«ولكن نحن بقوة المصلوب لما حضر القبطي لعندنا لدمشق وجابنا وقرى علينا الخط الشريف وسألنا عن أتباع البابا عندنا وتوابعهم ردينا الجواب عن الجميع . وبقوة الله منعه وما خليفاه يتحشرون في راهب ولا قسيس ولا كاثوليكي وخسرونا من كيسنا مبلغ عظيم ربنا يعرف حتى دفننا الشر عنهم خوفاً من ان تجري العادات السيئة الجارية في غير بلاد . لكن في هذا الزمان جماعتهم خسيسين . الله يرحم القنصل نيكيت . في زمانه صار اندراوس بطرك على السريان هو وقف بملكته وتكلف تلك السنة نحو سبعين كيس على الفقراء لانها كانت سنة غلا شديد . ولما نظروا فعل الخير الذي صنعه ارسل جدنا البطرك مكاريوس واندراوس بطرك السريان وبطرك الارمن اخبروا قدس المرحوم البابا بالخبر الذي صنعه . فان كان القنصل طبيب ربنا يزيد بركة من فك الطاهر وان كان قتيح الرب يجعل حظه مع الآباء القديسين . فهكذا كان القنصل يفعلوا الخير والناس تميل اليهم وتمجد خبرهم .

«وايضاً المرحوم سلطان فرنسا لما وقع بينه وبين طائفة الانكليز وقالوا له نحن قبيح الكنيسة الشرقية بعث طلب اعتقاد الكنيسة الشرقية . فكتب له جدنا البطرك مكاريوس عشرين باباً في اعتقاد الكنيسة الشرقية . وفي اثنا ذلك توفي جدنا وانتخب الحقيق مكانه والمكاتيب ما كانوا بعد توجهوا فبعثوها اليها فأمضيناها وحققنا قوله .

«وان شاء الله ما تكون الكنيسة الشرقية ناكرة كنيسة رومية ولا أخذتها بأنها محدثة . وهذا مدون في كتب الكنيسة عندنا وان بابا رومية هو الأخ الأكبر . وتذكارات الباباوات في أعيادهم الممتازة موجودة في الكنيسة الشرقية .

«ولكن هذه الامور الموجودة اليوم في هذا الزمان ما كانت في القديم لانه لما ظهر معلمين النجم والرصد فهذه العشرة ايام صار فيها شقاق عظيم اذ يكون مسيحي صائم ومسيحي فاطر . وطائفة الموارنة اعرضوا لديكم بأنهم قلائل والروم ما تجوزهم والامم ما يجوزهم فلكونكم مباركين وما تعرفون الكذب صدقتوهم . فقالوا ان قدس البابا اعطانا دستور ان نتجوز على اربعة وجوه . وايضاً العلماني اذا ماتت حرمة يتجوز غيرها ويعملوه كاهن . وهذه الأسباب وغيرها صرنا عاراً عند الامم والارائقة لكون يبقو نصراي صائم ونصراي فاطر ونصراي متجوز على سبعة وجوه واخر على ثلاثة وجوه . وهم كذبوا عليكم ولكونكم ناس مباركين صدقتم قولهم وسودوا عرضكم وقالوا ان البابا اعطانا دستور بذلك . ونحن ما كنا نصدق بأن ينشر عن قدسكم هذا . وكل هذا صار سبب الافتراق وتسمية كنيسة شرعية وغربية .

«ولكن نحن معتقدين وعحققين بأن كنيسة رومية (ماسكة) السبعة الحجام الكبار والحجام الصغار ورافعين شأنها لكونها كانت ام كنائس الدنيا ومقرين ومعترفين بكنيسة واحدة ومعبودية

واحدة وتبارك ما باركوه ونحرم ما حرموه . لكن الامم لما ينظروا صدرت هكذا امور غير مصدقة وليس لكم عنها خبر لهذا السبب ينغروا من ذلك وتقع الشكوك ويتم قول الانجيل المقدس الويل لمن تأتي الشكوك على يده .

«فاذا صار من قدسكم مرسوم يرفع هذه الامور الموجودة الآن وارتفعت يكون الروح القدس حقيقة حاضر معكم لاننا صرنا عاراً عند الامم والارائقة . ولو كان الارائقة ارائقة ولو صيامهم وطقسهم وزيجاتهم ما غيروها بل هي بموجب الناموس المقدس . ونحن نسأل المسيح بكل لغة ولسان بأن يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشترأهم المسيح بدمه الكريم الثمين الى صيرته الحقيقية ويعطي الرب الاله لكل من يريد السلام والمحبة كما قال السيد «سلامي اعطيكم سلامي اخلفه لكم» . فا قال فتنة وعناد وشرور . وناس تقول علمتم كذا . وناس تقول الحق معنا وانتم ما معكم حق . وتم فينا قول الانجيل المقدس : نترك الخشب التي في أيمننا ونقول لايخونا اخرج العود التي في عينك .

«وعند قراءتنا الكتب المقدسة نعدل عن السماع لها كقول يوحنا الانجيلي حيث يقول انك ان كنت تحب الله ولاخيك تفيض باطل قولك اذ كيف الذي تراه تفيضه والذي لا تراه تحبه . وسيدنا له الحمد قال حيوا أعداءكم واحسنوا لمن ييغضكم . ونحن الآن عملنا كله بخلاف ما اوصانا تعالى به .

«ونطلب من حنو مراحمه بركة صلواتكم ان يجعلنا من السامعين الطائعين لما يرضيه ويفرحكم باجتماع الاخوة والاولاد الروحانيين لتقولوا هؤلاء هم الاولاد الذين اعطاني اياهم الله ادخلوا الى فرح ربكم . يكون ذلك لكم بشفاعة العذراء البتول ومار بطرس الرسول وجميع القديسين آمين . جرى ذلك وحرر في اليوم العشرين من شهر آب المبارك في سنة الف وسبعمائة وستة عشر بمحروسة دمشق الشام من اخيكم بالمسيح كيرلس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق» .

واستنزل البطريرك الانطاكي بعد هذا غضب الله على كل من يزيد او ينقص واضاف انه مرسل مع البادري بلاسيوس والخورى ساروفيم «هدية» حقيرة عكازاً صدفاً «اذا مسكتموها في القداس الالهى تذكرون حقارتنا ومرتبنا صنيي داخل رطل دهن البلسم صافي» (١) .

وبلاحظ هنا ان البطريرك الانطاكي يخاطب الخبر الروماني كأخ ويشير الى البطارقة باللفظ «الاخوة» وانه يؤكد استمساك الكنيسة الارثوذكسية التي رأسها بقرارات الحجام السبعة ومثابرتها على الصلاة في كل يوم من أجل الكنيسة الجامعة . ثم يلمح الى الفتن التي أثارها الشيطان في مجمع فلورنسة واثار ذلك في الروم الذين من طبعهم العناد . ويشكر لايخيه البابا سعيه للاتحاد ويشير بركة ودقة

(١) «عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان بكل ضبط وتدقيق» : نسخة من سفره البطريرك مكاريوس الحلبي للخورى قسطنطين الباشا ص ١٣٩ - ١٤٧ .

الى موقف جده مكاريوس من قضية الاتحاد فيجب الدور الذي لعبه دور الوسيط المصلح بين الحبر الروماني وسائر الأقباط . ثم يصلي « لكل » من يريد السلام والمحبة ويقدم عكازاً من الصدف هدية للبابا . فأين الاعتراف بسلطة رومة والدخول في طاعتها ولا سيما اذا قرأنا هذا كله على ضوء ما جاء في رسالة هذا البطريرك نفسه الى رئيس أساقفة الآباء الفرنسيين . وبلاحظ ايضاً ان الفرق كبير جداً بين نص هذه الرسالة البطريركية وبين النص الذي أعده اثناسيوس واشترنا اليه سابقاً وبين ذلك الذي أعده جراسيموس مطران صيدنايا في منتصف تموز من السنة ١٧١٦ (١) .

وفي نظرنا لا يجوز القول بدخول كيرلس في طاعة رومة لمجرد تأكيد هذا الخبر في بعض رسائل افثيميوس لان افثيميوس له مصلحة فيما يروي وبالتالي فإنه لا يعتبر شاهداً عدلاً . ويستدل من رسالة اقليمس الحادي عشر الى كيرلس الثالث المؤرخة في ٢١ ايار سنة ١٧١٨ ان هذا الخبر لم يكتف بما نُقل اليه من أخبار افثيميوس ورسائل كيرلس فهو يقول ما يلي ، والعهد في ذلك على المترجم الخوري قسطنطين : « على اننا نطلب من اخوتك ان تظهر علناً للجميع بكتابات متصلة واضحة انك متحد مع هذا الكرسي الرسولي بقلب صادق « بدون مراياة » وانك تعهدت بالخضوع له وللحبر الروماني » (٢) . وقول افثيميوس ان كيرلس وقع امانة اوربانوس الثامن وختمها بيده وأرسلها يبقى قولاً ضعيفاً الى ان نعثر على هذه الوثيقة في محفوظات رومة . ويجب الا ننسى انه جاء في تقرير رفعه القس جبرائيل فينان الى كاثم أسرار مجمع انتشار الايمان بتاريخ ١١ تموز سنة ١٧١٩ انه اتصل بكيرلس وقدم له هدية البابا وأقام عنده وكلمه مراراً في أمر « الايمان الروماني المقدس » فكان تارة يدعن له وطوراً « يجادله جدالاً خفيفاً » وكان يشكو من « عدم تكميل الكنيسة الرومانية طلبته في طبع الكتاب الافخولجي ورفع ضرر القرصان وعودة التابعين للكرسي الروماني الى الحساب الشرقي في تعييد الفصح » . ويخلص الاب فينان الى القول ان ما ارسله كيرلس

(١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٣٩ .

الى رومة جاء اما عن طمع منه في أشياء عالمية او عن خوف من مشاغبة الكاثوليكين في ابرشيته وان البطريرك « رسم مشاقاً على كرسي باباس » نزولا عند رغبة بطريرك اوروشليم (١) .

كيرلس وافثيميوس : ولج افثيميوس في كثلكته فامتنع عن تأدية مال النورية الى المقر البطريركي واكتفى بتقديم « سمكة بحرية او اربعين قالباً من الجبن القبرصي » . وبعد وفاة مطران بيروت اتصل بالامير حيدر شهاب واستأذنه في ضم بيروت وتوابعها الى ابرشيته وطمع في ابرشية عكة وحض المسيحيين في حوران وشرق الاردن على الدخول في طاعته (٢) . فشكاه بطريرك اوروشليم الى السادة البطارقة واطلعهم على « مكاتيبه ومراسلاته » فأرسلوا هذه الرسائل الى كيرلس وطلبوا ردع افثيميوس وادلاء النصيح اليه بألا « يقارش » افثيميوس ابرشية القدس وقالوا « نحن ماسكين خاطرك » ! فأرسل البطريرك الانطاكي هذا كله الى افثيميوس وطلب اليه ان يمتنع عن هذه الافعال فلم يقتنع . وتساهل افثيميوس في امور الزواج مفسحاً من بعض الموانع وخالف بذلك الناموس الارثوذكسي فكان عندما يمنع البطريرك الزواج الحرام يجيزه هو « ويأكل البلعة » بكاملها (٣) . وجاء لغطاس قندلفت في تاريخ البطارقة ان افثيميوس اختلس امتعة تخص البطريرك (٤) .

البطارقة يحومون افثيميوس : (١٧١٨) وأصر افثيميوس على موقفه فالتأم مجمع في القسطنطينية في خريف السنة ١٧١٨ برئاسة ارميا الثالث بطريرك « رومة الجديدة » ونظر في قضية افثيميوس فحكم عليه بالخروج على الناموس من أبواب سبعة : تحليل الزواج في الدرجة الرابعة وشرطنة اناس من غير ابرشيته وابطال عظام يوحنا الذهبي الفم في كنيسة وتحليل أكل السمك في الصوم

(١) المرجع نفسه ايضاً ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ . راجع ايضاً رسالة الخوري اطفان عطالله الى البابا في المرجع نفسه ص ٣٩٦ و ٣٩٧ .

(٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٩٣ .

(٣) رسالة كيرلس الى قنصل فرنسة في صيدا (٩ تشرين الثاني سنة ١٧١٩) المرجع نفسه ص ٤٠٣ - ٤٠٨ .

(٤) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٨٠ .

وابطال بعض الترتيبات الكنسية وابطال « وضع الزاون ورفعته من الوسط » ولبس الميتر وغيرها بدون اذن . ووافق على هذا كله بطريرك اوروشليم والبطريركان القسطنطينيان السابقان اثناسيوس وكيرلس . فحرم المجمع افثيموس وقطعه من درجات الكهنوت واستصدر فرماناً بنفيه . ونقلت هذه القرارات كلها الى العربية في بطركية اوروشليم ثم ارسلت الى الكرسي الانطاكي مع اصلها اليوناني .

ولدى اطلاع كيرلس على قرارات المجمع القسطنطيني أبلغ افثيموس محتوياتها ونصح اليه ان يسترضي الرؤساء المسؤولين بنفسه او بواسطة شخص آخر يوفده لهذه الغاية . فأبى افثيموس وامتنع . فسكت كيرلس سبعة أشهر فأقبل الرؤساء عليه باللوم وأتهموه بالتواطىء وقالوا له : « بك تخرب ابرشيات البطارقة » . فاضطر البطريرك الانطاكي ان يذبح قرارات المجمع القسطنطيني في سائر ابرشيات انطاكية . وينقل البطريرك كيرلس هذا كله الى قنصل فرنسة في صيدا فيخلص الى القول : « لكن يا عزيزنا اذا كان عندكم في بلادكم واحد كاثوليكي عمل مخالفة في امور الدين وحكموا عليه بالحرم فما يتمكنوا حرمه حتى ينظروا ايش يضمرون طاعته وتوبته وندامته وفي فهمكم كفاية كل أمر » (١) .

وجاء في رسالة كتبها افثيموس نفسه الى مجمع انتشار الايمان في آخر كانون الثاني سنة ١٧٢٠ ان كيرلس حرض البطارقة عليه وانه استعان بالبادري توما ل اظهار خضوعه امامه فقام الى دمشق وقبّل يد البطريرك « وعمل له الطاعة » فباركه البطريرك واعلن ذلك في حاصبيا وبيروت وطرابلس ونصح اليه ان يترك صيدا ويختبئ في جبل الشوف (٢) .

حرم البطارقة : « ارميا برحمة الله رئيس اساقفة القسطنطينية رومة الجديدة البطريرك الايكومينيكوس المسكوفي الى حضرة اب الآباء المقدس ورئيس الرؤساء كيرلس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق الى المطارنة ورؤساء الاساقفة المحبين لله الذين هم

(١) تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٨

(٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٠٨ - ٤٠٩

تحت طاعة قداسكم موجودين محبين واخوة لنا بالروح منتخبين وشركائنا في الخدمة والامرار الالهية والى الكهنة الوريثين والى اولادنا الاحياء والاراضة المكرمين والاعيان المبجلين مع بقية النصارى الارثوذكسيين الذين هم في ابرشية انطاكية قاطنين وموجودين اولادنا المحبوبين بالرب .

« فرحاً لكم وسلامة تشمل كافةكم ورحمة من الله الضابط الكل ومن حقارنا نعم لكم بركة وغفراناً كاملاً يشمل كافةكم آمين .

« والذي نعلم بحبكم انه من باب الواجب يكون عند كل انسان منكم حفظ امانته غير منصدع ولا متزعزع عن تقليدات آباءنا الحسنى العيادة المستقيمة الرأي وتحفظوها وتصونها حفظاً وثيقاً حكم ما شرعت به شريعة الرسل القديسين والآباء الالهيين المتفوهين بالهام الروح القدس التي هي شرائع الكنيسة ونواميسها وحسب ما هو مسطر في الكتب الالهية . لاجل ذلك يجب علينا ان نحفظ اعتقادنا بكل حرص واجتهاد نقيين ومن الدرن سالمين ومن الافكار الردية هاربين والى جميع خرافات العالم راذلين . (ويجب ان نحفظ) الامانة الارثوذكسية لامعة بكل شهادة وتثبيت لان الانسان اذا كان مائلاً في اعتقاده ويتمجد بذاته ويقول كلام مخالف غير لائق الذي هو كلام بدع وتجديف في التسليم السابق فذلك من الاباطيل . والكلام غير مسموع وطاؤه ومخالفته فيسه ويتحققه لثلاف الناس وتشويش القلب اذ يقول لا تغيروا التقليدات الابوية . والقلب المشوش ليس فيسه راحة وهو بوق ظاهر وردي جداً . ومن يكون عنده مثل هذا التشويش فن كل يد هو فعل شيطاني واحادة عن المعرفة بمساعدة وطفيان باغض الحق الذي دائماً يسمى في المضادة فرحاناً ولا يسعى للذين مطابقين رأيه . لكن دائماً يجاهد في ضد المستقيمين الرأي ويضع لهم الشكوك . وهو ميفوض ومردود ومبعود مع من يتبع افعاله الشيطانية ومطرد من كنيسة الله لان الباري في البار يكون . والذي يريد ان يطرد عنه الخيالات الشيطانية فليفتكر في ذاته ويعرف الحق من الباطل . واما الذي يكون متعوج وكذوب ومحاك وكلامه غير لائق ويدين غيره بضاد الحق ويبيذ افكاره الشريرة ويلومها حتى لا يسع عقل احد معنى كلامه .

« فكل هذا تبين وظهر عندنا طغيانه وتجديفه . وتحقق عندنا ذلك من مكاتيبه ورسائله ومن اناس شهود ثقة صادقين ومن المكاتيب المهورات باسمه وختمه الذين ظهروا في مجمعنا هذا المقدس الذي يتخلي من الله صار رئيس كهنة الذي هو الشقي الشرير افثيموس المطران بالاسم لا بالفعل وهو مطران صور وصيدا هذا الكاذب الظاهي المهدف على الروح القدس الخافي الفش في قلبه وفي نفسه الذي الان ظهر كذبه وطفيانته المشوش على رعية المسيح واغنامه الناطقة والدائس لها والمضل لها في الكذب والافتراء . وكل ذلك قصد منه السجج الباطل والآراء المزخرفة تابعاً لهم وضلال رأيهم مقتفياً وماسكاً لتفسحه في طرائق المؤمنين .

« ولم يكفاه ذلك بل انه يسمي ذاته ارثوذكسي وينشر حاله انه في اعتقاد الكنيسة الشرقية ثابت وكل ذلك خدعة منه للحسني العبادة وضلالاً شنيعاً لسقوطهم وتهورهم في غوطة الافكار . وافشاً كتباً من ذاته . ويحتذب شهادات كما يريد وينسبهم الى الكنيسة المقدسة الشرقية الارثوذكسية .

ومن استفحصهم هل ما ينبغي يفهمهم ويعرف معانهم .

« ثم بلغنا الخبر أيضاً انه صنف بغير معرفة كثيراً ضد الدائم الذكر الشيخ كير ضوستاوس البطريرك الاوروشليمي الذي كان غيوراً للذين الارثوذكسي الذي حسن عبادته وديانته وعلمه قد انبثت في سائر المسكونة وفي كل الارض خرج صيت تقوياته وهو مشابه الرسل القديسين كما تشهد كتبه المصنفة منه بالهام الروح القدس وبكل كد وتعب في الرأي المستقيم الذي كان عالماً بها ومعلماً نهاها وليلاً وكارزاً فيها في جميع المسكونة .

« فاما هذا الشقي الحظ يظهر (خروجه) على النواميس المقدسة ويدل بهم انهم مثبتين على الحق والاستقامة . وبالحققة ليسوا هم كما يظن بل هم مصنفات الى الطغيان . ولم يفهم معانيهم كما يجب بل يفضل بهم اناسا كثيرين من قليلي المعرفة السليج في قلة فهمهم وغلاظة ذهنهم وافتخارهم بعلمهم . وهم لم يعرفوا شيئاً ولا يدرون الطريق المؤدية الى الخلاص لاجل انها ضيقة وليس رحبة . ولهذا يقولوا قول هذا الطاغى بتفهمهم لم بالامور التي لا تجدي نفعا . ويدخل سيرة الغم كراعي بالخارج ومن داخل ذيب خاطف يذبح ويشتت بقدر مقدرته الباطلة . ويشد الى الوسط طغياناً فاسداً وكذباً بهرجاً لعلمه انهم سنجاميون لا يفهمون شيئاً . ويذبح بدعا ويظن انها من الكتب المقدسة . وكل ذلك من عظمتهم وغرورهم وافتخارهم .

« ويقول في اثناء ذلك في امضاء مكاتيبه من الحقير متروبوليت اي من الغير مستحق ولم يفهم انه هذه القضية لم تعطى له بل هي اعطيت الى البطاركة والى رؤساء الاساقفة القائمين بقاتهم لا غير كما هي مرتبة من المعلمين الالهيين .

« ولم يكفاه ذلك بل انه لعظمة غباوته وجهله يتجاسر على غير ابرشيات ويوعظ فيهم من غير اذن ولا دستور صاحب الارشية . ويبان ذلك ليس هو من باب طريق الناموس ولا هو لائقاً ومرتباً بين رؤساء الكهنة ان يطق كراسي غيرهم من غير اذنتهم كما هو مشروح في القانون العشرين في (طرو) المقدسة في المجمع الخامس والسادس المقدسين الذي يذكر فيهم بأن ليس لائق لرئيس كهنة يتقدم في غير ابرشيته او يعلم فيها . وكل من يتجاسر على ذلك يكون مقطوعاً من كهنوته .

« وايضاً في قانون التاسع عشر والتاسع والعشرين من مجمع انطاكية العظمى يشرع بالقول ان كل رئيس كهنة بشرط ان يغير ابرشيته او يوعظ بغير اذن صاحب الارشية او من غير مكاتبة له فذلك الشرطونية باطلة وذلك المشرطن يكون مقطوعاً من سائر درجات الكهنوت .

« لاجل ذلك لما ثبت عندنا اقوال وافعال وتصريح هذا الشقي الحظ افثيموس وتعميجه وتجيده على الحسنى العبادة وعلى القوانين المقدسة وتحريمهم مثل ذلك من غير جزع ولا خوف ولا احتشام لكونه خالف شروط القوانين المقدسة لانه :

« اولاً حلل زواج الزيجة الرابعة وزوج اخيتين الى اخين

« ثانياً شرطن اناساً من غير ابرشيته

« ثالثاً أبطل تقاسير يوحنا فم الذهب وقال هؤلاء كانوا رؤساء كهنة وانا رئيس كهنة مثلهم

« رابعاً حلل اكل السمك في يومي الاربعاء والجمعة وفي الصيام الكبير المقدس وبقية الصيامات المقدسة ويلعن الذي ما يأكل في الصيام سمك .

« خامساً أبطل تراتيب الكنيسة وزاد ونقص في قوانينها

« سادساً أبطل من القداس الهى حط الزوان الماء الحار ورفع من الوسط

« سابعاً بتجبره وكبريائه وافتخاره بنفسه تجراً وابتدع له ميترًا ولبسها من غير ان سبق للمطارنة الذين قبله ان لبسوها بهذا الكرسي ومع ذلك من غير اذن ومشورة معلمه ومن غير دستوره . وصار قائم بذاته وخالف القوانين المقدسة واموراً غيرها فيصح ان نذكر تعامدها فلاجل ذلك حكم بجمعنا هذا المقدس بالحق انه مستحق القطع وهو مقطوع من سائر درجات الكهنوت العظيمة والملايكية .

فن حيث انه لم يثبت مستقيماً بل تعظم في معرفته وشابه طغمة الملائكة التي سقطت من السماء وماثلها . ومن الواجب لكل رئيس كهنة ان يكون نقي طاهر ليس بالقول فقط بل بالفعل حتى لا يشكوا منه رعاياه ولو بكلمة واحدة صغيرة ولا يفترى على الاسم القدوس بل يكون كواحد من الرسل بالقول والفعل والسيط وكل من فعل خلاف هذا الرأي ويعلم الناس بخلاف ذلك ويطلق عقول السليج فتل هذا فليسقط من درجته . ويجب ان يطرد هذا الطاغى من بيننا ويحذف كما يحذف الحجر بالمقلع كما معين في شريعة الرسل .

« فليعلم الآن كل واقف عليه وسامع رسالتنا هذه فليعتقد بأنه بعد فحص بليغ واستيثاق حريز هذا المجمع المقدس بحضور البطاركة الدائمين الذكر اخوتنا كير اثناسيوس وكير كيرلس بطاركة القسطنطينية سابقاً وبحضور اخونا الأب الأجد كريسافطوس البطريرك الاوروشليمي وبحضور من وجد معنا من رؤساء كهنتنا المطارنة والاساقفة المحبين لله وشركائنا في الخدمة الالهية الذين سنذكر اساميهم ادناه باننا شرعنا جميعنا وحكنا وحثنا بأن هذا الشرير افثيموس مطران صور وصيدا محروم مفروز مقطوع من سائر درجات الكهنوت ومعرى من سائر مواهب الروح القدس وليكن مسقوطاً وخارج من درجة المطرانية ويكون جزماً ساقطاً ومطروداً من سائر ابرشيته . واما كتبه المصنفات من قبله فليكونوا مردولين وبطالين وليس مع احد دستور من جميع الحسنى العبادة ان يمتي بهم او يفعل بما فيهم . وكل من تعدى ذلك من المسيحيين وتبع هذا المذكور الكاذب المشوش على كنيسة المسيح الارثوذكسية الاغنام الناطقة الذي هو متشبه بالشیطان كائناً من كان يكون مفروزاً .

« وهذا الشقي المنكود حظه ليس له (معاذة) في ابرشيته ولم يبق معه دستور بوضع يده على كنيسته ولا يقارح محصولها من المسيحيين وليس له سلطان ان يتزيا بزي رؤساء الكهنة ولا ان يتصرف ويخدم خدمتهم لانه مقطوع ومسقوط ومنزعة عنه النعمة وصائر درجات الكهنوت . ومن الآن يسمى افثيموس فقط لا غير ويكون كواحد من المطروحين . وكل

كاهن يقدس معه ويحتسبه كباقي رؤساء الكهنة بمعرفة يكون مقطوع من كهنوته مفروزاً . وكل واحد من العلمانيين يكرمه اكرام رئيس كهنة ويقبل تلك اليد النجسة الملوثة غشاً قاصداً بذلك اخذ بركة فلتكن خطاياهم غير متروكة ولا مغفورة اذا كان بمعرفة منه . وكائناً من كان منكم او من غيركم يساعده ويقبله في بيته او في اوضته او في حاصله او يشاركه في مصالحه وفي افعاله او يسعى معه او يساعده كائناً من كان ذلك الشخص يكون محروم كبير كان او صغير . ومن الان كل من يتشرطن من يده يكون مقطوع . والذين يتفقون معه وهم يعلمون انهم يتفقون ضد الحق فليكونوا محرومين معه ويكون حظهم مع المعوجين كما يقول النبي داود . وكل الذين يضادون وينشقون مائلين الى طغيانه وتجديفه فليكونوا مفسوبين ومحرومين في هذا الدهر ويرثون برصاً لا يزأ دائماً وفي حياتهم يهتزون مثل قايين ويهلكون ولا يشبعون القوت الضروري ويحقون من مصحف الحياة . ويكون لهم وعليهم غضب الآباء المتوشحين بالله الثلاثية وثمانية عشر وبقيّة الجامع المقدسة .

« واما جميع المسيحيين الارثوذكسيين الذين هم لاوامر كنيستهم سامعين وبها عاملين ومن ما يضادها هاربين ولتقليدات الآباء القديسين ورسومهم فيها تابعين وفي كل عمل صالح ناجحين فليكونوا للملكوت السماء وارثين آمين آمين آمين . حرر في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٨ انديكتون الثاني .

« برحمة الله اثناسيوس بطريرك القسطنطينية سابقاً امر بذلك . برحمة الله كيرلس بطريرك القسطنطينية سابقاً امر بذلك . برحمة الله جريستدوس بطريرك اوروشليم امر بذلك . في طاعة قدسكم اكليمنضوس ابراكليّة وروستوس . في طاعة قدسكم باثيسوس نيقوميديّة . في طاعة قدسكم افكستينوس كيزيكو . جراسيموس نيقية . اثناسيوس ادرقة . ديونيسيوس اماسية . برتانيوس لاريسوس . نيكوميديس ميليتيني . ابروفنوس متليني . اثناسيوس ايلاصونوس .

« نسخ من اللغة الرومية الى العربية في دمشق على يد اب الآباء ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة كيرلس بطريرك انطاكية وسائر المشرق » . (١) .

اثناسيوس الرابع : (١٧٢٠) وشاخ كيرلس الثالث وقرحت رجله
وشقت قرحتها . وحضرته الوفاة وبلغ الوصية . فدخل عليه الخوري عبد المسيح وكان ممن قالوا بالكثلكسة وسأله اذا كان يريد ان يعترف . فأجابه البطريرك : « اي شيء عملت لا قتلت ولا زنت ولا سرقت اقرأ افشين » (٢) . وفي يوم الثلاثاء الخامس من كانون الثاني سنة ١٧٢٠ اختار له الله ما عنده ففاضت نفسه ودفن

(١) من نسخة الآباء اليسوعيين في بيروت مخطوط رقم ٥٥٠ . راجع تاريخ الطائفة الملكية للخورى قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤١٢ - ٤٢٥ .

(٢) اقليمس الحادي عشر (اول آب سنة ١٧٢٠) : تاريخ الطائفة الملكية للخورى قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

يوم عيد العماد الشريف في مذهب البطاركة في تل القديس جاورجيوس . « وكانت مدة رئاسته سبعاً واربعين سنة وستة شهور واربعة ايام » (١) .

وكان افثيميوس في دمشق آنشد فأحاط به انصاره وارادوا ان ينادوا به بطريركاً واستعانوا بعتان باشا ابى طوق صديق افثيميوس وارادوا ان يستولوا على البطريركية بالقوة فعارضهم في ذلك المرسلون الرومانيون في شخص كل من الاب توما دي كامبايا والاب بطرس فروماج وقالوا انه محروم من البطاركة وان رائده تغيير الطقوس والعوايد وتخريب نظام الكنيسة ، وفصلاً ذلك في انه « بده يبطل الماء الحار من القداس ويلزمكم في اكل السمك ويطعم رهبانكم لحم حتى يحقر كنيستكم » ! وأيدا اثناسيوس لانه سبق له ان نصب بطريركاً . فطالب افثيميوس بخمس مئة غرش دفعها الى كيرلس لمناسبة شرطته مطراناً على صور وصيدا فاعيدت له مئة ذهب بندقلي وستة عشر كتاباً كنسياً واشياء اخرى . فذهب افثيميوس الى الكنيسة واقام اسم اثناسيوس وقال « كونوا مطمئنين القلب والخاطر » (٢) .

اما اثناسيوس فانه بعد الصلح الذي تم في السنة ١٦٩٤ استقر في حلب ودبر رعيته احسن تدبير « ففتح عنها ما لا يجوز واثبت فيها ما يجب اثباته من قطع اسباب الشر واثبات اسباب الخير » . فاحبه النصارى على اختلاف مللهم ومالوا اليه « لانه كان ذا عقل وافر وحكيم » (٣) . وكان يكثر من مطالعة كتب الآباء والتواريخ فلوى عنانه واستقام على الطريقة المثلى واتصل بالقسطنطينية وسافر الى القلاخ والبغدان مستجدياً . ولما توفي كيرلس نادى جمع غفير من نصارى دمشق باثناسيوس بطريركاً وكتبوا بذلك الى اعيان الطائفة في حلب . وكان اثناسيوس غائباً عنها متجولاً في القلاخ فأجاب نعمته ابن توما الخوري الحلبي باسم اعيان حلب برسالة مسهبة ادخل نصها في كتابه « راكم الطريق ان يرضى بتقليد التفليق » . واليك اهمها :

(١) النقش الاثري في دار الكندراية البطريركية في دمشق
(٢) افثيميوس الى مجمع الايمان (آخر كانون الثاني سنة ١٧٢٠) : تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٤٠٩ واثناسيوس الى مجمع الايمان : المرجع نفسه ص ٤٥٩ .
(٣) ديوان البلع لجرمانوس فرحات : تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٢٧ .

ومن جهة مكاتيبكم المرسلة على يدنا لكي نرسلها الى قدسه مع المكاتيب المخصوصة الى اسلامبول ففي حال وصولها بذلتا ما يجب علينا من المهمة وباشرنا تحرير مكاتيب خصوصية وعمومية ووضعنا الجميع في مغلف واحد وارسلناهم ضمن مكتوب بواسطة صحبة جوقدار حضرة محصل آغا مضمونات الوصول بوجه السرعة ليد المقدسي فرج الله القاري . واكدنا عليه في مكاتيبنا انه حال وصولهم الى يده بمسك ولاق (ساعي) على كيسنا ويرسلهم صحبته الى الولاء (الفلاح) . واكدنا على قدسه ان يكون حضوره الى اسلامبول قبل بيوم وساعة ليقضي شغله على مراده « (١) » .

مجمع القسطنطينية : (١٧٢٢) وعاد اثناسيوس من بلاد الفلاح وبلغ دمشق في اوائل آب سنة ١٧٢٠ . وكان كيرلس قد وقف جميع متروكاته على الكرسي البطريركي فلما استتب الأمر لاثناسيوس وجد معظمها منثوراً فأخذ الغيظ منه كل مأخذ . وزاد غيظه بما لاحظته من نشاط رهبان الافرنج وتدخلهم في شؤون الكنيسة .

ولما كانت وسائل اثناسيوس المادية ضعيفة لا تساعد على محاربة رهبان الفرنجة بسلاحهم تذاكر في ذلك مع البطريركية المسكونية . ثم سافر الى القسطنطينية بنفسه واجهد في عقد مجمع للنظر في ما يجب اتخاذه من احتياطات بهذا الشأن . فانهقد هذا المجمع في اواخر السنة ١٧٢٢ في القسطنطينية برئاسة ارميا البطريرك المسكوني واشترك اثناسيوس البطريرك الانطاكي وخريستس البطريرك الاوروشيمني واثنى عشر مطراناً . وحكم هذا المجمع على التعاليم غير الارثوذكسية ولا سيما ما يتعلق منها بالرئاسة والعصمة والانباتاق من الابن والفطير والنار المطهرة وسعادة القديسين والخنوق وصوم السبت ومنع الميرون والمناولة عن الاطفال . وحررت اعمال هذا المجمع باليونانية والعربية وانتشرت في لبنان وسورية وفلسطين . وقد ذكر السمعاني ذلك في الجزء الثالث من المكتبة الشرقية ويندوتي في اضافاته على التاريخ الكنسي للملايوس (٢) وديمتراكوبولس في تاريخه (ص ١٧٠ - ١٧١) (٣) . وكان بطرس الاكبر قيصر روسية يعيد النظر في نظام

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠

(٢) Vendotis, G., Prosth. Ecc. Ist. Meletion, Wien, 1796, 59.

(٣) البطارقة لفظاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٩١

الكنيسة الروسية فاستشار القسطنطينية في بعضها . فعني المجمع المتعقد فيها بهذه الامور . واهم ما اتخذته من القرارات لهذه المناسبة الاكثيسيس الارثوذكسي . فبنى بذلك امولوجية دوسيئوس الاوروشيمني وارسلها الى روسية فعرفت برسالة البطارقة وقد سبقت الاشارة اليها ونشرت بتامها في الفصل السابق .

اختصار صوم الرسل : وكان كيرلس الثالث قد سعى لدى المقامات الارثوذكسية العالية في اختصار صوم الرسل فلما استولى اثناسيوس على سدة الرسولين جاءه سينديكون يفوض امر حل هذا الثقل اليه . فأصدر منشوراً رعائياً جعل فيه صوم الرسل اثني عشر يوماً بعدد الاثني عشر رسولاً وذلك « لكي من يصوم لا يدين من لا يصوم ومن لا يأكل لا يدين من يأكل » . وبينت الاسباب التي أوجبت هذا الاختصار فجعلها خمسة اولها ان من صام هذا الصيام كان يصومه بتذمر وضجر . وثانيها ان هذا الضجر كان يدفع البعض الى التجديف . وثالثها ان بعض المؤمنين كانوا يتعدون الصوم بالخفاء . ورابعها ان البعض كانوا يأكلون الزفر من غير حياء . وخامسها ان اغلب اهل القرى والبر كانوا يتركون المذهب المسيحي وينحازون الى الامم لان « فصل السنة في هذا الصوم مقفر من الخضر والفاكهة ومن المأكول الصيامية ومغضب بالحليب واللبن والجبن والبيض وان اهل البر لم يكن عندهم غير هذه المأكول . وهكذا كان اولادهم ينفرون عنهم وينتمون الى مجاورهم من الامم فلم يبق في بعض القرى من المسيحيين احداً » (١) .

الليتورجية والاورولوجيون : وعني اثناسيوس وهو لا يزال بطريركاً سابقاً بالطقوس الدينية فطبع في السنة ١٧٠١ في مدينة بوخارست في حقليين يوناني وعربي مجبر اسود فأحر كتاب الليتورجيات الثلاث . واعتمد في النص اليوناني ما كان قد طبع سابقاً في مدينة البندقية وتبنى للنص العربي ترجمة ملاتيوس كرمه . فظهر الكتاب في ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط . وجاء في ديباجته

(١) عن كتاب عجلة راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلغيق لنعمة ابن توما الخوري الحلبي : تاريخ الطائفة الملكية لخورى قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٩

ما يلي : « كتاب القداسات الثلاثة الالهية مع بعض احتياجات اخرى ضرورية للصلوات الارثوذكسية - قد طبع الان حديثاً في اللغة اليونانية والعربية بالتماس ومشاركة الاب الطوباني كيريو كير اثناسيوس البطريك الانطاكي سابقاً - بمصرف السيد الامجد الرفيع الشأن متقلد حكم جميع بلاد ونكر وفلاخيا كير كير يوانو قسطنطين بسارابا ويوضا المكرم - في تقليد رياسة كهنوت الاب المطران الكلي الغبطة ثاوضوسيوس للبلاد المذكورة - في دير سبتتنا والدة الاله المكنى بسيناغوفو في سنة الف وسبعماية وواحد مسيحية - بيد الكاهن في المتوحدين انثيموس الكرجي الاصل » . وفي السنة ١٧٠٢ انجزت هذه المطبعة نفسها كتاب الاورولوجيون بحرف عربي كبير بحجر اسود واحمر في حوالي سبع مئة صفحة . وجاءت طروباريات وقنداقات اعياد المشاهدة واعياد الخمسين والتريودي مطبوعة باليونانية والعربية في حقلين متقابلين .

كتاب صخرة الشك : ورأى اثناسيوس ان يزود الارثوذكسيين بما يثبت ايمانهم ويمكنهم من الرد على رهبان الفرنجة واتباعهم فنقل كتاب ايليا مونياني الى العربية واسماه صخرة الشك ونشره مطبوعاً سنة ١٧٢١ ووزعه مجاناً على ابناء الطائفة . وفي هذا الكتاب بيان بدء الانشقاق واسبابه وانفصال الكنيسة الغربية عن الشرقية والاختلافات الكلية بينهما (١) . فاستفزز بعمله هذا الشماس عبدالله زآخر فرد هذا بكتاب اسماء التفنيد للمجمع العنيد ويموجز دعاه مختصر التفنيد . وقد طبعه الآباء اليسوعيون فـجـا بعد في بيروت سنة ١٨٦٥ . وقام بعده الخوري نقولا الصايغ فصنف في الدفاع عن الكتلكة كتاباً اسماه الحصن العظيم مقابل المجمع الانيم منه نسختان في مكتبة دير المخلص .

تاريخ البطريركية الانطاكية : وصنف اثناسيوس تاريخاً لبطريركية انطاكية من زمن بطرس الرسول حتى السنة ١٧٠٢ ودونه باللغة اليونانية فترجم الى اللاتينية وطبع في فينة عاصمة النمسة . وشرح كتاب التعليم المسيحي وكتاب

1) Demetracopoulos, A. K., *Orthosos Ellas*, 170, 171, 174.

الحكيم والعالم وألف في سيرة القديس خريستوذولوس رئيس دير الرسول يوحنا اللاهوتي الذي كان في جزيرة بطمس (١) .

اثناسيوس واثيميموس : واعتبر البطريرك اثناسيوس اثيميموس محروماً وأعلن ذلك في ابرشيات الكرسي الانطاكي . واستصدر فرماناً سلطانياً بني اثيميموس وحل هذا فرمان الى الولاية رسولا سلطانياً . فقبض على اثيميموس وعلى ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس واخيه او ابن عمه منصور الصيني والخوري خليل خبيصة والقس الياس فرعون والخوري فرج الله نصر والخوري سليمان سالم وقيدوا بالحديد واودعوا السجن في قلعة صيدا استعداداً لتفويضهم الى ادنه . وجاء الى صيدا مطران يوناني يحمل ثلاثة اوامر سلطانية قضت بضبط الكرسي والاملاك وبتأديب من اعترف بسلطة رومة . وزار هذا المطران اليوناني اثيميموس في سجنه وفأوضه في العودة الى حضرة الكنيسة فأبى . وكان لاثيميموس صداقة تُرعى عند والي صيدا عثمان باشا ابي طوق فتوصل بها . وبدلاً من ان يطوقه « ابو طوق » اطواق بره ارسل رجاله الى السجن يفأوضون السجناء في ما يدفعون فداء ارواحهم ! ولما نال مراده منهم شهد بحسن حال اثيميموس واستصدر عفواً من الاسانة . ثم اطلق سبيل السجناء بعد ان قضوا في القلعة ثلاثة اشهر ونيف . وخشي اثيميموس ان تنقلب الحال عليه بعد ان عزل صديقه عثمان باشا في اواخر السنة ١٧٢٢ فاستصدر حجة شرعية من قاضي صيدا تثبت التحقيق في قضيته وصدور العفو وذلك في حوالي التاسع عشر من حزيران سنة ١٧٢٣ (٢) . وجال اثيميموس جولة رعائية فزار صور وصيدا وبعبك . ثم نهض الى دمشق فاستولى عليه العياء ، وكان قد جاوز الثمانين ، فتوفي فيها في اواخر تشرين الثاني سنة ١٧٢٣ ودفن في مدفن التل . وفي السنة ١٩٢٦ عثر بعض القمعة العاملين في المدفن على حجر تاريخ اثيميموس فنقله بعض الرهبان سرّاً من المدفن الى محطة

1) Sathas, C., *Neoelleniche Philologiai*, 458.

(٢) عن رسائل اثيميموس وساروفيم الى مجمع الايمان : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٨١ . راجع ايضاً رواية الخوري جبرائيل فينان (٢٥ حزيران شرقي ١٧٢٣) في المؤلف نفسه ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

القطار في دمشق. فأعلم مدير الشرطة البطريرك غريغوريوس الطيب الذكر بذلك فقال رحمه الله: «هم احق منا بذلك لان اقليموس كان اول اسقف كاثوليكي». فنقل الحجر الى دير المخلص (١).

اثناسيوس وحلب: وذهب اثناسيوس بعد تفرده بالبطريركية الى بلاد الفلاخ والبغدان لجمع التبرعات للكرسي الانطاكي. ثم عاد الى القسطنطينية ومنها الى حلب. واقام في هذه المدينة مدة لانه شعر ان مناخها كان اكثر موافقة لصحته. ولعله أحب ان يكون مركزه الفعلي في اكبر وسط ارثوذكسي. ولعله ايضا سئم الإقامة في دمشق لكثرة الشغب في اوساطها الارثوذكسية المائلة الى رومة.

وأخ الحلبيون بوجوب رسامة اسقف عليهم منذ السنة ١٧٢٠ فانتهاز اثناسيوس فرصة شغور الكرسي فيها واشترع ما يؤمن المحبة والسلام. فأصدر في الخامس والعشرين من تموز من هذه السنة مرسوماً بطريركياً قضى بتأليف مجلس ملي من اثني عشر عيناً من أعيان الطائفة وتخصيص جميع ما يدخل من النذور وما يرد من تفريق الشمع وما يجمعه صندوق الفقراء وثلاثي دخل القداديس والنياحات الى الكنيسة يتسلمه مجلس الملة وينفقه برأيه. فيؤمن باتبوعية Pateomai وملاقة القضاة وحكم الكنائس والانفاق على الفقراء والديورة والقندلفت وغير ذلك. وخصص البطريرك دخل الاكليل والخطبة ونصف مدخول الأعياد وثلاث مدخول القداديس والنياحات لرئيس الكهنة بالاضافة الى مال البطرشيل. واما النورية فلما ظلت للبطريرك المتولي كائناً من كان وفي اي مكان كان (٢).

وكان اثناسيوس قد قضى في دمشق احد عشر شهراً (١٧٢٠ - ١٧٢١) ثم اقام الخوري جرجس البلمندي وكيلا له فيها ومضى الى حلب فوصلها يوم عيد الرسل في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٧٢١. ولدى وصوله طلب الشعب مطراناً عليهم ورغبوا في انتداب ثيودوروس الحناوي الشوري. فلم يررض البطريرك لما كان قد شاع عن ثيودوروس من ميل نحو الكنلكة. فطلبوا

(١) قارن بما اورده الخوري قسطنطين الباشا في تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٤٩٧

(٢) مجموعة نعمة توما الخوري - عجالة راكب الطريق - تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٤١ - ٤٣.

ان يكون المطران من ابناء بلدهم فخيرهم بين ثلاثة الخوري جرجس الشدودي والخوري نقولا الصايغ والخوري جراسيموس (جرجس البلمندي). فاختاروا جراسيموس فحضر حالاً «لأنه كان متممراً من اهل الشام لأنهم بغضوا معلمه» (١). ورسم البطريرك جراسيموس مطراناً على حلب ثاني عيد الميلاد ليلاً وأصدر المرسوم التالي:

«بعد البركة والنعمة. المنهى انه لما دعت الضرورة الى اقامة مطران على مدينة حلب حيث اننا التزمنا سياسة ابرشية الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس ولان الطريقة الكنائسية تقضي ان يصير انتخاب المطران برضى البطريرك واختيار الكهنة وباقي الرعية ورأينا ان الرعية انقسمت آراؤها في ذلك اقسام قد يتصل الى انحرام النظام وآل أمر انتخابهم الى اربعة انفار لم يستقر مجموعهم على احد قرار. ثم تصفحنا الاثنين من الأربعة رأيتناهم لا يقبلان التقدم الى هذه الدرجة السامية الشاقة حذراً من مخنورات ضرورتها الفايقة. والثالث ليس بمعلوم ان يكون كفوياً ولا تبين انه يرضى الالتزام بها.

«فاستخرنا الله واختارنا لهذه الدرجة العلية والوظيفة الريانية ولدنا الروحي الخوري جرجس البلمندي بما انه كفوء لها من حيث السيرة وحسن التدبير وسلامة الذمة والسريرة. ولذا حررنا هذه الوثيقة لظهار انتخابنا المذكور ورضانا به حتى كل من اعتمد من الرعية على رأينا المرقوم يحرم خطه بيده لاثبات ما اهتمنا اليه تعالى من الهداية لان الجماعة الحلبية بما انهم ابناؤنا الاختصاص قد التمسوا منا ان نقيم عندهم لسياسة امورهم ولاظهار محبتنا لهم ما دمتنا في قيد الحياة. وان اقتضى امر ضروري لسياسة غيرهم فنذهب لقضائهم ونجازه ونعود اليهم فرأينا ان اجابة طلبهم من وجه الحجة الابوية واجب ومقبول وحري بالقبول فأجبنا التماسهم المرغوب كالأمول. وهم قبلوا هذا العهد والقرار على هذا المنوال بناء على ان يثبت المقال بشارات الأفعال وعليه الاتكال» (٢).

وبعد ان ارتقى جراسيموس الى الاسقفية رفض الذهاب الى دمشق بوكالة البطريرك. فقامت بينهما الضغائن. وكان من الحلبيين قسم وافر قد شرد عن الارثوذكسية فلما رأوا ما جرى بين اثناسيوس وجراسيموس وكانوا يتفرون من الاول نظراً لاجتهاده في مقاومتهم، تحزبوا لجراسيموس ومالوه اليهم فلما رأى البطريرك ذلك ابعده جراسيموس عن حلب وحرم الشماس عبد الله زاهر فخرج جراسيموس من حلب واقام مدة في دير البلمند ثم في دير السيدة في رأس بعلبك

(١) تاريخ الرهبانية الشورية: المؤلف نفسه ج ٢ ص ٤٥

(٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤

ثم في بعلبك نفسها . وما فتىء جراسيموس مبعداً حتى تموز السنة ١٧٢٤ . وفيه وهبه البطريرك الحل واعاده الى كرسيه .

اثناسيوس ودمشق : وصمم اثناسيوس على محاربة الكثلكة في دمشق وأصر على ذلك . فكتب في الرابع عشر من كانون الاول سنة ١٧٢٢ الى لاونديوس متروبوليت حماه ووكيله في دمشق ان يجمع الكهنة والشمامسة والوكلاء والاعيان ويكلمهم في ما جرى ويأمرهم بالتمسك بالتقاليد الارثوذكسية بدون زيادة او نقصان وبكتابة محضر بذلك يبين واقع الحال ويقنع البطريرك القسطنطيني وسائر المطارنة . وأمر لاونديوس ان يفهم الدمشقيين ان بطريركهم يتبع الكنيسة الشرقية والجامع المقدسة السبعة وأنه يؤمن بجميع ما قالوه وحدوده من القوانين والطقوس والترتب والاصوام والصلوات جميعها . فان قبلوا هذا الرأي وأعطوا خطوط ايديهم به جاز وبقي هو على ما كان عليه من الاهتمام بهم . وان لم يمتثلوا فليس على لاونديوس الا ان يعلم البطريرك بذلك ليرفع يده ويتركهم « يعملون خلاصهم » . وان طاعوا رضي عنهم . ولكنه بصر على ربط الخوري خليل خبية والخوري عبد المسيح زبال والقس يوحنا خبية والقس نقولا سيور . وان لم يحفظ هؤلاء الرباط البطريركي وقعوا في الحرم بكلمة الرب العزيز . وكذلك من تعصب معهم وشوش فهو محروم ايضاً ! (١) .

مجمع دير الخلد : وتوفي افثيميوس الصيفي في السابع والعشرين من تشرين الثاني حساباً شرقياً سنة ١٧٢٣ فاجتمع كهنة الروم الكاثوليك في دير الخلد وانضم اليهم الوجوه والاعيان وتفاوضوا في امر خلف يتولى شؤون الروم الكاثوليك فطلبوا الى الخوري سيرايم ابن اخت افثيميوس ان يخلف خاله فأبى لأن نصارى صيدا كانوا لا يزالون يفوضون البطريرك اثناسيوس في سيامة سيرايم مطراناً على صيدا . فاتجهت الانظار نحو الخوري جبرائيل فينان . فقال : « ان هذا الأمر ليس في يدنا » فقالوا له : « انتم اسكتوا واقبلوا الدرجة ونحن نعمل شغلنا » . فقبل فألج المجتمعون على الامير حيدر حاكم جبل لبنان ان يوجد

(١) المرجع نفسه ج ١ ص ١٢ - ١٣

مطارنة ثلاثة يرسمون جبرائيل . « فجاب لهم الامير ثلاثة مطارنة من تحت حكمه الواحد مطران بيروت من طقس الروم والثاني مطران الياس الموراني والثالث مطران ابرام الارمني » (١) وسام هؤلاء جبرائيل اسقفاً على بانياس ودعوه باسيليوس . واقام باسيليوس في دير المخلص بدبر شؤونه . ثم كتب في الثاني من اذار سنة ١٧٢٤ الى مجمع الايمان يوضح واقع الحال ويرجو « الحلة من الكرسي الرسولي » لان نيوفيطوس غير كاثوليكي ! (٢) .

اغناطيوس مطران صور وصيدا : (١٧٢٤) ولم يرخص اثناسيوس البطريرك عن رسامة باسيليوس ولم يثق بسيرايم لاندفاعه الشديد في سبيل الكثلكة وجراته على الجهر بها . وكان لا يزال يأمل في تسوية الامور ورد الشاردين الى الحظيرة . فاتخذ موقفاً وسطاً في رسامة خلف افثيميوس على صور وصيدا . فوافق على ترشيح الخوري اغناطيوس البيروتي . وكان هذا من تلاميذ افثيميوس وقد ناب عنه في اثناء غيابه ولكنه كان « مسكيناً لين الجانب » . فدعاه الى حلب وطلب الى نيوفيطوس متروبوليت بيروت ونيوفيطوس متروبوليت صيدنايا ان يتوليا امر رسامته وسمح لهما بالقيام بذلك وحدهما لتعذر وجود مطران ثالث . وقال في مرسومه انه عمل بنص القانون العشرين من الكتاب الثالث من قوانين الرسل والفصل السابع والعشرين من كتاب المراسيم الرسولية للقديس اكليمنضدوس تلميذ بطرس الرسول (٣) .

وفاة البطريرك اثناسيوس : (١٧٢٤) وكبر اثناسيوس وتجاوز الخامسة والسبعين . وكان قد اصابه استرخاء في مثانته فتوفي في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٧٢٤ ودفن في جرن اعده لنفسه في كنيسة حلب . وجاء للخوري ميخائيل بريك انه مات مسموماً (٤) . وجاء في تاريخ الرهبنة الشورية انه احتفل بخدمة

(١) والاول نيوفيطوس متروبوليت بيروت والثاني الياس المحاسب مطران عرقة على الموارنة والثالث ابراهيم العيتاني مطران حلب على الارمن الكاثوليك .

(٢) باسيليوس الى مجمع الايمان : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٦ - ١٨

(٣) مجموعة نعمة توما الخوري : تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣٨

(٤) الحقائق الوضعية ص ٦٢

القداس في اوائل شهر تموز وقال عند النهاية : « ان بعضاً القوا كتاباً ضد مجمعنا (عبدالله زاهر) فليكونوا محرومين هم ومن يقرأ في كتابهم » فشرع وهو يخلع ثوبه الحبري بألم فلزم فراشه (١) .

وجاء في تاريخ البدع لجرمانوس فرحات انه لما دنت ساعة وفاة البطريرك جاءه الاب فروماج اليسوعي وفاتحه كلاماً في سر الاعتراف فأبى ان يعترف عنده وقال لقد اعترفت . و اضاف جرمانوس ان البطريرك اعترف على يد الخوري بطرس الاشقر الارثوذكسي رئيس دير مارجر جس الحميرة وانه مات ارثوذكسياً (٢) . وجاء في تاريخ الرهبنة الشورية ان اثناسيوس بقي مصرأ « على شقاقة » حتى الموت (٣) . وجاء للاب جوزف دي ريلي رئيس دير الكبوشيين في حلب انه ذهب في السابع والعشرين من تموز حساباً غريباً لعبادة السيد اثناسيوس بطريرك الروم ولم يكن له خوفه من دنو اجله فرفض قرارات المجمع القسطنطيني وقال انه لا يعرف الا كنيسة واحدة هي كنيسة رومه وانه يموت على هذا الايمان والاعتقاد ما عدا عادات الطقس التي لا تمس الدين وانه يقبل كل المجمع المسكونية ولا سيما المجمع الفلورنتيني وانه حل عبدالله زاهر قبل وفاته (٤) . وجاء اخيراً للمؤرخ المجهول صاحب « تاريخ نشأة الطائفة المعروفة بالروم الكاثوليك » الذي دون في حوالي السنة ١٨٢٠ ما يلي :

« ويزعم الكاثوليكيون ان اثناسيوس توفي على مذهبهم وهو قول شائع بينهم وبين احزابهم لما علم من عادة هؤلاء القوم من انه اذا توفي واحد منهم او منا وكان من المعروفين بالتقي والصالح قالوا انه مات على رأيهم ولو كان ذلك زوراً واقترأ ولا اثم عندهم في ذاك ولا حرج ! » (٥) .

ونحن نرى ان شهادة المطران جرمانوس فرحات اولى بثقتنا . فهو مطران الموارنة الموالين لرومة وهو صديق اثناسيوس وجليسه ولا مصلحة له في ما يروي

(١) تاريخ الطائفة الملكية للخورى قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٤٨

(٢) المرجع نفسه ص ٤٩ - ٥٠

(٣) تاريخ الطائفة الملكية ايضاً ج ٢ ص ٥٠

(٤) Barenton, H., La France Catholique en Orient, 179.

(٥) الحقائق الوضعية ص ١٠٤

ومؤرخ الرهبانية الشورية لا يناقضه في ذلك . ولا يجوز اتخاذ موقف وسط في هذه القضية . فلما يصح في علم الرياضيات يصح هنا .

البطريرك كيرلس طاناس الكاثوليكي : (١٧٢٤) وبعد وفاة اثناسيوس الرابع تشدد المنفصلون وانتهزوا الفرصة لتقوية مركزهم في الكرسي وتعزيز جانبهم برئاسة سيرايم طاناس ابن اخت اقليموس الصيني . وولد سيرايم في دمشق في نحو السنة ١٦٨٠ وتربى على يد خاله اقليموس . واماً رومة في السنة ١٧٠٢ لتلقي العلوم فيها . ثم عاد الى صيدا مركز ابرشية خاله في السنة ١٧١٠ . فرسمه خاله كاهناً فعمل بارشاده وتنقل واعظاً داعياً لرومة في ابرشيات الكرسي الانطاكي . وانتدبه فريق من اهل عكة مطراناً لهم فعارضه في ذلك البطريرك الاوروشيمني ولم تتم رسامته . ثم انتدبه اهل ابرشية صور وصيدا ليخلف خاله عليهم . فذهب الى حلب حاملاً صكوك انتدابه طالباً رسامته من يد البطريرك اثناسيوس . فأبى هذا ان يرسمه لما اشتهر به من خضوع لرومة وجهه بوجوب الاتحاد معها . ولما توفي اثناسيوس قر قرار المنفصلين في دمشق وعددهم ثلاث مئة وثمانية وعشرون ، على انتداب سيرايم للكرسي البطريركي وكتبوا بذلك صكاً ووقعوه ورفعوه الى السلطات الزمنية في دمشق . فقالوا :

« المعروف بعد الدعا المفروض بين يدي حضرة اولياء النعم ارباب السيف والقلم جناب الدولة العلية والسدة السنية ادام الله تعالى ملكها على التأييد وامدها بالنصر والتأييد من عبيدهم وبما ليكهم النصارى الذميين القاطنين بمحروسة دمشق الشام من طائفة الروم الداعيين لهذه الدولة العلية بالبقاء على الدوام المسطرة اسمائهم ادناه بانهم قد قبلوا ورضوا واختاروا بان يكون عليهم المعلم كيرلس بطريركاً ومتكلماً مطاعاً ليسوسهم بالقوانين المألوفة ويراعي احوالهم بالسياسة المعروفة على النمط السابق من البطارقة السابقين قبله بالاسلوب المعهود بينهم . فانه لذلك اهل ومستحق للرياسة عليهم وللبطركية مستوجب لديهم . ويرجون من امراء الدولة العلية واحساناتها المرضية تقرير هذا المعلم في بطركية انطاكية في دمشق الشام واستجلاب الدعا من الخاص والعام . شيد الله اركان هذه الدولة العلية على مر الليالي والايام الى يوم البعث وساعة القيام والدعا باقي » (١) .

وقدموا هذه العريضة الى الباشا وكلفوه استصدار براءة سلطانية بذلك

(١) محفوظات مجمع انتشار الايمان على ذمة الخوري قسطنطين الباشا : تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٧٤ - ٨١ .

ودفعوا له ما توجب دفعه . ثم فاوضوا اساقفة كنيسة انطاكية في أمر الرسامة . فامتنع الاساقفة . ولم يتوجه منهم احد الى دمشق سوى نيوفيطوس اسقف صيدنايا . فاستقدم الدمشقيون باسيليوس فينان من دير المخلص . ولدى وصوله رسم بالاشتراك مع نيوفيطوس الخوري افيميوس فاضل اسقفاً على الفرزل ليكون للبطريرك اساقفة ثلاثة يقومون بتنصيبه . ولا يخفى ما في هذا العمل من الخروج على التقاليد المقدسة . فاسقفية باسيليوس كانت في اساسها غير قانونية لتدخل الامير حيدر فيها وضغطه على نيوفيطوس متروبوليت بيروت واحضاره جبراً ولاشتراك اسقف ماروني واسقف ارمني في الرسامة . ومن ظواهر الخروج على التقاليد اقدام نيوفيطوس صيدنايا وباسيليوس دير المخلص على سيامة اسقف ثالث وانفرادهما بذلك . ولا يجوز اعتبار سيامة اغناطيوس على صور وصيدا سابقة لمثل هذا الشذوذ لان البطريرك اثناسيوس وافق على رسامة هذا بالاشتراك مع نيوفيطوس ونيوفيطوس . وابن البطريرك الذي وافق على سيامة افيميوس على الفرزل !

وسمى افيميوس في الرابع عشر من ايلول اسقفاً على الفرزل . وفي العشرين من الشهر نفسه رسم الاساقفة الثلاثة الخوري سيرايم اسقفاً باسم كيرلس ثم نصبوه بطريركاً . ولم تأبه رومة لهذا الشذوذ وهذا الخروج على التقاليد الرسولية المقدسة فأصدر جبرها بندكتوس الثالث عشر براءة رسولية في الخامس عشر من اذار سنة ١٧٢٩ ثبت بها كيرلس طاناس بطريركاً على انطاكية وارسل له بالايوم (الامو فوري) « بعد وضعه على ذخائر القديس بطرس رمزاً الى استمداد السلطة منه » (١) .

ووضع كيرلس طاناس يده على المركز البطريركي في دمشق واستوى على عرش الكاتدرائية « ورفع آيات الشكر لله بذلك . وسمع حينئذ لأول مرة : أو من ان الحبر الاعظم الروماني هو نائب السيد المسيح ورأس الكنيسة كلها وأؤمن ان الروح القدس منيبق من الآب والابن » (٢) . وجاء في الحقائق الوضعية ص ٦٤

(١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ و ٢١٧ - ٢١٨

(٢) « Un Père Capucin de Damas, » Damas, 30 Oct. 1724, Rabboth. A., Documents, I, 566 - 569.

« وحينئذ اعلنوا الاشياء الخمسة ودخل الافرنج الى الكنيسة وذلك طائفة الروم فتعاضم الخطب واشتدت الفتنة وتكاثر المظالم والمغارم ودخل جماعة من حاشية الحاكم من المسلمين بقصب الدخان الى داخل الهيكل والبطرك في التقديس وتكلموا معه » . ورسم كيرلس الخوري مطوديوس الحلبي اسقفاً على القلاية وقلده امر تدبير ابرشية دمشق لمعاونته في امرها (١) .

سلفسترس الاول : (١٧٢٤ - ١٧٦٦) وكان اثناسيوس قبل وفاته قد اشار الى المسيحيين في حلب وغيرها ان ينتدبوا خليفة له كاهناً يدعى سلفسترس قبرصي الاصل خدم عنده اولاً كشماس ورافقه في كثير من اسفاره الى بلاد الفلاخ والبغدان وغيرها ثم تركه وانخرط في اكليروس الكنيسة القسطنطينية . وكان سلفسترس وقتئذ مقيماً في الجبل المقدس آثوس متنسكاً مزهداً (٢) .

وراسل كيرلس طاناس المسيحيين الثابتين على الايمان القويم ليجتذبهم اليه . وحرر ايضاً الى اساقفة الكرسي الانطاكي وأعلن لهم انه قد انتصب عليهم بطريركاً . وطلب اليهم ان يعرفوه ويخضعوا له ويذكروا اسمه وتوعد من يخالفه بالخلع فلم يجبه المطارنة . وكانوا قبل ان تصل اليهم رسائله حرروا مع الشعب الى المجمع القسطنطيني الذي كان يرئسه البطريرك باثيسوس واخبروه عن وفاة البطريرك اثناسيوس وعن اعمال كيرلس طاناس وعن كيفية شرطونيته ودخوله بالقوة الجبرية الى قلاية دمشق واقامته فيها . وطلبوا الى المجمع المساعدة الاخوية بما كان له من نفوذ ادبي لدى الحكومة العثمانية واعلنوا لهم انهم انتدبوا سلفسترس بطريركاً ويرغبون في ان يصير استدعاؤه من جبل آثوس وترقيته الى الاسقفية ليتبوا السدة الانطاكية الرسولية . ورمى المسيحيون الانطاكيون بعملهم هذا الى الحصول على شخص يجمع بين الخبرة والنفوذ الادبي ويأتي كنيسة انطاكية مصحوباً ببراءة سلطانية وتواص تساعده على كبح جماح المخالفين وعلى الحماية عن الايمان الارثوذكسي فيتمكن من ان يقوي الارثوذكسية ويزيل الخصام بين مسيحيي انطاكية ويعمل على توحيد قلوبهم (٣) .

(١) تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢١

(٢) Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 185.

(٣) تاريخ البطارقة الانطاكيين لبطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٣٠٢ - ٣٠٣

وشكا الحلبيون امرهم الى المجمع القسطنطيني وادعوا ان سلفسترس يضرب الكهنة ويسلم الاعيان الى الحكام ويعرض اموال الشعب للمصادرة والمغارم ويهدد بالنفي والقتل « ويتهمهم بأنهم على مذهب الافرنج » وانهم طردوه ولم يعد بإمكانهم قبوله . ووصل سلفسترس نفسه الى القسطنطينية فشكا الحلبيين بدورهم . فنصح المجمع باللين والرفقة والاقناع والحجة وبعث اسقفاً يدعى غريغوريوس وكيلاً عن البطريرك سلفسترس وامره باقامة اسم سلفسترس . فرحب به الحلبيون وعادوا الى الكنيسة صباحاً مساء « ولم يظهروا آراءهم » (١) .

واصدر المجمع القسطنطيني في السنة ١٧٢٥ وبالاتفاق مع البطريرك سلفسترس منشوراً رعائياً موجهاً الى المسيحيين من ابناء كنيسة انطاكية واورشليم يحضهم على الابتعاد عن التعاليم المحدثه الغريبة التي لا تنطبق على تعاليم المجمع المسكونية والآباء القديسين ويرشق المخالفين بالحرم (٢) .

ومكث غريغوريوس في حلب سنتين . ثم سئم الإقامة بها لأنها ليست من ابرشيته فاستأذن الحلبيين وودعهم وانقلب راجعاً الى القسطنطينية . فكتب الحلبيون الى المجمع القسطنطيني بذلك وطلبوا العفو عن جراسيموس اسقفهم الشرعي واعادته اليهم . فأجابهم المجمع الى ذلك واخرج جراسيموس من المنفى بعد ان لبث فيه خمس سنوات ونصف السنة وأوصاه ان يحسن سلوكه فيهم وان يقيم اسم البطريرك سلفسترس . فقبل الوصية وأظهر الطاعة . ولما وصل الى حلب احسن الحلبيون استقباله واكرموا ولبث بينهم يتظاهرون بما أوصاه به المجمع القسطنطيني ، وكان يذكر في قداسه اسم البطريرك سلفسترس . وكان الحلبيون يؤمنون الكنيسة بشطريهم وكل منهم على رأيه . بيد ان رهبان الافرنج ما فتئوا يزبنون لهم أمر الطاعة والخضوع لرومة ويشحذون عزائمهم على فعله بل يدفعونهم

فلما وصلت هذه الكتابات الى المجمع القسطنطيني حرر الى جبل آثوس واستدعى سلفسترس ورقاه الى درجة الاسقفية في السابع والعشرين من ايلول سنة ١٧٢٤ واخرج له براءة سلطانية وأوامر سنوية بنني كيرلس طاناس . وعزل ابو طوق والي دمشق الذي تعهد باستصدار البراءة السلطانية لكيرلس وشاع خبر سلفسترس وبرأته والاوامر التي بيده ففر كيرلس حاملاً الملابس والنيجان والصلبان والكؤوس والصواني وسائر الاواني المقدسة التي كان مكاروريوس قد احضرها من روسية والتجأ الى جبل لبنان واقام في دير المخلص (١) .

وكان كبير سلفسترس رجلاً فاضلاً اقام مدة طويلة في مناسك جبل آثوس ونظراً لابتعاده عن العالم كان ساذجاً خفيف العنان سهل الانقياد . ولكنه كان في الوقت نفسه شديد التمسك بالرسوم الشريفة . لا يتزعزع ولا يجيد عنها (٢) .

ولدى وصول سلفسترس الى حلب بلغه ما فعله سيرافيم فأسرع الى دمشق واقام فيها شهرين . ورحب به اهلها وبينهم انصار كيرلس طاناس . ثم خرج للتطواف وبعد سنة ونصف سنة اتجه شطر حلب . ولما وصل الى خان طومان خرج اعيانها الارثوذكسيون لاستقباله واعدوا له هناك مائدة نفيسة من السمك مع انه كان يوم اربعاء وذلك بناء على الاجازة التي كانوا قد اخذوها من البطريرك السابق اثناسيوس . فلما نظر سلفسترس السمك رفس المائدة برجله وحرم الحلبيين وترك الاعيان وذهب تَوّاً الى قلالية حلب . وحاول الحلبيون استرضاء البطريرك ولكنه لم يصفح بل انتصب نهار الاحد التالي في الكنيسة وحرم كل من يجسر في المستقبل ان يتناول سمكاً في يومي الاربعاء والجمعة . ولم يقتصر على هذا الحد بل حقر وجهاء حلب وشكا المتشيعين منهم الى الباباوية الى الوالي فاودعوا السجن ولم يطلق سبيلهم الا بعد خسائر جمة . فغضب هؤلاء وحقدوا وسعوا لحبس البطريرك . وعلم سلفسترس ذلك من قنصل الانكليز ففر خفية الى اللاذقية ومنها توجه بجرأاً الى القسطنطينية (٣) .

(١) الحقائق الوضعية ص ٦٤

2) Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 185; Kyriakos D. Ecc. istoria, (Athens, 1883) 327.

3) Hypsilantis, Athanasios Comnenos, Ecclesiasticon cai Polilicon, 326.

(١) نشأة الروم الكاثوليك المجهول : وهو ملحق بكتاب الحقائق الوضعية ص ١٠٨ . ولعل المؤرخ المجهول هو ميخائيل الصباغ معاصر البطريرك سيرافيم : غطاس قندلفت مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٣٧٧ .

(٢) تاريخ البطارقة الانطاكيين لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٣٧٧ .
Rabbath, A., Documents, II, 415 - 420.

اليه ويسوقونهم سوقاً . وكان جراسيموس يسكت عن هذه الاعمال لأنه كان يظن الكثرة وان تظاهر بخلافها خوفاً من الرجوع الى المنفى (١) .

سلفسترس في بلاد المسيحيين : واجتهد سلفسترس لدى وصوله الى القسطنطينية في رد الحلبين الى الطاعة بالقوة وانفق في هذا السبيل مبالغ وافرة . ولما لم يتسن له الفوز بمرغوبه عاد الى الكرسي ماراً في بلاد ارضروم وما يليها جامعاً بعض الحسنان . ثم وصل الى دمشق في السنة ١٧٣١ وأقام مدة بين المسيحيين والسلام سائداً . ثم أثار رهبان الأفرنج النزاع بين الفريقين فتناقلت الديون على الطرفين وساءت الاحوال . ولما رأى ان لا سبيل لازالة الشرور خرج من دمشق في جولة رعائية ثم عاد اليها واقام علمانياً ميخائيل توما من ذوي الدراية والنفوذ والمداخلات وكبلاً عنه وتوجه الى القسطنطينية . وبعد مذاكرة البطريرك القسطنطيني ومجمعه خرج منها الى بلاد الفلاح والبغدان لأجل جمع الاحسان ووفاء الديون . وقيل ان هذه الغيبة استغرقت نحو عشر سنوات . وفي اثنائها عمر سلفسترس ديراً في بلاد البغدان على اسم القديس اسيريدون العجائبي ووقفه على الكرسي الانطاكي .

وطبع سلفسترس في السنة ١٧٤٧ في اللغة العربية في بخارست مجموعة تحوي النصوص التي نظمت في المجمعين المنتعدين في القسطنطينية بشأن ظهور الكثرة بين صفوف المسيحيين الانطاكيين احدهما في اواخر السنة ١٧٢٣ برئاسة البطريرك ارميا والآخر في السنة ١٧٢٧ برئاسة البطريرك باثيسوس . وحوث هذه المجموعة ايضاً خمس مقالات بالعربية فيها الردود الارثوذكسية على القضايا الخمس المستحدثة عند اللاتينيين . وجاء بعد هذه دستور « كنيسة المسيح المقدسة الشرقية » (٢) فاذا به يتضمن سبعة عشر رأساً اي فصلاً واليك خلاصتها :

الرأس الاول : على كل مسيحي ان يقر ويعترف بالقلب واللسان بالامانة المقدسة المرتبة بالهام الروح القدس من المجمع الاطرية كما تعترف به كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية الشرقية هكذا : اؤمن بالله واحد آب ضابط الكل خالق السموات والارض الخ ...

(١) نشأة الروم الكاثوليك ص ١٠٩ وتاريخ الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٤ و ٣١٦ .

(٢) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : سنار ١٨٩٩ ص ٣٨٧

الرأس الثاني : وبسبعة مجامع مسكونية فقط لا غير مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية ومجمع افسس ومجمع خلقدونية ومجمعي القسطنطينية الخامس والسادس ومجمع نيقية السابع المسكوني وسائر المجمع الصغيرة ايضاً .

الرأس الثالث : وبجميع التقليد المسلم من الرسل القديسين وخلقاتهم الآباء الالهيين المكتوب وغير المكتوب كما تحفظه الكنيسة من غير زيادة او نقصان .

الرأس الرابع : وبأسرار سبعة : سر المعمودية وسر الميرون وسر القداس الالهي وسر الكهنوت وسر الاكليل الناموسي وسر التوبة اي الاعتراف وسر الزيت المقدس .

الرأس الخامس : وبأن الروح القدس ميثاق من الآب وحده وليس من الابن . والزيادة التي احدها اللاتينيون غير مقبولة من المجمع المقدسة . وهي سبب الانشقاق والانفصال .

الرأس السادس : وبسر القداس الالهي وبأن الاستحالة تم بعد القول : واضع هذا الخبز جسد مسيحك المكرم واما هذا الكاس دم مسيحك المكرم ليتقلان بروحك القدوس ويستحيلان .

الرأس السابع : نيز العقاب الذي أحدثه اللاتينيون الذي يسمونه مطهراً . والرأي عندنا في الذين قد توفوا انهم ينتظرون القيامة في اماكن عديدة للتعزية بخيفة محزنة . اما أنفس الصديقين فانها في اماكن نيرة براحة وطمانينة تنتظر السعادة المعبودة .

الرأس الثامن : بأن القديسين لم ينالوا بعد السعادة التامة وبأنهم ينتظرون حضور سيدنا يسوع المسيح لينالوا السعادة الكاملة بأجسادهم معنا .

الرأس التاسع : بأن النور الذي اشرق على جبل طابور في تجلي المسيح ليس هو مخلوق ولا هو جوهر الله مطلقاً ولكنه مجد التجسد الالهي .

الرأس العاشر : بأن المواهب المختصة بالآب والابن والروح القدس ليست مخلوقة ولكنها مختصة به منذ البداية .

الرأس الحادي عشر : بأن رأس الكنيسة الجامعة الرسولية هو سيدنا يسوع المسيح . اما بابا رومة فانه تابع خاضع لاوامر المجمع .

الرأس الثاني عشر : نقر ايضاً بالكذب الالهية المسلمة اليأس من الآباء القديسين ونقبل تفاسيرهم لا تفاسير رومة المحرفة المعوجة .

الرأس الثالث عشر : ونعترف بالفقرانات التي يمنحها البطارقة بتدقيق وتمييز لا كما تمنحها كنيسة الغربيين .

الرأس الرابع عشر : ونعتقد ان الرسل القديسين حرموا علينا ذبيحة الاصنام كلها والدم المخبوق . وامرهم هذا مطاع وثابت .

الرأس الخامس عشر : ونقول ان سر الزواج الناموسي لا ينفك عما يقول الانجيل ما ازوجه الله لا يفرقه انسان . اما اذا استبان على المرأة امر زنى فلرجلها ان ينفصل عنها ويتزوج من غيرها .

الرأس السادس عشر : تحفظ القوانين والتعاليم الرسولية وثبتها ونؤيدها .

الرأس السابع عشر : هذه هي امانة المسيحيين الارثوذكسيين الصحيحة وهي دين شرعي مل كل المسيحيين ابناء جفنا . ومن يعود راجعاً ويطلب الاتحاد بالكنيسة المقدسة عليه ان يقر ويعترف بجميع هذا الدستور . تحريراً في السنة ١٧٢٧ .

منع الاشتراك في القدسيات : (١٧٢٩) وفي السنة ١٧٢٩ اعلن مجمع نشر الايمان « ان الاشتراك في الالهيات مع المشاقين والمراطقة ومخالطتهم في طبقوسهم غير جائز » . وأكد هذا المجمع ان عمله هذا مبني على النظر والخبرة وان المخالطة محرمة بموجب الناموس الطبيعي والاهلي (١) .

كيرلس ودمشق : واما كيرلس طاناس فانه بعد ان خرج من دمشق والتجأ الى لبنان اقام في دير الخلص واجهد كثيراً في الضغط على الارثوذكسيين في ابرشيات الساحل وتجريضهم على نبد الطاعة لرؤسائهم القانونيين . وفي اثناء غيبة سلفسترس التي طاللت كثيراً اتفق مع بعض اهالي حلب وراهبان الافرنج وعمل على تأليف عرائض من بعض الاهالي وارمال كتابات من قناصل فرنسة والنمسة في حلب وصيدا الى سفرائهم في الاستانة لاجل مساعدته في الحصول على براءة سلطانية . واتفق مبالغ وافرة في اعداد عرائض اخرى يشكو الدمشقيون فيها من اطالة غيبة بطريركهم ويبينون احتياجهم الى بطريرك يدبر امورهم الدينية ويشهرون في الوقت نفسه رضاهم عن كيرلس طاناس ويطلبونه بطريركاً عليهم . وسعي سفير فرنسة ووكيل البابا في الاستانة وقدما اربعة آلاف ريال روماني للدقتردار واستصدرا البراءة المنشودة في السنة ١٧٤٥ وارسلاها الى قنصل فرنسة في صيدا . واستلمها كيرلس وأوفد نائباً عنه الى دمشق فاطلع واليها على الاوامر السنوية وتمكن من وضع يده على الكنيسة ومن سجن ميخائيل توما وبعض الاعيان . ثم قام كيرلس نفسه الى دمشق وسجل براءته في محكمتها الشرعية واستولى على الكرسي (٢) . وأفاد ديمتري شحاده نقلاً عن جدته ابنة الخوري ميخائيل بريك انه

(١) تاريخ الطائفة الملكية لقوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٩ .

(٢) مجمع راهبان دير الخلص الى البابا بنديكتوس الرابع عشر (٢٥ حزيران ١٧٤٦) : تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣١١ - ٣١٣ .

لدى عودة كيرلس الى دمشق اشتد الاضطراب فكان كلما تلى دستور الايمان بزيادة «والابن» تظهر العكاكيز ويبدأ الضرب (١) . وحرر كيرلس الى المطارنة يعلن وصول البراءة ويطلب الخضوع . فنبذ الاساقفة أمره وحرروا الى البطريرك المسكوني باثيسوس بما كان من امر كيرلس طاناس والتمسوا ان يحرر بسرعة الى سلفسترس ويستعجله بالرجوع الى الكرسي . فأسرع بطريرك القسطنطينية واستعجل سلفسترس وقدم عريضة بالانفاق مع برثينوس البطريرك الاوروشيمني وثلاثة عشر مطراناً الى الحضرة السلطانية بينوا فيها مساوىء كيرلس طاناس الذي ادعى انه بطريرك ارثوذكسي وهو على مذهب الافرنج وشهدوا ان البطريرك القانوني حي يرزق ويبيده براءة سلطانية .

كيرلس يعود الى دير الخلص : ولما تحققت الحكومة العثمانية مقاصد كيرلس طاناس وسفيري فرنسة والبابا اصدرت لسلفسترس براءة ثانية وفرماناً يأمر بالقبض على كيرلس طاناس ونفيه . فأرسل سلفسترس مأموراً من قبل الباب العالي يعلن للحكومة في دمشق وللمسيحيين ما كان من صدور الاوامر بالغناء بطريركية كيرلس وتسليم الكنيسة الكندراية والبطركخانة للارثوذكسيين . ثم عين نيقوفوروس متروبوليت باياس وكيلاً عنه مفوضاً بكل الاجراءات القانونية . وارسل معه الفرمان والاوراق التي تتضمن الاوامر المشار اليها . فحضر هذا الوكيل الى دمشق بعد سنة من صدور هذه الاوامر وقابل اسعد باشا والي دمشق فاستقبله على غاية ما يرام ومساعدته باجراء كل ما من شأنه تعزيز جانبه .

وعلم كيرلس بعزله قبل وصول المأمور وقبل حضور نيقيفوروس فعاد الى دير الخلص . اما اتباعه في دمشق فان بعضهم عادوا الى الارثوذكسية وبعضهم ترددوا الى الكنيسة الارثوذكسية مدة من الزمن ثم تركوها وصاروا يقيمون الصلاة في دير الافرنج . وكان قد قدم الى بيروت رجل من بني الدلال من يافة . وكان يتظاهر بالارثوذكسية ويبطن الكثلثة . فجعل يبث آراء الغريبيين في اكل السمك

وتقصير الصوم فال قوم الى كلامه وعملوا به . وكان من جملة هؤلاء جرجس الدهان وذووه . فاستغل جرجس عطف الامراء الشهابيين عليه استولى من الجانب الشمالي من الكنيسة الكاتدرائية هيكلاً على اسم النبي الياس واقام له قسيساً اسمه ثيودوسيوس دهان ليعخدم التابعين له . ثم حضر كيرلس طاناس الى بيروت ودفع مبلغاً من المال الى الامير ملحم الشهابي حاكم بيروت آنذاك واستولى على كنيسة مار الياس كلها . واحضر اسقفين من الجبل وشرطن ثيودوسيوس مطراناً على بيروت بحياة مطرانها القانوني نيوفيطوس . واكره نيوفيطوس على النزول الى الكنيسة ولبس البطرشيل والامو فوري في اثناء سيامة ثيودوسيوس . على ان هذا الاستبداد لم تطل مدته اكثر من اسبوع واحد . فانه على اثر بلوغ الخبر بقرب وصول سلفسترس مصحوباً بالاوامر السلطانية وبني كيرلس اسرع هذا والاسقف الجديد الذي تشرطن منه وهربا الى الجبل . فاسترجع الارثوذكسيون كنيستهم ثم كتبوا الى البطريرك سلفسترس بما جرى ويعجز نيوفيطوس لتقدمه في السن وفقد بصره ورغبته في النزول عن المطرانية وطلبوا شرطنة اسقف بدلاً منه . وكان سلفسترس قد خرج من القسطنطينية وجاء ارضروم . فأخذ عريضتهم وهو في هذه الأبرشية وشرطن لهم شماسه يوانيكوس القبرصي وأرسله حالاً . وبوصوله استلم الكرسي بكل هدوء بعد ان تنزل له نيوفيطوس (١) . وجاء للخوري قسطنطين الباشا ان نيوفيطوس تفرغ عن كرسيه وأبرشيته على يد كيرلس طاناس لثيودوسيوس دهان ولكنه لم يذكر مراجعته (٢) .

سلفسترس في دمشق : (١٧٥٤ - ١٧٦٦) وقضى سلفسترس في دمشق اثنتي عشرة سنة انقطعت في غضون القلاقل بينه وبين الباباويين لأنه لاحظ ان المناحرة تكبد الطرفين خسائر مادية جسيمة . ولم يكن هو من الاشخاص الذين يجتذبون الرعايا بالوسائل الأدبية كالارشاد والوعظ والتعليم وبالحبسة المسيحية الحقيقية التي تلاشي البغض والحقد وترفع الكنيسة الى المستوى اللائق بها . وكان

(١) نشأة الروم الكاثوليك : الحقائق الوضعية ص ١١٠ - ١١٢

(٢) تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣١٨

للذين انحازوا الى الكتلركة في هذه الآونة قسوس يخدمونهم في البيوت او في كنائس اللاتين او غيرهم من الطوائف الكاثوليكية . اما اكااليهم ومعمودياتهم وجنازاتهم في المـسـدن والأوساط الأرثوذكسية فان الكهنة الارثوذكسيين كانوا يكملونها . وكانت تدفع المعينات عنها الى المراجع الارثوذكسية .

وفي اواخر ايامه عمل سلفسترس الميرون المقدس في كنيسة القديس نقولاوس في دمشق مع اثنين من رؤساء الكهنة وسبعة عشر كاهناً وعشرة شمامسة وفي الثالث عشر من اذار سنة ١٧٦٦ انتقل الى رحمة ربه ودفن في مقبرة البطاركة في تل القديس جاورجيوس (١) .

* * *

(١) الحقائق الوضعية ص ٦٥ - ٦٧ و ١١٢ و ١١٨ . تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : مشار ١٨٩٩ ص ٤١٢ - ٤١٣ .

فن هؤلاء من فر نازحاً ومنهم من بقي مستتراً في بيته (١).

وجاء في تقرير الأب سيغوران Seguran اليسوعي المعاصر انه بعد افراز ابرشية حلب على هذا الوجه في الثالث عشر من نيسان سنة ١٧٣٠ وبعد دفع خمسة واربعين كيساً لهذه الغاية نجح سلفسترس في نقض هذا القرار في السنة ١٧٣٢ وأرسل وكيلا عنه في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ حبيب الأعور. ففر مكسيموس الى جبل لبنان. فأنتق اليسوعيون ثمانية الاف وخمماية غرش وجددوا الافراز بواسطة والي حلب وقاضيهما بعد ان دفعوا ثمانية سبعة الاف وخمماية غرش. فعاد مكسيموس الى الكرسي في السنة ١٧٣٤. وكل سلفسترس وعدل عن المقاومة اثني عشرة سنة. « ثم تحرك كيرلس فغضب سلفسترس » فأرسل وكيلا يضبط الكنيسة وامراً بنفي ستة من وجوه الطائفة. « فقاومناه وأرشنا ومنعناه وتكلفنا مقدار عشرة الاف غرش ». فأرسل جنادبوس مطراناً على حلب. فوصل جنادبوس في رابع العنصرة سنة ١٧٤٦ ومعه جوقدار الصدر الأعظم وأوامر بضبط الكنيسة وارسل اثني عشر كاهناً ووجيهاً الى الاسكندرية. « فوقع الحرب وكبس البيوت وضرب العصي الى حد الالف والاشراف على الموت تحت الضرب. فوزنا الى جوقدار الوزير ٧٥٠٠ غرش والى حضرة الباشا ٧٥٠٠ ثم ٢٥٠٠. وبوسيلة هذه المصارف والرشوات صرنا نقدرس بهياكل خصوصية من غير مشاركتة مقدار سنة. » وهدد سلفسترس جنادبوس فهرب من حلب فأخرجنا الكهنة المشايق من الكنيسة وتسلمناها فدفعنا ١٢٥٠٠ غرش ما عدا الرشوات عند الأبواب. وصرفنا على عرضحال الى الاسكندرية ٨٥٠٠ غرش ولاجل بيورلدي في حلب ٥٠٠٠ غرش ولاجل الصلاة عند الافرنج ٥٠٠٠ غرش. ثم أرسلنا وكيلا الى الاسكندرية لفرز المطرانية باسم السيد مكسيموس وفوضناه بانفاق ما يريد. وقبل وصوله جاء ابن ديب وكيلا من قبل سلفسترس فقبض على ثلاثة من الكهنة وثلاثة من العوام وتسلم الكنيسة في السنة ١٧٤٩. ثم وقفنا الى من رأف من أرباب الدولة

(١) هذا مما اخبر به اغناطيوس متروبوليت حمص رواه عنه اناس ثقات فائتبه المؤرخ المجهول (ميخائيل الصباغ) كما نمنه من غير زيادة : الحقائق الوضعية ص ١١٤.

الفصل الخمس

وصول البروتستانت إلى الشرق واتساع الحجبة

ابرشية حلب : (١٧٢٩ - ١٧٦٦) وعاد جراسيموس من المنفى في نحو السنة ١٧٢٩. وكان يطن الكتلكة فيجتذب اليها من استطاع سراً ويرفع اسم سلفسترس علناً ويقدم له « النورية والعوايد ». ثم علم الكاثوليكيون ان رجلاً حليماً مسيحياً يقال له المنصوري دخل في دين الاسلام في الاسكندرية واصبح طبيباً لدى الباب الهايوني. وعلموا ان المنصوري هو اخو الراهب ميخائيل الحكيم البلمندي. فاستقدموا ميخائيل اليهم واكرهوا جراسيموس متروبوليت حلب وصديقه اغناطيوس متروبوليت حمص على سيامة ميخائيل اسقفاً على حلب. وكان اغناطيوس ممن يطن الكتلكة ايضاً. فسام هذان الاسقفان ميخائيل اسقفاً باسم مكسيموس. وكانوا قد كتبوا الى المنصوري في فصل ابرشية حلب عن الكرسي الانطاكي وان يكون مطرانها مستقلاً بنفسه يدفع مالا الى الدولة كأحد البطاركة. فبادر المنصوري اخو مكسيموس الى اجابة طلبهم واستصدر اوامر سلطانية سامية بفصل مطرانية حلب واستقلالها على ان تؤدي الى الباب العالي في كل سنة مئتين وخمسين غرشاً وستين غرشاً للوزير الاعظم والدفتردار وارسل الاوامر باسم اخيه. ولما تم لهم ذلك ارسلوا جراسيموس الى لبنان. فجاء واقام بدير مارميخائيل. واجروا له نفقة حيناً من الزمن ثم قطعوها عنه. فاغتاظ واغتم وألم به مرض في ركبتيه فوصف له رهبان الدير نطولا من مغلي بعض العقاقير وجعلوا فيه رجليه فصاح لقد احترقت ومات لساعته. ولما صار للخليين اسقف منهم جاهروا بملذتهم وأظهروا قسوسهم وشرعوا في اضطهاد أبناء الكنيسة.

فأخرج لنا براءة سلطانية بتجديد الافراز . ووصلت هذه البراءة في التاسع من تشرين الأول سنة ١٧٤٩ وتكلفنا على تسجيلها في السراي والمحكمة ١٢٥٠٠ غرش . فيكون جملة الذي وزناه من استيلاء سلفسترس الى هذه الواقعة ٣٢٢٧٥٥ غرشاً . تحريراً في ٧ ايار سنة ١٧٥٠ .

وفي اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٥٠ وصل صفرونيوس « متجلياً بشعار الرباء والورع المصطنع » . وأظهر انشقاقه وأكد انه لن يقبل أحداً يشاركه في قداسه ما لم يستفهم منه ويجادله في حقائق ايمانه . وتكلفنا على تسجيل براءته خوفاً من ضرره ٣٥٠٠ غرش . وفي الثاني من نيسان سنة ١٧٥٢ حبس الباشا جميع الكهنة والشمامسة . ورثى حضرة الملا والأعيان وأكابر البلدة لخالتي وأمروا ان تعرض حالنا لدى الشرع الشريف في اثناء غياب الباشا في الجردة . ففعلنا فحكم الملا على صفرونيوس وقسوسه وحبسه في القلاية وحبس القسوس في الحبس العام في باب قنشرين « فوزنا في هذه الدعوى ٧٥٠٠ غرش » وتسلمنا الكنيسة في ٢٤ ايلول سنة ١٧٥٢ . وفي اليوم الثامن من تموز سنة ١٧٥٤ جددنا براءة الى مطراننا مكسيموس فوزنا فوق الستة الاف غرش خمسة عشر الف غرش لتسجيلها في حلب . وجاء مكسيموس في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٥٤ فاستقام عندنا مدة . ثم اخرجوا براءة لصفرونيوس وردت في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٧٥٦ فدفعنا من تكاليف هذه البراءة اربعة آلاف غرش . وقبضوا على سيدنا كبير مكسيموس ونفوه الى قلعة ادنه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٧٥٦ ثم عاد الى حلب في ١١ نيسان سنة ١٧٥٧ . وطلبنا تجديد افراز المطرانية ولكن من الطولة والخوف الذي اعتري سيدنا فرّ الى لبنان من اول تشرين الثاني سنة ١٧٥٨ . وجاءت براءة الافراز ولكن سيدنا لم يرجع . وما مرّ برهة من الزمان حتى نجدت براءة باسم المطران فيليمون فدخل حلب في ٥ ايار سنة ١٨٥٨ (١) .

وتتفق رواية المؤرخ المجهول الارثوذكسي وما جاء في تقرير الاب

اليسوعي في الخطوط الكبرى . ولكنها تذكر لجوء الكاثوليكين الى الاهانة والرشق بالحجارة والشم وما الى ذلك من اعمال غفل عنها صاحب التقرير اليسوعي . وأهم من هذا وذاك قوله ان الطبيب اثناسي الذي رافق الوزير راغب باشا والي حلب مدة ولايته نقل الى المجمع القسطنطيني ما شاهده من الفوضى في كنيسة حلب . فأجاب هذا المجمع : « وما عسانا نحن ان نصنع اذا كان بطريركها قد تخلى عنها . اما اذا وجهها لنا نظرنا لعلنا نستطيع ان نصلح شؤونها » . فكتب اثناسي الى البطريرك سلفسترس فوهب ابرشية حلب الى الكرسي القسطنطيني . ورفع البطريرك القسطنطيني الأمر الى الباب العالي وطلب الحاق حلب بأبرشيته وان يؤدي هو الأموال المفروضة عليها فأجابوه الى ذلك وأصدروا له أمراً به (١) .

خضوع حلب للكرسي القسطنطيني : وفي السادس من تشرين الثاني حساباً شرقياً سنة ١٧٥٧ اتخذ المجمع القسطنطيني قراراً ضمّ به ابرشية حلب الى أبرشيات الكرسي القسطنطيني . وأهم ما جاء في هذا القرار ان سلفسترس اقترح هذا الالحاق من تلقاء نفسه نظراً للصعوبات التي لقيها في ضبط شؤون هذه الأبرشية وان واجبات الكرسي القسطنطيني قضت بحماية جميع الجاليات المسيحية والعناية بشؤونها وان الامتيازات التي تمتع بها هذا الكرسي خولته الاشراف على شؤون جميع المسيحيين للاصلاح والتعصيد . ومما جاء في هذا القرار التاريخي خبر ترشيح الاب الراهب فيليمون بروتوسنكلوس ابرشية دركون Derkon لاسقفية حلب (٢) .

البطريرك فيليمون : (١٧٦٦ - ١٧٦٧) وبعد انتقال السيد سلفسترس تذاكر الأساقفة والوجهاء بشأن انتداب خليفة له . وكان وقتئذ في القسطنطينية حبر جليل تميز بالتقوى والفضيلة والعلم والدراية من أبناء الكرسي الانطاكي هو السيد صفرونيوس (الكزلي) . وكان هذا السيد قد تربى منذ نعومة أظفاره في العلوم الدينية واشتهر بتضلعه في اللغات العربية واليونانية والتركية . وكان يجيد الخطابة

(١) الحقائق الوضعية : ص ١١٧

2) Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, Appendix I, 195.

(١) تاريخ الطائفة الملكية لخورجي قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٧٥ - ١٨٩

والوعظ في هذه اللغات الثلاث . وكان قد انتدب مطراناً على عكة ثم مطراناً بالوكالة على حلب . وعند وفاة سلفسترس كان قد انتقل الى القسطنطينية واستقام فيها . فكتب كثيرون من الشعب الانطاكي والمطارنة الى البطريرك المسكوني والى متاوس البطريرك الاسكندري وبرثانيوس البطريرك الاوروشيمني يلتمسون اقناع السيد صفرونيوس بقبول السدة الانطاكية . فلم يقبل صفرونيوس « وآثر الاخلاص الى الراحة والسكون » (١) . ولم ير البطاركة والمجمع القسطنطيني ان يبقى الكرسي الانطاكي « مهملاً بلا رئيس كالجسد الخالي من الرأس والروح » فعقد البطاركة الثلاثة ومجمع رؤساء الكهنة القسطنطيني مجعاً لانتقاء من يصلح لرعاية كنيسة انطاكية فوق انتخابهم على فيليمون « لكونه مجرباً في رتبة رئاسة الكهنوت متصفاً بالمناقب الفاضلة السنية معروفاً بحسن العبادة يحكم ويقضي بحسب قانون الانجيل والتاموس اميناً بالقضايا الكنسية ولذلك رُقي الى السدة البطريركية وشرطن في كنيسة المسيح الكبرى المقدسة وصار بطريركاً قانونياً وراعياً روحانياً مقدماً على مطارنة كنيسة انطاكية سيداً حقيقياً وشرعياً باقتبال هذه النعمة العظيمة والمهوبة الكبرى » . وكتب برثانيوس البطريرك الاوروشيمني مثل هذا وحضّ الاكليروس والشعب الانطاكيين على استقبال فيليمون بفرح وعلى اعتباره راعياً وبطريركاً . « وهو يسلك معكم ومع الجميع بمحبة وسلامة وهدوء كما سلك سابقاً . والرب الاله الناهض من القبر لثلاثة ايام يبارككم اتم ونساؤكم واولادكم ويوفقكم بجميع أعمالكم نفساً وجسداً ويسخّ عليكم اتم البركات السماوية » (٢) .

وفي أواخر تشرين الثاني خرج فيليمون من الاستانة فجاء بيروت وأقام فيها بضعة ايام ثم ذهب الى دمشق فدخلها في الثامن من كانون الاول سنة ١٧٦٦ . فأم الكنيسة المريمية وصلى وبارك . وفي اليوم التالي قابل المتسلم والقاضي فقرئ

(١) متاوس البطريرك الاسكندري الى كنيسة انطاكية (٢٩ نيسان سنة ١٧٦٦) : عن سجل للمهاد في دار الاسقفية الارثوذكسية في طرابلس - النعمة ١٩٠٩ ص ٩١ .

(٢) برثانيوس الى المطارنة والكهنة ولفيف الاكليروس والمشايع والاعيان وارباب الصنائع والمتسبين ورؤساء المراكب والملاحين وسائر الشعب المسيحي الارثوذكسي الذين هم في طاعة الكرسي الرسولي المقدس . حرر في اواخر نيسان في اسبوع للتجديدات بعد الفصح المجيد سنة ١٧٦٦ : النعمة ١٩٠٩ ص ٩٢ .

براعته وسجلت وعاد الى البطريركية . ثم استدعى المطارنة فلبى الدعوة سبعة واشتركوا معه في صلوات عيد الميلاد مع عدد كبير من الكهنة والشمامسة . ولكن يا حيف ثم يا حيف ما كمل ذلك اليوم لأنه من بعد القداس انطلق البطريرك والمطارنة الى المائدة وأكلوا لحوماً ودجاجاً محشياً « وشاركهم الرهبان في ذلك . وبلغ الخبز المسيحيين الأرثوذكسيين « فاذغمووا جداً ووقع البلبال من هذا الحال لأنه سابقاً لم تكن العادة ان يأكلوا لحوماً رهبان الروم جهاراً » ! (١) .

مجمع دمشق : (١٧٦٧) وقبل خروج فيليمون من دمشق لتفقد شؤون الرعايا عقد مجعاً مع سبعة مطارنة واتخذ القرارات التالية :

« القانون الاول : انتداب رئيس الكهنة يكون برأي المجمع وليس برأي البطريرك فقط . القانون الثاني : اذا اتفق وقدم عرض على رئيس كهنة فن غير فحصى المجمع لا يدان . القانون الثالث : في غياب البطريرك لا يصير وكيل في دمشق الا بمعرفة المجمع اي لا يصير وكيل البطريرك رجل عامي . القانون الرابع : المخصين في كل الارشيات فليكونوا طائعين لرئيس كهنتهم كما ينبغي . القانون الخامس : السيمونيا لا تؤخذ في الشرطونيات . القانون السادس : ينبغي لكل رئيس كهنة ان يعمل وصية في متروكاته ويوهب الجزء الاكبر للكرسي . القانون السابع : حلل رئاسة الكهنوت وفرش الارض وطقم المطبخ فليبقوا المطران بعد وفاة مطرانها اي لمطران البلد والباقي يعطى للكرسي . القانون الثامن : عرض كنائسي يجب ان يصير يعلم المجمع وليس برأي واحد . القانون التاسع : بعد نياح البطريرك الانطاكي الوفي لا يصير بطريرك اخر غير فحصى المجمع اي رؤساء كهنة الكرسي وارادتهم واذا صار فلا يقبل . القانون العاشر : البطريرك الموجود في الكرسي الانطاكي ليس له ان يتنزل بارادته فقط بل بارادة المجمع . القانون الحادي عشر : مدخول الكرسي ومعروفه جميعه يتحرر في دفتر بخوف الله وبضمير نقي ولا يصير فيه خلل » .

وسطرت هذه القوانين ووقع عليها جميع مطارنة الكرسي الانطاكي وارسلت الى القسطنطينية فوقع عليها البطريرك القسطنطيني السيد صموئيل وقبلت في الكنيسة العظمى . وأجاب البطريرك القسطنطيني بقبولها (٢) .

التطواف الرعائي والوفاة : (١٧٦٧) وبقي فيليمون في دمشق ثلاثة أشهر وجعل الخوري ميخائيل بريك وكيلاً على الكنيسة وخرج يتفقد شؤون الأبرشيات . ووصل الى صيدنايا ومعه « وكيله الشرير جرجس . فسلب الدير

(١) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٨٨ - ٨٩ .

وعرى الطاقة الشريفة . وقام الى معلولا واراد ان يبلىص النصارى الكاثوليكين فقاموا عليه وأخرجوه من عندهم باهانة وارادوا ان يقتلوا جريس الوكيل . فعاد جريس الى دمشق واشتكى على نصارى معلولا وجرمهم وأخيراً صار قتله على يد استاذهم ، (١) . اما البطريك فانه تابع السير فزار حص وحماة ومنها الى حلب فوصلها في السبت الخامس من الصوم . وفي يوم سبت العازار شرطن أحد شمامسته نيوفيطوس قساً . وفي اليوم التالي في أحد الشعانين رقاءه الى مطرانية حلب وكان قد تذاكر بشأنه مع البطريك القسطنطيني . وأقام في حلب الى خيس الصعود . ثم خرج منها الى ادلب فاللاذقية . فأقام فيها مدة قصيرة وتوفي يوم الخميس في الخامس من تموز ودفن فيها . وقيل ان العذراء اماتته سريعاً لانه سلب ديرها وعرى طاقة الشاغورة من زينتها . وكان مكاريوس (صدقة) مطران صور وصيدا قد حاول في السنة ١٧٦٤ ان يضبط مدخول الدير فأخذ مفتاح الطاقة من الرئيسة غفيرة وأعطاه لقسيس كان معه . فخرجت نار من الطاقة وأحرقت القلائد المعلقة والقون (٢) .

كنيسة بيروت : (١٧٦٧) وأنشأ الكاثوليك في بيروت امطوشاً وكنيسة وسلموها الى رهبانهم . وأراد الارثوذكسيون ان يجددوا بناء كنيستهم لانها قديمة وضيقة فلم يوافق يونانيكيوس المتروبوليت على ذلك . ثم أرسله البطريك سلفسترس بالميرون الى قبرص . فانتهمز الشعب البيروتي فرصة غياب المتروبوليت وهدموا الكنيسة ورسموها متسعة جداً وشرعوا في تجديد بنائها وأتموه سنة ١٧٦٧ . ثم بدأوا بتركيب الأيقونسطاس والامبون . وفي يوم الأحد الثاني من الصوم الكبير الواقع في الرابع من آذار سنة ١٧٦٧ بينما كان المطران يقدس في هيكل السيدة في بيت النساء والشعب كله في داخل الكنيسة سقطت قبة الكنيسة الوسطى وسمع لها صوت كالصواعق . واندفع الشعب كباراً وصغاراً طالبين القرار فوات سبعة وثمانون . وعاد الشعب الى تجديد البناء بإشراف المتقدم

(١) المرجع نفسه ٨٧

(٢) المرجع نفسه أيضاً ص ٩٠

فيهم يونس نقولا فتم ذلك في السنة ١٧٧٢ . ولم تقم كنيسة مثلها في البلاد العربية (١) .

البطريك دانيال : (١٧٦٧ - ١٧٩١) وبعد وفاة فيليمون اختلف الاساقفة في من يقيمون خلفاً له . فاختر بعضهم يونانيكيوس متروبوليت بيروت . وأيد آخرون مكاريوس متروبوليت صور وصيدا وقالوا ان سلفسترس كان قد انتدبه في آخر ايامه . ومال غيرهم الى برثانيوس متروبوليت طرابلس واختار غيرهم غير هؤلاء (٢) . فكتب الأعيان بذلك كله الى المجمع القسطنطيني فاتخذ هذا المجمع قراراً بسمية بابا دانيال بروتوسنكلوس البطريك المسكوني بطريركاً على انطاكية وذلك في اليوم السادس من آب سنة ١٧٦٧ .

ومما جاء في هذا القرار التاريخي ان فيليمون خشي قبيل وفاته انطفاء نور الأرثوذكسية في كنيسة انطاكية فكتب ينتدب بابا دانيال لرئاسة هذه الكنيسة وان أعضاء المجمع المقدس القسطنطيني ذكروا أعمال « ذي الاسمين سيرايم او كيرلس » فاستهولوا تكرار هذه الأعمال وامكانية تهجم أحد الملمينين واستيلائه على الكرسي بالرشوة وتبذيره أموال الرعية وان كنيسة القسطنطينية رأت من واجبها ان تستعمل صلاحياتها المستمدة من النظام القديم الذي يخولها بصفتها رأس الجميع حق العناية بالجميع والمحافظة على مصلحة الكل فأقامت بناء على اقتراح فيليمون كير دانيال البروتوسنكلوس العظيم بطريركاً على انطاكية بموافقة كير افرام البطريك الاوروشيمني (٣) .

ووصل البطريك الجديد الى مركزه في دمشق في مطلع السنة ١٧٦٨ فزار الوزير وقدم له هدية فرحب به واكرمه . وكان « قصير القامة واليد » شحيحاً ضئيلاً قصير العنان قليل الخير متعاساً متراجعاً خافض الجناح متطامن النفس حريصاً يحب المال ويشره الى كسبه . واعظم من ذلك فانه كان يدين بالفائدة فعرف

(١) نشأة الروم الكاثوليك لمجهول : الحقائق الوضعية ص ١١٩ - ١٢٠ وتاريخ الشام للخورى ميخائيل بريك ص ٨٩ .

(٢) نشأة الروم الكاثوليك ص ١١٩

(٣) Neale, J. M , Patriarchate of Antioch, Appendix I. 193 - 194.

« بالبطريرك المرامي ». فشكاه الدمشقيون الى صفرونيوس البطريرك المسكوني « فوقعت الشرور وقامت الضغون وتألفت الجمعيات ». وشكت دمشق بدورها من قلة الالفة وتقطعت اجزاً وتفترقت في الرأي والهوى . فتدخل صفرونيوس وكتب بالحجة والوفاق قبل الدمشقيون بشروط معينة وعاد دانيال من القسطنطينية في اواخر السنة ١٧٧٧ .

كتدوائية دمشق : وقسام في جوار البطريركية آتخذ كنائس ثلاث : البرانية على اسم القديس كبريانوس والقديسة يوستينة والجوانية وهي المريمية الكندرانية والثالثة تحت الارض على اسم القديس نقولاوس وكان يدفن فيها البطارقة والمطارنة والكهنة قبل ان عادت مقبرة التل الى ما كانت عليه .

وفي السنة ١٧٥٩ زلزلت الارض فتقوضت اركان المريمية . فسندت اقواسها وعلقت سقوفها وأما المؤمنون للعبادة . ثم اشرفت على الانهيار فصلوا في كنيسة القديس نقولاوس . وفي السنة ١٧٧٩ وافق الوزير محمد باشا العظم على الترميم فاستعان دانيال برنابا مطران صدفانيا وجدد بناء المريمية والبرانية ورفع السقف كنيسة القديس نقولاوس (١) . وعني الخوري خريستوفوروس المصايفي المتوحد بدير القديس جاورجيوس في صدفانيا فازاح الصخرة التي كانت في داخله واستبدل سقفه الخشبي بعقد حجري فأصبح « نزهة للناظرين » (٢) .

فونسة والكتلكة في الشرق : وجاء في التعليقات التي أعدتها حكومة لويس الخامس عشر الى سفيرها الجديد في الآستانة الماركيز دي فيلنوف Villeneuve في الحادي عشر من آب سنة ١٧٢٨ ان لحكومة جلالته اهدافاً ثلاثة لنشر الايمان في تركيا : تنصير المسلمين وهدي المشاقين واقتلاع بذور الهرطقة . وجاء ايضاً ان اساقفة رومة حذروا المرسلين ونهوه عن التبشير في الاوساط الاسلامية خشية وقوعهم تحت طائل الشرع الثقيل الوطأة . والروم والارمن في هذه التعليقات يكرهون اللاتين ويضطهدون الكاثوليكين . وحماية الكاثوليكين واجبة

اما بالجو الى السلطات العثمانية واما باجتذاب رؤساء الكنائس . والجو الى السلطات امر دقيق مخطر . وافضل من هذا ان يصار الى اجتذاب رؤساء الكنائس اليونانية والارمنية كأن يقال لهم ان سلطتهم وطقوسهم لا تمس وانه ليس للمرسلين اي هدف زمني وان غايتهم ازاحة الحواجز التي تبعد الكنائس بعضها عن بعض لرفع منزلة النصارى في عيون المسلمين وتعظيم قدرهم (١) .

وما كاد هذا المراكز يستقر في منصبه في الآستانة حتى أمطره اساقفة الكاثوليك ورهبان الافرنج وابلا من الرسائل يستحثونه فيها على توطيد بطريركية كيرلس خدمة للكتلكة في الشرق . فتبصر في طلبهم وتقصى وأعاد النظر وتأمل فوجد ان القوانين المرمية قضت بأن يرشح بطريرك القسطنطينية لمنصب البطريرك الانطاكي من رأى فيه الكفاءة فيوافق السلطان ويعترف . ثم وجد ايضاً ان الروم أغنى من الكاثوليك واللاتين . وان نفوذهم في القسطنطينية أقوى وان الأرمن يناصرون الروم فيزيدونهم قوة . ولذلك كله رأى هذا السفير الافرنسي ان مصلحة الكتلكة في الشرق قضت بابعاد كيرلس عن مركز الرئاسة وابعاد كل اكلييريكي يشتهر بحبه لرومة وطاعته لها وبتأييد الاكلييريكيين الارثوذكسيين المعتدلين في الرأي المتزينين في العمل وبردع المرسلين عن غيهم وحبس عنانهم (٢) .

وعاد المراكز السفير الى معالجة الموضوع نفسه في السنة ١٧٤٠ فأعد تقريراً مطولاً في موضوع سياسة فرنسة الدينية ضمنه آراءه على ضوء اثنتي عشرة سنة من الخبرة في شؤون الدولة العثمانية ورعاياها المسيحيين . فجاء رأيه بعيد الغور محكماً فهو يقول انه ما فتىء يحض الرهبان المرسلين على تطبيق الآية : « باركوا لاعينكم أحسنوا الى مبغضكم » لان ما يحق بالمسيحيين من ضيم في ظل الأتراك العثمانيين انما ينشأ عن مسيحيين آخرين يعاكسون اخوانهم فيشجعون الأتراك بفرقهم على الظلم والتظلم . واذا كانوا يتباغضون لاختلافهم في العقيدة فان فرقهم ناجم عن تباغضهم ايضاً . وليس أفضل والحالة هذه من التحلي بالرفق والدعة والحجة

1) Rabbath, A., Documents, II, 388 - 389.
2) L'Ambassadeur au Ministre, (15 Janvier, 1730), Rabbath, A., op. cit., II, 391 - 394.

(١) تاريخ الشام لخوري ميخائيل بريك ص ١١٠ - ١١١

(٢) المرجع نفسه ص ١١٢ - ١١٣

والحكمة . وعلى المرسلين أنفسهم ان يرفقوا ببعضهم اولا ويتحابوا فيوفروا لسفراء جلالته شيئاً كثيراً من الراحة وعدم الارتباك (١) .

ومما جاء في التقرير الذي أعده المركز السفير سنة ١٧٤٠ ان الروم والسلطات العثمانية اعترضوا على اقامة المرسلين الرومانيين في المدن الخالية من التجار الافرنسيين والقناصل مدعين ان السبب الذي يبرر وجود هؤلاء الآباء هو القيام بالخدمات الروحية لهؤلاء التجار والقناصل . ويضيف السفير انه اذا كانت المادة الأربعون من امتيازات السنة ١٦٧٣ تثبت اقامة المرسلين حيث كانوا آنئذ فان هذه الامتيازات نفسها تفرض على هؤلاء المرسلين « الانكفاء داخل حدود واجباتهم » وان الأتراك والروم يفسرون هذا النص بأنه يوجب على المرسلين ان يحصروا ممارسة طقوسهم ضمن اوساطهم الخاصة وأوساط مواطنيهم وانه لا يجوز لهم ان يقبلوا رعايا السلطان في كنائسهم ولا ان يزورهم في بيوتهم او ان يعلموا اطفالهم في مدارسهم لاختصاصهم الى سلطة البابا . ثم يفيد المركز ان الروم استصعدوا في السنة ١٧٢٥ براءتين اوجبتا منع المرسلين من الدخول الى بيوت المسيحيين رعايا السلطان واكره الذين اتبعوا طقوس الافرنج على العودة الى دينهم وطرده المرسلين من الاماكن الخالية من القناصل . ويضيف السفير ان هذه الاوامر نفذت في ديار بكر والموصل وبغداد وارضروم وانه على وشك التنفيذ في دمشق وان ترجمان الباب العالي يوناني يسعى بما لديه من وسائل لحماية مصالح ملته (٢) .

الروس والارثوذكسية : وخطا الشعب الروسي في عهد بطريرك الاكبر (١٦٨٩-١٧٢٥) خطوات واسعة في سبيل العمران . وتدريب الجيش على الطرق الحديثة . وكان البحر البلطي لا يزال في قبضة اسوج والاسود في يد الترك . فكان لا بد من مناوأة اسوج . وبعد حروب طويلة جاءت معاهدة نيستاد سنة ١٧٢١ فتنازلت اسوج لروسية عن ليفونية وايتونية وانجيرية وكريلية وغيرها . وأخذ الروس من الترك آفاق في السنة ١٦٩٦ . ثم توقف تقدمهم لما نزل بجيشهم

1) *Mémoire du Marquis de Villeneuve concernant la Religion, (1740), Rabbath, A., op. cit., II, 563 - 564.*

2) *Ibid, II, 569 - 570*

من هزيمة في السنة ١٧١١ عند نهر البروث . ولكن ما لبثت هذه الفترة ان انقضت وعادت روسية الى مناوأة الترك طول القرن الثامن عشر بلا انقطاع .

وكان الشعب الروسي ولا يزال ودعباً مسالماً في طبيعته لا يجب الاعتداء . ولكنه ارثوذكسي في الصميم لا يرى الا الهدى شديد التمسك بتقاليد الرسل وقرارات المجامع المسكونية فخور بتراث الآباء يأبى الضيم وتعصف في رأسه النخوة . فرافق النهضة العمرانية شعور بأن موسكو هي رومة الثالثة وانه حامية الدين القويم .

وفي منتصف القرن الثامن عشر تولى مصطفى الثالث عرش العثمانيين (١٧٥٧ - ١٧٧٣) . وكان ملوعاً بالحروب فلما رأى ان ازدياد نفوذ الروس في بولونية يتعاضم خشي على بلاده . ورأت ذلك ايضاً الحكومة الفرنسية بالنسبة لبلادها فوافقت على رأيه ولذلك عزم الباب العالي على منازلة الروس . وقوى عنده هذا العزم ان الروس كانوا منذ السنة ١٧٦٥ يحرضون اليونان والبوشناق ونسور الجبل الاسود على الخروج على الدولة . وفي السنة ١٧٦٨ اشتد حق الباب العالي اذ دخلت الجنود الروسية امسلاك الدولة اثناء مطاردتهم لبعض البولونيين الفارين من وجوههم واحرقوا بلطة التابعة لخان القرم احد ولاة الدولة . فأعلن الباب العالي الحرب على روسية في السادس من تشرين الاول سنة ١٧٦٨ لذلك وبمحجة الدفء عن حرية البولونيين .

ولازم سوء الطالع الدولة العثمانية من اول نشوب الحرب . فلم تلبث ان انهزمت أمام الروس على نهر الدنيستر فاحتلت روسية مولداوية (البغدان) والفلاخ وبسارابية والقرم . وفي خلال هذه المدة كان الاسطول الروسي ظافراً في البحر فانتصر على اسطول العثمانيين في شرمي ولولا ما أبداه القبودان حسن باشا الجزائري من الشجاعة لأحرق الخطر بالقسطنطينية نفسها . وما زالت الجيوش الروسية تجدد في الفتح حتى عبرت الدانوب واكتسحت بلغارية وهددت القسطنطينية من البر . فخشي الأتراك العاقبة وطلبوا الصلح في السنة ١٧٧٤ .

الروس حماة المسيحيين : (١٧٧٤) وأبرم الروس مع الأتراك العثمانيين

معاهدة كوجوك قينارجيه في السنة ١٧٧٤ وهي أهم معاهدة عقدت بين روسية والدولة العثمانية وأول طور جدي في تاريخ المسألة الشرقية . ولم تنل روسية بهذه المعاهدة املاكاً شاسعة اذ كان ما أخذته قاصراً على كنبورن وكرتش وآزاق والأقاليم المجاورة لها مما ثبت قدمها على شمال البحر الأسود . ولكنها نالت بها حقوقاً سياسية كبيرة كان لها شأن عظيم في المستقبل . فالدولة العثمانية قبلت في هذه المعاهدة ان تضمن لروسية حكومة عادلة وحرية دينية للرعايا المسيحيين وجعلت لروسية الحق في المطالبة بحقوق هؤلاء الرعايا كلما رأت حاجة الى ذلك .

فقد جاء في المادة السابعة من هذه المعاهدة ما تعريبه : « ان الباب العالي يتعهد الدين المسيحي والكنائس المسيحية بحماية دائمة ويسمح لوزير بلاط روسية ان يمتح متى شاء لصالح الكنيسة المشيدة في القسطنطينية المشار اليها في المادة الرابعة عشرة واصلح من يخدم فيها » . وجاء في المادة الرابعة عشرة انه يحق لبلاط روسية ان ينشئ بالاضافة الى كنيسة السفارة كنيسة عمومية في ضواحي غلطة تدعى الكنيسة الروسية اليونانية . وفصلت المادتان السادسة عشرة والسابعة عشرة نوع الحماية الواجب تطبيقها في الاراضي والجزر التي احتلتها الجيوش الروسية في اثناء الحرب ووعدت بالجلء عنها .

اضطهاد الروم في بيروت ولبنان : واستفحل في هذه الآونة امر علي بك الكبير وتاقت نفسه الى الاستقلال . فأعلن مصر بلداً مستقلاً في السنة ١٧٦٩ واستولى على جدة لتكون له مركزاً لتجارة الهند . ولم يلبث ان سيطر على باقي جزيرة العرب . ثم وجه همته لفتح الاقطار الشاميّة . فأنفذ جيشاً بقيادة محمد بك ابي الذهب . فكان النصر حليفه واستولى على كثير من مدن الشام مستعيناً بالشيخ ضاهر العمر صاحب بلاد بشاره وعكة . ورأى ابو الذهب ان الدولة ربما انفتحت لمصر وارجعته الى سلطانها فخطب ود الباب العالي وقصد مصر بالجيش الذي كان معه في بلاد الشام . فاستولى على وادي النيل وفر علي بك الى عكة واحتمى بظاهر العمر حاكمها . وهنا وجد اسطولاً لروسية ففاوضه بشأن تحالفه معها فأمدّه الاسطول بالذخيرة والمال . وانحاز الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان

الى جانب الدولة العثمانية . فقصفت العماره الروسية بيروت في السنة ١٧٧١ ولم تباعد عنها الا بعد ان دفع الامير يوسف ٢٥٠٠٠ ريال الى الاميرال الروسي . ثم عادت هذه السفن بعد سنة لتخرج احمد الجزار من بيروت وتسلمه الى الامير يوسف وذلك لقاء ثلاث مئة الف غرش (١) .

ولسدى وصول العماره الروسية خرج المسيحيون من بيروت الى الجبل وخرج معهم رئيس كهنتهم نيوفيطوس . فنهبت ارزاقهم وخربت دورهم . ثم جاء الامير يوسف فغرم مسيحيي بيروت بنصف ما دفع الى الروس . وكانت الحرب لا تزال مستعرة بين الروس والعثمانيين فنشبت فتنة في بيروت ادت الى فرار اهلها المسيحيين الى الجبل مرة ثانية . واغتم الرهبان الكاثوليكيون هذه الفرصة « فأغروا » الشيخ سعد الخوري كاخية الامير يوسف « وزينوا » لسه اضطهاد الارثوذكسيين ، « على ما عنده من الميل الى ذلك » ، فأطلق يده في الضغط عليهم وعذب اناساً منهم وصادر آخرين وقتل جماعة من نبلائهم واخذ منهم عدة كنائس وسلمها الى الكاثوليكيين . وقتل من المتقدمين بين الارثوذكسيين اثنين اتهمهما بالخيانة احدهما عبدالله ابن مالك والثاني اسعد العازار (٢) .

اضطهاد النصارى في دمشق : وتقوى ضاهر العمر الشيعة ونهب جيخانة عثمان باشا والي الشام واراد ان ينهب الحجاج ويأخذ الحمل . ثم اقبلت العساكر المصرية بقيادة محمد بك ابي الذهب . فطلب عثمان باشا من النصارى مالا كثيراً وجمع في نصف نهار ثلاثين الف غرش . والتقى الجيشان في سهل داريا فولى العثمانيون الادبار وهربوا الى حمص وحماة . واستولى المصريون والشيعة على دمشق . ثم انسحب محمد بك ابو الذهب « ولم يعلم احد سبب رجوعه الى مصر » . فعاد عثمان باشا الى دمشق وعاد معه الأمير يوسف شهاب حاكم جبل الشوف بعساكره . « وتنمروا على الدمشقيين وحصل منهم ثقله وبهذلة للمسلمين حتى

(١) لبنان في عهد الأمراء الشهابيين للدكتور اسد رستم والدكتور فزاد البستاني ج ١ ص ٩٦ - ٩٩

(٢) نشأة الروم الكاثوليك : الحقائق الوضعية ص ١٢٠ - ١٢١

صاروا يدخلوا الدروز والنصارى الذين معهم الجامع الأموي بزرابيلهم ونومسوا النصراني قليلاً. ثم خرج هؤلاء إلى أوطانهم «فتنمر المسلمون على النصراني ووقع البلص والعوان والظلم والعدوان شيء لا يوصف حتى أن نصاري كثيرين دسروا بيوتهم وأخذوا حريمهم وأولادهم وفروا هاربين إلى الجبل» (١).

معمودية اللاتين: (١٧٥٥ - ١٧٧٤) وقال الجميع قبل الانشقاق وبعده بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. واعترف مجمع القسطنطينية الذي التأم في السنة ١٤٨٤ بمعمودية اللاتين واكتفى الآباء أعضاؤه بمسح اللاتينيين العائدين إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية بالميرون المقدس. وشك الآباء الروس في صحة معمودية اللاتين وأوجب بعضهم تجديد التعميد ولكن الآباء اليونانيين الذين اشتركوا في مجمع موسكو (١٦٦٦ - ١٦٦٧) أوجبوا الاعتدال والاكتفاء بمسحة الميرون.

ثم شنت رومة هجومها على الكنيسة الأرثوذكسية وبشت رسلها اليسوعيين والكرمليين والكبوشيين في أبرشيات اوروشليم وانطاكية والقسطنطينية فجاءوا مدربين مثقفين مسلحين بالمال والنفوذ. فاستهال الآباء الأرثوذكسيون الأمر وتروّعوا ولا سيما وان المرسل الغربي فاق الكاهن الشرقي بالعلم والثقافة وفن الجدل. فهب دوسيثيوس *Dositheos* البطريرك الأورشليمي (١٦٦٦ - ١٧٠٧) للدفاع بالعلم فانشأ في السنة ١٦٨٠ على نفقة الكرسي الأورشليمي مطبعة ياسي اليونانية. ثم جمع النصوص اليونانية اللازمة للدفاع عن الإيمان القويم فنشر في السنة ١٦٩٢ كتاب «الكتلوع» وفي السنة ١٦٩٨ كتاب المحبة وفي السنة ١٧٠٥ كتاب الفرح (٢). وتوفي قبل أن ينشر تاريخ بطريركية اوروشليم فظهر هذا المصنف المفيد في السنة ١٧١٥ بإشراف خريسنطوس نوتاراس *Notaras* مديلاً بترجمة البطريرك المتوفي (٣).

(١) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٩٤ - ٩٩

(٢) *Tomos Katallages, Tomos Agapes, Tomos Charas.*
(٣) *Papadopoulos, Chrys., Dositheos Patriarches Ierosolomon, Jerusalem, 1907 ; Palmieri, A., Dositheos, Dict. Theol. Cath., IV, Col. 1788.*

وتابعت رومة هجومها فضاعفت هيرارخية انطاكية وأنشأت كنيسة جديدة في الشرق فلجأ البطارقة الشرقيون اليونانيون إلى الحرم واستعانوا بالسلطات العثمانية والقوة والعنف للصدود في وجه التيار الروماني. واعتبروا الفروقات الخمسة خروجاً كافياً على التقاليد الموروثة لوصم رومة واتباعها بالهرطقة. والتعبير بالهرطقة جر أصحابه إلى إعادة النظر في موقف الكنيسة الأرثوذكسية من معمودية اللاتين.

وفي حوالي السنة ١٧٥٠ رغب بعض اللاتين في الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية القسطنطينية فاختلف الآباء في كيفية قبولهم وقال البعض بوجوب تعميدهم وقال آخرون بالاكتفاء بمسحة الميرون *Myro Chriesthai*. ورفع الأمر إلى البطريرك المسكوني كيرلس الخامس فقال بوجوب التعميد. فثار ثائر المرسلين الرومانيين في الشرق واحتجوا وضجوا فوافقهم في موقفهم «عدد كبير» من الأرثوذكسيين (١). وأيد البطريرك المسكوني كل من ميثاوس بطريرك الاسكندرية وسلفسترس بطريرك انطاكية فقالوا بوجوب «بتر الأطراف الفاسدة» (٢). وتدخل بعض الممثلين الديبلوماسيين في هذه القضية فانكروا على كيرلس فعلته وشددوا عليه التكير (٣). واستغل بعض الطامعين في الكرسي البطريركي هذا الظرف فتعددت حوادث التنفيذ فتنازل كيرلس عن الكرسي في السنة ١٧٥٢ وتبوأ السدة القسطنطينية باثيسوس. وأصبح كيرلس بطل الأرثوذكسية وأمسي باثيسوس امام جمهور المؤمنين صديق رومة والكنائس. وتزعم معارضة باثيسوس راهب زاهد اسمه اوكنتيوس كان قد نال إعجاب المؤمنين بماتم على يده من المعجزات. وأيد هذا الراهب كيرلس في موقفه من معمودية اللاتين فأوجب تعميداً جديداً. وظن باثيسوس أن لكيرلس يد في ذلك فأرسل إلى جزيرة خالكي مقر كيرلس الجديد من فاتحه كلاماً في المعارضة وعلاقته بها. فأقسم كيرلس في كنيسة والده الإله في خالكي أن ليس له أية علاقة مع الراهب المعارض

1) *Sathas, C., Meseionice Bibliotheca, III, 204 ; Papadopoulos, Th., Hist. of Greek Church and People, 161, n. 1.*
2) *Sathas, C., op. cit.*
3) *Byzantios, S., Constantinople, II, 33 - 34.*

ودعا باثيسوس الراهب العجايب اليه للبحث معه في موضوع المعمودية اللاتين فأبى ظاناً ان البطريك سيأمر بالقبض عليه ويبعده عن القسطنطينية . فأم انصار الراهب ومريدوه الكنيسة يوم الاحد ونادوا بسقوط باثيسوس « صديق الارمن واللاتين » . وهجموا على البطريك واخرجوه بالعنف الى الشارع . ولولا تدخل الشرطة لحدث ما لا تحمد عقباه . وذهب الجمع الى مقر الصدر الاعظم ونادوا بسقوط باثيسوس واعادة كيرلس الى الكرسي . وبعد يومين اي في السابع من ايلول سنة ١٧٥٢ وفد كيرلس على مقر الوزارة مصحوباً بالمطارنة فتردى « الجلبة البطريكية » وعاد الى رئاسة الكنيسة (١) .

ويذكر مكاريوس المؤرخ المعاصر هذه الامور جميعها ويشير الى اضطهاد الارثوذكسيين في بولونية وطمع اللاتين في الاماكن المقدسة في فلسطين وقيام هيرارخية كاثوليكية مستقلة في ابرشية انطاكية فيؤكد ان ما جرى في القسطنطينية كان مظهراً من مظاهر الدفاع عن الدين القويم (٢) .

وعني كيرلس باصلاح الادارة فألف لجنة شعبية ووكل اليها النظر في الامور المالية المادية وتفرغ هو للعمل في الحقل الروحي . وكان من اهم ما فعل في هذا الميدان انه انشأ مدرسة عالية في آثوس ودعا عالم اليونان آنثذ افجانيوس بولغاريس لتولي شؤونها . وشجع تعليم الاسفار المقدسة وشرحها وتفسيرها بموجب تعاليم الآباء (٣) .

وظل وصول كيرلس الى البطريكية يحز في صدور بعض المطارنة والاعيان . فعاد هؤلاء الى البحث في معمودية اللاتين فشجبوا موقف كيرلس منها ووصموه بالخروج على التقليد المقدس (٤) . واتهموه بالعطف على اعداء رومة في الغزب اي على البروتستانت والسعي للتقريب بين هؤلاء وبين الكنيسة الارثوذكسية ! ثم اتخذوا موقفاً قانونياً فقالوا ان البطريك اوجب تجديد التعميد

1) Papadopoulos, Th., op. cit., 164 - 166.

2) Sathas, C., op. cit., III, 216.

3) Ibid. III, 218 - 219.

4) Rhallis et Politis, Syntagma, V, 143 - 147.

بدون قرار من الجمع المقدس . فأظهر كيرلس استعداداه لعرض القضية على الجمع المقدس والارباخنة للبت فيها وترك الاساقفة احراراً في موقفهم من معمودية اللاتين الى ان يبت الجمع المنتظر فيها .

والتأم الجمع القسطنطيني في نيسان السنة ١٧٥٥ فشجب موقف كيرلس من معمودية اللاتين كما نبذ تعليم خريستوفوروس ايتولية في الموضوع نفسه (١) . فرد كيرلس بحرم بطريكي عرف بالـ *Anathematismos* وخاطب به عموم الاكليروس الارثوذكسي . وأهم ما جاء في هذا الحرم ان كيرلس قنن كتب الجامع والآباء فلم يجد مبرراً للرش بالماء *Rhantismos* في ممارسة سر التعميد . ولذلك فالرش في نظره بدعة من البدع لا مبرر لها ولا يجوز السكوت عنها . وجاء في هذا الحرم ايضاً ان المطارنة المجتمعين ضغطوا على البطريك مهديين فأبى محافظة على سلامة الايمان الارثوذكسي وانه بناء على ذلك يعلن المحافظة على التقليد سالماً واعتبار رسالة المطارنة خروجاً وهرطقة . وهو بالتالي يلعن ويحرم كل من يقبل رسالة المطارنة من الاكليروس والشعب مستنزلاً غضب الله داعياً عليهم بالويلات البشرية (٢) .

وبعد ان رشق كيرلس المطارنة ومن قال قولهم بهذا الحرم اعد بياناً قانونياً في المعمودية أسماء الاوروس *Oros* ومنع بموجبه الاعتراف بمعمودية اللاتين والارمن . ثم اسبغ على هذا البيان صفة كاثوليكية جامعة بما ناله له من تأييد رسمي من بطريك اوروشليم برثانيوس وبطريك الاسكندرية ميثاوس . وصدر الاوروس في السنة ١٧٥٥ نفسها . ولعل خريستوفوروس الايتولي عاون البطريك في اعداده (٣) والله اعلم .

وبدأ كيرلس بيانه باظهار اهمية المعمودية للخلاص . ثم أبان ضرورة التجدد واهمية الماء في هذا الدور . وانتقل بعد هذا الى صحة التغطيس ثلاثاً

1) Papadopoulos, Th., op. cit., Appendix I, Section 1.

2) Ibid. 195.

3) Rhantismu Stiliteusis, Papadopoulos, Th., op. cit., 393 ff.

فوجدتها في تقليد الرسل وقوانينهم . ثم اعتبر الرش تعديلاً لهذه القوانين والتقاليد وبالتالي دساً وفساداً . وأوجب اعتبار من يعمد بالرش نجساً ففرض تعميده بالتغطيس ثلاثاً على اسم الآب والابن والروح القدس عملاً بقوانين ديونيسيوس وقرارات المجمع البنشكتي *Penthekti* الخامس السادس (١) .

واحترار سلفسترس البطريرك الانطاكي في أمره . وكان لا يزال في حاجة الى تأييد المجمع القسطنطيني في نزاعه ضد رومة وعمالها فلم يوقع الاوروس ولكنه لم يعلن موقفه منه . وظل الحال على هذا المنوال حتى السنة ١٧٧٤ عندما تبني نص الاوروس دانيال الانطاكي البطريرك القائم آنئذ وأوجب تعميد اللاتين والارمن وغيرهم (٢) .

البطوريك انثيميوس : (١٧٩٢ - ١٨١٣) وأم دانيال القسطنطينية في اواخر السنة ١٧٩١ وشكا ضعف جسده وعجزه عن القيام بمهام الكرسي الانطاكي . وفي الخامس عشر من كانون الاول قدم استعفاؤه من هذا المنصب الرسولي وأشار بانتداب انثيميوس اسقف هيلينوبوليس خلفاً له . فوافق المجمع القسطنطيني وقبل استعفاؤه ونصب انثيميوس بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق (٣) .

وجاء في سجلات البطريركية المسكونية بتاريخ العاشر من كانون الاول سنة ١٧٩١ انه تزولا عند رغبة المسيحيين في حلب الذين أخذوا الدين البالغ ثلاثة آلاف غرش على عاقبتهم ونظراً لاستقرار السلم في هذه الابرشية فان المجمع القسطنطيني المقدس يعيد هذه الابرشية الى كنيسة انطاكية ويوجب على اسقفها ان يذكر اسم بطريرك انطاكية ويخضع له بالناموس والتقوى (٤) .

1) *Rhalls et Politis, Syntagma, V, 614 - 616 ; Oeconomus, C., Soxomena Ecc., I, 478 - 480 ; Mansi, Amplissima, Vol. 38, Col. 617 - 622.*

2) *Lettre à Iacovos Palmios (1755), Nea Sion, 1905, 238 - 239 ; Jugie, M., Schisme Byzantin, 307.*

3) *Constantius, Patriarch of Antiochs, Neale, op. cit., 188 - 189.*

4) *Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, Appendix I, 196 - 198.*

وجاء انثيميوس الى قبرص مستقط رأسه ومنها الى اللاذقية فطرابلس فيبروت فعكة حيث قابل الجزار وأطلعه على نص البراءة السلطانية . ثم انطلق منها الى دمشق فرضي المجمع الانطاكي به نظراً لعلمه وفضله وتقواه وقلده زمام البطريركية الانطاكية . ورتب المجمع معاشاً قدره الف غرش في السنة الى البطريرك المستقيل دانيال المقيم في جزيرة صاقز .

وأظهر المسيحيون في انطاكية رغبة في تشييد كنيسة لهم في المكان الذي دعي فيه المؤمنون مسيحيين اولاً . فلاقت رغبتهم استحساناً في نفس انثيميوس وعاونهم في ذلك فأستصدر لهم براءة سلطانية تخولهم البناء المنشود . وانسدع كبيرهم « ابو سابا » فتبرع بجميع المال اللازم وبأمر الامر وشرع في البناء . ولم يرق الامر القاضي بعض من شدا زره فادعى ان النصارى انما ينشئون قلعة لا معبداً ورفع شكواه بذلك الى السلطان . فأمر السلطان بشنق ابي سابا وثلاثة من الكهنة وشماس ! (١) .

البطريرك سيرافيم : (١٨١٣ - ١٨٢٣) وتوفي انثيميوس في دمشق ودفن فيها فانتدب الشعب والاكليروس الانطاكيون سيرافيم متروبوليت اركاذيوبوليس فنصبه المجمع القسطنطيني بطريركاً على انطاكية . وكانت المشاحنات الارثوذكسية الكاثوليكية لا تزال تارة وكل يتدرع بما عنده من وسائل . وكانت وسائل الروم تنحصر في غالب الاحيان ببراءات سلطانية يستصديرونها من عاصمة الدولة الى الولاة والحكام المحليين لرد الروم الكاثوليكين الى طاعة رؤسائهم الشرعيين مطارنة الروم وعلى رأسهم البطريرك او لتسليم ما استأثروا به من كنائس معينة او لدفع عائدات الاكاليل والعمادات والجناسات الى السلطات الارثوذكسية المحلية . وكان الروم الكاثوليك يقيمون يقاومون نفوذ الموظفين الارثوذكسيين في عاصمة الدولة بنفوذ الموظفين من ابنائهم في دوائر الحكم في حلب ودمشق وطرابلس وعكة (٢) .

1) *Russian Pamphlet a propos of the Visit of Neophytos of Heliopolis to Russia, Neale, J. M., op. cit., Appendix II, 208.*

2) *Constantius, Patriarchs of Antioch, Neale, op. cit., 188 - 189.*

الكتبة الكاثوليكيون : وكان قد رافق السعي لانفصال الروم الكاثوليكين شعور بالمسؤوليات التي أوجدها هذا الانفصال واقدام على العلوم ولا سيما الدينية منها . فتميزت الاوساط الكاثوليكية الجديدة بكثرة نسبة في عدد المتعلمين من ابنائها . وغزا هؤلاء المتعلمون الدواوين الحكومية المحلية في الربع الاول من القرن التاسع عشر فتربعوا في كراسيها ولا سيما في دواوين ايالة صيدا حيث كانوا جميعهم من الروم الكاثوليك (١) . وأشهر من اشتهر من هؤلاء الكتبة الكاثوليكين في اواخر القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر ابراهيم صباغ واولاده في عكة وعبود البحري واخوه جرمانوس وحنا عند ابراهيم باشا اوزون قطراغاسي في حلب اولا وفي مصر بعد السنة ١٨٠٨ والمعلم ميخائيل العورا في صور وابنه حنا وحفيده ابراهيم في عكة . وكان ميخائيل هذا يحسن الانشاء في العربية والتركية والفارسية والاخوان ابراهيم وخليل النحاس ابنا عم حنا العورا وقد كتب الاول في عكة والثاني في صور وفضول الصابونجي واخوه ونقولا الترك وبطرس كرامة في بيت الدين (٢) .

كنيسة صيدا : (١٨١٨) وفي خريف السنة ١٨١٨ أم عكة زخريا متروبوليت عكار حاملا فرمانا سلطانياً موجهاً الى سليمان باشا والي ايالة صيدا يشير الى خروج الروم الكاثوليكين عن طاعة رؤسائهم الارثوذكسين واتباعهم طائفة الافرنج واستشارهم « بجملة كنائس » منها كنيسة صيدا وبوجب تخلص هذه الكنائس من يد الكاثوليكين . واكره هؤلاء على تقديم عائدات الاكاليل والجنائز والعبادات الى السلطات الروحية الارثوذكسية . وحمل زخريا متروبوليت عكار رسالة من البطريرك سيرايم الى المعلم حايم اليهودي ذي النفوذ الكبير في ديوان عكة ورسائل غيرها من اخوة حايم وابن عمه سلمون من دمشق توجب السعي الجدي لتنفيذ الأوامر السلطانية (٣) .

- (١) المعلم حنا العورا الى عبدالله باشا (١٨١٨) : « وليس انا فقط بل وكل عبيدك الكتاب من طائفة الكاثوليك » : تاريخ ولاية سليمان باشا للمعلم ابراهيم العورا ص ٤٤٧ .
- (٢) آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو ج ١ ص ٧ - ٨ - ٢١ - ٢٣ .
- (٣) تاريخ سليمان باشا لبراهيم العورا ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

وبلغ أمر هذا الفرمان وهذه الرسائل مسامع أعيان الروم الكاثوليك في عكة فأضطربوا . وكان الخوري سابا الكاتب مدير الرهبنة المخلصية آنشد في عكة فاتصل بحايم فتثبت من صحة الخبر . «وثاني يوم أخبر الكتاب والطائفة فراجعوا المعلم حايم واستعملوا سائر وسائل التذلل والخضوع . وذكروا حايم بضعف طائفة الكاثوليك وبأنها منذ القدم مختصة به وبوالده وبعبيلتهم . ولكن جميع هذا ما أفاد » .

ويضيف المعلم ابراهيم العورا صاحب تاريخ ولاية سليمان باشا انه في السنة ١٨١١ أبرز بطريرك الروم انشيموس مثل هذا الفرمان الى سليمان باشا نفسه ، وكان آنشد والي دمشق وعكة ، فاتصل المعلم حنا العورا ولد ابراهيم المؤرخ بالمعلم حايم وأظهر غيظه وعزمه على المقاومة فقال حايم : « وتربة ابي عندي خاطرك بألف بطرك ! وأوقف التنفيذ . فأظهر البطريرك الحب واللفظ للمعلم حنا وأرسل له هدية صندوقاً من الشمع الكافوري الأبيض وصندوقاً من الصابون المسك وطاقيّة خشكي هندي وساعة ذهبية (١) .

واطلع سليمان باشا على نص الفرمان الجديد الذي حمّله اليه زخريا متروبوليت عكار فأمر برؤية الدعوى على الوجه الشرعي بحضور القاضي وحضور عبدالله باشا نائباً عن الوالي . وجاء القاضي وجلس في مجلس خصوصي مقابل ديوان الوزير ونهض عبدالله باشا وجلس وكيلا عن الوزير . ودخل زخريا متروبوليت عكار الى جانب القاضي . ووقف وكلاء الروم الكاثوليك في المجلس « وانفتحت الدعوى » . وسارت الدعوى في صالح الروم فنار ثائر الروم الكاثوليكين ودخل المعلم حنا العورا على عبدالله باشا .

« ووجهه عمال يتوضّئ وقارب الخلاص . فاذا نظره الباشا قال له تفضل يا معلم حنا . فتمنى والذي وبقي واقفاً ناحية الى ان خلص وتشتت وجلس مكانه . فتقدم والذي بكل سرعة ومسك اقدامه وقال له كنت اتنى ان الباري تعالى ينعم عليّ بان اموت قبل وفاة والدك ولي نعمتي العادل كريم الشيم صاحب الناموس المصف وليس انا فقط بل اولادي وعيالي وكامل طائفتي اوفق وايسر »

من أن نشاهد الذل والخراب والأذية في أيامك الأمر الذي ما كنت أتأمل ولا أفكر أن أصادفه في أوقات ابن علي باشا العادل المشهور . فكيف حسن عندك تضييع شرف والدك الذي صرف حياته لاجل « تربيتك عندي » على الحق والعدل لكي توافق خاطر « أعداء الدين » على من هم عبيدك وأرقاء نعمتك ونعمة أبيك . « يا حيف على تعبي عليك ويا حيف على أملي فيك » . وحالا سقطت دمعته على وجهه » (١) .

واتصل عبدالله باشا بالقاضي وعاد المجلس لسماع الدعوى فتغيرت لهجة القاضي وعمل الروم الكاثوليك بنصيحة المعلم حاييم فادعوا أن الكنيسة موضوع البحث كانت للسريان الكاثوليك فوهبوا لهم لقلة عدد هؤلاء في صيدا فحكم القاضي بنصف كنيسة للروم وبنصفها الآخر للروم الكاثوليك . وصدر عن سليمان مزسوم بذلك مؤرخ في الخامس من صفر سنة ١٢٣٥ - تشرين الثاني سنة ١٨١٩ وهذا نصه :

« قدوة النواب المنتشرين نايب محروسة صيدا حالا السيد محمد سعيد أفندي زيد فضله وافتخار العلماء الكرام الماذون بالافتاء أفندي زيد علمه وفرع الشجرة الزكية قيمقام نقيب السادات والاشراف أفندي زيد شرفه وقدوة الاماثل والاقران متسلما فيها حالا الحاج سليمان أفندي زيد قدره .

« بعد السلام التام المنهي اليكم قبل تاريخه حضر لطرفنا مطران الالبيين القاطنين بتاحية عكار بالوكالة عن قدوة الملة المسيحية بطريق سيرافيم بطريق طايقة الروم الانطاكي المقيم بدمشق الشام ختمت عواقبه بالخير وقرر على مسامتنا بان بطريق المرقوم منصوب بطريق من قبل الدولة العلية والسدة الخاقانية صابنا رب البرية على طايقة الالبيين الروم الكاينين بانطاكية وطرابلس الشام والشام وصيدا وان ساير كنايس طايقة الروم واوقافها تحت نظارة المسفور بموجب براءة سلطانية . واعرض لدينا صورة البراءة مضية .

« وادعي ان كنيسة الروم للكاينة في صيدا فهي تحت تصرفه وتحت نظارته وان الالبيين الكاثوليكين المقيمين بصيدا واضعين يدهم على الكنيسة المذكورة فضولا من غير مساح شرعي ولا امر سلطاني . والتمس استردادها ورفع يدهم عنها . فاقتضى ان احضرنا الالبيين الكاثوليكين القاطنين بصيدا وهم ابراهيم الزهار وابراهيم سرقيس ويمقوب الزهار وقسطنطين عكاري والياس الكركجي وحننا دبانة وجبران بولاد وحننا زكار وساير وجوه طايقة الكاثوليكين ورفعنا استماع دعواهم الى حاكم الشريعة الغراء قاضي محروسة عكة حالا افتخار القضاة والحكام السيد محمد ابو

الهندي أفندي التاجي زيد مجده بحضور امير الامراء كبير الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام كمتخدانا ولدنا السيد عبدالله باشا دام اقباله . وصارت المرافعة بينهما وطلب المطران المسفور رفع يد الكاثوليكين عن الكنيسة المذكورة . فاجابوا ان الكنيسة هذه بالاصل كنيسة استبان احداها الى طايقة الروم والثانية الى طايقة السريان الالبيين . ومن بعد انقراض السريان من قديم الزمان رفعوا الحائط الذي كان بين الكنيستين لاجل التوسع وصارت الكنيسة واحدة . وان الحصة التي تخص طايقة الروم لم يزالوا واضعين يدهم عليها . والذي تخص طايقة السريان الكاثوليكين واضعين اليد عليها وهي بايديهم وان طلب البطريق المرقوم الى الكنيسة جميعها فهو بغير حق . فطلب منهم حاكم الشرع بيعة على اثبات مدعاهم واحضروا بيئتهم الى مجلس الشرع .

« وقيل تاريخه حضر لنا اعلام من الافندي المولى اليه بصورة المرافعة الذي حصلت فاقتضى الان ان تصدر لكم مرسومنا هذا من ديوان عكا المحمية مرسلين لكم الاعلام الذي حضر لئسا من الافندي المولى اليه بهذا الخصوص لكي تطلعوا على كيفية المادة وتسجلوا مرسومنا هذا والاعلام الشرعي بالسجل المحفوظ . وتحضروا خوري طايقة الروم والرعايا الكاثوليكين ان لا يفارشوا كنيسة الروم في حصتهم المصرف بنظارتها بطريق المسفور بموجب براءة شريفة سلطانية . وتنبهوا على خوري الروم المسفور في اي وقت اراد يجري دينه لا احد يتعارضه فيه . وكذلك الحصة التي تخص السريان تبقى الان طايقة الكاثوليك يجرؤ دينهم فيها في الوقت الذي يريدوا اجراءه الى حين يصدر لكم مرسوم ثاني من طرفنا باعطاء رابطة هذه المادة مع الكاثوليكين بوجه التفصيل حيث ان هذه الحصة المتعلقة بالسريان منوطة الى رايانا . اعلموا ذلك واعتمدوه . في ٥ صفر سنة ١٢٣٥ . الحاج سليمان والى صيدا وطرابلس حالا » (١) .

البطريك مشوديوس : (١٨٢٣ - ١٨٥٠) ومضى سيرافيم مستقبلا وجه البقاء في السنة ١٨٢٣ وانتقل الى دار القرار في دمشق ودفن فيها . وأجمع الأساقفة والأعيان على قسطنديوس رئيس أساقفة سيناء وكتبوا الى الكنيسة العظمى القسطنطينية ينتدبونه بطريركا على انطاكية . ولكن قسطنديوس تمنع وأعرض فنصب الحبيب القسطنطيني مشوديوس متروبوليت انقيرة بطريركا على انطاكية وسائر المشرق .

ونفض مشوديوس من القسطنطينية قاصداً دمشق بطريق البر فاستغرقت رحلته خمسة أشهر وخمسة ايام . وكان قد أرسل امتعته بجرأ فغرقت مقابل رأس

كستيلوريزو . وما ان وصل الى دمشق وسجل براءته فيها حتى هب لمقاومة الكتلثة . وكان عزيز الجانب شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامز (١) . فبذل قصارى جهده لمقاومة الكتلثة فلجأ الى الطرق الاغتصابية واضطهد ونفى .

الدولة تعترف بالارمن الكاثوليك : (١٨٢٨) وشمل برنامج رومة ادخال الارمن في الطاعة منذ اوائل القرن السابع عشر فانشقوا على أنفسهم انشقاق الروم وتنادوا واختلفت كلمتهم وتشعبت آراؤهم . وانتظم الكاثوليكيون منهم كنيسة مستقلة وأقاموا منذ السنة ١٧٤٠ بطريركاً عليهم ولكن الدولة ظلت تعتبرهم خاضعين في امورهم الدينية وأحوالهم الشخصية للبطريرك الغريغوري القسطنطيني . واستحكم الشقاق بينهم واشتد الاضطهاد ولا سيما في السنوات ١٦٩٩ و ١٧٠٢ و ١٧٥٩ و ١٧٨٢ .

واغبر الجو وأظلم في السنة ١٨٢٨ وتقوضت دعائم الحجة فجري في القسطنطينية نفسها ما لا يمت الى المسيحية بصلة . فرفع برتو افندي تقريراً بذلك الى السلطان محمود الثاني . فقبح السلطان وأنكر وعين ناظراً مسلماً يعنى بشؤون الأرمن الكاثوليك الزمنية ووكّل امورهم الروحية الى القاصد الرسولي نفسه (٢) . ثم خول الكاثوليكين من الأرمن حق انتداب اسقف يتولى شؤونهم الزمنية والروحية . وفي الثالث من كانون الثاني سنة ١٨٣١ أصدر براءة سلطانية اعترف بها برئاسة الاسقف آغوب وبالملة الارمنية الكاثوليكية (٣) . وربط السلطان بهذه البراءة جميع الطوائف الكاثوليكية بالاسقف الأرمني المستقل وخوله حق قضاء اشغالهم امام المراجع الحكومية الرسمية ورفع بذلك سلطة البطارقة غير الكاثوليك عنهم .

ممارسة الحقوق المكتسبة : (١٨٢٨ - ١٨٣٤) ومارس الروم الكاثوليك هذه الحقوق المكتسبة فرموا كنائسهم في دمشق وغيرها من المدن والبنادر ودخل بطريركهم مكسيموس مظلوم دمشق وعاد الكهنة الروم

1) Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 189.
2) Ubicini, A., Lettres Sur la Turquie, II, 255 - 264, 445.
3) Testa, I., Recueil, V, 138 ; Young G., Corps de Droit Ottoman, II, 103.

الكاثوليكين الى لبس القلايس الممنوعة وامتنع الشعب الكاثوليكي عن دفع العائدات الروحية الى السلطات الارثوذكسية وأعلن عدد من الارثوذكسيين خضوعهم لرومة في دمشق وحص وطرابلس وحاصبيا (١) .

براءة باسيليوس : (١٨٣٤) واستصدر الاسقف المستقل اروتين الارمني في الرابع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٤ براءة سلطانية باسم باسيليوس مطران مصر وتوابعها على الروم الكاثوليكين . واعترف محمد علي باشا عزيز مصر آنئذ بمضمون هذه البراءة التاريخية كما يلي :

ان اروتين قدم غريضة مختومة ابان فيها ان الروم الملكيين القاطنين في محروسة مصر المتعلقين به ليس لهم رئيس يتصرف بشؤونهم وان المطران الراهب باسيليوس كفوء للقيام بمهام الرئاسة وأنه يحدد خمسة الاف اخشاية محصول رئاسته المطلوبة وان اروتين قدم خمسة الاف وفوقها عشرة الاف اخشاية وأنه ابتداء من اليوم الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٣٤ تبدأ رئاسة باسيليوس على الروم الكاثوليك في مصر .

وأوجب السلطان بعد هذا على الكاثوليكين التابعين لرئاسة باسيليوس ان يراجعوه « بالامور المتعلقة بمعادتهم والا يتجاوزوا كلامه الذي بالطريقة والا يتعدوا ذلك » وأوجب السلطان ايضاً الا يحول حائل دون تلاوة الانجيل في بيت المطران المذكور والا يعترض احد على توليع القناديل ووضع الصور والكراسي والتبخير ومسك العكاز وان يمتنع الضباط والميرميرانات وطائفة اهل العرف عن تعجيز هؤلاء واستدراار المال منهم بوجه غير شرعي « وان لا يرفعوا صوتهم عليهم باعلان الكفر » .

ومنتحت هذه البراءة الكهنة الكاثوليكين حق الاشراف على الزواج ومنعتهم عن اجرائه بدون اذن المطران وعن الطلاق واخذ امرأة على امرأة وهددتهم بالتأديب في حال المخالفة . ونهت اصحاب القدرة عن اكراه الكهنة بقولهم « زوجوا هذه الحرة الى هذا النصراني » . وحرمت ايضاً اكراه الكهنة على دفن من هم على غير طريقتهم . واذا أوصى بعضهم بشيء الى البطريرك او القسوس لاجل الكنائس فليؤخذ ما أوصى به من الورثاء بمعرفة الشرع . ومن يتوفى من القساوسة وسائر ابناء الطائفة من غير وارث يتسلم موجوداته المطران ولا يحق لبيت المال ان يتدخل في ذلك . ولا تسمع الدعاوي المتعلقة بالشرع الشريف التي تقام على المطران او الكهنة خارج الديوان الهياوي في الاستانة . « ويجب الا يختص احد النصارى على الاسلام من دون رضاه » . ولا يعارض المطران في حوائجه ولبسه وعكازه او في محل سكناه (٢) .

(١) التبذة للبطريرك مكسيموس مظلوم ص ١ - ٢
(٢) التبذة للبطريرك مكسيموس مظلوم ص ١٤٧ - ١٥٣

وأنفذ مكسيموس القس توما القيوحي الى مصر في السنة ١٨٣٥ ليدبر شؤون الطائفة الكاثوليكية فيها . وما ان وصل اليها وخرج لقضاء اشغاله فيها لابساً لباس الروم الثقيل حتى قبض « يسقجي » البطريرك الاسكندري عليه وساقه الى البطريركية . فأمر البطريرك بحبسه وأكرهه على « قلع القلوسة ولف الشال » فشكا توما أمره الى العزيز فنعم هذا البطريرك عن التدخل في شؤون الروم الكاثوليك عملاً بنص البراءة السلطانية (١) .

جمع طرابلس : (١٨٣٦) فشق الأمر على البطريركين الاسكندري والانطاكي واشتد عليهما . فدعا مثوديوس مطارنة الكرسي الانطاكي الى مجمع في « نواحي طرابلس » في آب السنة ١٨٣٦ . واتصل الآباء المجتمعون ببطريرك الاسكندرية وجمعوا الأموال من الرعايا وأنفذوا من اختاروه الى القسطنطينية لدرء هذا الخطر الجديد . وادعوا ان لبس القلايس مختص بهم وطالبوا بمنع الكاثوليكين عن التزي بأزياء الروم كي يتمكن الشعب من التفريق بين الاكليروسين . فاستدعى كارلوس كراييد ازيان البطريرك الكاثوليكي في الآستانة وكيل البطريرك مكسيموس الخواجه يوسف حجار وحضه على جمع المال لمقاومة بطريرك الروم في الدوائر الرسمية . وفي أواخر ايار السنة ١٨٣٧ صدر فرمان سلطاني موجه الى عزيز مصر محمد علي باشا يمنع تغيير المذهب ويوجب بقاء كل نصراني على مذهبه ويردع القساوسة الكاثوليكين عن التزي بزي الروم . وعن التحرك بجمعية خلاف أطوار الرعية عند انتقاهم من محل الى محل (٢) .

مثوديوس في مصر : (١٨٣٧ - ١٨٤٠) وأرسل البطريرك القسطنطيني فرمان السلطاني الى مثوديوس البطريرك الانطاكي . فهب هذا لساعته يطالب بالتنفيذ . ولما كان فرمان السلطاني موجهاً الى محمد علي باشا عزيز مصر وكان مكسيموس آنئذ في وادي النيل يتفقد شؤون رعيته طلب مثوديوس الى محمد شريف باشا حكامدار الايالات الشامية ان يأذن له بالسفر الى مصر لمقابلة العزيز

١ المصدر نفسه ج ١٥٣ - ١٥٤

٢ المرجع نفسه ايضاً ص ١٦٢ - ١٦٧

والتحدث اليه في أمر فرمان الجديد . فأجاب الحكمدار الطلب وقام البطريرك من دمشق في صيف السنة ١٨٣٧ الى طرابلس ومنها الى اهدن لمقابلة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا وقائد جيوشه . وأصغى السرعسكر المصري الى ما قاله البطريرك الانطاكي ثم أجاب انه لا يريد التدخل في المسائل الدينية الطائفية ولكنه مستعد لعرض الشكوى امام والده في مصر . ورجع مثوديوس الى طرابلس يرافقه زخريا مطران عكار . وقاما منها الى بيروت وجمعاً الأموال اللازمة واجرا الى الاسكندرية فوصلا اليها في اوائل ايلول . ورفعوا امرهما الى العزيز وتلي فرمان السلطاني على مسامحه فأمر بتنفيذه وتسجيله في المحكمة الشرعية .

وصام البطريرك مكسيموس الخوري يوسف الكفوري « مطراناً على قلاية بطريركية الاسكندرية » ودعاه باسيليوس ليوافق نص البراءة التي استصدرها اروتين الأرمني الاسقف المستقل . وشارك البطريرك في وضع اليد يوسف ناتسيو الاسقف اللاتيني العابر الطريق آنئذ واسقف هالينة النائب الرسولي على طائفة الأقباط الكاثوليكين في مصر وذلك في الخامس من ايلول سنة ١٨٣٧ (١) . ثم أقام مكسيموس المطران الجديد نائباً بطريركياً له في مصر . وكانت الحكومة الافرنسية قد منحت مكسيموس التبعة الافرنسية منذ السنة ١٨٢٢ فشاور مكسيموس قنصلية فرنسة في المشكلة القائمة فأشارت بأن يجعل البطريرك نائبه باسيليوس يلتمس احالة النظر في الدعوى القائمة بين الروم والروم الكاثوليك امام المحكمة الكبرى او امام الديوان الخديوي او اعطاه مهلة كافية لعرض الحقائق لدى الباب الهايوني في الآستانة (٢) . فأجاب العزيز انه لا يتدخل في امور الديانات وانما يأمر بتنفيذ البراءات والقرمانات كما ترد وانه ليس على الروم الكاثوليكين الا ان يستصدروا فرماناً جديداً يخولهم الحقوق التي يطلبونها (٣) . وطالب الروم بتنفيذ الأوامر السلطانية فاضطر مكسيموس وكهنته ان يقيموا في الدار البطريركية والا يغادروها خشية التنفيذ الجبري . وأكدت

(١) النبذة البطريرك مكسيموس مظلوم ص ١٨٠ - ١٨٢

٢ Hajjar, J. Maximos III Mazloum, 88.

(٣) النبذة ايضاً ص ١٧ - ١٨

القنصلية الافرنسية في الاسكندرية انها تعتبر الدار البطريركية الكاثوليكية داخلية في حمايتها بموجب نصوص الامتيازات الأجنبية . واتصل القنصل بالديوان الخديوي ورجا الترتيب فأكد حبيب افندي لمثوديس وقنصل اليونان ان الديوان منفذ الأوامر السلطانية ولكنه لم يفعل (١) .

مكسيموس رئيس موخس : (١٨٣٧) وفي السادس عشر من تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ تسلم مكسيموس بريد الآستانة فاذا به براءة سلطانية ترخص له السلطة والسيطرة على الروم الكاثوليكين في بطريركيات انطاكية واوروشليم والاسكندرية . وهي مؤرخة في اول شعبان سنة ١٢٥٣ أي في الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٨٣٧ .

« ان الراهب المسمى كراييد بطريرك الكاثوليك الذين في اسلامبول وتوايها قدم لدى سدي السنية عرضحالا مضموناً يذكر فيه انه قد لزم تعيين مرخص على جميع الروم الملكيين الكاثوليكين الموجودين في ابرشيات انطاكية والاسكندرية والقدس الشريف الداخلين تحت بطريركية الكاثوليك وان قدوة مختار الملة المسيحية المسمى مكسيموس مظلوم المتروبوليت ختمت عواقبه بالخير الحامل براقي هذه الهايوتية حيث انه مقتدر على روية امور المرخصية وادارتها فاستدعى ان يعطى له براءة سنية مع درج الشروط فيها بتوجيه المرخصية المذكورة الى المتروبوليت مكسيموس المذكور بشرط تقديم مقدار من الدراهم الى الخزينة العامة على وجه الهدية . فهذا هو مضمون العرضحال المقدم ذكره .

« فيبعد المراجعة في القيود تبين انه من مقتضيات الشروط المدرجة في براقي العلية الشأن التي بيد البطريرك المرسوم انه اذا لزم تعيين مرخص للمحلات الداخلة تحت ملل هذه البطريركية حسب المقتضى على موجب عاداتهم ووضع رسم الهدية على قدر تحمله واستدعى ان تعطى له براءة مجددة فتسلم الهدية المعينة نقداً الى الخزينة العامة وتعطى له براءة شريفة مجددة مع درج الشروط فيها . وقد عين هو على المرخصية المرقومة في هذه المرة خمسة عشر الف عثماني على وجه الهدية واعطي له البيان من محليها بتسليم الهدية المذكورة نقداً الى الخزينة العامة : فأصدرت براقي هذه الهايوتية على موجب فرماني العالي الشأن المبرز قبلا .

« وقد امرت بأن المتروبوليت مكسيموس مظلوم حاملها يدير مرخصية جميع الكاثوليكين الذين في بطريركيات انطاكية واسكندرية والقدس الشريف . وان الطائفة الذمية الكبار والصغار والقسوس والرهبان والرجال والنساء الذين على المذهب الكاثوليكي الموجودين في المحلات التابعة

1) Charon, C., Hist. des Patriarcats Melkites, II, 176 - 177.

لمرخصيته يلزم ان يعرفوه رئيساً مرخصاً عليهم ويراجعوه في الامور المتعلقة بعاداتهم ولا يتجاوزوا كلامه الذي في محله ولا يحدث منهم قصور في طاعته .

« ثم لا احد يتعارض المتروبوليت المذكور في بيتسه ولا في سائر البيوت عن قراءة الانجيل واجراء اعتقاده . ولا احد يقول انتم ايها الكاثوليكيون تجرون في بيوتكم اعتقادكم وتقرأون الانجيل وتعلمون القناديل وتضعون كراسي وتصاوير وستارات وتبخرون بالمباخر وتمسكون العكاكيز بايديكم . فلا يتعارضهم احد في شيء من اعتقادهم جميعها . ولا يصنع لهم قمعلاً وتعجيزاً لاجل جلب المال من طرف الميرمرانات ولا من قبل الضباط كافة ولا من جهة اهل العرف جميعاً . فلا يصير عليهم ادنى تعد بغير حق مخالف الشرع الشريف .

« والذين يموتون من المطارنة والقسوس والرهبان والقسيسات وغيرهم منها أوصوا به الى الفقراء او لكنائسهم او لبطريركهم تكون وصيتهم نافذة مقبولة ولا تصير من أحد مداخلة بها بوجه من الوجوه بل تكل على موجب اعتقادهم وقاعدتهم وبشهود جماعة كاثوليكين من طائفتهم تسمع دعاويهم شرعاً .

« ولا احد من المتقدمين يتعارض قاذلاً للمرخص ارسل هذا القسيس القلافي بهذا الوجه او بذلك . ولا يصير جبر او تعد بهذا الشأن اصلاً .

« واذا اقتضى المتروبوليت المذكور ان يحضر الى الآستانة لاجل مصلحة القسيس والراهب الذي يوكله عوضاً عن ذاته لا احد يمانعه او يتعرض له من طرف اهل العرف ولا من غيرهم بوجه من الوجوه قطعاً . ولا يقول احد للمرخص المذكور انا اتبعك جبراً لاجل خدمتك اذ لا رخصة لاحد بذلك .

« والاشياء المختصة بالمتروبوليت المذكور او بكنائسه متى بلغت الى الاساكن او الى الابواب فليس لاحد ان يطلب عليها شيئاً من كرك او بلج اصلاً .

« واذا اقتضى للمرخص ان يرسل من قبله انساناً لجمع ميرياته ومخاصيله من اهالي القرى والامكنة الاخرى فليعط لهم دليل في الطرقات ومباح لهم ان يثيروا ملابسهم وان يتقلدوا الاسلحة الحربية لاجل تحصين ذواتهم من الاشقياء . وليس لاحد من طائفة اهمل العرف او من الحكام ان يتعرضهم لاجل جلب المال او عوائد او هدايا او ينوع من الأنواع بتة ولا يطالبهم احد بشيء بخلاف الشرع الشريف اصلاً .

« ولا تسمع دعوى على المتروبوليت المذكور ولا على قسوسه ولا على المختصين به الا في ديواني الهايوتي في آستانة دار السعادة لا في مكان اخر قطعاً .

« واذا اقتضى ان يجس باذن الشرع الشريف احد من الرهبان او من القسوس او من الراهبات فلا يكن ذلك عند الضباط ولا يقدر بدون رضاه ان يحوشه هو بل ان المتروبوليت يحسكه ويحبسه عنده . ثم لا يجبر الذي على الاسلام اصلاً بدون رضاه .

« والأشياء الحاصلة للمتروبوليت لاجل ما كولاته من كرومه وأرزاقه وكذلك الآتية إليه باسم التصديق من حلو أو دهان وعسل وغير ذلك فوكلاء الكمارك وجماعتهم الذين في الأساكن والايواب لا يتعارضونهم بالمنع عن الادخال ولا يطلب شيء برسم كرك البتة . والحذر من المخالفة . وهكذا مهما يكون مختصاً بكنائسهم واديرتهم من كروم ويساقين وطواحين وقرى ومزارع ومراعي وأراضي وغيرها ونظيرها أوقاف كنائسهم من بيوت ودكاكين وأماك وموجودات وأشجار مثمرة وحيوانات مع سائر ما كوله فليكن في ضبطهم وتصرفهم المطلق ولهم فيه دستور العمل من دون أن يتداخل به أحد أصلاً .

« ثم أن الكنائس مع الاديرة المختصة بالطائفة المذكورة لا يتعارض أمراً من أمورهم أحد من طائفة أهل العرف بتفتيش لاجل بيولدي أو غيره ولا يحدث لهم بذلك مانعة أو تجريم . بل تكون كنائسهم واديرتهم في ضبطهم وتصرفهم .

« وبدون إذن المتروبوليت المذكور ومعرفة لا أحد من قسوسه يعقد زواجاً لا يكون جائزاً في اعتقادهم ومذهبهم . ومن حيث أن الطلاق والزواج بامرأة أخرى عدا المرأة الحية ليس جائزاً عندهم فلا يعطى لأحد منهم رخصة بذلك أصلاً . بل إذا حدث أمر مغاير لمذهبهم فالذين يباشروه يتأدبون حالاً بالقصاص حسبما يستحقون . وإذا أراد البعض من الطائفة المذكورة أن يعقد زواجاً عند طائفة أخرى فلا يقدوه له ولا أحد من ذوي الاقتدار يفضب أحداً من القسوس مع عقد زواج لأحد بخلاف اعتقادهم . ثم إذا حدث منازعة فيما بين البعض من الكاثوليكين أما لعقد زواج أو لأمر من الأمور كافة أو من الاختصاصات جميعها فليحضر المتخاصمون أمام المتروبوليت المذكور أو أمام الذين يعينهم لاجل رؤية الدعاوى مثل ما يقتضي الحال . وإذا لزم أن يخلف ميثماً لأحد هؤلاء فيحلفه في الكنيسة على موجب اعتقادهم .

« وإذا اتفق البعض من الطائفة المذكورة لاجل مقتضى أغراضهم أن يرفعوا الدعوى إلى القضاة أو إلى الحكام فلا أحد من طرف القضاة أو الحكام يتعارض أو يتداخل فيها . وإن فعل أحد بالخلاف فيجزم .

« وإذا مات أحد في حالة مخالفة مذهبهم وأراد القسوس أن لا يتعاطوا دفنه لاجل مقتضى مذهبهم فلا أحد من القضاة ولا من الحكام ولا من الضباط ولا من ذوي المقدرة يجبر القسوس برفع ذلك الميت ودفنه أو يصنع بهذا الشأن أدنى تعد .

« والتعميرات والترميات التي تقتضي لكنائسهم واديرتهم فيأذن الشرع الشريف أن تعمروا وترمم من غير أن يصير من طرف أحد أدنى تداخل .

« وإذا كان لأحد دين فليحذر من أن يتعارض بسببه حوائج الكنيسة أو الاديرة حتى ولا بطريق الاسترمان . وإن كان أحد يتجاسر على أخذ شيء من ذلك يرد حالاً بمعرفة الشرع .

« والذي يموت من القسوس أو القسيسات بلا وارث فالمتروبوليت المذكور كبطريرك يستولي على ما يكون للميت مهما كان من موجودات ودواب وغير ذلك لجهة الميري له من دون أن يتداخل

بذلك أحد من طرف بيت المال أو القسام أو المتولين أو الشويابية أو يضع يده على ماله أو نقوده أو شيء من سائر ممتلكاته .

« ولتؤد الطائفة المذكورة مساهمة عليهم لمتروبوليتهم في كل سنة رسوم ميرية وصدقات وسائر المرسومات البطريكية تماماً ولا قصير في ذلك مرادة من أحد .

« وإذا تقدم أعراض من الباشاوات أو القضاة أو النواب في سؤ حال المرخص المذكور أو قسوسه أو في عزل أحد منهم أو نفيه فالشكوى التي تصدر في حق أحد منهم لا تقبل دون الفحص الكامل والوقوف على صحة الأمر . وبغير ذلك لا يصح إلى كلام أحد أصلاً . وفي فرضية إذا صدر فرمان أو أمر شريف بتاريخ مقدم أو مؤخر لا يعتبر ولا يعمل به في مكانه .

« ويكونون جميعاً مرخصاً بإجراء عقائدهم في كنائسهم واديرتهم وامكنة زيارتهم المعلومة ولا تحصل في ذلك مانعة البتة من طرف أهل العرف ولا من جهة غيرهم لا في دفن موتاهم ولا في قراءتهم تلوياً من معارضة أحد لهم بذلك .

« ونظراً إلى الحيوانات والخيل والبغال المصددة لمراكيب المتروبوليت المذكور وإتباعه فلا يمترضها أحد بنوع من الأنواع . وهكذا الدار التي يسكنها هذا المرخص ليس لأحد من أهل العرف أو من الحكام أو غيرهم أن يطلبها لتستعمل منزولاً أو لاجل نزول صاكر فيها . ثم ليس لأحد عليها ولاية بوجه من الوجوه وكذلك لا يقدر أحد من الميرميرانات أو من أمراء اللواء أو من المسلمين أو من النظار أو من أصحاب الولاية أو من الضباط أو من الشويابية أو غيرهم أن يمانعه في ملابسه أو زيه ولا في المكاز المختصة به المعتاد أن يسكنها بيده ولا أن يصنع له أدنى مزاحمة أو مانعة في شيء وذلك حفاظاً لشروط براءتي هذه العالية الشأن التي بموجبها يكون دستور العمل في ضبط أمورهم وحلها وربطها بالحرية الكاملة من دون أن يتعارضه أحد في جميع التصرفات المختصة به بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب . فهكذا اعلوا جميعاً واعتمدوه على علامتي هذه الشريفة .

تحريراً في اليوم الأول من شعبان سنة ١٢٥٣ « (١) .

« وإذا كان في هذه البراءة اعتراف واضح بما كان يعانيه بعض رجال الدين المسيحيين من تضيق وضغط فإن فيها أيضاً محاولة رسمية لحمايتهم من ذلك . ففيها ترخيص بتعمير الكنائس وترميمها وحرية اللبس واطهار شعائر السلطة الدينية وحرية التوصية وصلاحيات النظر في الدعاوى ومنع القضاة والحكام عن التدخل في أحكام الاساقفة . فالبراءة من هذه الناحية تبشر بعهد جديد

(١) النبذة للبطريرك مكسيموس ص ٢٠٣ - ٢١١ والشهب الصبعية ليوسف وردة ص ١٦٦ - ١٧١
Charon, G., op. cit., 177 - 162.

واصلاح شامل . وهي من حيث علاقة الروم الكاثوليكين بالروم الارثوذكسيين تؤذن بالاستقلال التام .

السلطان يبرم وينقض : ثم نقض السلطان ما ابرم فأصدر في منتصف تشرين الثاني من السنة ١٨٣٧ فرماناً جديداً وجهه الى عزيز مصر ووجب به التحقيق في النزاع القائم بين الروم والروم الكاثوليك بحضور العلماء والاعيان واهل الخبرة ورفع النتيجة الى جلالته ليثبت الحق ويرفع الاذى (١) . فاضطرب مثنويوس وزميله الاسكندري ايروثيوس وفاوضا السلطات المصرية في مهلة ثلاثة اشهر يتمكنان في اثباتها من الدفاع عن حقوقها المشروعة . وفي اوائل تموز السنة ١٨٣٨ أصدر السلطان فرماناً اوجب فيه قطع القال والقال وردع الروم الكاثوليكين عن التردى بقيافة الروم وتدبير قيافة تشبه الرهبان الكاثوليكين القائمين في ممالكه المحروسة (٢) . وما قىء السلطان يقدم ثم ينخزل ويقر ثم ينقض حتى اضطرب الطرفان ان ينتقلا في نزاعهما الى عاصمة الدولة نفسها . وفي ايلول السنة ١٨٣٨ اصدر البطاركة الارثوذكسيون الاربعة غريغوريوس القسطنطيني وايروثيوس الاسكندري ومثنويوس الانطاكي واثناسيوس الاوروشيمني بياناً قبحوا به الليتنة وخروج الروم الكاثوليكين (٣) .

وشغل هذا النزاع باريس ورومة وبطرس برج بالاضافة الى الاستانة . فان مكسيموس غادر الاسكندرية في خريف السنة ١٨٤٠ الى مالطة فرومة فباريس مستجدياً مستنهضاً ثم عاد تواء الى الاستانة فوصلها في الثالث والعشرين من اب سنة ١٨٤١ واقام فيها . وكتب البطاركة الى السنيودس الروسي واتصلوا بسفارة روسية في الاستانة . فاضطر الباب العالي ان يسعى سعياً حثيثاً للوصول الى حل مناسب يرضى به الطرفان . وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٨٤٧ أصدر السلطان عبد الحميد خطأ هماً يونياً اوجب به اكتساء المطارنة والكهنة والرهبان

(١) النيلة للبطريرك مكسيموس ص ٢١١ - ٢١٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٨ - ٢٢٣

(٣) Mansi, Amplissima, Vol. 40, Col. 267 - 276.

الملكيين الكاثوليكين « قلنسوى مسدسة الزوايا بنفسجية اللون لاستديرة لون اللاطية فوقها موراً ايضاً (١) .

مكسيموس بطريرك مستقل : (١٨٤٨) وخسر مكسيموس جولسة « القلوسة » ورضي ان تكون هذه القلوسة مسدسة الزوايا بنفسجية اللون لاستديرة سوداء كقلوسة الروم الارثوذكسيين . ولكنه فاز باعتراف الدولة به بطريركاً مستقلاً عن البطريرك الارمني الكاثوليكي الذي كان يتبعه منذ السنة ١٨٣٧ بصفة « رئيس مرخص » ففي الثامن من كانون الثاني سنة ١٨٤٨ صدرت براءة سلطانية تعلن هذا الاستقلال وتعترف به . فقد جاء في مقدمات هذه البراءة « ان الرؤساء المرخصين القائمين على تدبير امور الكلدان والسريان والموارنة يستمرون في طاعة بطريرك الكاثوليكين في الاستانة . اما طائفة الملكييين فانهم في حالة خصوصية لان بطريركهم قائم بهم بالفعل والعمليية منذ القديم » وبما انه لم يعط براءة بهذه الصفة وبما ان مجلس الاحكام العدلية رأى ان الضرورة تقضي باعطائه براءة بذلك فان السلطان أصدر أمره الهاموني « في هذا الخصوص وتعلقت ارادته السنية الملكية باجراء ما اقتضى » ولذلك فانه أعطى مكسيموس مظلوم براءته الهامونية متضمنة بطريركيته على الروم الملكييين الكاثوليكين الموجودين في انطاكية واسكندرية والقدس الشريف وسائر الممالك المحروسة . وعلى هؤلاء كباراً وصغاراً ان يعرفوه بطريركاً عليهم ويراجعوه في الامور المتعلقة بعاداتهم ولا يتجاوزوا كلامه الذي في محله ولا يبدوا قصوراً في طاعتهم له .

ثم استطرد السلطان فكرر جميع ما ورد في براءة السنة ١٨٣٧ من امتيازات ادارية وسياسية وقضائية وتحرير اجتماعي . وقد أثبتنا نص هذه البراءة الاولى آنفاً فلترجع في محلها . ولا تزال البراءة الثانية محفوظة في دار البطريركية الكاثوليكية في دمشق . وقد أحسن الأب يوسف حجار بنشرها بالزرك في كتابه الانبي « البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم » الذي ظهر حديثاً بموافقة سيادة

1) Charon, C., op. cit., II, 207 - 216 ; Hajjar, J., op. cit., 93 - 94.

الحبر العلامة كيريوس فيليبوس متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها (١).

البروتستانت : واستقلت المستعمرات البريطانية في اميريكة الشمالية واصبحت الولايات المتحدة الاميريكية (١٧٧٦ - ١٧٨٣). وانتظمت شؤون الدولة الجديدة ودرت مواردها فتفتحت أمام قادتها وزعمائها آفاق جديدة. وكثر المهاجرون البروتستانت حتى أصبحوا أغلبية السكان. وقال معظمهم بالبروتستانتية الكلوينية فشحروا بواجب التبشير والدعاية لايمانهم أكثر من اللوتينيين والانكليكان. وانتظم في وليامستون في انكلترة الجديدة في السنة ١٨٠٦ جماعة من الاتقياء الذين نذروا حياتهم « للعمل في حق الرب » فأسسوا في السنة ١٨٠٨ « جمعية الاخوة ». ثم التحقوا بكلية أندوفر لدرس اللاهوت وبثوا دعايتهم في كلية وليم. وقدر لهم النجاح فنشأت في السنة ١٨١٠ « المفوضية الاميريكية للتبشير في الخارج ». (٢) وفي السنة ١٨١٢ اعترف مجلس ولاية مساتشوست للتشريعي بهذه المفوضية.

واهتم الاخوان والمفوضون لأمر فلسطين منذ اللحظة الاولى فأرسلوا في السنة ١٨١٩ بلينيوس فسك ولاوي بارسنس للإقامة في اوروشليم والعمل على تبشير اليهود (٣). وأوصوا هذين المبشرين بدرس الموقف لمعرفة ما يمكن ان يعمل لمساعدة المسلمين والمسيحيين وسكان مصر وسورية وفارس وارمينية (٤). وأقام فسك في ازمير مدة وجاء بارسنس اوروشليم فوصلها في السابع عشر من شباط سنة ١٨٢١ وأقام فيها يوزع الاسفار ويفسرهما. ثم توفي بداء الليزنطارية في الاسكندرية في السنة التالية. فلما علم رفيقه بلينيوس فيسك بذلك قام من ازمير الى مالطة يشوق مرسلا اميريكياً آخر كان يشرف على المطبعة الاميريكية في هذه الجزيرة للعمل في اوروشليم. فأثر قبل هذا البقاء في مالطة. وكانت كلية اميرست Amherst الاميريكية قد اوفدت يونس كينغ الى باريز لتعلم اللغات الشرقية في

مدرسة باريز على المستشرق الشهير سلفستر دي ساسي. فاتصل فيسك به ودعاه للعمل في الشرق فلبى الدعوة بسرور. وشجعتة جمعية التبشير الانجيلية الافرنسية (١) على ذلك فنحته مساعدة مالية قدرها مئة دولار في السنة لمدة ثلاث سنوات. فأصبح هذا الشاب الاميريكي اول المرسلين الانجيليين الافرنسيين (٢). وقام المرسلان من مالطة الى الاسكندرية فالقدس فوصلا اليها في اوائل السنة ١٨٢٣. ثم التحق بهما اسحق بيرد موقداً من قبل مفوضية التبشير الاميريكية. وجاء بـبيروت في السنة ١٨٢٣ لويس واي Way نائب رئيس الجمعية اللندنية للتبشير بين اليهود (٣). واستأجر مقر الآباء اليسوعيين في عينطورة الزوق وجعله مركزاً لعمله التبشيري وبعد بضعة أشهر عاد الى لندن تاركاً لويسهو Lewiswho يعمل لنشر الايمان (٤).

البطوريك الاوروشليمي ينقبض ويقبح : (١٨٢٣) وجاء لنيوفيطوس القبرصي ان المرسلين الاميريكيين أقاموا لدى وصولهم الى القدس عند الارمن ووزعوا الاسفار المقدسة. ثم أظهروا الحجة لليونان وأقرضوا رهبان القبر المقدس مالا كانوا في حاجة اليه واستأجروا غرفتين او ثلاثاً في دير رئيسي الملائكة. ثم وزعوا الخبز يومياً على الطلبة الفقراء فبارك الرهبان عملهم الخيري. ولكن المرسلين بدأوا بعد ذلك يعلمون الاولاد الاحتراموا الايقونات والصليب والا يصوموا والا يستشفعوا والسدة الاله. فاستدان الرهبان مالا من اليهود وأعادوا الى الاميريكيين قرضهم وطردوهم من الدير والمدارس (٥).

وداعات يونس كينغ : وخرج بلينيوس ويونس من القدس في السنة ١٨٢٥ واستقرا في بيروت وجعلوها مركز اعمالهما. وعكف يونس كينغ على درس العربية والسريانية فلزمه اسعد الشدياق لقاء أجر معين. وتوفي بلينيوس فيسك في خريف السنة ١٨٢٥ ودفن في بيروت.

- 1) Société des Missions Evangéliques de Paris.
- 2) Bianquis, J., Les Nouveaux Devoirs du Protestantisme Français en Syrie, 24.
- 3) The London Society for Promoting Christianity among the Jews.
- 4) Scherer, G., Mediterranean Missions, Beirut, 1939, 1.
- 5) Papadopoulos Kerameus, Analekta, II, 458.

- 1) Hajjar, J., Un Lutteur Infatigable le Patriarche Maximos III Mazloum, Harissa, 1956, 99 ; Steen de Jehay, F. von den, Sujets Ottomans non - Musulmans, 273 ; Charon, C., op. cit., II 202 - 207.
- 2) The American Board of Commissioners for Foreign Missions.
- 3) Thompson, A. E., A Century of Jewish Mission, 176.
- 4) Strong, W., the Story of the American Board, 80.

واستصدرت السلطات الروحية الكاثوليكية فرماناً سلطانياً يمنع توزيع الاسفار المقدسة ويوجب جمع ما وزع منها (١٨٢٤) (١) واتصل الاكليروس الكاثوليكي الشرقي بيونس كينغ وحضوه على العودة الى حضن الكنيسة الجامعة وكان هو قد قرر القيام الى ازمير والجزر اليونانية فصنف رداً على من دعاه الى الكتلثة ونظر المعلم اسعد الشدياق في الرد فسماه «وداعات يونس كينغ» ثم نشر هذا الرد ووزع في جميع انحاء الدولة العثمانية.

وجاء هذا الرد في قسمين رئيسيين اولهما اثنتا عشرة مادة في الايمان الكالوني والثاني ثلاث عشرة رداً على السؤال : لماذا لا اقبل الكتلثة . وعناوين هذه الردود هي ما يلي : (١) لان المسيح لا البابا هو رأس الكنيسة على الارض (٢) لان رومة توجب التبتل على الاكليروس وهو امر مناف للاسفار (٣) لان المسيح هو الشفيح الوحيد ولانه لدى رومة شفعاء كثيرين العذراء مريم والقديسين والملائكة (٤) التوراة تحرم عبادة الصور والتماثيل ورومة تجيزها (٥) لان القول بالمطهر يعاكس نص التوراة (٦) لان التضرع الى القديسين لا يتفق والاسفار (٧) لان رومة تحرم العامة من كأس الشركة (٨) لان رومة تستعمل لغة مجهولة في العبادة (٩) لان الايمان بالبابا يخالف نص الاسفار (١٠) لاننا ننال الخلاص بالمسيح لا بالقديسين (١١) لان رومة تقر اضطهاد البروتستانت وافتاءهم كما جرى في يوم القديس برتلاوس عندما سقط ثلاثون الفا في يوم واحد (١٢) لان رومة لا تسمح للشعب بمطالعة التوراة (١٣) لانه لا يمكنني ان اصير رومانياً والتوراة بيدي . ولاني اتني لكم جميعاً ان تصيروا مسيحيين ولا اكثر للقب بروتستانت (٢).

موقف الموارنة والكاثوليك : وقدم في السنة ١٨٢٤ اسحق بيرد ووليم غودل والتحق بهما في السنة ١٨٢٧ عالي سميت . وبدأوا العمل الانجيلي فاستمالوا اسعد الشدياق واثنين من اساقفة الازمن الغريغوريين . وانشأوا المدارس لتعليم

1) Jessup, H., op. cit., I, 36.

2) Ibid., 39 - 40.

الاولاد فبلغ عددها في السنة ١٨٢٧ ثلاث عشرة مدرسة ضمت ٦٠٠ طالب . فأعد البطريرك الماروني يوسف حبيش حرماً شديداً للهجة في الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٨٢٦ وأمر به فأعلن رسمياً في كنيسة بيروت المارونية في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٨٢٧ . وجاراه في ذلك بطريرك الروم الكاثوليكين اغناطيوس قطان (١) . وقبض على اسعد الشدياق وسجن في دير علما ثم في قنوبين . وفر اخوه فارس والتجسأ الى دور المرسلين في بيروت فأرسلوه الى مالطة (٢) .

البطريرك مثوديوس والمرسلون : (١٨٢٧) وكتب البطريرك مثوديوس نفسه في السابع والعشرين من اذار سنة ١٨٢٧ الى القسين بيرد وغودل يلقت نظرهما الى ان مدارسها تبذر الشقاق بين خرافه . ثم أمر جراسيموس متروبوليت صور وصيدا باقفال المدارس في مرجعيون وحاصبيا (٣) . ولا نعلم السبب الذي حدا بزخريا متروبوليت عكار الى العطف على المرسلين واعمالهم . ولعله لم يفعل . البطريرك مثوديوس وترميم الكنائس : وتميزت حكومة محمد علي باشا عزيز مصر بعدلها وتساهلها . فاغتم مثوديوس القرصة السانحة ودفع الرعية للعمل على ترميم الكنائس وتوسيعها وانشاء بعضها انشاءً جديداً . فالتحق روم السويدية في منتصف تشرين الاول سنة ١٨٣٣ إعادة انشاء كنيسة فيها (٤) . وتقدم روم انطاكية في اواسط ايار سنة ١٨٣٤ يرجون انشاء كنيسة لهم فوافق العزيز على ذلك (٥) وفي السابع والعشرين من اذار سنة ١٨٣٩ رفع روم حماة الى العزيز عريضة اشاروا فيها الى الظلم الذي لحق بهم في عهد الحكومات السابقة واشادوا بعدل الحكومة المصرية وايدوا ذلك برجع النازحين منهم الى حماة والتسوا السماح بتوسيع كنيستهم فكان لهم ذلك على الرغم من اعتراض المتسلم والقاضي (٦) .

1) Anderson, R. History of the Missions of the A. B. C. F. M. to the Oriental Churches, I, 48 - 49; Bird, I., Bible Work in Bible Lands, 215, 222 - 249; Jessup, H., op. cit., I, 44.

2) Bird, I., the Martyr; Tracy, J., op. cit., 280; Jessup, H., op. cit., I, 40 183.

3) Bird, I., op. cit., 228 - 231.

٤) المحفوظات الملكية المصرية للدكتور اسد رستم ج ٢ رقم ٣٢٢٢

٥) المحفوظات المصرية ايضاً ج ٣ رقم ٤٠٤٦

٦) المحفوظات ايضاً ج ٤ رقم ٥٧٢٤ و ٥٧٢٧

وكتب متروبوليت بيروت في هذه السنة نفسها للبطريرك الاسكندري يرجوه استصدار اذن بترميم دير مار الياس التينة في ضواحي بيروت . فأحال العزيز الطلب على محافظ بيروت محمود ناي بك وعلى قاضيه الشيخ مصطفى الجمالي لابداء رأيها . فوافق المتسلم واعترض القاضي مدعيماً ان الشرع الاسلامي لا يجيز ترميم المتهدم من الكنائس والاديار ويمنع انشاء الجديد . فضرب العزيز برأي القاضي عرض الحائط متهمكاً ووافق على ترميم الدير المذكور (١) . ووسع مثوديوس بناء دير مار جرجس الحصن في السنة ١٨٣٧ كما انشأ في دير النبي الياس في ضواحي الشوير عدداً من الغرف الجديدة (١٨٤١ - ١٨٤٢) .

مدرسة البلمند الاكليريكية : (١٨٣٣-١٨٤٢) وشعر الوجوه والاعيان والاكليروس بوجوب الانتباه الى الرهبان لتصمد الكنيسة في وجه التيار الكاثوليكي وتكسر النصال التي كان قد بدأ يسدها المرسلون البروتستانت الى كبد العقيدة الرسولية المقدسة . وكان مقدام هذه الفئة الارشمنديت اثناسيوس (قصير) رئيس دير سيده البلمند البطريركي . ووافق البطريرك مثوديوس وتسارعت اهواء المطارنة فأنشأ اثناسيوس في السنة ١٨٣٣ مدرسة في الدير المشار اليه . وجمع بها من التلامذة نحو الثلاثين . وأحضر لها الاساتذة فوكل تدريس الدينيات واللغة العربية للخوري اسبيريدون ضرورف الدمشقي واللغة اليونانية والموسيقى الكنسية لديمتريوس فيليبپيدس . وكان من اساتذتها ايضاً الخوري يوسف الحداد والسيد جراسيموس (فرح) الذي صار فيما بعد مطراناً على باياس ثم على صور وصيدا (٢) . وتحلى اثناسيوس بوفرة العلم وسعة المعرفة وثبات العزم والحزم وحسن الادارة والدراية فأحيا املاك الدير القديمة وازادها املاكاً جديدة . وجسد كنيسة الدير وجعلها بالاواني المقدسة والملايس الشريفة والكتب الروحية المفيدة . وبني غرفاً جديدة وجعلها بكل ما يلزم . فهب الشبان الارثوذكسيون يتقاطرون الى البلمند من جميع ابرشيات الكرسي الانطاكي قصد التمرن على السيرة الرهبانية . وزها البلمند واشتهر بحسن النظام والطاعة ومحبة الشغل والتعب وخدمة العلم والمعرفة .

(١) المحفوظات نفسها ج ٤ ص ٩٧٩

(٢) الارج الزاكي لامين ضاهر خير الله ص ٣٧

وقابل اثناسيوس ابراهيم باشا المصري مرتين واستصدر امرين اولهما اعفاء الدير من الضرائب وثانيهما منع الامير بشير الشهابي من اغتصاب مطاحنه (١) . وفي خلال السنة ١٨٤٠ زار البطريرك مثوديوس مدرسة البلمند وبمعيته زخريا متروبوليت عكار فاحتفلت المدرسة احتفالاً شائقاً . وسقطت في اثناء التظاهر بالسرور بادرة لفظية بنى عليها زخريا القصور والعلالي . وقذف في قلب البطريرك اموراً واموراً . فلم يطل الامر على الارشمنديت اثناسيوس حتى أنذر بما ساءه فأبدى الرغبة بأن يستقيل . فأجابه البطريرك ان استعفاءه قبل . وهكذا كفت يده عن العمل . ورحل الى اوروشليم بصفة واعظ . وانتشر عقد المدرسة بعد ان اخذت تزهو وتزهر . فتبدد تلامذتها الرهبان وذهب البعض منهم الى دير القديس جاورجيوس والبعض الى آثوس او الى صيدا . ولم يبق منهم في الدير سوى اثنين وعشرين راهباً ينتظرون اصلاح الحال (٢) .

مثوديوس يستجدي الروس : (١٨٤٢) وتخوف مثوديوس من اتساع الجبهة ومن لجوء الكاثوليكين والبروتستانت الى المدرسة والتعليم في اعمالهم التبشيرية . ولم ير في مدرسة الاقمار الثلاثة التي حض على انشائها في بسيروت ما يكفي لدرء الخطر المداهم فاتصل بالاوساط الروسية ورامهم بآماله فأشاروا عليه بارسال مطران الى روسية يطوف بلدانها لجمع ما يلزم لترميم الاديرة والكنائس وانشاء المدارس واعداد الكتب وطبعها .

فأوفد مثوديوس في السنة ١٨٤٢ نيوفيطوس متروبوليت بعلبك لهذه الغاية وزوده بالتعليمات اللازمة وحمله بياناً بطريركياً انطاكياً بواقع الحال . وأرسل البطريرك مع نيوفيطوس كلا من الأب الارشمنديت صفرونيوس والأب الراهب انثيموس وكاتم اسراره السيد يوحنا باباندوبولو .

وما جاء في هذا البيان البطريركي ان كنيسة انطاكية رزئت منذ القدم بنير الذل والفقر . ثم أحاطت بها الاخطار فقام الرومانيون الكاثوليكيون يبتون عقائدهم

(١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغناس قندلفت : المار ١٨٩٩ ص ٤٣٥ - ٤٣٦

(٢) State of the Patriarchate of Antioch in 1850, Appendix III, Neole, J. M., Patriarchate of Antioch, 218 - 219.

في صدور المؤمنين ثم اغتصبوا افضل الكنائس والاديار ونهبوا هياكل العبادة ودور الكتب . فأُمسّت بعض الكنائس والاديار خالية خاوية وأُضحت معظم المعابد القائمة فقيرة تنقصها الآنية والاغطية . والمؤمنون هائمون في أودية الجهل ناشون في شعاب البربرية لا مدارس لهم ولا معلمون ولا مؤسسات عمومية تعني بشؤونهم . وإذا ما أجهل المؤمنون الروسيون الصنع وساقوا الجميل فإن ما يجمع منهم سيكرس لإنشاء المدارس والمطابع ولترميم كنيسة القديس نقولاوس العجائبي في دمشق وغيرها من الكنائس القديمة والاديرة ولتشيد بعض الأبنية المسيحية العامة التي لا يستغني عنها . ووقع هذا البيان البطريكي كل من البطريرك مثوديوس ورؤساء الاساقفة مثوديوس حصص وبنيامين بيروت ويوانيكوس طرابلس وأرميموس اللاذقية وزخريا عرقة وبرنابا حماة ويعقوب سلفكية واشعيا متروبوليت صور وصيدا (١) .

ازمة في كنيسة حاصبيا : (١٨٤٤ - ١٨٤٥) واقتصر المرسلون الاميريكيون في بادىء امرهم على التعليم الابتدائي وتوزيع الانجيل . ثم قبلوا مسيحيين شرقيين من الروم والموارنة والارمن في الشركة فتكونت نواة لطائفة انجيلية في بيروت (١٨٢٧) . وتابعوا اعمالهم التبشيرية فتسربت عقائدهم الى القرى . فهب احبار الطوائف المسيحية للدفاع ومنعوا المؤمنين عن ارسال اولادهم الى مدارس المرسلين البروتستانت . وفي السنة ١٨٣٢ أمر مطارنة اللاذقية وطرابلس وصور وصيدا باحراق المطبوعات البروتستانتية فقم ذلك باحتفالات علنية في دور الكنائس . واستصدر الآباء اليسوعيون اوامر حكومية رسمية بمنع المنشورات البروتستانتية من الدخول الى اراضي الدولة العثمانية (٢) . فرد المبشرون الاميريكيون على هذا الاجراء بنقل مطبعتهم من مالمطة الى بيروت (١٨٣٥) .

وصادف المرسلون الاميريكيون نجاحاً في حاصبيا . فأم مدرستهم فيها طلاب من جميع الطوائف والتحف حول المعلم المبشر مئة وخمسون شخصاً يدينون

1) State of the Church of Antioch, Neale, J. M., op. cit., App. II 210 - 212.

2) Jessup, H., op. cit., I, 82, 83.

بالبروتستانية . فنشأت مشادة عنيفة بين هؤلاء ، ومعظمهم من الروم ، وبين جمهور الروم في حاصبيا وتوابعها . فطالب البروتستانت في حاصبيا برفع سلطة الاكليروس الارثوذكسي عنهم والاعتراف بهم كنيسة مستقلة . فقام مثوديوس البطريرك الانطاكي من دمشق الى حاصبيا في خريف السنة ١٨٤٤ واتصل بزعماء الحركة البروتستانتية وحاول اقناعهم بالعدول عن مطلبهم والعودة الى حضن الكنيسة . فأجابوا : « يا سيدنا نحن نريد ان نفحص بالانجيل فاذا وجدنا طريق الخلاص فيكون المطلوب والانبيى نرجع » وأبصر آخرون رشدهم وثابوا الى الهدى واستقاموا على الطريقة المثلى فأصدر البطريرك البركة ورفع الحرم عنهم .

« المجد لله دائماً : مثوديوس البطريرك الانطاكي برحمة الله تعالى : النعمة والبركة تشملان ابنتنا الروحية المحبوبة بالرب هيلانة زوجة ولدنا الروحي المحبوب بالرب الشيخ يوسف غره (الكفير) . فحيث ان ابنتنا المذكورة قد قيل عنها انه بادي منها كلام غير لائق وانه كان حصل بسببها منع في رجوع رجلها الى الكنيسة ولهذا السبب تغلظ خاطرها عليها وما اشبه ذلك . فالان حيث ان رجلها ولدنا المذكور قد رجع الى احضان امه الخنونة التي هي كنيسةنا الشرقية الارثوذكسية المقدسة المستقيمة الرأي وابنتنا المذكورة هيلانة قد قدمت التوبة الحقيقية بصفاة النية فلتكون مباركة هي ورجلها ايضاً معها من الآب والابن والروح القدس ومنا نحن ايضاً . ويكون اولادها كذلك مباركين واعمال يدها وجميع تصرفاتها المرضية لعزته تعالى . ونعمته تعالى مع بركاتنا وادعيتنا تكون شاملة اياها والى رجلها واولادها وكل من يلود فيها آمين » .

أصابع الانكليز: وكان ريتشارد وود Richard Wood الذي أخرج الموارد عن صداقتهم التقليدية لفرنسة عام ١٨٤٠ قنصلاً بريطانياً في دمشق . وكان ترجمانه ميخائيل مشاققة وقضت السياسة البريطانية بمقاومة الكتلثة وعرقة اعمال فرنسة في الشرق وباحباط مساعي الروس لاستمالة الرعايا العثمانيين الارثوذكسيين . وقضت هذه السياسة ايضاً بتأييد المرسلين البروتستانتين في الشرق ولا سيما الاميركيين منهم لأنهم ليسوا من رعايا جلالته البريطانية ولكنهم يخدمون اغراضها بصورة غير مباشرة . وهكذا فاننا نرى بروتستانت حاصبيا يوجهون عريضة الى القنصل

ريتشارد وود في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٨٤٤ يلتهمون به ارفع الاضطهاد والتضييق الذي حل بهم ويتهمون السلطات المحلية بالتعاون مع البطريك مثوديوس وتسهيل مهمته .

فاتصل ميخائيل مشاقة بالامير احمد ابن الامير سعد الدين الشهابي وفتاحه كلاماً في موضوع بروتستانت حاصبيا في التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٨٤٤ فأجاب الامير احمد انه مسلم لا «يعتبه اختلاف مذاهب النصراني» وانه يؤثر باطناً البروتستانت على غيرهم لانهم اقرب في الطاعة ولكنه مكره على طاعة اولياء امره وأنه لو تظاهر بحماية البروتستانت لشكا خصومه امره الى الوزراء بواسطة جنرال المسكوب . فرأى ريتشارد وود ان يكتب الى سعيد بك جنبلاط في امر البروتستانت ويخضه على حمايتهم في حاصبيا بواسطة اعيان الدروز فيها . ومن هنا قول المعلم بطرس البستاني في رسالة له حررها في حاصبيا في ٢٤ حزيران سنة ١٨٤٤ انه «قبل تاريخه بيوم كان قد ذهب الشيخ امين شمس وأخوه الى الدار وأروا المکتوب الذي جاءهم من الشيخ سعيد جنبلاط وعاتبوه بما اظهره لنحو ابو بشاره وجهورنا فأجاب الامير انه ان شاء الله ما عاد يصدر منه مثل هذا الشيء » .

ورأي المعلم بطرس البستاني : (١٨٤٥) ولوى المرسلون عنانهم وأرادوا ان يقصروا ويكفوا فأخذوا رأي كبير الانجيليين الوطنيين آنشد صديقهم الحبيب المعلم بطرس البستاني فحرر رسالة في هذا الموضوع في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٤٥ جاء فيها ان «ترك اهالي حاصبيا ينتج منه شرور كثيرة » .

(١) انه يكون ثقالة واضطهاد شديد على الذين يرجعون من اهالي بلدهم وربما يصير خطر على حياة البعض منهم . (٢) اذا تركناهم في هذه الحال يصيرون من أشد أعداء طريقتنا وينسبون خراب بيوتهم الينا . وهذا مما يكون سبباً لسد الباب علينا ليس في جهات حاصبيا فقط بل في هذه الجهات ايضاً . (٣) انه يتقطع عند الاكثريين من اهالي البلاد رجا اعطاء الحرية لان يكونوا

بروتستانت . (٤) اذا رجع هؤلاء الى محلاتهم مذلولين يتحقق لدى الاضداد والأحباب ايضاً ان الدولة تضاد امتداد البروتستانت في هذه البلاد . (٥) ان المحلات الموجودة فيها بعض اناس منا تقوى شوكتها علينا وربما انهم يفتحون علينا ابواباً جديدة حتى يصوروا عند الدولة وبقيّة اصدقاءنا وربما عند أحبابنا بأننا منشؤون مفاصد في البلاد ويمنعون الناس الذين تحت سلطانهم عن مبايعتنا ومخالطتنا ونرجع الى الحال القديم وتقوى شوكة الاكليروس على رعاياها . (٦) ان الذين يريدون ان يتبعوا الحق او الذين هم قريبون الى الحق اذا أرادوا ان يتظاهروا فيه في اماكنهم تقوم عليهم اهالي بلدهم ويعملون بهم ما عمله اهالي حاصبيا بهولاً الفقرا المساكين . (٧) حيث ان حاصبيا هي على نوع ما منتظر الجميع أصحاباً وأعداء فاذا رأوا انتهاءها على هذه الحال يجعلون يهزون روسهم علينا ويقولون ايه ايه قد رأيت أعيننا . (٨) ان الناس في حاصبيا اذا سمعوا بتركنا هولاً وعدم السؤال عنهم من احد الارجح انهم يهجمون على بيوت هولاء وبيوت الباقيين هناك ويؤذونهم في مالهم وحالهم . ولكن اذا افتكروا ان مادتهم للان ممسوكة ولو ان فكرهم وهماً فان الوهم يمنعهم نوعاً عن اتمام كل مقاصدهم الردية . (٩) اذا فشا هذا الخبر هناك واراد اصحاب الأعيال من هولاء ان يأتوا بعيالهم اليهم او اراد الباقيون هناك ان يرحلوا من البلد يتعرضهم اهاليها خوفاً من رحيل البعض من أقاربهم وأعيالهم معهم . وهذا عندهم مضر لهم ذيانة ودنيا . (١٠) متى انقطع جبل الرجا فان الذين باقون هناك كقسطه المجدلاني وغيره ربما يموت الفكر من عقولهم ولا يعودوا ان يترجوا امكان تمذهبهم بمذهب البروتستانت هناك . وهكذا يتلاشى هذا الفكر بالكلية ويتكون العادة الحميدة في اجتماع سراً للصلاة والقراءة معاً . وناهيك ان اصدقاءهم يبالغون في منعهم عن ذلك . (١١) ان الذين ماسكون في جبل الباقيين هناك مثل المشايخ وبعض الامرا متى تحققوا لديهم ذلك يخافون ولا يعودوا يتجاسروا على حمايتهم وصيانتهم من اعدائهم كما يفعلون الآن حتى ولا يعودوا يقبلونهم في بيوتهم . (١٢) متى رأوا ذلك يحرقوا الكتب التي هناك وربما يختلسون الخوايج . (١٣) متى رأت الدولة ذلك

ربما ان والي الشام يرسل بطلبهم باجتهاد او ان والي بيروت يطردهم من كل ولايته.

«والنتيجة ان الشرور الناتجة من ذلك هي كثيرة . فمنها ما اراها ومنها ما يراها الناس الفطنون . هذا واني لا ارى شراً من حفظهم . واذا وجد شيء من ذلك فلا يكون بالنسبة الى الشرور الناتجة من عكسه شيئاً . وانا اعلم ان الخسائر التي صارت بسببهم هي كثيرة ولهذا لا يسوغ لنا ان ننسى كل تلك الخسائر لاجل ما نضيفه اليها من خسارة جزئية . وانا اظن ان الناس المسيحيين اذا طلبت منهم المساعدة هؤلاء الفقراء المضطهدين فلا يحسون احسان رآفتهم عنهم لاني اُحَقِّق ان محبة الاحسان في كنائس البروتستانت اذا لم تكن أعظم منها في بقية الكنائس فانها تكون بالاقل مثلها .

« والتدبير السني يظهر لي الان انه الاوفق هو (١) ان يعطى كم غرش للمحتاجين منهم على سبيل الاحسان لكي يبعثوها الى اعيالهم الذين يعرفون جوعاً . (٢) ان شاهين غبريل يخدم عند أحد الامرا او المشايخ في هذه البلاد والاحسن ان يخدم عند الشيخ سعيد جنبلاط . (٣) ان شاهين ابو بركات وناصيف الرئيس يسكنوا في نيجا تحت نظر الشيخ سعيد ويتعاطيا أمر البيع والشرا . (٤) ان يوسف بندر ونقولا عيّد ونقولا حصلب يدقون بارود في عيبه او بمحمدون . (٥) ان الياس غبريل يتعاطى صناعة الصباغة في عيبه او بيروت . (٦) ان جريس الرئيس واخوه منصور يتعاطى السكافة في كفر متي أو غير مكان بالقرب من عيبه . (٧) ان نقولا ابو ناعسة واولاده يكونوا في نيجا اسكافة . (٨) ان فارس الدينغي يبقى في عمله او يفتح مدرسة في إحدى ضياع الجبل . واذا وجد أحد بعد هؤلاء يكون تدبيره كتدبيرهم وكل منهم يجتهد على جلب عياله او يقيهم هناك حسب ارادته . واذا تعذر تدبير أحد منهم على الطريقة المذكورة فربما يوجد البعض من المشن يريد ان يخدم في بيته . وانا اظن انه لاجل نفوذ هذا التدبير لا يلزم أكثر من الفين غرش التي انا مستعد ان أجمعها وأساعدها فيها من مالي على قدر استطاعتي .

« فأرجوكم ثم أرجوكم لا تسدوا اذانكم عن صراخ هؤلاء الفقراء المساكين ولا تحبسوا أحشأ رافتكم عنهم بعد أن عملتم معهم معروفاً جزيلاً وخيراً وفيماً . وارجوكم أن تنظروا بعين الرحمة الى ضيقهم الحاضرة وتفرجوا منها عنهم على قدر امكانكم . ولاجل تقدمه ما يجب علي هؤلاء انا نجاسرت بتقديم اعراضي اليكم لكي تفحصوا ما فيه . وعلى كل حال كل شيء راجع لخاطركم . طالب دعاءكم بطرس البستاني » .

الامطوش الانطاكي في موسكو : (١٨٤٨) وكان فيلاريثيوس صاحب التعليم المسيحي المطول ومحب الكنيسة الارثوذكسية الجامعة مطراناً على موسكو . فلما طلب مثوديوس البطريرك الانطاكي المساعدة في السنة ١٨٤٢ هب فيلاريثيوس للعمل وتلبية النداء . فاستأذن المجمع الروسي المقدس بأن تعطى كنيسة الصعود والقديس ايبانثيوس في موسكو الواقعة بالقرب من الكرملين للكرسي البطريركي الانطاكي . فأقر المجمع ذلك ورفعته الى القيصر فحاز القبول في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٤٨ . وفي السنة التالية سلمت الكنيسة المشار اليها مع جميع موجوداتها وما يخصها من الاراضي المجاورة الى الكرسي البطريركي الانطاكي لبناء امطوش بطريركي في موسكو . واشترع المجمع الروسي المقدس ان تستعمل ايرادات هذا الامطوش لاجل تهذيب الاكليروس والشعب الانطاكي .

البطاركة والبابا : (١٨٤٨) وتوفي غريغوريوس السادس عشر في حزيران السنة ١٨٤٦ فخلفه على السدة الرومانية بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨) . ونحلى البابا الجديد بالورع والتقوى منذ حدوثه وبالوداعة واللفظ والحنّة . وأراد الكنيسة الجامعة واحدة مقدسة فوجّه في السادس من اذار سنة ١٨٤٨ رسالة الى البطاركة الاربعة يدعوهم فيها الى الشركة مع السدة البطرسية . وبدأت رسالته هذه بالعبارة « على السدة البطرسية العليا » *In supremā Petri* فعرفت بها (١) . ولكن رومة جهلت الشرق اكليروساً وشعباً ونجاهلت الماضي فددت

الفصل الحادي والخمسون

اليونان والروس

الروس والدين القويم : وقضت مصالح الروس بالاستيلاء على المضائق والانطلاق منها الى المياه المتوسطة الدافئة. وعظم الشعب الروسي الايمان القويم وأجله وأراد منيع الساحة حصين الناحية لا يناله مبشر بروتستانت ولا يطمع فيه طامع روماني فاهتم بشأن الرعايا الارثوذكسيين العثمانيين ولم يدخر عنهم وسعاً .

وسادت السكينة بعد معاهدة كوجك قينارجي فترة من الزمن . ولكن الشعب الروسي ظل متشبهاً بموقفه التقليدي . وفي السنة ١٧٨٣ نقض الروس العهد وضموا القرم بالرغم من تهادنهم مع الدولة . فخشيت فرنسا وانكلترا توغل الروس في الاملاك العثمانية ونصحتا للباب العالي بالنزول عن القرم وكوبان . فتم ذلك بمقتضى معاهدة القسطنطينية في كانون الثاني سنة ١٧٨٤ . وجدد الباب العالي اعترافه بحق روسية في التدخل في شؤون الدولة الداخلية لحماية الرعايا الارثوذكسيين . ثم خرج الروس في السنة ١٧٨٧ الى القرم في موكب حافل ولما وصلوا في طريقهم الى خرسون كتبوا على احد ابوابها : « الطريق الى بزنطة » . فثار خواطر المسلمين واضطر الباب العالي الى اعلان الحرب فجاءت معاهدة ياسي في السنة ١٧٩٢ تثبت معاهدي قينارجة والقسطنطينية وتعترف لروسية بالقرم بكامله وباقي الاراضي العثمانية الى نهر الدنيستر .

وجاء نابوليون بعسده حملته على مصر وسيطرته على المانية والنمسة يقوي تركية ليعتمد عليها ويستخدمها ضد روسية وانكلترا . ولكن بنيان الدولة العثمانية كان قد أصبح منخوراً يهدد بالانهيار عند هبوب العاصفة . وانتصر نابوليون في موقعه فريد لند على روسية وبروسية فقابل القيصر في تبليست سنة ١٨٠٧ ووافق على تقسيم الدولة العثمانية ولكنه أصر على ان تبقى القسطنطينية وبلاد الروملي

يدها فارضة سلطتها فرضاً مدعية بصحة كل ما اشترعت بعد الانشقاق معتبرة كل ما جرى في الكنائس الارثوذكسية بعد الانشقاق خروجاً وضلالاً وحضت البطارقة على الاعتراف بالايمان الكاثوليكي الصحيح والاحتفاظ بالليتورجية اليونانية ما عدا ما ادخل عليها بعد الانفصال مما لا يتفق والايمان والوحدة الكاثوليكيين . ثم اكدت استعدادها للاعتراف بجميع الدرجات المكتسبة والمساواة التامة بين الكاثوليكيين الجدد والكاثوليكيين القدماء (١) . وقد لا يختلف اثنان في حسن النية التي خالجت فؤاد بيوس التاسع ولكن اسلوب الرسالة جعلها دعوة للدخول في الطاعة لا محاولة حبية للاعتراف بالخطأ الذي ارتكبه الطرفان وازهار الندامة والتوبة والاشترك في جسد واحد ودم واحد .

واستلم البطارقة الدعوة الباباوية وانعموا النظر فيها منفردين ومجتمعين واشركوا المطارنة في ذلك . فلم يتمكنوا من الترفع بالحجة بل اعدوا دفاعاً وردوا الكيل كيلين (٢) . ونبشوا الماضي وطعنوا في الادعاءات الباباوية وفي اعمال المرسلين اللاتين في الاوساط الارثوذكسية . و اشاروا الى الوحدة التي تربط الكنائس الارثوذكسية واكدوا انهم يتعاونون بالمحبة الاخوية مسترشدين بأراء البطريرك القسطنطيني معترفين بتقدمه وباستمراره بطريركاً في عاصمة الدولة وفي هذا غمز من قناة البابا لا اعتراف بسلطة السلطان العثماني في امور الدين والعقيدة كما يزعم بعض المتهورين (٣) وأكد البطارقة في الرد على البابا ان ايمانهم اكتمل بالمجامع المسكونية السبعة وهو بالتالي لا ينقص ولا يزيد ولا يتغير (٤) . و اضافوا انه لن يجرؤ بطريرك او مجمع على تغيير الايمان المقدس لان الشعب الارثوذكسي هو الحامي (٥) .

1) Aubert, R., Le Pontificat de Pie IX, 21 - 22, 580 ; Musset, H., Hist. du Christianisme, III, 50,

2) Texte dans Mansi, Vol. 40, Col. 377 - 418 ; Popescu, T., Enciclica Patriarhilor Ortodocsi deta 1848, (Bucarest, 1935) « résumé en français » .

3) Piltziopios, L'Eglise Orientale, I, 140.

4) Mansi, Vol. 40, Col. 411.

5) Ibid. Col. 407.

تابعين للدولة العثمانية فأصر القيصر على اخذ القسطنطينية . فلم تأت المفاوضات بنتيجة . وقامت الحرب بين روسية وتركيا في السنة ١٨٠٩ واستمرت ثلاث سنوات . فعجل القيصر بعقد معاهدة بخارست سنة ١٨١٢ استعداداً لهجوم نابليون على روسية .

وانعقد مؤتمر فيينا في السنة ١٨١٥ فلم يتعرض للمسألة الشرقية لان الروس اصحاب النفوذ الاول في هذا المؤتمر خشوا ان يفقدوا حرية العمل المنفرد في الدولة العثمانية . فلما سقطت دولة نابليون واستتب السلام في الغرب عاد الروس الى مواصلة مشاريعهم في الشرق . وكانت اسباب النزاع بين الروس والأتراك متوافرة بفضل الحقوق التي كسبتها روسية على رعايا السلطان المسيحيين فاعتبرت موسكو ان الواجب يقضي عليها بتحرير هؤلاء من حكم العثمانيين .

وهال الباب العالي ان يرى دول اوروبة تدخل في حلف مقدس وتظهر كأنها اسرة واحدة تعمل بتعاليم الاسفار والانجيل . فخاف ان يكون المقصود من هذا الحلف اثاره حرب صليبية جديدة . فكتب يستفهم من حكومتي لندن وفيينا فأجابتا بأن يستفهم من موسكو فطمأنته . ولكنها كانت قد آوت قره جورج زعيم الصرب سنة ١٨١٣ . ثم ساعدت ميلوش زعيمهم الثاني سنة ١٨١٧ وادخلت في خدمتها كثيرين من اليونانيين امثال كابوديسترياس والاخوين ايسيلتي وساعدت اليونان على تأليف جمعيتهم السرية « هيتارية فيليكى » واتسعت دائرة هذه الجمعية حتى انضم الى صفوفها في غضون ست سنوات (١٨١٤ - ١٨٢٠) كل يوناني ذي مكانة .

واعلنت الثورة على الحكم العثماني في ياشي في السادس من اذار سنة ١٨٢١ وكان زعيمها الاول الكسندروس ايسيلتي ضابطاً في الجيش الروسي . واندلعت نيران الثورة في المورة وبعض الجزر فألقى الأتراك القبض على غريغوريوس الخامس البطريرك المسكوني وهو يقوم بصلوات عيد الفصح وجروه الى باب الكنيسة بشابه الخبيرة وشنقوه . فأثار هذا العمل حتى الشعب الروسي واضرم غيظه . فأخذت الحكومة الروسية تتحين الفرص لاعلان الحرب والتدخل في

الثورة اليونانية . وحاولت بريطانيا تحاشي العمل الروسي المنفرد فكانت معاهدة في لندن اوجبت استقلال اليونان . فلم يذعن الباب العالي فجاءت موقعة نوارين البحرية وزحف الجيش الروسي عبر الدانوب فأكره العثمانيين على الاعتراف باستقلال اليونان (١٨٢٨) .

الروس وكنيسة اوروشليم: (١٨١١-١٨٤٤) وقضى واجب حماية الدين القويم بتسهيل الحج وحماية الحجاج . وبدأت وفود الحجاج الروس تصل الى المهد والقيامة في السنة ١٨١١ . وتكاثروا سنة بعد سنة فأنشأت الحكومة الروسية قنصلية لها في القدس في السنة ١٨١٩ . وتوفي اثناسيوس الخامس البطريرك الاوروشليمي في السنة ١٨٤٤ فذكرت سفارة روسية الباب العالي بالتقليد الارثوذكسي وأوجبت انتخاب خلفه في اوروشليم نفسها لا في القسطنطينية . فرفعت اخوية القبر المقدس كيرلس الثاني الى السدة الاوروشلمية (١٨٤٥ - ١٨٧٢) . وكانت هذه الاخوية قد قبلت في عدادها راهباً روسياً اسمه ارسانيوس . وعني هذا الراهب بشؤون الحجاج الروس وشاهد ما كانوا يقاسونه من الضيق والتضييق في اثناء اقامتهم في القدس فلما اوفدته الاخوية الى روسية لجمع الاحسانات دعا لانشاء مقر للحجاج الروس في القدس . وفي السنة ١٨٣٩ تبنى قسطنطين باسيلي رأي ارسانيوس وألح على تنفيذه وأشار بتخصيص دير الصليب المقدس او بترميم ديري القديسة تيودورة وابراهيم وليواء الحجاج فيهما . ولم يتخل رهبان القبر عن هذين الديرين ولكنهم تبرعوا بترميمهما على حساب الاخوية .

وشاطر المجمع الروسي المقدس المجمعين الانطاكي والاوروشليمي مخاوفهما من اهتمام اللاتين بنصارى الشرق فأوفد في الرابع والعشرين من حزيران سنة ١٨٤٢ الارشمندريت بويرفيريوس اوسبنسكي الى القدس لدرس الموقف عن كثب . وقام بويرفيريوس بالمهمة الموكولة اليه خير قيام وعاد في السنة ١٨٤٤ فأشار على المجمع الروسي بوجوب التدخل الفعلي واقترح ارسال اسقف روسي الى اورشلیم وعدد من الرهبان المثقفين للاقامة في المدينة المقدسة وأعطاه المثل الصالح في الحياة الرهبانية الحقة ونقل الكتب الدينية وغيرها الى العربية وتوزيعها في الاوساط

الارثوذكسية المحلية . فقبل المجمع الاقتراح وأمر بورفير يوس بتنفيذه ولكنه لم يزوده بالاموال اللازمة .

نبذة روسية عن كنيسة انطاكية : (١٨٥٠) وعطف الروس حكومة وشعباً على كنيسة انطاكية منذ ايام البطريرك مكار يوس . وشجعوا العطاء بسخاء في عهد مثوديوس كما سبق واشرنا . وازداد اهتمامهم في النصف الاول من القرن الماضي بمصير الارثوذكسيين والارثوذكسية في ابرشيات انطاكية فكثرت البحوث وتعددت التقارير . وظهرت في السنة ١٨٥٠ نبذة باللغة الروسية عن كنيسة انطاكية حوت معلومات شتى مفيدة (١) .

البطريرك : والبطريرك الانطاكي بموجب هذه النبذة يجب ان يكون من ابناء كنيسة انطاكية وان ينتخب انتخاباً من الشعب والاكليروس الانطاكيين . وظل البطريرك الانطاكي في عرف صاحب النبذة ينتخب انتخاباً من ابناء كنيسة انطاكية منذ القرون الاولى حتى بداية القرن الثامن عشر حينما أصبح انتخابه بيد المجمع القسطنطيني نظراً لانتشار الكثلكة . ويتمتع البطريرك الانطاكي في رأي صاحب هذه النبذة بحق دعوة المجمع لتوطيد النظام في الكنيسة او لاصلاح شؤونها وهو مسؤول في جميع اعماله وفي ادارة الاوقاف امام المجمع الانطاكي . وللبطريرك الحق في تأديب الرعايا الارثوذكسيين بالسجن او الاقصاء . ولكنه لا يجزى على ممارسة هذا الحق خوفاً من التحاق ابنائه بالكنايس التي اتحدت مع رومة او من تدخل قناصل الدول . وله ان ينظر في الدعاوى الحقوقية بين ابناء رعيته برضى الطرفين . وللسلطات التركية ان تبطل هذه الاحكام عند الزوم . وليس للباشاوات ومحاكمهم ان ينظروا في الدعاوى التي تقام على البطريرك . فالحق في ذلك يعود الى الباب العالي . وللمجمع الانطاكي حق النظر في كل مخالفة كنسية يرتكبها البطريرك . وهو مسؤول عن طاعة الارثوذكسيين وخضوعهم للسلطات التركية وقد تحجز حريته او تنهى حياته اذا لجأ رعاياه الى العنف والتمرد على هذه

1) *State of the Patriarchate of Antioch, Neale, J. M., op. cit., Appendix III, 213 - 229.*

السلطات . وفي السنة ١٨٢٦ قاسى البطريرك مثوديوس مرارة السجن لمناسبة الثورة اليونانية . وسمح له بالخروج من السجن يوم عيد الفصح فقط ثم اعيد الى الحبس . وفي السنة ١٨٤٥ تعهد مثوديوس امام باشا دمشق باخلاء رعاياه في حاصبيا الى السكينة وعدم التعدي على الدروز . فلان الارثوذكسيون لأمر البطريرك واطاعوه . ولكن السدروز ذبحوا مئتين وخمسين ارثوذكسياً وأهانوا النساء والاولاد . وللبطريرك وكيسل في القسطنطينية كالباشاوات ولكن التماساته من الباب العالي تتم على يد البطريرك القسطنطيني .

ومقر البطريرك في دمشق ليس واسعاً ولكنه ليس ضيقاً . وهو قديم غير مرتب . ويقع الارشمندريت وكيل البطريرك والكاتبان في غرف حقيرة ضيقة على السطح وليس للمسيحيين الارثوذكسيين في دمشق سوى كنيسة واحدة هي كنيسة البطريركية . وقد خصصت احدى حناياها لاسم القديس نقولا ووس وجددت بالمال الذي جمعه مطران بعلبك في موسكو .

وكنيسة انطاكية فقيرة . ويعود فقرها الى اسباب اربعة . اولها ان البطريرك سيرافيم الذي دان بالكثلكة نقل الى لبنان مالها المنقول وان اقرباء البطريرك كيرلس نهبوا البطريركية عند وفاة هذا البطريرك في السنة ١٧٢٠ . والثاني ان انقسامات هذه الكنيسة في القرنين السادس عشر والسابع عشر أثقلت كاهل البطريرك والاهلين بالديون . والثالث ان النزاع بين الروم والروم الكاثوليك الذي دام قرناً كاملاً ادى الى خسائر جمة . والرابع ان الحروب والفتن التي ميزت النصف الاول من هذا القرن في سورية افقرت المسيحيين جداً .

الابوشيات : وابرشيات انطاكية كانت ست عشرة في القرن الماضي . اما الان فانها عشر فقط . فقد ألحقت ابرشية أكيس او اخالتكيس بالكنيسة الروسية . وابرشيات هيلوبوليس وآمد وبصرى وتدمر وارضروم قد انمحقت تماماً . ولقب اسقف هيلوبوليس امسى شرفياً يحمله الاسقف الموجود في موسكو واللقب اسقف بالميراس يطلق على رئيس دير القديس اسيريدون . واسقف صور وصيدا وحده يحمل لقب متروبوليت . اما الباقون فانهم رؤساء اساقفة .

والاسقف الانطاكي ينور النفوس بكلام الله ويقدها بالاسرار ويضبطها بالقانون وهو يشارك شعبه الفقر والذل والاضطهاد ويزورهم جميعاً فقراء واغنياء مرة في السنة ليعيش من التقدمة . وبابه مفتوح دائماً للارشاد والقضاء والحياة والضيافة . والبطاركة وبعض الاساقفة يونانيون منذ بداية القرن الماضي . وقد خدموا الكنيسة خدمات جليلة فانهم حفظوا استقلالها عن رومة وقضوا على الانقسام وضبطوا الاديرة وجوها من عسف المشايخ وذوهم . وقد اوقفوا انحياز الاساقفة العرب الى رومة واسمعوا المتحدين مع رومة صوت الكنيسة كلها وصوت الامة اليونانية .

الاديار : والاديار البطريركية خمسة : دير القديس جاورجيوس ودير سيدة البلمند ودير النبي الياس ودير سيدة صيدنايا ودير القديسة تقلا . ودير القديس جاورجيوس في ابرشية عرقة ولا نعرف مؤسسه ولا نعلم شيئاً عن تاريخ تأسيسه ، وقد رمه البطريرك اثناسيوس في السنة ١٧٠٠ ووسعه البطريرك مثنوديوس في السنتين ١٨٣٧ و ١٨٣٨ . ورهبانه سوريون وعددهم ثلاثون . وليس لهم هيغومينس يدبر شؤونهم . ولكن البطريرك يعين من الرهبان من يقوم بهذه الوظيفة . واقواف الدير واسعة تشمل الزيتون والتوت والكرمة ويقوم على حرثها والاعتناء بها شركاء يتقاضون ربح دخلها . وسكان المنطقة على اختلاف مللهم يكرمون الدير ويزورونه تبركاً واحتراماً . واشدهم تعلقاً به النصيرية فانهم يندرون اولادهم عند الولادة للقديس جاورجيوس شفيع الدير ويستفكونهم عند الزواج بهدايا يقدمونها للدير . ويخرج الرهبان مرة في السنة لم العطايا فيقدم النصيريون على العطاء حينما كانوا . واكرم ملوك الكرج هذا الدير فقدّموا له الاواني والحلل المقدسة وسمحوا لرهبانه بجمع التبرعات في بلاد الكرج مرة في كل ثلاث سنوات .

ثم يذكر كاتب هذه النبذة دير البلمند وعناية البطريرك مثنوديوس به وجد اثناسيوس الاب الراهب وسعيه لتجديد الدير وانشاء مدرسة اكليزيكية فيه وقد سبقت الاشارة الى ذلك في فصل سابق . وينتقل صاحب النبذة الى الشوير فيصف بايجاز ديرها دير النبي الياس . فيقول انه صغير ذو كنيسة صغيرة انيقة . ثم يذكر

عناية هيغومينة الاب مكاريوس اليوناني وسعيه لتوسيع الدير بانشاء غرف جديدة في طبقة العليا سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٣ . ويجعل عدد رهبانه ثمانية وعدد الخدام ثمانية ايضاً .

ويصف صاحبنا دير سيدة صيدنايا فيقول ان عدد غرفه ثمانون وان عدد راهباته ثمان وثلاثون . ثم يشيد بفضلهن وانقطاعهن وترفعهن عن اكل اللحوم واكتفاءهن بالخبز والبرغل والزيت وخضوعهن لراهبسة يتقيها البطريرك لتدبير شؤونهن وقيام امينتين على ادارة الدير احدهما كاهن من كهنة الدير والاخر علماني من دمشق او صيدنايا . وبعد ذكر الايقونة العجائبية والكنيسة يخلص الى القول : « ان الدير جنينة ازهار مكرسة لفائقة الطهارة ومستشفى لشفاء النفوس الخاطئة وينبوع نعمة ومبعث نور للعداري » . ودير مار تقلا معلولا « عش النسر » مهمول ليس فيه سوى هيغومينس وشماس ومبتدئين .

ثم ينتقل واضع هذه النبذة الى اديار الابريشيات فيذكر بايجاز ديري القديس دومينيوس والنبي الياس في ابرشية عرقة وديورة مار يعقوب وسيدة الناطور وسيدة كفتين ومار متر ومار جرجس في ابرشية طرابلس واديار سيدة حاطورة وكفتون والنورية ومار جرجس الجرف ومار ميخائيل بقعانا ومار جرجس سوق الغرب في ابرشية بيروت .

الكنهنة : والكنهنة خدام الرعية يذكروننا بعهد الرسل فانهم ينتقون من الشعب انتقاء مواطنين متعلمين محترمين مزوجين متقدمين في السن ضابطين امورهم البيئية . والكاهن السوري لا يعول على رعيته فانه مستقل في اموره المادية له بيته ورزقه وابناء يقومون بحاجاته عند الكبر . وهو اول خدام الشعب يعمل وفق رغائبه ويضحى لاجل خلاصه عملاً باوامر السيد . وهو لا يستكبر ولا يتجاوز حده خشية استبداله بغيره . ويختلف الشعب في امر انتقاء الكاهن فينقسم على نفسه وعندئذ يتدخل الاسقف بلباقة ليعيد السلام والوئام .

وليس لكنيسة انطاكية طبقة من الوعاظ المتجولين . ففي القسطنطينية وازمير واوروشليم وغيرها وعاظ متجولون يرشدون حينما تدعو الحاجة باذن

الاسقف وامثالاً لامره . والكنايس الشرقية فرقت منذ القدم بين الكهنة المعلمين المرشدين والكهنة خدام الرعية اذ ليس على هؤلاء الا ان يتحلوا بالايمان والصلاح اما اولئك فيجب ان تكون لهم موهبة الفصاحة .

ولا بد من الاعتراف برزانة الكاهن الانطاكي وتواضعه وترفعه عن الغرض ومحافظته على القانون الكنسي واجتهاده في تعليم اولاد رعيته .

وبين الذين يعملون في حقل الرب ويقدمون المثال الصالح وكيل البطريرك الارشمندريت اغاثانغelos Agathangelos فهو يوناني ودعي في الاناضول يجيد التركية والعربية ويحسن تصريف الاعمال . ومنهم اثناسيوس هيغومينس دير البلمند . فهو وقور موهوب نشيط يجيد الوعظ ويحسن الادارة . ومكاريوس هيغومينس دير النبي الياس يوناني يحظى بعطف الامير حيدر الحاكم في لبنان . وقد افتقد الامير في محنته يوم نفي بأمر السلطات المصرية فأوى زوجة الامير واولاده وهو غيور يستعطف الامير لحماية الارثوذكسيين من الظلم ولذا تعلق هؤلاء به وزاد احترامهم له . واشعيا هيغومينس دير حماطور يوناني ايضاً يجيد اللغة العربية ويفهم تقاليد الرعية وعاداتها . وهو فصيح اللسان سليم الاستنتاج . والاب يوسف (مهنا) خادم رعية دمشق ابو عائلة كبيرة تقي صبور متواضع . وقد لبي دعوة البطريرك فحث الاهلين على ارسال اولادهم الى مدرسة الطائفة . وتولى تعليم الاسفار فيها واللغة العربية والمنطق . وقد ادى اهتمامه بالمدرسة الى الانقطاع عن خدمة الرعية فانقطع عنه واراد البطرشيل وهب اولاده لمعونه المادية ليتمكن من تكريس وقته للمدرسة والاب اسبيريدون خادم الرعية في طرابلس احدث تلامذة الاب يوسف . وهو طرابلسي رزين يدرس قواعد اللغة العربية في مدرسة طرابلس . والاب المعروف المرشد في ابرشية بيروت تقي ورع يعمل في المطبعة لاعداد المخطوطات وطبع الكتب الكنسية .

المدارس والتعليم : قلما يخلف ابناء الكهنة اباءهم في الخدمة . ومن هنا خلو الكنيسة الانطاكية من كهنة في مقتبل العمر . ورغب البطريرك مثوديوس في جمع اثني عشر شاباً من مختلف الابشيات لاعدادهم للخدمة الروحية . ثم عدل

لضيق المكان وقلة المورد وليس للطائفة مدارس للعامية . فانتقاء الكهنة يتم بالانتخاب وليس هنالك خدمة معينون (قندلفت) ولا كتبة وبالتالي فان الضرورة تقضي بالجمع في مدارس الطائفة بين تعليم العامة والتعليم الكنسي . وجميع الطلبة يتعلمون الموسيقى الكنسية والتعليم المسيحي والتاريخ المقدس ليفهموا دينهم ويحسوا التبعيد في الكنيسة .

ويقترح صاحب النبذة انشاء معهد للوعظ والتبشير يضم عدداً من الرهبان الصغار الذين زهدوا في العالم وكرسوا حياتهم لله والكنيسة والعلم فيعدهم ملحقاً للارض ونوراً للعالم ويؤهلهم للوعظ ورئاسة الكهنوت . ثم يقول ان هذا كان رائد مدرسة البلمند ويضيف ان للطائفة مدارس ثلاث في دمشق وبيروت وطرابلس . ويؤكد صاحبنا ان مثوديوس البطريرك انشأ مدرسة دمشق وان المال اللازم لانشائها جاء من الاحسانات التي جمعت في روسية في السنتين ١٧٣٦ و ١٨٣٩ ومن تبرعات روسية افرادية جمعها لهذه الغاية بطريرك اوروشليم . اما التعليم في هذه المدرسة فانه كان ابتدائياً وثانوياً وشمل الثانوي اللغات العربية والتركية واليونانية وشيئاً عن البيان والمنطق تلقاه بعض الطلبة على يد الأب يوسف مهنا .

ونشأت مدرسة بيروت في المطرانية وبتبرعات ابناء الطائفة ومساعدات اديار الابرشية . ثم وسعت في السنة ١٨٤١ بالمال الذي جاءها من الشعب الروسي لهذه الغاية وبالمعونة التي قدمتها خزينة القبر المقدس . وبرنامج التعليم فيها هو برنامج مدرسة دمشق يضاف اليه اعتناء خصوصي باللغتين اليونانية والابطالية وبالحساب والجغرافية . وبلغ عدد الطلبة في هذه المدرسة في السنة ١٨٤٣ المئتين .

وقامت مدرسة طرابلس في المطرانية ايضاً في بيت يخص القبر المقدس وبتبرعات المطران وصندوق الكنيسة . وشمل التعليم فيها الدورة الابتدائية وصفاً ثانوياً واحداً . وعلم معلم علماني سبعة طلبة العلوم الابتدائية في بيت بالقرب من كنيسة القديس جاورجيوس في المينا وذلك على حساب الاهالي .

ومطبعة بيروت قديمة العهد تعطلت بعد ان قصف الروس بيروت ثم عادت الى العمل في السنة ١٨٤٢ بعد ان استوردت امهات الحروف من فرنسا . وهي

تطبع الوف النسخ من المزامير وخدمة القديس .

الشعب والكنائس : والشعب الارثوذكسي الانطاكي متدين متزن معتدل نشيط . وحاة الايمان فيه الامهات والكهنة والتقاليد والعادات . وعلى الرغم من كثرة الضرائب وتنوع البلص وشدة الفقر فان الشعب يؤدي بوجه طليق النورية للساقفة والتبرعات للاديار والمدارس والكنائس .

وتسمح السلطات العثمانية بترميم الكنائس واعادة بنائها . ولكنها تطلب شهادة المسلمين بصحة ما يطلبه النصارى من حيث المكان الذي يقام فيه البناء وحجم هذا البناء . واذا رغب الشعب في انشاء كنيسة جديدة فانهم يكرسون بيتاً من البيوت لهذه الغاية ويتعهدون فيه مدة من الزمن ثم يسعون للحصول على شهادة من المسلمين تثبت قيام كنيسة في محل البيت المهدوم .

ولا تخلو مدينة او قرية من كنيسة . وكنائس المدن انيقة اما كنائس القرى فانها فقيرة . وعدد الكنائس التي هدمتها الزلازل او نهبتها ايدي الالبانيين ورعا القوم في الحوادث الاخيرة في لبنان يربو على السبعين . ولا بد من ترميم هذه الكنائس وتأنيثها والواجب يقضي بالتعاون مع اخواننا المسيحيين في سورية . وفرنسة والنمسة تمدان الموارد المتحددين مع رومة بمبالغ كبيرة من المال فهل ينسى الشعب الروسي السوريين المتحددين معه بالايمان . وموسكو قلب روسية قد رجحت بالاستجداء الذي قام به متروبوليت هيليوبوليس .

ويذكر صاحب هذه النبذة عدد الارثوذكسيين في ابرشيات انطاكية في السنة ١٨٥٠ فيجعلهم ١٤٠٠ في ابرشية ادنة و ٤٠٠٠ في ابرشية اللاذقية و ٤١٦٠ في ابرشية حماة و ٣٢٠٠ في ابرشية حصص و ١٢٠٨٠ في ابرشية عرقة و ٧٨٠٠ في ابرشية طرابلس و ٢٠٠٠٠ في ابرشية بيروت و ٥٦٠٠ في ابرشية صور وصيدا و ٢٨٠٠ في ابرشية سلفكية وهيليوبوليس و ٤٨٠٠ في انطاكية ودمشق و حوران و ٥٠٠ في حلب بحيث يصبح مجموعهم ٦٦٣٤٠ نسمة . ويذكر لهذه المناسبة ان عدد الروم الكاثوليكين كان آنذ ٣٦٧٣٥ وعدد الموارد ١٢٠٦٧٧ .

ايروثيوس البطريك الانطاكي : (١٨٥٠ - ١٨٨٥) وكان اثناسيوس الخامس البطريك الاوروشيليمي قد رقد بالرب في السنة ١٨٤٤ بعد رئاسة دامت سبعة عشر عاماً . وكان قد اقام في قيد حياته ايروثيوس مطران الطور ووكيله في القسطنطينية خليفة له في الكرسي الاوروشيليمي . فعُرف ايروثيوس بالذيادوخوس وكان هذا الامر اي ولاية العهد قد جرى بعض مرات في الكرسي الاوروشيليمي وانتهى بولاية عهد ايروثيوس . وحرص ايروثيوس في اثناء ولايته عهده على استقلال الكرسي الاوروشيليمي فصعد تدخل البطريك المسكوني في امور اوروشليم مراراً . فلما قضى اثناسيوس في السنة ١٨٤٤ سعى البطريك المسكوني بايروثيوس لدى السلطات العثمانية وأفسد الحالة فأشار الى تجوال ايروثيوس في روسية لجمع الحسنات واتهمه بالتحيز للروس وخدمة مصالحهم . فاعترض الباب العالي على ترشيح ايروثيوس فانتخب المجمع الاوروشيليمي كيرلس متروبوليت الله بطريركاً على اوروشليم فعرف بكيرلس الثاني (١٨٤٥ - ١٨٧٢) .

وعقب رقاد البطريك مثنودوس البطريك الانطاكي انتدب الشعب الانطاكي ايروثيوس متروبوليت بيروت بطريركاً لانطاكية والتمسوا بواسطة البطريك القسطنطينية قبول ذلك الانتخاب لدى المراجع الايجابية . ولكن ايروثيوس الذيادوخوس مطران الطور بذل الوسائل لتحويله هذه المنصة كما يستفاد من تحرير زخريا مطران معلولا الى زخريا مطران عكار الصادر عن دير مار تقلا في اول تشرين الاول سنة ١٨٥٠ . وفازت المساعي فنُصب ايروثيوس الذيادوخوس بطريركاً على انطاكية في القسطنطينية واستلم عصا الرعاية في كنيسة بطريركيته في التاسع من تشرين الاول سنة ١٨٥٠ . ولم يشأ ايروثيوس بيروت مناصبه العداوة خوفاً من ان تجرد الايدي الاجنبية الغربية يداً للفساد (١) .

ابرشيات انطاكية : وجاء في السينتغمايون Syntagmaton الصادر عن البطريك المسكونية سنة ١٨٥٥ ان المطارسة الخاضعين لكيريوس ايروثيوس

1) Williams, G., Appendices to Neale's Patriarchate of Antioch, 190. 189, n. 1.

الفائق الغبطة والفائق القداسة بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق كانوا كمايلي : (١) متروبوليت حلب واكسرخوس سورية الاولى الفائق الشرف (٢) متروبوليت ابيفانية واكسرخوس سورية الثانية الفائق الشرف (٣) متروبوليت اللاذقية واكسرخوس الشيوخ ذورباذة الفائق الشرف (٤) متروبوليت سلفكية او معلولا واكسرخوس سورية الفائق الشرف (٥) متروبوليت آمد او ايديسة واكسرخوس ما بين النهرين الفائق الشرف (٦) متروبوليت صور وصيدا واكسرخوس فينيقية الساحلية الفائق الشرف (٧) متروبوليت طرابلس واكسرخوس فينيقية اللبنانية الفائق الشرف (٨) متروبوليت بيروت واكسرخوس فينيقية الساحلية الفائق الشرف (٩) متروبوليت ادنة التي تدعى باباس واكسرخوس قلبية الاولى والثانية الفائق الشرف (١٠) هيلوبوليس التي تدعى بعلبك وقد تضاءلت (١١) بالميراس وقد اختفت (١٢) اركاذية التي تدعى عرقة وعكار (١٣) متروبوليت ثيودوسيوبوليس التي تدعى ارضروم واكسرخوس ارمينية الكبرى الفائق الشرف (١٤) متروبوليت اكيكوس الفائق الشرف (١).

الخط الهابيوني ونظم الكنيسة : (١٨٥٦) وأحب نبوليون الثالث ان يستميل الاكليروس الكاثوليكي في فرنسا لتدعيم سلطته فيها فدهان وتملق واظهر اهتماماً كبيراً وغيره شديدة على مصالح الكنيسة اللاتينية في الشرق فأثار قضية الاماكن المقدسة في اورشليم وتوابعها . فهب الروس للدفاع عن حقوق الروم الموروثة في هذه الاماكن نفسها . ولم ترض بريطانيا عن مطامع الروس في شرق المتوسط والبلقان فاخترت لنفسها سياسة « المحافظة على سلامة الدولة العثمانية » . وكانت حرب في القرم وكانت معاهدة في باريس سنة ١٨٥٦ . وواجبت هذه المعاهدة عدم التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية وعدم الانفراد في حل ما ينشأ من مشاكل بين الدول المسيحية وبين السلطان . ورأى السلطان ان يطمئن الدول المسيحية وشعوبها عن مصير رعاياه المسيحيين فأصدر خطاً هاميونياً أعلن فيه المساواة بين المسلمين والمسيحيين في السلطنة والحقه بنص معاهدة باريز (٢) .

1) Mansi, Vol. 40, Col. 497 - 498.

2) Testa, I., Recueil des Traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Étrangères, V, 132 - 137.

فدخلت النصرانية في دور قانوني جديد في علاقاتها بالاسلام والمسلمين . وكان البطريرك القسطنطيني بعد ان ينتخبه مطارنة كرسية ووجهاء شعبه ينال براءة سلطانية تؤيد حقوق الملة وتمنع مداخلات الحكام والموظفين في المسائل الروحية والمالية وفي الاختلافات الواقعة بين الرؤساء الروحيين والشعب . وكان لدى البطريرك المنوه به مجلس مختلط مؤلف من اكليروس ابرشية القسطنطينية وبعض العلمانيين كوكيل البطريرك لدى الباب العالي وترجمان البطريركية وغيرها . وكان هذا المجلس يهتم في جميع الشؤون الكنسية وغيرها مما يتعلق بملسة الروم . وفي زمن البطريرك صموئيل في السنة ١٧٦٨ تألف مجمع من اثني عشر مطراناً من متقدمي مطارنة الكرسي القسطنطيني وأنيط به امر العناية بالمسائل التي تتعلق بعموم الابريشيات للكرسي القسطنطيني . واما المجلس المختلط فترك له العناية والاهتمام بشؤون القسطنطينية وحدها .

وبعد نشر الخط الهابيوني سنة ١٨٥٦ ألغى هذان المجلسان وتغيرت طريقة الادارة والنظام تغيراً كلياً . ففصلت سلطة الرؤساء الروحيين في اقامة محاكم لديهم وتقرر تأليف محاكم نظامية مختلطة يحكم فيها بالسواء لجميع رعايا السلطان من اي مذهب او ملة كانوا . وصدرت الادارة السنية بأن يتألف قوميسیون عمومي من اكليروس وعلمايين لكل ملة ينظر في شؤونها بحسب الامتيازات الممنوحة قديماً للرؤساء الروحيين ويحدد بموجب هذه الامتيازات حقوق الاكليروس وواجباتهم وفقاً للسنن الدينية ومقتضيات العصر ويرتب كيفية انتخاب البطاركة والمطارنة مبنياً كل ذلك في لوائح تعرض على الحكومة العثمانية في مدة محدودة لتصديقها .

واجابة لمنطوق هذا الخط الهابيوني اجتمع في السنة ١٨٥٧ قوميسیون عمومي للملة الارثوذكسية مؤلف من اكليروس وعلمايين من آباء وأبناء كنيسة القسطنطينية . وترتب امور الملة في هذا القوميسیون طبقاً للمبادئ الأساسية التي وضعت في الخط الهابيوني . وبعد مجادلات شديدة ومذكرات طويلة اذاع هذا القوميسیون نظاماً للبطريركية القسطنطينية سنة ١٨٦٠ وأقرته الحكومة

العثمانية وأدرجته في دستور الدولة كجزء من نظامها (١). وبعد مدة روجع في قوميسيون جديد وتنقحت بعض المواد.

وتحدد في هذا النظام الجديد ان يصير انتخاب البطريرك القسطنطيني من جمعية مؤلفة من أعضاء المجمع ومن وجهاء الملة وكبار الموظفين لدى الحكومة من أبناء الطائفة ومن وكلاء أرباب الصنائع والحرف ونواب أحياء القسطنطينية وممثلي الأبرشيات التابعة للكرسي القسطنطيني. واعطي الحق لكل من مطارنة الأبرشيات ان يقدم في مدة اربعين يوماً الى الهيئة المنتخبة اسم مرشح من مطارنة الكرسي القسطنطيني الذين يكونون قد خدموا في احدى الأبرشيات القسطنطينية مدة لا تقل عن سبع سنوات. وكان على المطران ان يرسل ورقة الترشيح ضمن ظرف مختوم. وتقررت ايضاً طريقة لاشتراك الشعب في الترشيح وتعين ان تقدم لائحة بأسماء المرشحين الى الباب العالي الذي له ان يستثني من هذه اللائحة أسماء الأشخاص الذين لا يرى فيهم اللياقة بالنظر الى امور الملكية ثم يرجع اللائحة الى البطريركية في ظرف اربع وعشرين ساعة من ارسالها مستقبلاً من الأسماء المدرجة فيها ما لا يقل عن الثلاثة. ومن هذه الأسماء الباقية في اللائحة بعد ارجاعها من الباب العالي ينتخب جميع أعضاء مجلس الانتخاب الاكليريكيين والعلمانيين ثلاثة بالاكثرية. وبعد ذلك يجتمع أعضاء الهيئة المنتخبة الاكليريكيون فقط وينتخبون بعد الصلاة واستلهم الروح القدس في الكنيسة الكاتدرائية واحداً من هؤلاء الثلاثة بطريركاً مسكونياً. ثم يبلغ الباب العالي فتصدر ادارة سلطانية بقبوله.

وتألف بموجب هذا النظام الجديد مجمع من اثني عشر عضواً يكون بمعية البطريرك ليشترك معه بالذاكرة في الشؤون الكنسية المحضة والحكم فيها وفي كل ما يتعلق بادارة الكرسي. واشترك في عضوية هذا المجمع بالتناوب جميع مطارنة الكرسي القسطنطيني بنوع ان كل سنة يتجدد نصف اعضائه فيخدمون فيه سنتين. واقم ايضاً مجلس مختلط مؤلف بمعرفة البطريرك من اربعة من أعضاء

(١) الدستور ترجمه من اللغة التركية نوفل نعمة الله نوفل بمراجعة وتدقيق خليل الخوري مدير مطبوعات ولاية سوريا (بيروت ١٣٠١) ج ٢ ص ٨١٣ - ٨٤٨.

المجمع المقدس اقدمهم بنوب عن قداسته في رئاسة هذا المجلس ومن ثمانية اعضاء من وجهاء الله. وتخصص له النظر في المسائل المتفرعة عن الزيجات والطلاق والارث ومالية الاديار البطريركية وسائر الاملاك والاقواف في العاصمة وما يحال اليه من شؤون الملة الزمنية من الابريشيات.

وفرض ان يشترك جميع اعضاء المجمع في العمل والادارة وفي التوقيع مع البطريرك على جميع المذكرات والكتابات والاوراق المتعلقة بأدارة الكرسي. وفرض ان يلبث البطريرك في الكرسي مدى الحياة الا اذا ظهرت منه حركة مخالفة للقوانين والنظامات فيطلب المجلس المختلط فصلاً باكثرية ثلثي المجمع والمجلس وعندما تعرض مسائل مهمة يجمع البطريرك جمعية عمومية من هيئة اعضاء المجمع والمجلس للذاكرة وتنوير ما يلزم.

وتحددت شروط ترشيح الاساقفة وانتخابهم. وكان اهمها السيرة الحسنة والخبرة في الادارة واجادة اللغات اليونانية والتركية والسلافية واكمال العلوم الكنسية بعرف اسانذة كلية خالكي (١). وتقلدوا مناصبهم براءات سلطانية فزاد نفوذهم عند الولاة. وتوجب ان يكون لدى كل اسقف مجلس روحي من كهنة وقوميسيون زمني من المتقدمين والشيوخ يستشيرهم الاساقفة في الظروف المهمة وينظرون في امور المسيحيين ويشتركون مع الاساقفة في ادارة الشؤون المالية كما تسوغه القوانين المقدسة والنظامات العالية.

وسنت كنيسة اوروشليم قانوناً مماثلاً في السنة ١٨٧٣ فأقرته الحكومة العثمانية وأصبح ساري المفعول. اما كنيسة انطاكية فانها شرعت في وضع قانون لها في السنة ١٨٩٠ ولكنها لم تنجزه قبل السنة ١٨٩٨ وسيجيء الكلام عنه في حينه وظل البطريرك الانطاكي ومعظم الاساقفة يناولون براءات سلطانية تشبه براءات اخواتهم القسطنطينيين وظلوا يعرضون امورهم الهامة على الباب العالي بواسطة بطارقة القسطنطينية وجاء في كتاب الارج الزاكي لامين ضاهر خير الله ان ايروثيوس استخف بالمجمع الانطاكي المقدس وأشاح سمعاً عن نصائحه ولكنه عندما عجز عن

(١) الدستور ترجمة نوفل نوفل ج ٢ ص ٨١٨ - ٨٢٢.

القيام بالأعمال في أواخر أيامه سمح بالقوميسيون الزمني فتدرجت الطائفة في مراقبي النجاح وكثر في دمشق رجالها وازدهرت مدارسها (١).

عودة الى الارثوذكسية : (١٨٥٧ - ١٩٥٩) وفي اوائل السنة ١٨٥٧ دعا اكليمنضدس بطريرك الروم الكاثوليك الى الحساب الغربي فقبل البعض بذلك وامتنع البعض الآخر . وكان على رأس الممتنعين اساقفة بيروت وزحلة وبعليبك وصيدا والخورى يوحنا حبيب والخورى غبريال جباره . واشتد الخلاف فعقد الاساقفة مجمعا في عين الذوق فوق زحلة وأم الآستانة الكاهنان يوحنا حبيب وغبريل جباره . فوصلاهما في ايار السنة ١٨٥٩ واتصلا بمجمع البطاركة المنعقد فيها آنشد وفافوا باسم انصارهما في سورية ومصر وعادا الى حضن الكنيسة بقرار من مجمع البطاركة سجله باللغة العربية غفرائيل كاتب البطريرك ابروتوس الذي أصبح فيما بعد متروبوليت بيروت (٢).

الحركة او الطوشة : (١٨٦٠) وفي السنة ١٨٣٢ انتشر على المسيحيين رأيهم والتبس عليهم وجه الصواب فرأوا في انتصار المصريين على الأتراك العثمانيين فوزاً لهم وانطلاقاً وتحريراً فزعوا ملابس التحرز وأزالوا كلفة الاحتشام فخرج بعض السفلة من نصارى دمشق « وزوقوا جملا وركبوا عليه رجلا مسلماً من اهالي حارة الخراب يسمى حمزة الذكرة وأعطوه مسودتي عرق وأحضروا المشاعل وزوقوها بالأزهار والفاكهة وعملوها على كسم الصليبان . ومشوا من طالع القبة في صفوف وأخذوا يغنون « ابراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقهور » وكانوا كلما مشوا بعض خطوات يقفون فيمسك حمزة المسودة بيده ويلوح بها ويصرخ المسيح قام . فغضب المسلمون وتوعدوا » (٣).

وخرج المصريون وعادوا الى مصر (١٨٤١) وجاء العثمانيون يرتبون

(١) الارج الزاكي في تهاى غبطة البطريرك الانطاكي (بعيدا ١٨٩٩) ص ٤٢ - ٤٣

(٢) الارج الزاكي لامين ضاهر غير الله ص ١٢١ ومختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٣) مذكرات تاريخية لاحد كتاب الحكومة الدمشقيين حتى ينشرها الخوري قسطنطين الباشا ص ٦٧ - ٦٨ .

الأموال الأميرية على لبنان كما كانت في عهد الشهابي الكبير فقبل الدروز بها . اما الموارنة فانهم عارضوا « وعملوا جمعيات متعددة حضرها الوجوه والمطارنة وحرروا عروضاً للدولة . ومن جملة ما حرروه ان مال الجزية يتوجب دفعه على من يحتاج حماية الدولة واما هم لا يحتاجون اليها لا بل انهم يحمون جوارهم وقدموه للوالي لكي يقدمه للدولة . فنصحهم ان يسترجعوه وراجعهم بذلك مراراً فما زاده الا غروراً واستكباراً فالتمز الوالي لتقديمه . وجاهرُوا بانتمائهم لدولة أجنبية فتغير باطن الدولة نحو النصارى » (١) .

وجاء الخط الهايوني في السنة ١٨٥٦ يساوي النصارى بالمسلمين أمام القانون ويبطل مفعول الشرع في امور وامور . وشرعت السلطات العثمانية بتطبيقه . فتساقط البعض في الغرور واوغلوا وتجاوزوا الحد في الغواية . وقضت مصالح نبوليون الثالث الشخصية بالظهور بمظهر المدافع عن حقوق الكنيسة الكاثوليكية في الشرق . ولم يرص الموارنة عن نظام القائمقاميتين ورأوا فيه اجحافاً بحقوق الطائفة في القائمقامية الدرزية وأحبوا العودة الى حكومة لبنانية موحدة واختلفوا في عودة الشهابيين الى الحكم فاقترح قنصل فرنسة في بيروت جعل الرئيس الروحي اي البطريرك رئيساً زمنياً على غرار دولة الفاتيكان فلاقى اقتراحه ترحيباً في نفس المطران طوبيا عون وراح هذا يدعو الى « كسر الجرة » في دير القمر على حد قول جرجس بك صفحا واتصل قنصل فرنسة بخطار بك العماد للغرض نفسه كما شهد بذلك الخوري ابراهيم كيوان امام رشيد بك نخله . ثم انكسرت الجرة في بيت مري كتف عين سعادة مقر المطران طوبيا عون . وحرص والي دمشق الدروز وسلحهم كما يشهد بذلك الدكتور ميخائيل مشاقه وتودد « وود » القنصل الانكليزي الى الدروز وشجعهم على التدخل في شؤون النصارى في حاصبيا وحماية الاقلية منهم ضد رأي الاغلبية كما سبق واثبتنا فكان ما كان من امر الحركة في لبنان والطوشة في دمشق وبعض المدن الاخرى .

(١) منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب للدكتور ميخائيل مشاقه (بيروت ١٩٥٦) ص ١٥٥

واتصل القس جورج وليامس الانكليزي بالبطريرك ابرونيوس في اوائل آب السنة ١٨٦٥ فحل ضيفاً عليه في دير مار الياس الشوير. وأطلع القس البطريرك على ما كان يقوم به القس يوحنا نيل من تفتيش عن المصادر لتاريخ كنيسة انطاكية ورجاه ان يسمح له بالاطلاع على محفوظات الكرسي الانطاكي فقال البطريرك انه لم يبق من هذه شيء بعد احراق البطريركية في دمشق (١).

وطالب ابرونيوس الحكومة العثمانية بالتعويض عما حل بالبطريركية والكنيسة المرمية من تخريب وتدمير في اثناء الطوشة وقام الى الآستانة بنفسه مرتين لهذه الغاية فنال مبلغاً من المال انفق في ترميم المقر البطريركي واعادة بناء الكنيسة المرمية كما تنطق بذلك الكتابة المنقوشة على جدار هذه الكنيسة.

التوراة والانجيل : (١٨٤٨ - ١٨٦٥) ورغب المرسلون البروتستانتون في نشر الكتاب المقدس على العرب اجمعين فالفوا في السنة ١٨٤٧ لجنة لهذه الغاية برئاسة الدكتور عالي سميث وعضوية الدكتورين وليم طومس وكرنيليوس فاندليك. فاتصلت اللجنة بالمراجع العليا في الولايات المتحدة وحثتهم على الموافقة واجية اجتذاب العرب المسلمين الى مطالعة التوراة والانجيل. وفي الحادي عشر من شباط سنة ١٨٤٨ فاوضت هذه اللجنة جمعية انتشار الكتاب المقدس الاميريكية في أمر ترجمته الى اللغة العربية وقررت نقل المعلم بطرس البستاني من عبيه الى بيروت ليكون تحت تصرف لجنة الترجمة. واستعانت بمواهب الشيخ نصيف اليازجي للغاية نفسها. فكان المعلم بطرس ينقل النص من العبرية او اليونانية الى العربية مستعيناً بالسريانية ثم يحيل ما يعرّب الى الشيخ نصيف لينقيه من كل صبغة اعجمية وكان الدكتور عالي سميث يعيد النظر بالمقابلة بين النص العربي والاصل العبري او اليوناني. وكانوا عند الانتهاء من هذه المراحل الثلاث يدفعون بما عربوا الى المطبعة لصف الاحرف واعداد ثلاثين نسخة توزع على الثقافة في سورية ومصر والمانيّة فتعاد الى اللجنة منقحة حاملة عدداً من الملاحظات. واشهر الثقافة الالمان الذين اشتركوا في هذا العمل الاساتذة فلايشر Fletischer في ليزنغ ورويديغر

1) Neale, J. M., op., cit., XV.

Rodiger في هالي وفلوغل Flugel في درزذن وبرناور Behrnaver في فينينة. ورأى البعض ان يأتي التعريب في اسلوب فصيح قرآني ولكن معظم البروتستانت الوطنيين آثروا عبارة بسيطة صحيحة. وتم تعريب الانجيل في التاسع من اذار سنة ١٨٦٠ والتوراة في العاشر من اذار سنة ١٨٦٥. واشرف الشيخ يوسف الاسير اشرفاً نهائياً على اللغة والاسلوب (١).

وظهر الكتاب بثوب قشيب ووزع توزيعاً واقبل المسيحيون على اقتنائه وقراءته. وتصفحه الآباء الكاثوليكيون فهالهم حذف بعض الاسفار وادعاء المرسلين ان ما حذفوا ليس من الكتاب الكريم وانهم ألفوا في موضوع الحذف كتباً طبعوها ووزعوها بين الناس. ولمس الآباء الكاثوليكيون اختلافاً في الترجمة في بعض آيات الانجيل والرسائل فاعتبروا هذا الاختلاف تحريفاً لموافقة مذهب البروتستانت. فاوغر رئيس الرسالة اليسوعية الى بعض رهبانه ان يكتب شيئاً في الرد على البروتستانت. فألف في ذلك كتابين عنوان الاول منهما «كشف المغالطات السفسطية ضد بعض الاسفار الالهية» وهو يتضمن الادلة على ان نسخة كتاب الله الكاثوليكية والاسفار القانونية الثانية صحيحة النص صادقة الرواية لم يدخل عليها دخل ولافساد. وعنوان الثاني «كشف التلاعب والتحريف في مس بعض آيات الكتاب الشريف» وفيه بيان الآيات التي «لعبت بها يد البروتستانت وحرفتها عن مواضعها» لموافقة مذهبهم.

وفي غضون ذلك ورد استحسان المجمع المقدس في رومة لما رفع اليه من امر ترجمة كتاب الله الى اللغة العربية لمقاومة البروتستانت برعاية بطريرك اللاتين في اورشليم. فترجم الآباء الكتاب عن العبرانية واليونانية وجمعوا الى النص الاصلي النسخ القديمة التي في يد الكنيسة الكاثوليكية لمقابلته وهي الترجمة اللاتينية والسريانية واليونانية المعروفة بالسبعينية. «غير انه كان اذا عرض اشكال في بعض الآيات التي تتعلق بالايمان او الاداب يكون الاعتماد على ما في النسخة اللاتينية» التي اتخذها الآباء دستوراً يرجع اليه على الاطلاق لانها هي المعول عليها في الكنيسة

1) Jessup, H., Fifty Three Years in Syria, I, 66 - 78.

الكاثوليكية وقد ثبتت في المجمع التريدينيني . فظهر الكتاب الشريف في السنوات ١٨٧٦ - ١٨٧٨ على غاية ما يرام من الرونق وحسن الوقع (١) . وساعد الآباء في تصحيح العبارة وتنقيفها الشيخ إبراهيم اليازجي فجاءت مذهبة اللفظ محكمة النسيج متينة الحبل (٢) .

وكنيستنا الارثوذكسية تميز الاسفار بعضها عن بعض فتدعو بعضها كتباً قانونية والباقي منها تدعوه كتباً غير داخلية في القانون او كتباً كنسية او كتب التلاوة . واللفظ اليوناني قانون Canon يدل على معان كثيرة منها المسطرة والجدول والقاعدة واللائحة . والمراد بكلمة قانون في كلامنا هذا هو الجدول او مجموعة الكتب المقدسة التي تعتبرها الكنيسة موحى بها من الله وتتخذها قانوناً للحقيقة . والكتب القانونية هي التي نظمها الكنيسة في قانون الاسفار المقدسة بحسب تعليم الرسل الالهيين والآباء الطاهرين والمجامع المقدسة وتعتبر الكنيسة هذه الكتب القانونية قانوناً للحقيقة لا يتغير كما قال القديس اثناسيوس الكبير في رسالته في الاعياد : « اننا نقبل الكتب التي دخلت في القانون ونعتبرها الهية لانها مصدر الخلاص . فليرو العطشان ظمأه بالكلمات التي فيها . وهي وحدها تركز بتعليم حسن العبادة . ولا يزيدن احد عليها شيئاً ولا يحذفن منها شيئاً » .

والقانون الذي نعتبره جدولاً لاسفار العهد القديم يتضمن الاسفار الاتية :
(١) كتاب التكوين (٢) كتاب الخروج (٣) كتاب اللاويين (٤) كتاب العدد (٥) تثنية (٦) كتاب يشوع بن نون (٧) كتاب القضاة وسفر راعوت كذيل له (٨) كتاب الملوك الاول والثاني كقسمين لكتاب واحد (٩) كتاب الملوك الثالث والرابع (١٠) كتاب الايام الاول والثاني (١١) كتاب عزرا الاول والثاني وهذا دعاه اليونان كتاب نحميا (١٢) كتاب استير (١٣) ايوب (١٤) المزامير (١٥) امثال سليمان (١٦) الجامعة له (١٧) نشيد الانشاد له ايضاً (١٨) اشعيا النبي (١٩) ارميا (٢٠) حزقيال (٢١) دانيال (٢٢) الانبياء الاثني عشر الصغار .

والقانون الذي نعتبره جدولاً لاسفار العهد الجديد يتضمن البشائر الاربع

(١) العهد العتيق المجلد الاول مقدمة المترجمين ص ٥ - ٨

(٢) آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو ج ٢ ص ٥

لمتي ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الاربع عشرة لبولس ورسالتين لبطرس وثلاثاً ليوحنا وواحدة ليعقوب وواحدة ليهوذا وكتابي اعمال الرسل والرؤيا (١) .

واما الكتب التي لم تدخل في القانون فعلى شهادة باسيليوس الكبير هي الاسفار التي فرض الآباء قرائتها على المسيحيين ولا سيما على من اقبل الى الديانة المسيحية حديثاً ولذلك دعيّت ايضاً كتب التلاوة . وبما انها كانت تتلى في الكنائس لتعليم الموعوظين والمؤمنين سميت كتباً كنسية . وقد قال فيها يوحنا الدمشقي في شرحه للايمان الارثوذكسي انها تدعى مفيدة ومعزية ولكنها لم تخص مع الكتب الاولى . وكنيستنا لا تزال حتى الان تضمها الى الاسفار القانونية في مجموعة واحدة جرياً على ما تلقته من المسيحيين القدماء الذين كانوا يضمون اليها كتباً مفيدة كرسائل اقليمس ورسالة هرماس . وكانوا يتلون من فضولها في الاصلوات والاجتماعات . ولكن يجب الا يغيب عن البال ان الكتب القانونية جاءت بوحي من الله واما المتلوة فانها مفيدة وجديرة بكل اكرام . وقد قبلتها كنيستنا لتهديب الاخلاق بأدائها النقية التي تنطبق على كلام الله والناموس الالهي والكتب التي لم تنظم في قانون الكتاب المقدس محصورة في العهد العتيق وهي كتاب طوبيت وكتاب يهوديت وحكمة سليمان وحكمة يشوع ابن سيراخ وسفرا عزرا الثاني والثالث واسفار المكابيين الثلاثة . ويضاف الى منزلة هذه الكتب نبذ تتبع الكتب القانونية عادة وهي صلاة منسى كذيل لكتاب الايام الثاني ونبذ من سفر استير وتسبحة الفتية الثلاثة تضم الى الفصل الثالث من نبوة دانيال وتاريخ سوسنة العفيفة في الفصل الثالث عشر من تلك النبوة وقصة بعل والتنين في الفصل الرابع عشر من تلك النبوة ايضاً .

وكتب التلاوة شيء وكتب الابوكريفة شيء آخر . فهذه معزوة اختلافاً الى الرسل او الى تلامذتهم ولم تخص في قانون الكتاب المقدس ولا كانت بمثابة

(١) تجد ايها القارئ غذاء للنفس علاوة على الدليل التاريخي في مطالعة رسالة القديس باسيليوس الكبير في الاعياد وكتابة السينويس : « هالك عدد واسماء كتب العهد الجديد القانونية التي هي قاعدة ايماننا وعموده ومرساه . وقد كتبها رسل المسيح المخلص ونشروها بعد ما خاطبوه وتعلموا منه » .

كتب التلاوة بل ان الكنيسة اعلنت انها في عداد الكتب المزورة ونبتتها وحرمت مطالعتها (١).

وليس لدينا من النصوص المعاصرة ما يفصل لنا موقف البطريرك ايروثيوس من النزاع الذي نشب بين المرسلين البروتستانتين والمرسلين اللاتينيين حول الكتاب المقدس في النصف الثاني من القرن الماضي . ولكننا لا نشك في انه وقف موقفاً ارثوذكسياً .

وما رواه هنري جيسب عن الاب غفرايل جبارة من تقدير للترجمة البروتستانتية و إعجاب بنشاط الدكتورين عالي سميث و كرنيليوس فاندريك لا يعني في حد ذاته ان الاب غفرايل جبارة وافق على ما جاء من اختلاف في ترجمة سفر الاعمال والرسائل بين النصوص الارثوذكسية والكاثوليكية من الجهة الواحدة وبين النصوص البروتستانتية من الجهة الاخرى (٢) . بل يجب الانسى ان الاب مكاربيوس الرملي هب لطبع كتب التلاوة لدى ظهور الترجمة البروتستانتية واجتهد في المقدمة ان يبرهن ان هذه الكتب هي مما يجب الحاقه بالكتاب المقدس .

وكان مثل هذا قد جرى في اواسط القرن التاسع عشر في الاوساط الارثوذكسية اليونانية . فانه عندما حاول بعض المرسلين البروتستانتيين ان ينشروا ترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية الحديثة بدون ان يضموا اليها كتب التلاوة قام الكاهن قسطنطين ايكونوموس كنيسة القسطنطينية وألف كتاباً كبيراً لتفنيد مزاعم البروتستانت وطبعه سنة ١٨٤٩ .

ومما تجدر الاشارة اليه انه في السنة ١٨٦٧ التأم مؤتمر لامبث Lambeth الاول فوجه الدكتور ارشيبولد كامبل رئيس اساقفة كانتربري نداء الى البطريرك المسكوني غريغوريوس السادس اظهر فيه رغبته في اتحاد الكنيستين الانكليكانية والارثوذكسية . فأجابه غريغوريوس جواباً لطيفاً ولكنه لم يخف الصعوبات التي اعترضت السبيل .

1) James, M. R., the Apocryphal New Testament, being the Apocryphal Gospels, Acts, Epistles, and Apocalypses, Oxford, 1953.

2) Jessup, H. op. cit., I, 78.

ايروثيوس والقضية البلغارية : (١٨٥٨ - ١٨٧٢) وصدر الخط الهايوني (١٨٥٦) وأمر الباب العالي بتنفيذه واجتمع الاكليروس القسطنطيني والوجوه والأعيان للنظر في تطبيقه . فاجتهد مطارنة اليونان ان يكون أعضاء القوميسيون من اليونان فقط . وبالكد دخل فيه أربعة أعضاء من البلغار . والشعب البلغاري الخاضع للبطريركية المسكونية آنثذ ضاهى عدد اليونان او زاد . ولما اجتمع القوميسون وشرع في وضع النظام الجديد للملة الارثوذكسية لم يعبأ بالتشكيكات التي عرضها نواب الأبرشيات البلغارية وحدد ان يصير انتداب المطارنة من البطريرك القسطنطيني ومجمعه ورتب انتخاب البطريرك على طريقة توافق شعور اليونانيين فقط .

ولما كان من واجبات هذا القوميسيون ان ينظر في كيفية تسديد الديون البطريركية البالغة آنثذ ثمانية ملايين غرش حدد ان يشترك في تسديدها جميع الارثوذكسيين الخاضعين للبطريرك القسطنطيني . فرفض نواب الولايات البلغارية ان يوافقوا على هذه القرارات وانسحبوا من القوميسيون واعتضوا على كيفية تأليفه . واهتمت الحكومة العثمانية لمطالب البلغاريين ولم توافق على النظام الجديد للملة الارثوذكسية الا بعد ان اضافت المادة الثامنة عشرة وهذا نصها :

« تصرف الدقة الكاملة وتبذل الملاحظات اللازمة من طرف مجمع المطارنة على التشكيكات المعروضة على البطريركخانه بالتتابع من طرف طائفة البلغار بسبب الصلوات والمواظ التي تفل في الكنائس . وبعد ان يجري التدقيق والتحقيق على هذه التشكيكات وبأية درجة هي يحصل السمي وتبذل الفيرة على اسباب ووسائل ما يلزم لتسدية الكيفية لأجل راحة المرقومين وتسكين خواطرمهم » (١) .

وكان للبلغار في الآستانة كنيسة في بلطة يقيمون فيها قروضهم الدينية باللغة البلغارية . وكانوا قد اقاموا كنيسة اخرى في السنة ١٨٥١ في الفنا . وكان في السنة ١٨٦٠ مترساً على كنيسة بلطة الاسقف ايلاريون . وفي قداس الفصح لم يذكر ايلاريون البطريرك ولم يقم الدعاء له بل ذكر كل اسقفية ارثوذكسية . ودعي الى الجمع بحضور البطارقة الاسكندري والانطاكي

والاووشليمي فأجاب ان تصرفه يتفق ورغائب الشعب البلغاري . ثم دعي ثانية الى الجمع فلم يلب الطلب ولم يتأخر عن رسم كهنة وشمامسة بدون اذن البطريرك . ووافق البطريرك المسكوني كيرلس السابع (١٨٥٥ - ١٨٦٠) على انتقاء الاساقفة بدون تفريق بين يوناني وبلغاري . فلم يرض البلغاريون بهذا الحل وقاموا بتظاهرات في القسطنطينية وفي بعض المدن البلغارية . فاضطرب الباب العالي وتوجس خيفة فقدم كيرلس البطريرك استعفاءه (١) . ولم يعترف ايلاريون بالقائمقام البطريركي . وبعد مدة اتحد معه افكسندنيوس مطران دراخ وبائيسوس مطران فيليبوبولي واعلنوا استقلال الكنيسة البلغارية ورئاسة ايلاريون (٢) . ثم انضم الى هؤلاء المطارنة اربعة مطارنة آخرين . وبدأ هؤلاء يتجولون بين صفوف الشعب البلغاري يحرضونه على نبذ الطاعة للبطريرك المسكوني . وكان وجهاء الشعب البلغاري في اثناء هذه الامور قد عينوا لهم نواباً في الآستانة وفوضوهم النظر في هذه المسألة . فأخذوا يتداولون في ايجاد وسيلة لحسم الخلاف وقرروا ما يجب اجراؤه ليم الانفاق عليه وحصلوه في ثمانية بنود وقدم للبطريركية المسكونية بواسطة الحكومة العثمانية فجمع صفرونيوس البطريرك المسكوني (١٨٦٣-١٨٦٦) مجلساً عمومياً وأوضح امامه سير الحوادث ومطالب البلغار . فرفض المجلس هذه المطالب فأصر البلغار فاقترح البطريرك الجديد غريغوريوس السادس (١٨٦٧ - ١٨٧١) اقامة اكسرخسية بلغارية تشمل جميع الارشيات الواقعة بين جبال البلقان ونهر الدانوب . فلم يلق هذا الاقتراح قبولا في الاوساط البلغارية ولم يرض عنه البطاركة السابقون . وبينما كان البطريرك يؤمل ان توافق الحكومة العثمانية على اقتراحه وردت اليه تذكرة من وزير الخارجية في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ مصحوبة بلائحتين لاجل حسم الخلاف . وطلبت منه ان يقبل واحدة منها او ان يرى في طريقة اخرى تنطبق على رغائب الفريقين . فأجاب البطريرك في منتصف كانون الاول ان الطريقة المثلى لحسم الخلاف هي عقد مجمع مسكوني لان سلطته على بلغارية مستمدة في اساسها من قرارات المجامع المسكونية . وحرر

1) Young, G., *Corps de Droit Ottoman*, II, 58.

2) Avril, A., *La Serbie Chrétienne*, 56, 59.

البطريرك في الوقت نفسه الى جميع الكنائس الارثوذكسية المستقلة عارضاً افكاره بشأن عقد مجمع مسكوني للنظر في القضية البلغارية . على ان الباب العالي لم يظهر ارتياحه الى عقد هذا المجمع ولم يرخص به بل باشر حسم الخلاف وأصدر في ١١ اذار سنة ١٨٧٠ فرماناً سلطانياً اعترف فيه باستقلال كنيسة البلغار (١) .

مجمع القسطنطينية : (١٨٧١) ولما صدر فرمان السلطاني اضطرب البطريرك المسكوني ان يلح بشأن عقد المجمع المسكوني . فرفضت الحكومة العثمانية طلبه ولم تستحسن كنائس روسية ورومانية والصرب عقد المجمع وحرضت البطريرك المسكوني على معاملة الشعب البلغاري بالرفق والتساهل والمحبة المسيحية فاضطر البطريرك ان يستعفي فانتخب المجمع خليفة له انثيميوس السادس (١٨٧١-١٨٧٣) . فاحتج انثيميوس على تأسيس الاكسرخسية . فلم يلتفت البلغار الى احتجاجه . فدعا للبطريرك المسكوني البطاركة في اواخر آب السنة ١٨٧٢ للنظر في المسألة القائمة . فليبي الدعوة صفرونيوس البطريرك الاسكندري وايروثيوس البطريرك الانطاكي وصفرونيوس رئيس اساقفة قبرص . واشترك في اعمال هذا المجمع ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين المتنازلين وخمسة وعشرون من مطارنة الكرسي القسطنطيني . وفي السادس عشر من ايلول سنة ١٨٧١ اصدروا الحكم على السيد انثيميوس اكسرخوس البلغار ومن تبعه او تشرطن منه من الاساقفة والكهنة والشمامسة والشعب واعتبرهم مشاقين وقطعوهم من الشركة مع الكنيسة الارثوذكسية لانهم احبوا العرق وفرقوا بين الاجناس البشرية واثاروا الفتن القومية (٢) .

اجتماع بيروت : (١٨٧٢) وأعلنت البطريركية المسكونية حكم مجمع القسطنطينية الى الكنائس الارثوذكسية المستقلة التي لم تشارك في المجمع . فأظهرت هذه الكنائس عدم استحسانها وكان كيرلس الثاني البطريرك الاوروشليمي في الآستانة ولكنه لم يشترك في اعمال المجمع ولم يقبل بحدوده . فاجتمع رهبان اخوية القبر وحكموا عليه بالعزل وانتخبوا بروكويوس متروبوليت غزة بطريركاً محله .

1) Yonng, G., *op. cit.*, II, 61.

2) Jehag. F. van Steen, *Sujets Ottomans Non-Musulmans*, 157 - 158.

فهاج الشعب الارثوذكسي في فلسطين وامتنع معظم رؤساء الكنائس المستقلة عن ارسال الرسائل السلامية .

وأظهر الشعب الانطاكي كدره ايضاً . واجتمع المطارنة في بيروت في السنة ١٨٧٢ واقاموا الحجة على بطريركهم لخروجه على الطريقة التي حددوها له في رسالة بعثوا بها اليه يحرضونه فيها ان يكون رسول سلام بين اليونان والبلغار وان يجتهد في اقناع كنيسة القسطنطينية ان تسلك بالتساهل وطول الاناة وتتخذ التدابير السلمية المقتضية حيث لا خطر في المذهب وان الانشقاق المفقوت الناتج عن غيرة لكن ليس بمعرفة حسب قول رسول الامم الالهي هو مذموم ومستوجب لعنة جميع الاجيال المسيحية السالفة . واخيراً ألحوا عليه ان يسحب توقيعهم من اعمال هذا المجمع (١) .

الجمعية الروسية الارثوذكسية : (١٨٨٢) واضطر الارشمندريت بورفيريوس اوسبنسكي ان يغادر فلسطين عند نشوب حرب القرم (١٨٥٣) ولم يعد اليها . ووضعت الحرب اوزارها (١٨٥٦) فعاد المؤمنون الروس الى الاهتمام بشؤون الاراضي المقدسة والحجاج . فأوفدوا في السنة ١٨٥٨ قوميسيوناً روسياً برئاسة كيرلس اسقف ميليتوبوليس . فتبنى القوميسيون برنامج بورفيريوس اوسبنسكي وجاء الغراندوق قسطنطين في السنة ١٨٥٩ فوضع حجر الزاوية لكنيسة الثالوث الاقدس « المسكوبية » .

وفي ربيع السنة ١٨٨١ أم اوروشليم الامراء سرجيوس وبولس وقسطنطين حاجين مصليين فاستقبلهم البطريرك الاورشليمي ايروثيوس وكافة الاكليروس وحياتهم الشعب بالهتاف « اورا » فراروا القبر المقدس وجثموا مصليين لنفوس الراقدين من اباؤهم . ثم حياهم البطريرك باسم ام الكنائس وشكر الله والدمع يتساقط على خديه لاهتمام الشعب الروسي بالكنيسة المقدسة . وتعددت صلوات الامراء عند المهد والقبر وبللت دموعهم الارض . وأنشأوا تذكاراتاً لوالدهم في بستان الجثمانية هيكلاً لا تنقطع الصلاة فيه . ولدى عودتهم الى روسيا انتظم اصدقاء

1) Williams, G., Neale, J. M., op. cit., 190.

فلسطين فيها جمعية امبراطورية ارثوذكسية برئاسة الامين سرجيوس وعطف القيصر . واحتفل بتأسيس هذه الجمعية في الحادي والعشرين من ايار سنة ١٨٨٢ في بطرس برج في قصر الامير الحاج نقولا الاكبر وبحضور الاميرة الزائرة الاولى الكسندرة . وافتتح الاكتاب لهذه الجمعية بلاتون متروبوليت كيف فقدم الف ريال . واتخذت الجمعية الناصرة مركزاً لاعمالها فعنيت بالتعليم الابتدائي والتطبيب المجاني .

ايروثيوس مخلص وفي : وقضى ايروثيوس خمسة وثلاثين عاماً في رعاية كنيسة الله في انطاكية وسائر المشرق متحلياً بنقاوة الايمان واستقامة الرأي واعلاء منار الدين مترفعاً عن كل ما يمت الى العنصرية بصلة غير مفرق بين يوناني وعربي وكان ثاقب النظر عالي الهمة يحسن انتقاء الرجال لخدمة الكنيسة فسام عدداً من كبار الرجال الذين خدموا كنيسة انطاكية افضل الخدمات . وليس من العلم او العدل بشيء ان نقول مع بعض من كتب في جو الثورة على البطريرك اسبريدون ان البطارقة اليونانيين المتأخرين « لم يعملوا الا على انحطاط الارثوذكسية لا على تقويمها فقد أهملوا تعليم الشعب مبادئ الايمان الارثوذكسي ولم يكثرثوا لتهديب الأحداث ولم يعتنوا في اعداد وعاظ ولم يصرفوا أقل عناية من أجل الأديار بل قد أهملوا كل ما به خير الكرسي . وعند وفاتهم كانوا يتركون لا قاربهم او للمشيدات الخيرية في اوطانهم كل ما كانوا يجمعونه من الاموال الوافرة من دخل الكرسي دون ان يترك البعض منهم شيئاً يستحق الذكر لمصلحة الكرسي او لعرض الارثوذكسية فيه او لعمل الخير في هذه البلاد » ، نقول ليس من العدل بشيء ان نطلق الكلام بهذا الشكل . وتتناسى جهاد مثوديوس في سبيل الارثوذكسية الحق وسعيه لاعلاء شأن الكنيسة في جميع الأبرشيات الخاضعة له . وقد سبق لنا الكلام في أعماله ومبراته . ولم يكن ايروثيوس أقل منه فضلاً . وقد ذكرنا شيئاً من مآثره ولنا في ما يأتي عن بعض المطارنة في عهده ما يثبت اهتمامه برعاية الكنيسة

1) Jehay, F. Van Steen, Sujets Ottomans Mon-Musulmans, 157 - 158.

2) Williams, G., Neale, J. M., op. cit., 190.

رعاية صالحة ومساهمته في يقظة ارثوذكسية محلية مباركة أنبعث ثمارها بعد وفاته .

ملاطيوس اللاذقية : هو ميخائيل ابن موسى الدوماني الدمشقي ولد في دمشق في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ . ونشأ في دمشق والتحق بالمدرسة البطريركية فأخذ منها مبادئ اللغات العربية واليونانية والتركية والاطالية . ومال بكل عواطفه الى التوشح بالاسكيم فانتقل الى المدرسة الاكليريكية البطريركية التي كانت آنئذ بإدارة الخوري يوسف مهنا فاستنفذ علومها وقدم النذر في السنة ١٨٥٧ . ونال من البطريرك ايروثيوس التفاتاً وعناية . فلما شخص البطريرك الى الآستانة في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٨ كان ملاطيوس من خواص حاشيته . وهناك حلّ في مقام جليل لدى البطارقة الأربعة الملتئمين وقتئذ للنظر في تنظيم الكنائس على ضوء الخط الهايوني وحل المشكلة البلغارية وغير ذلك . فسامه البطريرك الاوروشليمي كيرلس شماساً بإدارة ايروثيوس البطريرك الانطاكي وذلك في احد العنصرة في ٢٢ ايار سنة ١٨٦٠ . وعاد ملاطيوس مع معلمه سنة ١٨٦١ الى بيروت . وقدر ايروثيوس انعاب ملاطيوس ومواهبه فرقاه في درجات الكهنوت . فلما ترملت ابرشية اللاذقية سنة ١٨٧٥ رشحه لرعايتها . والقي الله في روع المطارنة فانتخبوه وسيم مطراناً على اللاذقية في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٦٥ . واستلم ملاطيوس مهام الابرشية في اوائل السنة ١٨٦٦ فجمع اوقاف الكنائس الى قلم واحد وأسس مدرسة للذكور وخصص واردات الاوقاف للمدرسة . واعتنى بترميم الكنائس في اللاذقية وفي توابعها فجدد سبع كنائس في الابرشية . وفي السنة ١٨٦٩ منحه السلطان الوسام المجيدي والملك جورج وسام المخلص الذهبي . ولزيد اهتمامه بنشر العلوم الدينية ارسل على نفقته الارشمندريت جراسيموس مسرة والاستاذ باسيل جبارة الى مدرسة خالكي اللاهوتية فنالا شهادتها (١) .

ميصائيل صور وصيدا : هو ابن الخوري صموئيل استبريان ايكونوموس

(١) البطارقة الانطاكيون لغناس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٤٢٤

كرسي اللاذقية من عائلة شريفة عريقة بالكهنوت تتوارثه اباً عن جد . وكانت ولادته في اول تشرين الثاني سنة ١٨٢٨ في نفس مدينة اللاذقية . وتربى منذ الصغر على الآداب الارثوذكسية ونشأ على مبادئ الديانة القوية يرضعها في بيت ابويه . ولما شب ارسله والده الى دمشق حيث تلقى العلوم اللاهوتية على الخوري يوسف مهنا وغيره وباقي العلوم المدنية واللغتين التركية واليونانية وآداب اللغة العربية . وبعد ان اكمل دروسه انفذ البطريرك ايروثيوس الى دير البلمند ليدرس الرهبان العلوم اللاهوتية واللغتين التركية واليونانية . وذهب البطريرك الى الآستانة للنظر في قضية البلغار مع اخيه القسطنطيني . ولدى وصوله اليها انفذ له امراً يطلبه ليكون في معيته مديراً للقلم العربي . وبايعاز من البطريرك رسمه صفرونيوس مطران طرابلس شماساً انجيلياً في ايار السنة ١٨٥٨ . وعقب ذلك لبى دعوة البطريرك وسافر حالاً الى الآستانة . وبقي بمعيته سنتين في الآستانة فأتقن دروسه فيها وعاد مع البطريرك الى دمشق . وكان البطريرك يعتمد على درايته وحسن مداركه في قضاء الامور المهمة . وفي السنة ١٨٦٢ ارسله الى صور لاجل بناء كنيسة فبقى في صور الى ان اكمل بناء الكنيسة . وأرسله البطريرك الى جهات مختلفة لفض المشاكل فكان يتميز بالاستقامة وحسن السياسة . وفي أواخر السنة ١٨٦٥ سافر البطريرك الى الآستانة فترك ميصائيل وكيلا عنه في الكرسي البطريركي . وطال غياب البطريرك سنتين تقريباً فحل ميصائيل مشكلة كنيسة القديس يوحنا الدمشقي واسترجعها من يد الكاثوليك . وكان ذلك في ايام ولاية رشدي باشا الملقب بشرواني زاده . وعاد البطريرك الى دمشق في حوالي السنة ١٨٦٧ فأنفذ ميصائيل الى مصر لقضاء بعض الامور الطائفية . ثم توفي جراسيموس (طراد) متروبوليت صور وصيدا فانتخب الجمع بناء على ترشيح البطريرك ايروثيوس الاب ميصائيل مطراناً على صور وصيدا . وتمت سياسته في المرمية في دمشق بحضور متودبوس زحلة وصفرونيوس طرابلس وسيرافيم .

واتخذ ميصائيل حاصيباً مركزاً لسكناء فذب فيها عن الطائفة صامداً في وجه المرسلين البروتستانت . وكان كثير التجول في انحاء الابرشية راداً هجمات الطوائف الغربية مصلحاً شؤون الرعية باذلاً بسخاء من وقته وماله .

غفرائيل بيروت : ولد في دمشق في الخامس من شباط سنة ١٨٢٥ من ابوين ارتوذكسين تقيين هما نعمة الله شاتيلاً وتقلاً مخلص . وكانت والدته ابنة بروتوبسلي الكرسى الانطاكي يوسف مخلص . وكان عمها مطرانين احدهما اثناسيوس متروبوليت بيروت والآخر جراسميوس متروبوليت سلفكياس . وتلقى « جورجى » علومه الابتدائية في المدرسة البطريركية فأكملها في التاسعة من عمره وبعدها اخذ في نساخه الكتب . وفي العاشرة دخل المدرسة البطريركية التي انشأها البطريرك مثوديوس وعين لها معلماً كاتبه بى بابا دوبرولوس فدرس جورجى فيها مبادئ اليونانية . ثم تجرد لاقتباس صناعة نسج الحرير . وفي الرابعة عشرة اخذه والده لخل شغله في دمشق ليدربه بنفسه على اعماله وليتوكأ على همته في اشغاله التجارية . وبعد نصف سنة توفي الوالد فاخذ جورجى على عاتقه القيام بحاجات بيت ابيه وتربية اشقائه القاصرين . ثم شب اخوه فضل الله فاعتمد عليه في دمشق وشخص الى القدس الشريف تبركاً واستدراراً للفائدة التجارية . وذهب منها الى ازمير فالآستانة لمهام تجارية .

وتوفي البطريرك مثوديوس وجورجى شاتيلاً في الآستانة . فحضر حفلة تنصيب ايروثيوس . ولما رأى وداعة البطريرك الجديد وتقواه القى الله في روعه ان يكرس حياته لخدمته تعالى . فرغب الى البطريرك الجديد بواسطة ديمتري شحاده ان يجعله راهباً ليكون بمعيته . وكان البطريرك ايروثيوس في حاجة الى رجل يعرف العربية واليونانية ليكون كاتباً ومساعداً له في اشغاله فضم غفرائيل الى معيته والبسه ثوب الرهبنة في امطوش القبر المقدس في الآستانة في التاسع من اذار سنة ١٨٥١ وسماه غفرائيل بدلاً من جورجى . وعاد ايروثيوس الى دمشق وعاد شماسه معه ونفث الله في صدر غفرائيل ان يسعى لدى ايروثيوس بانشاء مدرسة يتثقف بها فتيان وطنيون في العلوم الروحية تهوؤاً للانتظام في سلك الاكليروس . فتكامل مسعاه بالنجاح وتآلف فريق من اثني عشر تلميذاً لهذه الغاية واستقدم البطريرك معلمين للغة اليونانية احدهما من ازمير والآخر من اثينه وعين لمساعدة الخوري يوسف مهنا المعلم يوسف عربيلي والمعلم يوسف الدوماني . وفي

ايلول السنة ١٨٥٨ قام البطريرك الى الآستانة فرافقه غفرائيل ونال عطف البطارقة الاربعة لما فطر عليه من الامانة والتقوى والغيرة . وفي ايار السنة ١٨٦٠ احتفل بخدمة القديس في امطوش القبر المقدس في الآستانة البطريرك الانطاكي والاوروشليمي فسام ايروثيوس غفرائيل قساً وسام البطريرك الاوروشليمي ملاتيوس (الدوماني) شماساً . وفي عيد الميلاد من السنة نفسها رقي ايروثيوس الاب غفرائيل الى رتبة ارشمندريت وعينه رئيساً للامطوش الانطاكي في موسكو .

وقام غفرائيل من الآستانة الى موسكو في الخامس من آب سنة ١٨٦١ واقام هناك تسع سنوات . فجدد كنيسة الامطوش وقام بمهامه بأمانة ونشاط وغيرة فأحبته متروبوليت موسكو فيلاريتوس وشمله القيصر اسكندر الثاني بعطفه . واغتم غفرائيل فرصة وجوده في روسية فأرسل كثيراً من الايقونات التي يزدان بها ايقونسطاس كاتدرائية دمشق وجدرانها وارسل ايضاً كثيراً من الاواني .

وفي السابع والعشرين من ايلول سنة ١٨٦٩ اجتمع مطارنة الكرسى الانطاكي في دير سيدة اليلمند لانتخاب مطران لكرسى بيروت . فأجمع المطارنة على انتخاب غفرائيل . فأجاب شاكرأ مستعفياً . ثم تكرر الطلب من البطريرك والشعب فدافع دون القبول نحواً من سنة ثم أخنى عنقه . وقام من موسكو الى بيروت فوصلها في الثاني والعشرين من ايلول سنة ١٨٧٠ . وأم دمشق فسامه معلمه البطريرك ايروثيوس بمشاركة مثوديوس سلفكياس وميصائيل صور وصيدا وسيرافيم ايرينوبوليس . وتوسم الشعب خبيراً وسكنت عواصف الاضطراب والانقسام التي استغرقت خمس سنوات كانت فيها الارشيات مترملة .

واول عمل قام به غفرائيل انه دفع من ماله الخاص نحواً من خمسة وسبعين الف غرش كانت ديوناً على اديرة الارشية لا تكفي ايرادات الاديرة لدفع فائدتها . واخذ يهتم في اصلاح ارزاق الاديرة وبنائها وايجاد الرهبان فيها منفقاً من ماله الخاص حيثما يرى موارد الاديرة غير كافية .

وكان في اثناء اقامته في روسية قد ابتاع من ماله الخاص كثيراً من الاواني الكنسية والملابس الكهنوتية الجديدة فوزعها على كنائس الارشية . وتحقيقاً

لرغائبه في تعليم الاكليروس اخذ على عهده مدرسة الطائفة الكبرى في بيروت وانفق عليها من ماله نحواً من الف ليرة عثمانية ذهباً علاوة على ايرادها ودعا اليها تلامذة من ابرشيته لينظمهم فيما بعد في سلك الاكليروس فنيح من هؤلاء غريغوريوس حداد الذي اصبح فيما بعد مطراناً على طرابلس وبطركاً انطاكيّاً . ومنهم ايضاً مكاريوس صوايا . ثم اخرجت تلك المدرسة من يد غفرائيل . فانشأ في السنة ١٨٨٣ مدرسة اكليزيكية على حسابه الخاص واتخذ لها مقراً في قلايته نفسها . وانشأ او جدد ثلاثين كنيسة وسام سبعة وسبعين كاهناً منفقاً على اكثرهم مدة تعلمهم في قلايته . ومهد السبيل لانشاء الجمعيات الخيرية فأسس في السنة ١٨٧٧ جمعية التعليم المسيحي لتتلو في ايام الاحاد على شبان الملة واولادها فصولاً من الكتاب المقدس وتآليف الالباء ومواعظ وخطباً دينية . وفي السنة التالية (١٨٧٨) نظم جمعية القديس جاورجيوس للعناية بالمرضى وتدريب الممرضات وانشأ مستشفى القديس جاورجيوس . وفي السنة ١٨٨٠ أسس جمعية زهرة الاحسان لتعليم البنات وتدريب الممرضات . وقامت في السنة ١٨٨٢ جمعية القديس بولس لمساعدة كنائس الابرشية والاعتناء بالكهنة .

نيقوذيموس عكار : هو نقولا ابن قسطنطين زوغرا فوبولوس . ولد في الآستانة سنة ١٨٣٩ . وكان وحيداً لوالديه ومحبباً منها . وبعد ولادته ببضعة شهور توفيت والدته ثم والده فعاد يتيماً . فأخذه اليها عماء نقولا وباسيلي فعاش عندهما نحواً من سنتين . وفي السنة ١٨٥٤ سافر مع احد اقربائه الى القدس قاصداً الانظام في سلك الرهبنة . فثقل لدى البطريرك كيرلس فأعجبته نجابته ولوائح ذكائه ونشاطه فدفعه الى مطران الاردن ليكون مبتدئاً عنده . فأدخله هذا المطران في المدرسة الطائفية هناك . ولما أتم دروسه لبس الاسكيم . وفي السنة ١٨٦٦ غادر القدس ذاهباً الى وطنه مدينة القسطنطينية . قرر في ثغر بيروت ودفع الى البطريرك الانطاكي ايروثيوس تحارير كان قد سلمه اياها رهبان القدس يطلبون بها الى البطريرك الانطاكي ان يبقيه لديه ليتدرج في مراتب الكهنوت لما كانوا قد توسموا به من النشاط والافتدار . فامسكه البطريرك الانطاكي لديه ولم يأذن له بالذهاب .

وفي تلك السنة سيم خريستندوس (اليوناني) مطراناً على عكار فارسل البطريرك نيقوذيموس ليكون شماساً عنده . وفي السنة ١٨٦٧ سام خريستندوس الراهب نيقوذيموس شماساً . وفي السنة ١٨٧٠ سامه كاهناً وارسله رئيساً على دير القديس ضوماتيوس في قضاء الحصن . فأقام هناك ست سنوات . وفي السنة ١٨٧٦ سيم ارشمندريّاً ورئيساً على دير مارالياس الريح في قضاء صافيتا ووكيلا عن المطران في جميع اشغال الابرشية . وبقي هناك ثماني سنوات . وفي سنة ١٨٨٤ توفي خريستندوس فعهد ايروثيوس بالوكالة على الابرشية الى نيقوذيموس .

ويلاحظ هنا ان بعض رجال الاكليروس اليوناني الذين تسلموا كراسي الابرشيات الانطاكية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا مثال التقوى والصلاح وانهم خدموا الكنيسة الانطاكية خدمة مسيحية كاملة . فالسيد بنيامين متروبوليت غفرائيل وسلفه كان من التقوى والغيرة والفضيلة على جانب عظيم . والسيد ايوانيكيوس متروبوليت طرابلس كان متوشحاً بالعفاف متجملاً بافضل الصفات المسيحية . واجمعت الالسن على غيرة الارشمندريت اغاثنجلوس يمين مثوديوس البطريرك وعلى طهارته ورأفته وتكريس حياته لخير الكنيسة . وأجاد بعضهم اللغة العربية فانثيميوس متروبوليت صيدا وضع قاموس مفردات بين اليونانية والعربية ونيكيفوروس متروبوليت حماة خط المزامير بالعربية بيده وباخوميوس متروبوليت صديا استنسخ الانجيل بالعربية .

ايروثيوس والعلوم الاكليزيكية العالية : وترفع ايروثيوس عن النعرة الجنسية فأوفد الى مدرسة خالكي ومدارس روسية من الاكليزيكيين الوطنيين من عاد الى كنيسة انطاكية ودافع عنها ورفع شأنها . فانه علم في السنة ١٨٧٠ بتجاح اسعد عطا الله في مدرسة سوق الغرب الارثوذكسية التي كان يديرها المعلم يوسف عربيلى . وثبتت البطريرك من نبالة اسعد ودماثة اخلاقه فضمه الى بطانته متوسماً به ان يكون من متقدمي خدمة الاسرار الالهية . ووشحه بالاسكيم واخذه الى دمشق وألحقه بالمدرسة البطريركية . وفي السنة ١٨٧١ سامه متوحداً واطلق عليه اسم المجاهد العظيم عن الايمان القويم اثناسيوس . وفي السنة ١٨٧٢ رسمه شماساً انجيلياً

الى بيروت فارتقى منبر الكنيسة الكاثدرائية وفسر خبر جريح اللصوص فادهش الجمهور.

البطريك جواسيموس : (١٨٨٥ - ١٨٩١) واقام السيد ايروثيوس على المنصة البطريركية الانطاكية خمسة وثلاثين عاماً . ثم دعاه الله الى شيخوخة متناهية فخلا مكانه في السنة ١٨٨٥ . واجتمع الاساقفة للنظر في من يخلفه . واراد بعض الوطنيين منهم ان يشركو الشعب في الانتخاب فنادىهم غفرائيل متروبوليت بيروت . فاحتكموا للناموس وعند مطالعته لم يجدوا قانوناً يخول الشعب حقوق التدخل . فقال اغابوس (صليبا) انه وارد لاحد الشراح رأياً خصوصياً لا قانونياً كنسياً . واحضر الحاشية المشار اليها . وعندئذ قرر المجمع ان يرشح من يريد كالسابق ثم يظهر اسم المرشحين لعقلاء الشعب (الاراخنة ليظهروا ما لديهم حتى اذا لم يكن للشعب ما يقال يظل للمجمع ملء الحرية . ومن تلك السنة اي سنة ١٨٨٥ سرت هذه العادة في الكنيسة الانطاكية (١) .

وخشيت المقامات اليونانية الاكليريكية امر ترشيح اكليريكي وطني فنقلوا الى السلطات العثمانية ان الوطنيين يميلون الى الروس . وتدخل يواكيم الرابع البطريك المسكوني ونيقوديموس البطريك الاوروشلمي في امر الانتخاب فأيدت السلطات العثمانية ترشيح جواسيموس متروبوليت سكيثوبوليس (بيسان) فتم انتخابه في ٢٩ ايار سنة ١٨٨٥ وصدرت البراءة السلطانية به بطريكاً على انطاكية وسائر المشرق (٢) ويرى بافيلدس المؤرخ اليوناني ان الدعاة الروسيين كانوا منذ منتصف القرن التاسع عشر قد بدأوا يثيرون نغرة عنصرية علمانية في ابرشيات الكرسي الانطاكي (٣) ما فتئت ان ذرت قرنهما في انتخاب جواسيموس ثم في اسقاط اسبيريديون .

« باسم الاله المثلث الاقانيم غير المنقسم . قد التأنا نحن مطارنة الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس في كنيسة دمشق الكاثدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم . وبناء

(١) حاشية امين ضاهر خيرالله على متن الصفحة ٥١ من كتابه الارج الزاكي . والشيخ الجليل الذي لم يسميه اجلالا هو في ترجمتنا غفرائيل متروبوليت بيروت .

(٢) الارج الزاكي ايضاً ص ٤٥ .

3) Bapheidès, Ecc. Ist., III, 273.

وصحبه معه الى الآستانة . ثم اذن له في ١٨٧٩ ان يلتحق بمدرسة خالكي . وفي السنة ١٨٨٣ سامه ارثمنديتاً ورأسه على دير مار الياس الشوير . فأقام فيه ثلاث سنوات متفانياً في الخدمة . وجمع لديه فريقاً من التلامذة اعدهم للرهبنة ودرّسهم بنفسه اللغتين اليونانية والعربية والموسيقى والحساب والجغرافية منهم الخوري موسى مرهج الشويري .

جواسيموس يارد : (١٨٤٠ - ١٨٩٩) وزار ايروثيوس البطريك راشيا في السنة ١٨٥١ فتقدم منه الولد الارثوذكسي جورجي اسبر يارد والتمس الحاقه بمدرسة دمشق البطريركية فوعده بذلك . ولما عاد البطريك الى دمشق طلب جورجي اليه وأدخله الى المدرسة . فدرس العربية واليونانية على الخوري يوسف مهنا . وفي السنة ١٨٥٨ انتدب معلماً لمدرسة حماة الارثوذكسية فظهر من براعة التعليم والتهديب ما خلده الذكر الحسن في تلك المدينة . ثم رأى البطريك ان يزيد علم هذا الشاب النابغة فالبسه الاسكيم ودعاه جواسيموس والحقه بخالكي سنة ١٨٦٠ ثم بامطوش موسكو سنة ١٨٦١ وفي السنة ١٨٦٢ التحق جواسيموس بمدرسة موسكو الاكليريكية فاتم دروسه القانونية فيها سنة ١٨٦٨ . ومن ثم دخل كلية بطرس برج العليا فحاز قصب السبق على اقرانه واكمل العلوم اللاهوتية والفلسفية واتقن لغات اوروبية جديدة . وفي السنة ١٨٧٢ نال الشهادة الرسمية من الصنف الاعلى وسمي استاذاً لمدرسة بسكوف . ثم اختير رئيساً لمدرسة ريغنا في فنلندة ثم استاذاً لتاريخ الكنيسة الشرقية في مدرسة بطرس برج . فبحث وصنف في مواضيع متعددة . وخص فوطيوس العظيم بشطر وافر من وقته فوضع كتاباً في هذا الموضوع لا يزال مرجعاً من افضل المراجع حتى يومنا هذا (١) . وكان يلقي المواعظ والخطب في الكنائس الروسية الكبرى والمحافل والاندية فيحتشد الوف مؤلفة لاستماع عظاته النفيسة وخطبه البليغة وسنة ١٨٨٣ انتقاه نيقوديموس البطريك الاوروشلمي واعطاه للكرسي الاوروشلمي . وسنة ١٨٨٥ جاء بجمعة هذا البطريك

1) Gerazim Yared, Otzuivui Sovremennikov o sv. Fotige Patr. Konst., Khristyanskoe Chtenie, 1872 - 1873; Dvornik. F., The Photian Schism, 382, 430.

على ما تقرر في الجلسات الاولى والثانية من عمل الانتخاب شرعنا في الانتخاب قانونياً وفي وسطنا ايقونة ربنا والها ومخلصنا يسوع المسيح الطاهرة لايجاد وانتخاب شخص فيه الالهية واللياقة لضبط زمام الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس والقيام بهما روحياً وزمناً . فوضعنا اولاً اسم قدس اخينا جراسيموس مطران بيسان الكلي الطهر من مطارنة الكرسي الرسولي البطريركي الاوروشليمي المقدس وثانياً قدس اخينا يوحنا مطران قيسارية الجزيل الوفا من مطارنة الكرسي الرسولي القسطنطيني المقدس وثالثاً اسم قدس اخينا فيلوتاوس مطران ازمير الجزيل طهره من مطارنة الكرسي القسطنطيني ايضاً الذين ادرجت اسمائهم في هذا السجل البطريركي الشريف لبيان دائم وايضاح ثابت . وبعد التضرع والابتهال الى الهنا العظيم واستمداد روحه القدوس واعطائنا انتدابنا السري القانوني وقس الانتخاب بصوت عمومي على قدس جراسيموس مطران بيسان الكلي الطهر . فقدما لله الضابط الكل الشكر القلبي وبادرنا بتقديم التلغراف الاشعاري لسيادة المنتخب الموما اليه مفضياً من جميعنا . وقد صار هذا الاجتماع يوم الاربعاء الواقع في ٢٩ شهر ايار سنة ١٨٨٥ مسيحية في دمشق الشام المحمية .

« التوقيع : ملاتيوس مطران اللاذقية سيرايم مطران ايرينوبوليس ونائب باثيسوس مطران ارضروم ميصائيل مطران صور وصيدا غفرائيل مطران بيروت ولبنان ونائب صفرونيوس مطران طرابلس اغايوس مطران اداسيس جرمانوس مطران ترسيس واطنسة خريسانتوس مطران عكار مثوديوس مطران زحلة ونائب جرمانوس مطران حماة » (١) .

وأبصر جراسيموس النور في استروس في شبه جزيرة المورة في الثامن عشر من اب سنة ١٨٣٩ . ونشأ نحيف الجسم حاد الذكاء رقيق المعاشرة لطيفاً لبقاً . وتحلى بالعلوم الاكليريكية العالية واجاد اليونانية والتركية وتكلم العربية . وأحبه مطارنة الكرسي الانطاكي وتعاونوا معه . وأحب هو كنيسة انطاكية وتمنى لها النجاح والرفق . وتعاون مع الشعب فنظم مجلساً ملأ بطريركياً وسام عدداً من المطارنة الاكفاء وأحب الارشمندرت اثناسيوس عطا الله ورغب اليه ان يقيم لديه ليكون يده اليمنى واذنه المستمعة اصوات الرعية وعينه الباصرة حاجات الشعب وابقاه عنده خمسة اشهر غير ان لاجاجة الشعب في حمص وتوابعها وتعلقهم بأثناسيوس جعل البطريرك يرشحه لكرسي حمص وسامه مطراناً عليها في ٢٥ اذار سنة ١٨٨٦ وفي هذه السنة نفسها رقد بالرب السيد جرمانوس (زيوت) متروبوليت حماة . فرفع المؤمنون الحمويون عريضة الى البطريرك يلتمسون بها الارشمندرت غريغوريوس جبارة راعياً لهم . وكان جراسيموس يتجول في تفقد شؤون الارشيات فلما وصل الى

(١) عن السجل البطريركي بالتاريخ بنيله

طرابلس اجتمع لديه عدد من المطارنة للذاكرة فجرى ترشيح غريغوريوس واخذت اصوات الحاضرين والغائبين كالسيد نيقوذيموس مطران ديار بكر فأصابت الدعوة الالهية غريغوريوس فشخص البطريرك الى اللاذقية وسامه مطراناً على حماة وتوابعها في شباط السنة ١٨٨٧ . وفي السنة ١٨٨٩ توفي يسوع خريستندوس (صليباً) متروبوليت عكار ومثوديوس (صليباً) متروبوليت سلفكياس . وكان نيقوذيموس محبوباً جداً من الشعب في عكار وكان قد قضى خمس سنين يقاسي أمر العذاب في كرسي ديار بكر فانتخبه المجمع مطراناً على عكار . وانتخب المجمع جراسيموس (بارد) واعظ الكرسي الاوروشليمي مطراناً على سلفكياس فسامه البطريرك بالاشتراك مع اغايوس (صليباً) متروبوليت اداسيس وسيرايم متروبوليت ايرينوبوليس وذلك في الكنيسة المريمية وفي يوم عيد البشارة سنة ١٨٨٩ . وكان الشقاق قد ثار في طرابلس في آخر ايام راعيها صفرونيوس (نجار) . فلما مضى مستقبلاً وجهه البقاء ثارت عواصف الخصامات فانتفى البطريرك جراسيموس الشماس غريغوريوس حداد قائداً لسفينة طرابلس في ايام محتتها فأحسن الانتقاء للمرة الخامسة ! وكان غريغوريوس لا يزال في بيروت فسامه غفرائيل قساً ونال نعمة رئاسة الكهنوت في العاشر من ايار سنة ١٨٩٠ من يد البطريرك جراسيموس بمشاركة السيد سيرايم ونيقوذيموس . وهل يقال في من ينتدب هؤلاء الرجال الكبار الى الكراسي الشاغرة انه غير مكثرت للمسؤولية الملقاة على عاتقه ! وهل يقال انه أثر اليونانيين على الوطنيين بعد هذا الانتقاء :

الانوار في الاسرار : ومن آثار هذا البطريرك اليوناني انه اعترف بعلم الشماس

جراسيموس مسرة وفضله فشجعه على اداء رسالته ومنحه لقب « واعظ الكرسي الانطاكي » . وكان ملاتيوس متروبوليت اللاذقية قد استنشق في جرجي ابن اسيريدون مسرة في اللاذقية نسم أمل فدعاه لتكريس النفس في خدمة الله فلبى وترك بيت ابيه في صيف السنة ١٨٧٣ وتوشح بالاسكيم باسم جراسيموس يوم عيد الميلاد من السنة نفسها . ثم توسم ملاتيوس في هذا الراهب مستقبلاً جيداً فأرسله في صيف السنة ١٨٧٥ الى القسطنطينية ليلتحق بمدرسة خالكي منبسطاً بالعناية فيه الشيخ ديمتري شحاده نزيل القسطنطينية آنذا . وعاد جراسيموس الى اللاذقية في صيف السنة ١٨٧٩ فسامه معلمه شماساً انجيلياً يوم عيد الرب ثم دتريفاً لكرسي اللاذقية . وعاد الشماس جراسيموس الى خالكي واتم دروسه فيها ونال شهادتها في السنة ١٨٨٢ ممضية من رئيس المدرسة ومصدقة من البطريرك

لجراسيموس البطريرك الانطاكي حظوة في السينودس الاوروشليمي . وفي منتصف اذار السنة ١٨٩١ وردت برقية على جراسيموس من سينودس اوروشليم تبشره بانتخابه بطريركاً على ام الكنائس . فأمر البطريرك باجتماع قوميسيون الملة وانتدب بعض الاعيان ايضاً . وحضر الاجتماع اغابوس متروبوليت اداسيس وسيرافيم متروبوليت ايرينوبوليس وجمهور الكهنة . فأبلغهم البطريرك خبر انتخابه وطلب اليهم المذاكرة فيما يرونه موافقاً لمصلحة الكرسي اولا ولمصلحة الكرسي الاوروشليمي ثانياً . فاجمع الحضور على عدم الموافقة واستعطفوا البطريرك الى رفض الانتخاب . وفي الغد ابرق البطريرك الى الجميع الاوروشليمي يشكر ويقول ان قبوله موقوف على رضى الكنيسة الانطاكية وموافقة الحكومة . وفي اليوم التالي عاد القوميسيون الى الاجتماع وقرر الابرايق الى المطارنة بعدم الموافقة وبوجوب الالتماس الى من يلزم بهذا المعنى . وشفع القوميسيون هذه البرقية برسالة عمومية افصح بها ووضح .

« غب المصافحة الاخوية واستمداد الدعاء تعرض قد ورد تلغراف من السينودس الروحي باوروشليم المقدسة لغبطة بطريركنا الكلي القداسة يعلن انتخاب غبطته بطريركاً للكرسي الاوروشليمي المقدس . وبما ان انتقال غبطته من الكرسي الانطاكي في الايام الخاضرة والقيام بانتخاب خلف لغبطته موجب لاتعاب كلية تذهب براحة الكرسي الانطاكي عموماً والشعب الارثوذكسي في دمشق خصوصاً . وبما ان غبطته حين بلغه تقديم اسماء المرشحين للبطريركية الاوروشليمية ووجود اسم غبطته بين اسماء المرشحين حرر لمقام الصدارة العظمى يبين لزوم وجوده في الكرسي الانطاكي ويستدعي الالتفات لما ينشأ عن انتقاله . وبعد ورود تلغراف الانتخاب لغبطته من السينودس الاوروشليمي المقدس حرر ان قبوله موقوف على رضى وقبول الحكومة السنية والكرسي الانطاكي المقدس . وبما ان تصرف غبطة بطريركنا المشار اليه بصورة موافقة للرضى العالي قد اوجب النفقات ورضى الحكومة السنية حتى الان ونحن في راحة نرغب بقاءها . تقرر في اجتماع عقد بتاريخه تقديم عريضة للحكومة السنية تبين فيها ما ذكر ونطلب ابقاء غبطته على الكرسي الانطاكي وبخاتمة سيادتكم بهذا الشأن . وعليه بادرننا لتقديم تحريرنا هذا تبين فيه رغبتنا في بقاء غبطة بطريركنا قياماً بواجب الاحترام المفروض ومحافظة على الراحة ومنعاً للاتعاب التي يخشى وقوعها على فرض اضطراب الكرسي الانطاكي المقدس للقيام باعباء انتخاب خلف . فنرجو من سيادتكم ان توافقوا المركز في حاساته هذه واجراء التقارير اللازمة بسرعة حذراً من فوات الوقت . في ٢ مارت (شرفي) سنة ١٨٩١ . اخوكم بالمسيح سيرافيم مطران ايرينوبوليس اغابوس مطران اداسيس الارشمندريت اثاناسيوس ابوس شعر الخوري عبدالله القصعة الخوري ميخائيل كركر اولادكم يوسف طنوس عبده مجي جرجي رومية

المسكوفي يواكيم الثالث . وهي اول ديبلومة نالها سوري من تلك المدرسة . ثم عاد الى اللاذقية واقام في خدمة كنيسة سنتين فدعاه ايروثيوس السعيد الذكر ليستلم ادارة القلم اليوناني في البطريركية وجاء البطريرك جراسيموس فسأه في احد العنصرة سنة ١٨٨٦ في حفلة حافلة في الكندرية المريمية واعطى الكرسي الانطاكي (١) .

« ولما كانت الكتب الدينية الغربية عن روح الكنيسة الارثوذكسية قد تكاثرت في البلاد العثمانية واللغة العربية وكانت ايادي العلماء تتداولها ويقرأها الفقهاء والبسطاء . ولما كانت الكتب الارثوذكسية الموضحة صحيح التعليم والمفيدة ما بعد عن الرأي القويم قليلة العدد حيث وجدت لانحصار ما وجد منها خطأ ببعض افراد او لا وجود لها مطلقاً في اكثر الانحاء والبلاد . ولما كانت الخدمة في نشر الحقائق الدينية القويمة فرضاً واجباً ومعاضدة ابناء الكنيسة الارثوذكسية ديناً لازماً » (٢) هب هذا المعلم في اللاهوت لخدمة كنيسة انطاكية بالتأليف والترتيب لنشر تعليم الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية . فشر اولاً رسالة افجانيوس البلفاري المعروفة بالبينات الجليلة واتبعها بكتاب جليل عنوانه الانوار في الاسرار وطبعه بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٧ .

وقال جراسيموس مسرة في تقديم هذا الكتاب انه لما كانت اسرار الكنيسة السبعة موضوع اختلافات متعددة بين الكنيسة المقدسة الجامعة وبين سواها من الكنائس رأى ان يجعل مقدمة خدمته الدينية كتاباً في الاسرار السبعة يبحث فيها اجمالاً وفي كل منها افراداً نشأتها وتاريخها وما أحدث فيها وابتدع فطالع وقابل ما كتبه في ذلك اشهر المؤلفين الكنائسيين من شرقيين وغربيين ارثوذكسيين وغير ارثوذكسيين . وعد منهم ما عدا القدماء ارميا بطريرك القسطنطينية وغفرائيل مطران فيلادلفية وميمان التسالونيكي ويوحنا الدمشقي ومكاريوس مطران موسكو واعتراف الرأي القويم ورسالة البطارقة والتعليم المسيحي وكتب الخدمة . فجاء كتاباً مستوفي الشروط وافياً بالمقصود .

وفي السنة ١٨٨٨ دعاه بطريرك الاسكندرية لخدمة الكنيسة السورية في الاسكندرية فسامه البطريرك الانطاكي قسماً ثم ارشندريتاً في ٢١ تشرين الثاني من هذه السنة . وفي اذار السنة ١٨٨٩ جعله البطريرك صفرونيوس الاسكندري معلماً للاعتراف في كنيسة القديس مرقس . وفي حزيران السنة التالية انتخبه المجمع الانطاكي مطراناً لحلب ولكنه لم يلب الدعوة « لاعتبارات صحية » .

استقالة البطريرك جواسيموس : (١٨٩١) واستقال نيقوديموس

البطريرك الاوروشليمي في السنة ١٨٩٠ وارتحل الى القسطنطينية واقام فيها . فلبث الكرسي شاغراً مدة الى ان اجتمع السينودس بعد انقضاء الاعياد الميلادية . وبينما كان الناس في حشد من امر المنتخب شاع الخبر وتناقلته الجرائد ان

(١) روض المسرة لابراهيم الاحود ص ٨ - ١٠

(٢) مقدمة الانوار في الاسرار لجراسيموس مسرة ص ٤ - ٥

غنايل صيلح جبرائيل اسبر امين ابو شعر جبرائيل شامية سمان لاذقاني نمان ابو شعر جبران لويس غنايل كليله .

ورفع القوميسيون عريضة موقعة من المطارنة والاراضنة الى والي سورية يظهرون بها امتنانهم من البطريرك جراسيموس وانهم في راحة يرغبون استمرارها وان انتقال البطريرك للكسي الاوروشيمني مقيّد باتفاق الكنيستين لا باحداها فقط وعليه يلتزمون من دولته مخايرة من يلزم في توقيف الانتخاب . وحمل هذه العريضة الى والي المطرانان سيراقيسم واغاييوس وبعض الوجهاء . فرحب بهم والي واعرب عن استحسانه وقال ان دمشق بأمرها تأسف لفراق رجل لطيف محب مثل غبطته واسرع فرفع العريضة الى الصدارة العظمى . وبعد يومين جاء والي سورية الى البطريركية وبلغ البطريرك والوجهاء ان الصدارة ترى ذهاب البطريرك مناسباً وموافقاً نظراً لاهمية المركز وثقته الدولة بالبطريرك وانه يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة في انتخاب خلف بكل راحة .

وبعد انصراف والي عجل البطريرك في استقدام المطارنة وعين السابع عشر من اذار حساباً شرقياً موعداً للمذاكرة في شؤون الطائفة وما يؤول الى صالح الكنيسة وخيرها . وتقاعد المطارنة الا احدهم السيد نيقوذيموس متروبوليت عكار . فاستعد البطريرك للسفر وانفذ خبراً الى الوفد المقدسي يستقدمه الى دمشق فجاء هذا الوفد وفيه بتريكبيوس مطران عكة والارشمنديت فوطيوس الصغير .

وفي الثامن والعشرين من اذار حساباً شرقياً استدعى البطريرك المطارنة والكهنة واعضاء القوميسيون وتلا على مسامعهم استعفاءه من الكرسي الانطاكي . وامر ان يدرج في سجل البطريركية فأدرجوه ووقع عليه بخط يده واهم ما جاء فيه ما يلي :

« ان ارتباطنا عظيم من الكنيستين . في الاولى ولدنا وتربينا وكبرنا وفيها قصصنا شعر راسنا وخدمتها تركنا العالم واقسمنا باننا سنكون منصيين اليها حتى آخر نسمة من حياتنا . وفي الثانية نخدم بامانة وكنا نؤمل ان كل حياتنا ستصرف لاجلها . تلك امنا تستدعينا وهذه تملك عقلنا وقلبنا وفؤادنا . فالعمل انخالف الرحمة الالهية حاشا وكلا ! » ان كنا نعيش بالروح فللروح نخضع « وكيف نناقض نعمة الله طالما الرسول يصرخ « لا اناقض نعمة الله » . وهكذا بحسب قوانا

الضعيفة وبحسب ارادة ذلك الذي قوته بالضعف تكمل تؤمل في اننا نساعد على خدمة ليست مختصة بهذه الكنيسة فقط او بتلك بل شاملة كل جسد الكنيسة التي نحن اعضاءها متحدين بجسم واحد تحت راس واحد احننا ومخلصنا وربنا يسوع المسيح . وبانفصالنا عنكم نرجوكم ونعظكم قائلين احترسوا لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم فيها الروح القدس اساقفة وارعوها بخوف الله وبمحببة الرعية . واهربوا بكل اجتهاد من كل مستجد يزعج سلام الكنيسة والنظام السائد فيها بدون ان تنسوا المعنة التي وضعها الرسول بولس معلم هذه الكنيسة ضد من يخترع اموراً مستجلة ويدخل غير ما تسلمتموه واحفظوا الودعة سالمة » .

وفي السابع من نيسان احتفل البطريرك بقداس جبري وبارك الشعب في ختامه واستودعه الله . ثم ركب وبطانته والوفد الاوروشيمني العربات قاصدين بيروت . وساروا توالاً الى شتورة حيث قضوا الليل فلقبهم فيها جراسيموس (بارد) متروبوليت زحلة وتوابعها ففند للبطريرك قوله في الاستعفاء وأكد له ان لا يجمع ولا كنيسة يمكنها ارغامه على قبول الانتقال من كرسي الى اخر طالما هو مستوٍ على الكرسي الرسولي الانطاكي وان حجة غبطته في وجوب الرضوخ الى ارادة الباب العالي واهية . وتابع البطريرك السير فوصل بيروت مساء الاثنين . ويوم الاربعاء العاشر من نيسان ركب الباخرة الحديدية الى يافا . وقام على وداعه اهالي بيروت احسن قيام فشيعوه حتى البحر مستمطرين بركاته وداعين له بالسلامة .

تسرع الاب هنري موسى : وفي السابع عشر من نيسان سنة ١٨٩١ أدرجت صحيفة النيولوغس اليونانية رسالة صدرت عن بيروت وتضمنت خبر استعفاء البطريرك . ومما جاء في هذه الرسالة ان شعائر الشعب الانطاكي تحركت وانهم بكوا لما علموا ان بطريركهم استعفى وان البطريرك توجع قلبه وتمزق ولكنه قضى ست سنوات « في ارض قحلة غير مضيقة الغريب » . فانهى للرد على هذا الكلام الأخير سليمان الجهنبي فأثبت في كتابه الخلاصة الوافية وفي الصفحة ١٩ ما دخل على البطريرك جراسيموس مدة وجوده في الكرسي (١٨٨٥ - ١٨٩١) فجعله نقلاً عن السجل البطريركي ١١٤٩٣ ليرة عثمانية . وقال ان الكرسي الانطاكي فقير بالنسبة الى الكرسي الاوروشيمني .

وتولى الاب هنري موسى الابيض تدريس التاريخ الكنسي في مدرسة القديسة حنة في اوروشليم وأعد كتاباً في موضوعه اسماء تاريخ النصراية ولا سيما في الشرق . واتى في الجزء الثالث على تاريخ الكرسي الانطاكي في القرن التاسع عشر فجعلهم البطاركة الارثوذكسيين جمع المال ونقله الى ذويهم وقال عن جراسيموس الطيب الذكر : « انه جزء الرعية ونهبها فخطف من دمشق احد عشر الف ليرة عثمانية » (١) . والواقع ان هذا المبلغ يمثل دخل الكرسي في ست سنوات ولا يشمل النفقات . وكان يحذر هذا الاب الفاضل رحمه الله ان يذكر ان مثل هذا التسرع لا يقرب وحدة الكنيسة وان العلاج الوحيد لجمع الصفوف هو المحبة تلك التي « تتأني وترفق ولا تظن السوء » !

دخل الكرسي البطريركي : (١٨٨٥ - ١٨٩١) وقد يفيد ان نفصل الكلام في هذا الموضوع . فقد بلغ مجموع دخل الاوقاف في بسارية في هذه السنوات الست ١٦١٣ ليرة عثمانية وربع الاديرة البطريركية ١٦٥٨ ليرة ومن مطارنة الكرسي ١٧١ ومن دمشق والميدان ٣٦٩ ومن الجولة الرعائية ٨٣٨ ومن القداصات ٤٥١ ومن كويونات عثمانية ٦٢ ومن برآت ووسامات ١٣٦ ومن راتب دولة اليونان ٢٢٣٩ ومن حسنات للمدرسة الاكليريكية ٢٢٧ ومن حسنات من روسية ١٨٦ ومن اخوية القبر المقدس ١٨٠٣ ومن بيوع متفرقة ٤٤٧ ومن انطاكية ١٩٥ ومن حسنات لكنيسة كفرمشكي (سنة ١٨٨٦) ٦١ ومن حوالات ٣٥٥ ومن حسنة من الغراندوقات الروس ٥٤ ومن مطران سلفكية ٢٥ ومن دير موسكو ١٣ ومن وقفية في روسية ٣٨ ومن ديون جرى استقراضها ١٧٢ ومن فضلة رصيد ٨٧٣ .

* * *

1) Musset, H., Hist. du Christ. Spécialement en Orient, III, 152 - 153.

الفصل الثاني والخمسون

اسيريدون وملاتيوس

سيرافيم القاققام البطريركي : ولدى خروج البطريرك جراسيموس من دمشق دعا المطارنة الثلاثة سيرافيم واغابايوس ونيقوديموس وجوه الطائفة وكهنتها الى اجتماع يبحثون فيه امر تعيين قاققام بطريركي . فرغب البعض السلوك في ذلك بموجب القوانين الكنسية اي بتفويض مطارنسة ابرشيات الكرسي في تسمية من يشاؤون . فعارضهم في ذلك فريق اصر على تسمية السيد سيرافيم لانه اكبر المطارنة سناً ولانه سبق ان قام بالوكالة بعد وفاة الطيب الذكر البطريرك ايروثيوس . وكتب سيرافيم بذلك الى اساقفة الكرسي لاستجلاب موافقتهم فأجاب بعضهم موافقاً ولزم آخرون الصمت . ثم قدمت عريضة بذلك الى الوالي فرفعت لمحليها وصدق عليها .

تشاغل الافكار في انتخاب الخلف : واتجهت بعض الحواطر الى انتخاب البطريرك الجديد من اساقفة المجمع الانطاكي وان تعذر ذلك لاختلاف يقع بين الاساقفة يلجأ الى انتخاب يواكيم الرابع البطريرك القسطنطيني المستقيل او احد اساقفة الكرسي القسطنطيني . وقال آخرون بانتخاب البطريرك بين اساقفة الكرسي الاوروشيمني . وكان قد ساعد على هذا القول البطريرك جراسيموس نفسه . واذاف هؤلاء ان الكرسي الانطاكي فقير وان حاجاته متنوعة متعددة وان الاولى تفضيل رهبان القبر المقدس وفيهم جماعة قد ادخروا الاموال « فان اتينا باحدهم كفانا مؤونة الفقر والحاجة » وخصوا بالذكر انثيموس مطران بيت لحم وبتريكيوس مطران عكة واسيريدونس مطران طابور .

الجرائد اليونانية : وبينما كان الشعب الانطاكي ينتظر التمام الاساقفة

كانت الجرائد اليونانية تدعو لانتخاب يوناني للكرسي الانطاكي . وبين هذه الجرائد جريدة النيولوجس وجريدة بالنيكيسيا في اثينة وجريدة ميثارثيميسيس في الاسكندرية . وجاء في هذه الجريدة الاخيرة في عددها الصادر في الرابع من حزيران سنة ١٨٩٢ ان الانطاكيين يرغبون في ان يروا مطراناً وطنياً يرأسهم ولكن هذه الرغبة لا تتفق ومصلحة الكرسي الانطاكي والكنيسة جمعاء والمصلحة اليونانية وذلك للأسباب التالية : ١) لانه لا يوجد وطني لاهوتي والكنيسة الانطاكية في حاجة الى فصاحة يوحنا الذهبي الفم وقوة فوطيوس لتقاوم بهما الدعايات التي تحيط بها . ٢) لانه يتعذر على الوطني ان يسطو على من يعرف اصله وفصله . ٣) لان رئيس هذا الحزب او ذاك له اصدقاء يقاومونه . ٤) لانه يتعذر على بطريرك وطني التوفيق بين مصالح رعيته ورغبات الباب العالي .

ملاطيوس اليافاوي : وجاء بيروت تاجر يوناني اسمه ملاطيوس يدعو لاسبيريدون متروبوليت طابور واتصل بقنصل اليونان المسيو ماريناكي وبخليل الخوري « مأمور بوليتيكة ولاية سورية وترجمانها » . وتفاوض هؤلاء الثلاثة في الأمر وأشاروا بقيام احدهم ملاطيوس الى دمشق وباتصاله بوكيل قنصل اليونان فيها وبيعض وجهاء الروم . ففعل ملاطيوس واتصل وسرت اشاعة في دمشق ان اسبيريدون مستعد لشراء عقار في دمشق بمبلغ عشرة الاف ليرة ولحبسه على الكرسي الانطاكي وفقاً مؤبداً .

الارثوذكسيون جميعهم واحد : وخرج عاصم باشا والي سورية بتفقد أنحاء الولاية . فجاء المعلقة مركز قضاء البقاع . ووفد عليه جراسيموس (بارد) العالم مسلماً مهتماً . فرحب به الوالي وأخذ في الحديث الى ان أتيا على ذكر الانتخاب البطريكي . فقال الوالي أظن ان الانتخاب سيجري في وقت قريب . فأجابه جراسيموس نعم سيجتمع المطارنة في دمشق لهذه الغاية . فقال الوالي أظن لا يخلو الانتخاب من بعض الصعوبات . فأجاب المطران لا بد من الصعوبات ولكنها ستذلل بتوجيهات الدولة . فقال الوالي تسهل اذا بقي القديم على قدمه وقد جرت العادة ان ينتخب غريب لهذه الوظيفة ولا يجب الآن الخروج عن هذه

الخطوة . فأجاب جراسيموس جوابه التاريخي : « لا يوجد بين الارثوذكسيين غريب وقريب لأن الكل واحد . وهم جميعاً متساووا الحقوق . ولا شك في انه يجب ان يكون المنتخب ذا خبرة في الامور عارفاً مشرب البلاد ولغة الأهالي متعلقاً أشد التعلق بالارثوذكسية العثمانية يفرح لفرح الأهالي ويبيكي لبكاهم » .

وبينا كان عاصم باشا في المعلقة جاءه خليل افندي الخوري قادماً من بيروت ليعرض على مسامحة اشياء واشياء كان قد اتفق عليها مع قنصل اليونان ورسول اسبيريدون .

ملاطيوس و خليل : ورحل خليل على عجل واقبل على دمشق قبل وصول المطارنة بيوم واحد . ولم يلبث ان وافاه الى فندق فيكتورية ملاطيوس رسول اسبيريدون وأقاما في دار واحدة يجتمعان في كل آونة . وحمل ملاطيوس نعهداً خطياً من اسبيريدون الى جبرائيل افندي اسبر بالعربية انه اذا تمت المسألة يدفع المبلغ وارفق سفتجة بعشرة الاف ليرة من محل فروتيكر في القدس لامر اسبيريدون . فلم تحظ قبولا . فكتب ملاطيوس الى القدس فجاءت سفتجة بالافرنسية من محل فروتيكر مفادها ان اسبيريدون اودع المحل المرقوم عشرة الاف ليرة فرنساوية تحت امره وامر جبرائيل افندي اسبر والياس افندي قدسي حتى اذا صار انتخابه للبطريركية تدفع بواسطة البنك العثماني في بيروت يوم تثبيت الانتخاب وتستخدم في اقتناء عقارات بمعرفة لجنة مخصوصة تحت رئاسة الواهب مؤلفة من كبار الاكليروس والعامّة لنفع الكرسي .

الدعاية لاسبيريدون : وطلق الوجوه يخابرون من اجتمع بدمشق من المطارنة ويستطلعون أفكارهم . وأجهدوا النفس في الدعاية لاسبيريدون لكثرة ماله وما يترتب على ذلك من النفع للكرسي . ثم هددوا فقالوا ان الحكومة اليونانية قد تقطع الاعانة السنوية البالغة عشرة الاف فرنك التي خصصتها الى السيد جراسيموس بل قد لا تتمكننا من استغلال المال الذي حبسه ايروثيوس في بنك اثينة ودخله لا يقل عن الخمس مئة ليرة . وقد نخرم اذا استوى على الكرسي الانطاكي غير اسبيريدون من خدمات وكيل البطريرك الاوروشليمي في الآستانة

وقد تمتع من مساعدة البطريك المسكوني .

المجمع الانطاكي: وبعد ان اكتمل عدد المطارنة المجتمعين في دمشق عقدوا مجمعا ابتداء من الثاني والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ وذلك برئاسة المطران سيرايم . وهاك بيان أعمال الجلسة الاولى نقلا عن السجل البطريكي :

« انه في يوم السبت الواقع في ٢٢ حزيران سنة ١٨٩١ التأم تحت رئاسة القائم مقام البطريكي نياقة مطران اريثوبوليس كيربوس سيرايم هيئة المجمع الانطاكي المقدس مؤلفة من السادة ملاتيوس مطران اللاذقية وميخائيل مطران صور وصيدا وغفرانيل مطران بيروت ولبنان واغاييوس مطران اداسيس وجرماتوس مطران ترسيم ونيقوديموس مطران عكار واثناسيوس مطران حمص وجراسيموس مطران زحلة وغريغوريوس مطران طرابلس .

« وبعد الصلاة الاعتادية قال سيادة القائم مقام ان اول مسئله يظن بوجود الابتداء بها مسئله انتخاب المرشحين وقال ان للكرسي الانطاكي الحق ان ينتخب من يشاء ومن ايسة كنيسة كانت . فاجابه مطران اللاذقية نعم ان كرسينا حر ويوجد فيه مطارسة بهم كل اللياقة ليكونوا مرشحين ولذلك اظن انه يمكننا الانتكار بانتخاب بطريك من اكليروس الكرسي . وسيادة مطران صور وصيدا وافق على ذلك قائلاً يجب الا يكون المنتخب من خارج الدائرة . وسيادة مطران بيروت وسيادة مطران اداسيس وافق على ذلك . اما سيادة مطران ترسيم فقال انه يجب ان ندق في هل مجمعا هذا قانوني وهل يمكن ان ينتخب بطريكا للكنيسة بدون ادنى مانع . فطلب سيادة مطران طرابلس الايضاح عن ذلك . وبعد المذاكرة تقرر ان المجمع قانوني وله ملء الحق ان يباشر العمل .

« ثم بحث المسائل الآتية : من هم المرشحون عن المرشحون وكيف يرشحون . وجرت مذاكرة كثيرة بهذه المواد الثلاثة انتهت الى القرارات الآتية : اولاً ان شعب دمشق وانطاكية التابعة للكرسي الانطاكي راساً وشعب حلب وديار بكر الارشيتين المترملتين لهم الحق ان يرشحوا كل على حدة مثل واحد من الاساقفة . ثانياً ان يكون عدد المرشحين من واحد الى ثلاثة من كل من له حق الترشيح . ثالثاً بخصوص مسئله من يرشح تقرر انه لما كانت الظروف التي جعلت الكنيسة الانطاكية ان تنتخب سابقاً بطاركة من خارج كرسيتها قد زالت ومضت وهذا ذلك يوجد اليوم بين ابناء الكنيسة اشخاص فيهم كل اللياقة الكنائسية والخبرة الادارية ليكونوا بطاركة بنعمة من قال « ان قوته بالضعف تكمل » لذلك لا نرى ضرورة ولا حاجة لتوجيه الانظار الى خارج دائرة الكرسي الانطاكي . وقد وافق على ذلك السادة المطارنة ملاتيوس وميخائيل وغفرانيل واغاييوس واثناسيوس وجراسيموس وغريغوريوس . اما سيادة المطارنة سيرايم وجرماتوس ونيقوديموس فقد قالوا عن هذا القرار انه يجب ان يحفظ الحق بحرية الترشيح من ابناء الكرسي الانطاكي ومن غيره ايضاً . وهل هذا وافق ايضاً المطران ميخائيل .

وفي الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ اجتمع اعيان دمشق وكهنتها خمسة واربعين ورأس اجتماعهم سيرايم . وحضر الاجتماع معاونه اغاييوس . وتغيب عن الحضور ستة من وجوه الطائفة اولئك الذين كانوا يعملون لاسبريدون . فرشح المجتمعون مطارنة بيروت واللاذقية وحماة .

وفي السابع والعشرين من الشهر نفسه عاد عاصم باشا الى دمشق فذهب المطارنة للسلام فاقتبلهم بالرعاية والاكرام . وأظهر ارتياحه الى وجود الراحة والوفاق في انتخاب بطريك جديد يتحلى بالصفات المطلوبة وان يكون ذلك حسب العادة السابقة . وقال ايضاً انه يود بقاء الاتفاق بين كنيسة الآستانة ودمشق وان انتخاب البطريك على وجهين روحي وسياسي . أما الوجه الروحي فلا دخل له فيه وأما السياسي فله فيه نظر . وانصرف المطارنة شاكرين . وفي اليوم التالي الثامن والعشرين عقدوا جلسة مجمعية ثانية هذا ضبطها :

« انه في يوم الجمعة الواقع في ٢٨ حزيران سنة ١٨٩١ التأم هيئة المجمع المقدس بحضور السادات المطارنة المذكورين في الجلسة الاولى . وبعد الصلاة وقراءة اعمال الجلسة الماضية والتوقيع عليها طرح سيادة القائم مقام تلغرافين من انطاكية أحدهما باسمه بتاريخ ٢٣ حزيران بامضاء كهنة انطاكية ونصه : « سيادتكم وكيلنا من قبلنا بالانتخاب » والآخر بتاريخ ٢٦ حزيران بامضاء طائفة الروم الارثوذكس بانطاكية ونصه : « نوكل الثماس بولس عقل (اي عضل) نفوضه بترشيح من يكون اهلاً للبطركية » . وجرت المذاكرة بشأن هذا الاختلاف وتقرر انه لما كان توكيل اثنين من بلدة واحدة غير ممكن اقتضى ان تجري مخابرة الكهنة والمباني في انطاكية هكذا : « عينوا اكليريكمياً واحداً للترشيح من قبل عموم الكهنة والشعب . ثم تقرر تعيين سيادة مطران اللاذقية ومطران اداسيس ومطران زحلة ومطران طرابلس ليؤلفوا قانوناً يجري عليه غبطة البطريك المستقبل في ادارة الكرسي والاديرة والاقواف .

« ثم طرحت المسئلة الآتية : هل تقبل وكالة احد المطارنة لأجل الترشيح للبطركية اذا تعين من قبل مطران آخر غائب او من ابرشية خالية من راع بما انه في اعمال الجلسة السابقة من الدور الثاني بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٨٨٩ ذكر ما يأتي بخصوص العادة الجارية هنذا وقت انتخاب مطران ما اي ان المطارنة الذين لا يحضرون بانفسهم وقت الانتخاب عوضاً عن ان يرسلوا ورقة انتخابهم الى البطركية يوكلون بعض المطارنة الموجودين هنا الذين يكون لهم وقتش صوبتان او ثلاثة . . . تقرر باتفاق الاصوات انه وقت اجراء انتخاب ما يجوز اعطاء الصوت فقط للمطارنة الذين يحضرون شخصياً وللذين يرسلون اوراق انتخابهم واما اعطاء الصوت بالنيابة عن

احد فلا يكون مقبولا في المستقبل » فتقرر انه بما ان ذلك القرار لم يتبلغ لباقي المطارنة وللارشيات الخالية والقرار المذكور يصرح عن انتخاب اسقف الابرشية لا عن انتخاب البطريرك لذلك يجوز للوكيل ان يقدم صوتين عنه وعن موكله بشرط ان يكون الصوتان بالاسماء ذاتها .

الوالي والترشيح : وفي التاسع والعشرين من حزيران يوم عيد هامتي الرسل بعث عاصم باشا ترجمانه خليل افندي الخوري يبلغ المطارنة ورود برقية من الصدارة توجب الاسراع في تنظيم دفتر بأسماء من يجدون اهلا للانتخاب والى تقديمه الى الباب العالي عملا بنص القانون الساري المفعول لانتخاب بطريرك في الآستانة . وفي اول تموز جاء الوالي نفسه فقال بالعربية عهدت الى خليل افندي ان يبلغكم الأمر الصادر من الصدارة العظمى بالاسراع في الترشيح وتقديم دفتر بمن تشاؤون بحرية وبعد ان يرجع اليكم الدفتر تنتخبون ثلاثة ذوات من الذوات المصدق عليهم وتضعون الى الكنيسة وفيها تقررعون على واحد منهم سراً . قال هذا وأشار الى النظام العمومي المختص بانتخاب بطريرك القسطنطينية ثم انصرف .

الترشيح : وفي الثاني من تموز سنة ١٨٩١ عقد المجمع جلسته الثالثة للترشيح . فبلغ عدد من اشترك في الترشيح ستة عشر وهم شعب انطاكية وقد ناب عنه الشماس بولس ابي عضل وشعب دمشق ومطارنة بيروت واللاذقية وحص وطرابلس وزحلة وترسيس وعكار وصور وصيدا وسيرافيم ابرينوبوليس واغابوس اداسيس وناب عن مطران حماة مطران اللاذقية . واستناب مطران ارضروم سيرافيم . وناب نيقوذيموس عن أبرشية ديار بكر . وبلغ عدد الذوات المرشحين عشرة أحد ذاتاً .

ورفع المطارنة هذه النتيجة الى ولاية سورية مع دفتر الذوات الذين انتخبوا ووجدت فيهم الاهلية لتبوء الكرسي البطريركي :

« اننا نحن العاجزين مطارنة الابرشيات المنصوبة للكرسي البطريركي الانطاكي بنعمة الله تعالى وبانظال الظليل الشاهاني قد اجتمعنا في مركز الكرسي هذا دمشق لانتخاب خلف لنبطة البطريرك جراسيموس المستقيل . وباتفاق اصوات من لم يحق الترشيح قد جرى الترشيح فأصاب احد عشر ذاتاً اسماءهم مدونة بذيله مع بيان ما اكتسبه كل واحد من الاصوات بناء ان ننتخب واحداً من

الذوات الموما اليهم بطريركاً للكرسي الانطاكي بحسب قوانين كنيستنا الارثوذكسية . فنلتس من دولكم مخبرة الباب العالي بذلك وايضاح الكيفية لمعاليه والتكرم باستحصا الجواب . وبكل حال الأمر لمن له الامر أفندم .

عدد الاصوات	اسماء الذوات المرشحين
٩	ملاتيوس متروبوليت اللاذقية تسعة
٨	جراسيموس متروبوليت زحلة ثمانية
٧	غفرائيل متروبوليت بيروت سبعة
٦	اسبيريديون متروبوليت طابور ستة
٥	فيلوثيوس متروبوليت ازمير خمسة
٣	اغابوس متروبوليت اداسيس ثلاثة
٣	جرمانوس متروبوليت ترسيس ثلاثة
٣	نيقوذيموس متروبوليت عكار ثلاثة
٢	ميصائيل متروبوليت صور وصيدا اثنين
١	اثناسيوس متروبوليت حص واحد
١	غريغوريوس متروبوليت حماة واحد

فقط احد عشر ذاتاً . الداعي سيرافيم قائمقام البطريركية الانطاكية الداعي ملاتيوس مطران اللاذقية الداعي ميصائيل مطران صور وصيدا الداعي غفرائيل مطران بيروت ولبنان الداعي اغابوس مطران اداسيس الداعي جرمانوس مطران ترسيس واطنة الداعي اثناسيوس مطران حص وقواهما الداعي جراسيموس مطران زحلة وبعلبك وملولا الداعي غريغوريوس مطران طرابلس .

الاحتجاج على ترشيح اسبيريديون : واختلفت الاوساط الارثوذكسية الانطاكية في لياقة اسبيريديون مطران طابور وتشعبت آراؤهم فقدم بعضهم العرائض الى المجمع الانطاكي ملتجئين منع السجس والاضطراب في الكنيسة بعدم انتخاب اسبيريديون « لانه غير متصف بالصفات التي تنطبق على رغائب الشعب ولا استخدام السيمونية » مؤكدين رفضه رفضاً تاماً ورفض المطران الذي يصوت له . ورفعت البرقيات الى الصدارة العظمى . فجاء في احداها : « بينما هؤلاء العبيد قائمون على فريضة الدعاء بزيادة شوكة مولانا الخليفة الاعظم بلغ مسامعنا تشبث المجمع الانطاكي الارثوذكسي بالشام بانتخاب مطران طابور ومطران ازمير مرشحين للبطريركية فبتنا في يأس حيث الذاتين المرقومين لا

يصلحان لتدبير امورنا الروحية . فنسترحم استرحام الازلاء من العواطف الشاهانية ان تنظر بالاشفاق الى عبوديتنا لمنع قبول المرشحين المذكورين » .

وشاع عن اسبيريدون انه اضاع السنين التي قضاه في المدرسة في كسل وبطالة لان الله لم يؤته ذكاء . فسيم شماساً ولبت مدة طويلة في هذه الخدمة ثم شرطن قساً . وتوفي عمه فترك له ثلاثين الف ليرة فاستولى عليها واصبح من ذوي الحل والعقد في دير القدس . وسم مطراناً على جبل طابور فرمم الابنية وزين المعبد فاستجلب الحجاج الروس واستنبت لنفسه ينبوع ثروة من عطايتهم . ثم انتدب وكيلا على دير بيت لحم فساعدته الخط ان جمع من المال مبلغاً كبيراً .

جواب الباب العالي : ولما كان يوم السبت الواقع في ٢٧ تموز سنة ١٨٩١ قام خليل الخوري الى الدار البطريركية وسلم المطارنة المجتمعين فيها تذكرة من والي الولاية جاء فيها ان الصدارة العظمى أمرت باستثناء الافندية مطران زحلة جراسيموس يارد ومطران بيروت وجبل لبنان غفرائيل ومطران اداسيس اغايوس ومطران حمص اثناسيوس ووضع السبعة المطارنة الباقيين للانتخاب وفقاً للاصول وتنظيم المضبطة اللازمة بالذات الذي سيتعين للبطريركية لاجراء مأموريته .

حرب العرائض : وتعارضت اهواء المطارنة فأصر الوطنيون منهم على انتخاب مطران انطاكي للكرسي البطريركي . ورأى اليونانيون منهم غير هذا فانتقضت عقدة المطارنة واضطرب حيلهم . وألف الوطنيون اكثرية فحاول اليونانيون اضعاف هذه الاكثرية فحرموا اغايوس حق التصويت مدعين ان لا ابرشية له . واعترضوا على صوت ابرشية بيروت ولبنان بداعي المرض الذي ألم بغفرائيل . واجتذب دعاة اسبيريدون مطران صور وصيدا . وماتل اليونانيون وامتنعوا عن الاجتماع منتظرين أمراً من الآستانة يؤيد موقفهم من اغايوس وغفرائيل .

واسقط الوطنيون سيرافيم من رتبة القائمقامية محتجين على تحيزه ومماطلته في تطبيق القانون وذلك في اليوم الثاني من آب . وكتبوا بهذا المعنى الى والي واصلوا

ان لقبه « مطران ايرينوبوليس » لقب شرفي . فايرينوبوليس هي سلمية . وسلمية بلدة اسماعيلية لا نصارى فيها ! ثم نُقل الى الوطنيين ان سيرافيم وجرمانوس ونيقوديموس ذهبوا الى بيت رافائيل شامية حيث اجتمعوا بجبرائيل اسبر وجبرائيل شامية وميخائيل صيدح وجبران لويس وسليم شاهين وموسى الصباغ وتشاوروا فأعدوا مضبطة انتخاب وكتبوا في المضبطة انه لدى اجتماع اعضاء مجمع الكرسي الانطاكي واجراء الانتخاب القانوني أصابت الاكثرية سيادة المطران اسبيريدونس فنودي به بطريركاً مع التماس التصديق على انتخابه من الباب العالي . ونُقل ايضاً ان جرمانوس ونيقوديموس وقع هذه المضبطة اما سيرافيم فتمنع فابتدره رافائيل شامية بكلام شديد قادح فوقع على المضبطة وان ميخائيل وقع بدوره . ونقل الى المطارنة الوطنيين ان هذه الوثيقة رفعت الى المقامات الحكومية مشفوعة بعريضة من الشعب تؤيد هذا الانتخاب وترجو تصديقه قطعاً لدابر الفساد . وادعى انصار اسبيريدون ان مرشحهم فاز بخمسة اصوات من ثمانية . اما الخمسة فهم ميخائيل وسيرافيم وجرمانوس ونيقوديموس وبائيسوس . واما الثلاثة المعارضون فهم اثناسيوس وجراسيموس وغريغوريوس حماة . واسقط الاسبيريدونيون صوت مطران بيروت لمرضه وصوت مطران طرابلس لاعطائه الورقة كما علمناه وصوت مطران اللاذقية لكونه مرشحاً لاصوت له وصوت اغايوس لانه لا ابرشية له .

فاتحج المطارنة الوطنيون بعريضة قدموها الى والي سورية في السابع من آب سنة ١٨٩١ وبرقتين رفعوها الى الصدارة ونظارة المذاهب والاديان . وهاك بعض ما جاء في برقية الصدارة .

ان المخدورية والاجحاف بحقوقنا الدينية والمالية وحجز الحرية الممنوحة لنا بشأن انتخاب بطريرك الكرسي الانطاكي بحسب قواعد ديننا وعوائدنا المرعية الاجراء واسر ارادتنا باشياء مستجدة من قبل دولتلو عاصم باشا والي سورية وصلت الى درجة اضطهاد عنيف .

« اولاً : منع بواسطة القائمقام البطريركي جلسة المجمع يوم الخميس غرة الجاري المعينة لاجل

الانتخاب . ثانياً : لم يسمح بالجلسة الانتخابية في ثاني آب . ثالثاً : اقتبل من القائمقام البطريركي ومطراني ترسيم وعكار اليوناني الجنس تهماً وأراجيف بحق بعض المطارنة وبلغنا انه عرضها للمراجع العالية بدون ان يفحص او يسأل أحداً منا عنها . رابعاً : عارض حرية الانتخاب بمنع احدنا اغاييوس من حق الاقتراح . خامساً : لم يأخذ استرحاماتنا بعين الاعتبار وظهر ميلاً نحو مطران ترسيم الذي صدر الامر السامي بعزله سنة ١٣٠٥ الذي صرح في احد اجتماعاتنا بعدم امنيته بالدولة العلية واعلن ان مسيحي الشرق اذا تركوا من حاية الدولة اليونانية يعدمون حقوقهم الامر الذي تبلغ لمسامع دولته . سادساً : أبطل عاداتنا الدينية في انه قسم المجمع شطرين وطلب الى القسم الاقل عدداً ان يقدم له مضبطة انتخاب بدون اشتراك القسم الاكثر . وصرح لنا نحن القسم الاكبر بانسه يقبل مضبطة اخرى ينتخب اخر . فاجبتا دولته في الحال بان هذا مناف لقواعد ديننا . وانما كان ذلك منه بقصد تهديد السبيل لايصال اسبيريدون افندي مطران طابور الى البطريركية بطريق الرشوة والسيمونيا . سابماً : لم يكتف دولته بغض النظر عن تعدييات القائمقام البطريركي بل تعصب له ودافع عنه بالشدة والتهديد وتصويب جميع ما اجراه . ثامناً : اقتبل مضبطة لفقت في بيت احد الافنديه تجكي عن انتخاب اسبيريدون افندي الامر الذي لم يجر قط لانه للان ما عقدنا جمعية التفريق ولا صار اختيار ثلاثة اسماء .

« فبناء على جميع ذلك نسترحم تحويلنا الحرية الدينية بانتخاب بطريرك لكرسينا بمقتضى قوانين كنيسة الروم الشرقية وعواظنا القديمة المرعية الاجراء واعطاءنا الامنية على انفسنا مدة وجودنا ضمن ولاية سورية من الظلم لتتمكن من اتمام عملنا بوجه السرعة وبحسب قوانين كنيستنا ورضاً عظمة مولانا الخليفة الاعظم » (١) .

ولجأ الاسبيريدونيون الى استباق الحوادث فاذا عوا خبر فوز مرشحهم وتناقضته الصحف اليونانية كجريدة امالثيا اليونانية التي كانت تصدر في ازميز . فانها نشرت في الثالث عشر من آب خبر انتخاب اسبيريدون ولحسة من تاريخ حياته . ويلاحظ هنا ان جل ما قالته هذه الصحيفة الموالية لاسبيريدون انه في الخامسة والخمسين من عمره وانه ليس من المتعلمين بحسب الاصول ولكنه من الحاذرين على خبرة كافية في الامور الكنسية . وأشارت هذه الصحيفة الى ان اسبيريدون كما يحمل الى الكرسي مبلغ عشرة الاف ليرة من ماله الخاص عربوناً له ليقوم باحتياجات كنيسة انطاكية الكثيرة المتعددة الانواع .

واحتج الوطنيون لدى السلطات المحلية والمركزية بلهجة قوية (٢) فاضطر

الباب العالي ان يبطل مفعول المضبطة الانتخابية التي انفردها مؤيدو اسبيريدون . وصدرت جريدة امالثيا نفسها في الحادي والعشرين من آب تكذب نبأ انتخاب اسبيريدون . وجاء في جريدة المونيتور اورنيتال الصادرة في الآستانة بالفرنسية والانكليزية ان الباب العالي بعد مخبرات طويلة مع ولايتي سورية وبيروت اصدر الامر بالغاء الانتخاب لعدم انطباقه على القانون وان الصدر الاعظم كامل باشا ابلى السلطات المحلية ان لا فرق عند الدولة اذا كان البطريرك من ابناء البلاد او غريباً عنها وان رغبتها منصرفة الى ان يجري الانتخاب بحسب النظام وان يكون المنتخب من ذوي الاهلية والاستحقاق وحائزاً على ثقة الحكومة .

روسية والانتخاب : وادعى الاسبيريدونيون ان سليم افندي طراد نزيل دمشق آتتد جاء رسولا من قبل قنصلية روسية في بيروت ليحرك المطارنة والشعب ويغريهم على انتخاب بطريرك وطني . فاضطر قنصل روسية في دمشق ان يصرح « وينادي على اعلا السطوح انه صدر له الامر من حكومته بتجنيب كل مداخلة في الانتخاب اذ ليس لروسية ارب في المسألة البطريركية ولا غاية لها لتسعى في طلبها فسيان عندها من ينتخب » . ولزم القنصل العزلة وبذل النصيح الى المطارنة ان يتفقوا وينتخبوا واحداً ايأ كان (١) .

تدخل الباب العالي : واعلن الباب العالي رأيه في النزاع القائم بين الوطنيين والاسبيريدونيين حول حق بعض المطارنة في التصويت فجاء في صالح الاسبيريدونيين . وادعى الباب العالي المحافظة على الحرية الدينية والقوانين المذهبية فاستفتى بطريركية القسطنطينية في حق اغاييوس وسيرافيم في التصويت . فأجابت هذه البطريركية ان المطران التيتولاريوس هو ذاك الذي لا ابرشية له ولا شعب يدبر شؤونه وان هذا النوع من المطارنة لا حق له في الاشتراك بانتخاب البطارقة عملاً بالقوانين الكنسية . ولم يقف الباب العالي عند هذا الحد بل ذهب الى ابعاد من ذلك في تأييد الاسبيريدونيين فحرم متروبوليت بيروت من حق التصويت بداعي العجز الصحي العقلي !

وفي الثامن والعشرين من ايلول سنة ١٨٩١ ذهب ترجمان الولاية خليل افندي الخوري الى الدار البطريركية وجمع المطارنة ودفع اليهم بكتابة رسمية هذا تعريبها :

« الى قائمقام بطريركية انطاكية: رتبتمو افندي : انه قبلاً تقدم للباب العالي الاوراق التي اعطيت من قبل المطارنة الذين اجتمعوا في دمشق بناء على تحويل مأمورية رتبتمو جراسيموس افندي الى بطريركية القدس الشريف لانتخاب ذات مواء لبطريركية انطاكية التي أضحت محلولة . وهذه الاوراق هي التي اعطيت للولاية من الطرفين حاوية بعض اختلاف اراء وقع بينهم .

» وبما انه قد صدر الامر والاشعار من مقام الصدارة السامي بتلغراف مؤرخ في ٢٦ ايلول سنة ١٣٠٧ بأنه لما كان من مقتضى القرار العالي المنيق استثناء غفرانيل افندي مطران بيروت واغاييوس افندي من اعطاء الرأي يجب ان يجتمع باقي المطارنة ويقدموا بسرعة المضبطة اللازمة بخصوص الذات الذي يلتخبونه لبطريركية انطاكية المذكورة ضمن دائرة الاصول . بناء عليه ابتدر لترقيم هذه التذكرة المخصوصة كي بعد استثناء الموما اليها غفرانيل افندي واغاييوس افندي من اعطاء الرأي بموجب القرار العالي يجتمع باقي الاساقفة ويجروا سريعاً اصول الانتخاب ويسرعوا الى اعطاء المضبطة اللازمة لجانب الولاية لاجل تقديمها لمركز الدولة افندم . في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٩ و ٢٨ ايلول سنة ١٣٠٧ والي سورية .

ولما تلئت هذه الكتابة على مسمع من المطارنة استغربها بعضهم وعجبوا من استثناء مطران بيروت بعد ان قدموا الشهادات الطبية اللازمة بسلامة عقله (١) .

(١) حضرات الاجلاء الافاضل رئيس واعضاء الجمعية الخيرية الارثوذكسية : جواباً على تحريركم رقم تاريخه تفيدكم ان ما كان حصل الى سيادة السيد الجليل غفرانيل مطران بيروت ولبنان هو مجرد احتقان دماغي بسيط اشتدت اعراضه ليلة الاربعاء في ٢٣ تموز سنة ٩١ . والحمد لله بواسطة المداكرة لم يحدث عن ذلك لا فالج ولا خلل في الوظائف العقلية . وقد أخذت صحة سيادته بالتحسن يوماً فيوماً سوى انه بحالة ضعف قليل يؤمل زواله عن قريب . وهو الآن يتمتع بصحة الجسم والعقل . كاتبه الدكتور حبيب طوبجي في ٢ آب ١٨٩١ .

فقال ملاتيوس متروبوليت اللاذقية : نسألك يا سعادة خليل افندي عن السبب الذي استثنى لاجله غفرانيل . فأجابته انا لست مأموراً ان اعطيك ايضاحات . فهذه أوامر الباب العالي عليكم الامتثال لها . ومن اراد ان يعترض عليها فليقدم بذلك . وأضاف وانا مأمور ان اخبركم انه لا يجوز لاحد ان يعترض بكتابة شيء ما على مضبطة الانتخاب ولا يقبل منكم ذلك . وانصرف فأتم رغبة الوالي في ان يسطو على المطارنة فلا يعترض احدهم ولا يتأخروا عن اتمام الانتخاب مخافة ان يرشقوا بالتمرد والعصيان على اوامر السلطان . ثم وفدت عليهم الرسالة التالية من القائمقام البطريركي .

« بعد المصافحة الاخوية : هذا النهار صدر امر عالي من الولاية الجليلة مبني على تلغراف وارد من جانب الصدارة العظمى بقرار عالي مؤرخ في ٢٨ ايلول سنة ١٣٠٧ مضمونه السامي استثناء اخوتنا بالرب المطران غفرانيل مطران بيروت والمطران اغاييوس من اعطاء الرأي بالانتخاب المزمعين تجريه بتعيين خلف للبطريركية الانطاكية وان يصير اجتماعنا لتمام الانتخاب وتقديم المضبطة باللي يجوز اكرية الاراء البطريركية الانطاكية بالسرعة يصير تقديمها لجانب الباب العالي لتصدر عليها الارادة السنية حسب الاصول . وهذا الامر صارت قراءته علناً على اخوتكم بمعرفة المأمور المعين لتسليمه وهو سعادتمو خليل افندي الخوري ترجمان ولاية سورية الجليلة هذا النهار .

» وحيث المضمون المسارعة بالانتخاب فعليه قد عينا الساعة الثانية صباحاً من نهار الاثنين القادم الواقع في ٣٠ الجاري للاجتماع في قاعة البطريركية لاجل الانتخاب القانوني للبطريركية وضمن الكنيسة المقدسة حسب الاصول الكنائسية واستمداد الروح الكلي قدسه . فتؤمل من اخوتكم توقيع انضاء اتمكم على هذا بالقبول حيث انه بالوقت المعين تجدونا بانتظاركم ضمن قاعة البطريركية المعدة للاجتماع . ونتمنته تعالى لتكن معنا وفيما بيننا دائماً . في ٢٨ ايلول سنة ١٨٩١ . اخوكم بالمسيح سيرايم مطران ايرينوبوليس قائمقام البطريركية الانطاكية بالشام .

وتبلغ المطارنة نص هذه المذكرة و اشاروا بوجوب عقد جمعية التفريق قبل الانتخاب ووجوب التحرير للمرشحين من الكرسي فيلوثيوس مطران نيقيوميذية واسبيريدون مطران طابور ليصرحا رسمياً بقبول الترشيح .

اسبيريدون بطريرك انطاكية : وأبرق المطران سيرايم الى المطران اسبيريدون والمطران فيلوثيوس يطلب موافقتها على الترشيح . فامتنع فيلوثيوس عن القبول وأبرق اسبيريدون انه اذا شئت العناية الالهية انتخابه فيخضع شاكراً .

وجاء جبرائيل افندي اسبر واطلع المطارنة على التعهد الذي بيده بالعشرة آلاف ليرة . فطلب المطارنة تعهداً جديداً بأن القيمة المذكورة تحبس على اعمال السبر والتعليم . فأبرق جبرائيل بذلك . فأجاب اخو اسبيريدون . ما الفائدة من تكرار التأمينات وعندكم وثيقة كافية وافية . وصرح جرمانوس مطران ترسيس ونيقوديموس مطران عكار بانسحابها من الترشيح فلم يبق سوى ثلاثة من السبعة المرشحين وهم ملاتيوس مطران اللاذقية وغريغوريوس مطران حماة واسبيريدون مطران طابور .

وفي الثاني من تشرين الاول سنة ١٨٩١ عقد المطارنة مجمعاً حافلاً وبعد اجراء رسوم التفريق اي بعد تسطير اسماء المرشحين الثلاثة دخل المطارنة الكنيسة واجروا فيها اقتراعاً سريعاً فأصابت الاكثرية اسبيريدون مطران طابور . وهي اكثرية مؤلفة من مطارنة ايرينوبوليس وارضروم وترسيس وعكار وصور وصيدا وزحلة وحماة . وأصاب السيد ملاتيوس صوتان وأصاب مطران حماة صوت واحد . ونودي باسبيريدون بطريركاً على انطاكية في الكنيسة الكاثدرائية . ودونت اعمال الانتخاب في السجل البطريركي بنص مماثل كل الماثلة لنص انتخاب جراسيموس البطريرك السابق . وقد سبق اثبات هذا النص فليراجع في محله . ووقع المطارنة اشعاراً بالانتخاب رفعوه الى السلطات العثمانية .

قانون الانتخاب البطريركي : (١٨٩١) وكان هذا المجمع الانطاكي قد انتدب في جلسته الثانية في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ كلا من مطران اللاذقية ومطران اداسيس ومطران زحلة ليعملوا في وضع قانون للانتخاب البطريركي وسن نظام لتدبير الاوقاف والاديرة . ولكن لما تم الانتخاب البطريركي أسرع المطارنة الى الانهزام من دمشق هرباً من الهواء الاصفر . وبقي السيد سيرايم وحده في دمشق يدير مهام البطريركية . ثم تشاغل المطارنة عن مشروع القانون بالمنازعات الشخصية وبيع بعض المآرب الخصوصية حالت دون ائتلافهم .

بيروت تحتج : واحتج غفرائيل متروبوليت بيروت على اغفال اسمه من لائحة المطارنة المنتخبين فأبرق في الرابع من تشرين الاول سنة ١٨٩١ الى المايين

والي نظارة العدلية يقول ان حرمانه حق الاشتراك في الانتخاب جلب اليأس لنفسه ولا بناء ابرشيته لانه بلا سبب وانه يسترحم العدل وعدم الاجحاف . ووقع الوجهاء عريضة بمثل ما تقدم ورفعوها الى والي ولاية بيروت عزيز باشا .

وأما دار المطرانية في يوم الاحد في الثالث عشر من تشرين الاول الكهنة والوجوه والاعيان واتخذوا القرارات التالية : اولاً : ان الملة الارثوذكسية في بيروت ولبنان لا فرق عندها بين يوناني ووطني لانه ليس في كنيسة المسيح يوناني ولا عربي بل الجميع اخوة بالمسيح وانما يهمها ان ينتخب البطريرك انتخاباً قانونياً وان يكون المنتخب معروفاً بحسن الصفات والغيرة الرسولية . ثانياً : تأسف الملة لصدور تبليغات كاذبة ودسائس مختلفة بني عليها حرمان مطران الابرشية من حق الاشتراك في انتخاب البطريرك . ثالثاً : ان الملة تقيم الحجة على الانتخاب لانه كان غير قانوني ولان المنتخب تذرع بوسائل لا يجيزها الدين القويم للوصول الى الرئاسة . رابعاً ابلاغ والي والمطران هذه القرارات (١) .

وفي السابع من تشرين الثاني عاد الكهنة والوجوه والاعيان الى الاجتماع «فقرروا بصوت واحد عدم الاعتراف بالسيد اسبيريدون بطريركاً عليهم وعدم استقباله والاحتفاء به وتشكيل لجنة تفوض اجراء ما يلزم دفاعاً عن حق الطائفة وكرامتها (٢) .

اسقاط اسبيريدون في دمشق : وتسرع سيرايم وجرمانوس فأقاما في الثالث من تشرين الثاني قداساً حبرياً في كندراية دمشق ورفعوا اسم اسبيريدون بطريركاً فنادى الشعب . «فليسقط» ! وعلت الضجة ودخل قسم من الشعب الى الهيكل لاجراج سيرايم منه فسقط على الارض وجلا . وكان جرمانوس مستوياً على الكرسي في الخوروس فلم يفه بشيء ولم يبد حركة واقبلت الضابطة فأحاطوا بالكنيسة . وسكنت الضوضاء وانتهت خدمة القداس فواكب رجال الضابطة المطرانين حتى دار البطريركية .

(١) الخلاصة الوافية المشار اليها ص ١٨٧ - ١٩٤

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٧ - ٢٠١

قدوم البطريك المنتخب : وأرسل اسبيريدون يستقدم الوفد الدمشقي اليه . وكان قد ضجر من الانتظار . فترأس الوفد المطارنة جرمانوس وثيقوديموس وجراسيموس . واشترك فيه من الشعب الدمشقي كل من جبرائيل اسبر ونعمان ابي شعر وموسى الصباغ وسليم شاهين ونقولا شاهين . وسار الوفد عبر الاردن ودخل اوروشليم ليلة عيد الميلاد . وجاء بيروت وال جديد اسماعيل كمال بك فكتب اليه اسبيريدون مهتماً وطلب الى خليل افندي الخوري ان ينقل الى الوالي الجديد عزم البطريك على القيام الى مقره بجزراً ووجوب مروره في بيروت وانه يصعب عليه جداً الا يصادف فيها احتفالاً كنسياً . فاتصل كمال بك بالمطران غفرائيل واتفق الاثنان على ان يكتب البطريك الى غفرائيل مثنياً بيوم وصوله فيرد عليه المطران بأنه يستقبله اذا اجاب التماسه في النظر في دعواه وان البطريك يحضر ثانية مؤكداً النظر في التماسه حال وصوله الى كرسية . فكتب خليل الخوري الى البطريك المنتخب بما تم الاتفاق عليه . ولكن البطريك المنتخب ابي ان يعمل بالحبسة المفروضة فأبرق الى غفرائيل محمداً تاريخ وصوله موجياً استقباله كنسياً لانه سيخرج من الباخرة توماً الى الكنيسة . فسكت غفرائيل عن الجواب واطلع الوالي على نص البرقية فأشار عليه هذا ان يخرج وحده الى استقبال البطريك ليقيم الدليل على طاعته للدولة وان يمتنع عن اقامة الاحتفال الكنسي .

وبلغ البطريك المنتخب بيروت في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٨٩٢ فلقبه مكتوبجي الولاية مندوباً عن الوالي واركبه العربية وسار مخفوقاً بالضابطة الى السراي . اما غفرائيل فانه لم يدرك اسبيريدون الا بعد ان ركب العربية فتبعه الى دار الحكومة وصافحه في قاعته الكبرى . وألقى اسبيريدون خطاباً باليونانية داعياً بحفظ الذات السلطانية شاكرآ للوالي . ثم تلاه غفرائيل فقال انه يستقبل امتثالاً للأوامر السلطانية ويمتنع عن الاحتفال الروحي احتجاجاً على ما جرى في اثناء الانتخاب . وقضى اسبيريدون عشرة ايام في بيروت على ضيافة حبيب طراد . وأعد له بعض الوجوه مآدب مخصوصة ولكن الكنائس ظلت مقفولة في وجهه . فعمد الى الرحيل الى دمشق .

ووصل اسبيريدون الى دمشق في غاية كانون الثاني فاستقبله في الهامة بعض الموظفين الرسميين وكوكبة من الفرسان وتراجمة القناصل فجاءوا به الى دار الحكومة فدار البطريكية . فدخل الكنيسة توماً وتليت الصلاة وأجريت الرسوم الدينية لتبوء الكرسي وتسليم العصا . وكان الشعب الدمشقي قد لجأ الى كنيسة مار يوحنا مذأصر المطارنة على رفع اسم اسبيريدون في الكنيسة الكاثدرائية فلما استقر البطريك في مركزه أمر بأقفال كنيسة مار يوحنا فأخذ الشعب يجتمع للصلاة في مقبرة القديس جاورجيوس .

الرسائل السلامية : وفي الرابع من شباط سنة ١٨٩٢ وجه البطريك رسائله السلامية الى رؤساء الكهنة يفيد ارتقاءه الكرسي الرسولي ويؤكد استعداده لرفع شأن الكنيسة وحفظ عقائدها ويطلب ذكر اسمه في خدمة الأسرار . فأجاب المطارنة على الرسائل السلامية وخضعوا للبطريك الجديد الا غفرائيل بيروت وملاتيوس اللاذقية واثناسيوس حمص وغريغوريوس طرابلس . وشكا البطريك أمره الى الحكومة العثمانية فتدخل الولاية والمتصرفون وضغطوا على هؤلاء السادة فقبلوا وذكروا اسم البطريك في خدمة الأسرار . ولكن النفور تمكن من نفوس الشعب وكن فيها .

سخف واستبداد : واختلط على اسبيريدون رأيه والتبس عليه وجهه الصواب وانقاد الى طفلا ريوس (١) . فسام الارشمندريت بنيامين الراهب اليوناني مطراناً على ديار بكر قبل اعتراف المطارنة الأربعة بغبطته . ثم شرطن في

(١) يوناني ولد في جزيرة كالمنوس ودرس العلوم الشرعية والقوانين في مدارس اليونان وأجاد اليونانية والفرنسية والتركية . وتماطى المحاماة في الآستانة فعرف « بالزلافة » والمرطسة والمقرة والفسفة « وتدخل في السياسة فقر الى بلاد اليونان . ثم برز في الاسكندرية ودخل في خدمة بطريكتها فطرد لشدة مكروه وخداعه . فعاد الى الآستانة ودخل في خدمة الحكومة العثمانية فطرد منها ايضاً . ولما تبوأ البطريك نيقوديموس الكرسي الاوروشليمي عثر بطفلا ريوس في الآستانة فاتخذ كاتباً لليونانية والفرنسية وجاء به الى القدس . فلما علم ان استولى على أفكار البطريك واستبد به فهاج رهبان القبر واستصرخوا متصرف القدس للتخلص منه فحتم المتصرف طرد طفلا ريوس . فعاد الى الآستانة حيث أقام بضع سنين . فلما رقي اسبيريدون الكرسي الانطاكي نصحت الحكومة اليونانية باتخاذ طفلا ريوس مديراً ومشيراً .

السابع عشر من ايار سنة ١٨٩٢ نكتاريوس اليوناني مطراناً على حلب قبل ان يبلغ الثلاثين من العمر وفصل الاسكندرونة عن ابرشية ترسيس وألحقها بأبرشية حلب وضم انطاكية الى حلب قبل استرشاد المطارنة أصحاب الرأي واستنصاحهم وطفق طفلايوس يأمر وينهي ويحكم ويفصل ويربط ويقطع ويحرم ويحلل وليس من يسأل . ولم يرض طفلايوس عن قيام قوميسيون زمني او روجي فامتعض وجهاء الطائفة في دمشق حتى الذين سعوا لاسبيريديون في البطريركية . فتألفت لجنة شعبية لحل المشادة التي كانت لا تزال قائمة بين البطريرك وبين الشعب الذين لم يرضوا عن انتخابه . وتقدمت هذه اللجنة من البطريرك بمواد اربع : (١) انشاء مدرسة اكلييريكية على نفقة البطريرك (٢) توسيع نطاق المدرسة البطريركية (٣) اعادة الجمعيات الخيرية التي اوقلت (٤) الاعتراف بحقوق القوميسيون البطريركي الزمني في النظر في مصالح الملة . فرفض البطريرك وابى القبول وخرج الى دير صدينايا !

دمشق تستصرخ : واشتد ضيق العيش على الكهنة خدمة الشعب في دمشق لامتناع المؤمنين عن طاعة البطريرك وابتعادهم عن الكنائس . فتقدموا الى البطريرك يلتمسون منه أما النظر في استرضاء الشعب ليعود الى ممارسة واجباته الدينية وأما ان يعين لهم راتباً يقتاتون به . فقابلهم طفلايوس بالبطريرك واغلظ لهم الكلام وعاملهم بالجفاء . فخرجوا مغتاظين ولحقوا بالشعب وامتنعوا عن خدمة القداس . وحرروا عريضة بواقع الحال وبعثوا بها الى رؤساء اساقفة الكرسي الانطاكي . وهاك نصها :

« ايها السادة اساقفة الكرسي الانطاكي الجزيل طهرهم : عهدنا بكم رعاية فاضلين انكرم ذاتكم لرعاية الخراف وحفظها من التبديد والاختطاف لا تهربون ممن يتهدهدها ويهمكم شأنها كل الاهمية لكونها خاصة السيد الراعي الصالح الذي تعرف صوته كما تعرف صوتكم فتلتجى اليكم بلسانتها الضعيف مستمدة الحماية والرعاية مستغيثة بحوزتكم اذ قد لعبت بها ايدي الاختطاف والتبديد . وقد علمنا غاية جهدنا في حفظها ومنع تشتتها وربطها بعري الاتحاد فلم نتمكن من شيء لانها

تري امامها راعياً تجعلها الشكوك ان لا تعرف صوته ولا تستعبد بل تهرب منه . فتشتت شملها وحرمت منذ امد طويل الغذاء الروحاني غذاء الكنيسة المقدسة . اطفالها يشبون بدون الاصطباغ يجرن المعمودية المقدسة الخلاصية شبانها يعبدون عن ممارسة الاسرار الالهية والتأملات الشريفة التي بها تتحد مع رأس الخلاص وتنمو اعضاء للكنيسة التي أسسها المخلص . والرجال يضطهدون تصادمهم عواصف الاغراض الدنيوية وتدهمهم امطار الوشايات والدسائس لدى الدولة العلية التي اخلاص الطائفة لديها اشهر من نار على علم . يقاومهم اصحاب المبادئ المنافية لروح الانجيل الشريف وكثيراً ما يكون دفن موتاهم بدون الصلاة الاخيرة المفروضة .

« الكهنة ألزمتهم الامور هذه ان يمنعوا ذواتهم عن الخدمة فأصبحت الكنائس مسلوبة زينتها وبهجتها اعني الطقوس الالهية فضلاً عن ان روح المحبة المسيحية اساس كل الفضائل والكمال قد اضمحل من قلوب الشعب الارثوذكسي في مركز الكرسي . وسادت بينهم البغضاء والانشقاقات والاحزاب والتجأ عدد كبير منهم الى كنائس غريبة . ومع ان لهفتهم وتعلقهم بالكنيسة الارثوذكسية اقوى من كل مصادم ولم يتمكن من ان تفصل جدودهم واباءهم عنها كل القرون السالفة بطولها وشقاء احوالها وصعوبة ظروفها فان الظروف والاحوال الحاضرة جعلتهم ان يفصلوا اولادهم عن مدارس الطائفة فادخلوهم الى مدارس يرضعون فيها سم التعاليم المعوجة . وكل ذلك على اثر الانتخاب الذي حصل في العام الماضي للسدة البطريركية وانتداب السيد اسبيريديونس اليها بطريقة لم يقنع الشعب انها عارية عن استعمال وسائط محرمة في الكتاب الطاهر وفي قوانين الكنيسة الشريفة .

« وقد زاد الطين بلة واتسع الخرق اذ ان فئسة من الذين ساعدوا السيد اسبيريديون لبوء السدة البطريركية املا بالفائدة للكنيسة الانطاكية المحاطة باعداء كثيرين وظناً انه صاحب دراية وقدرة واهلية لسياسة الشعب وادارة مهامه وتدير شؤونهم هؤلاء قد لاحظوا ان كل آمالهم قد خابت وظنونهم لم تصدق وما توسموا بهذا الاصل له . واعظم شاهد يؤيد لديهم ذلك اتحاد عمالا اجانب غرباء المكان واللسان ليسوسوا عوضاً عنه امور الشعب مستأجرين لا يبالون بالخراف .

ومع عدم لياقتهم بكونهم غير اكليريكيين فليس في اقتنتهم ولا ذرة من روح الانجيل والمبادئ المسيحية ليساعدوا من يستخدمهم على احتقار القوانين الشريفة بانتداب اساقفة على خلاف ما تحدده النظم الكنائسية . ويصنعون هكذا بمغاييرت عديدة شكوكاً كثيرة امام الشعب البسيط ويعملون غاية ما في وسعهم على انشقاق الشعب ورعي الاحن بين افراده . وسيدخلون الجهد في تدليل كبارهم واحتقار صغارهم لا يسألون عن اولئك الذين شردوا كما انهم يزاحمون الامور ليعجلوا على شرد من لم يشرد حتى الان .

« فنهرع اليكم والحالة هذه سائلين غيركم ان تلتفتوا الى هذا القطيع وتعملوا ما يستدعيه صوت ذلك الراعي الالهي الذي حسب قول النبي ارميا (١٣ : ٢٠) سوف يقول لكل من الرعاة اين هو القطيع الذي اعطيته اين الغنم التي هي مجدك .

» نعم ان لكل منكم رعية خصوصية وانما الرعية التي تنتسب الى مقر الكرسي الانطاكي تحسب من رعيتم كما ان امر تعيين راعيها منوط الى صوتكم المتفق . وكل منكم عليه ان يهتم بأمرها كما يهتم برعيته الخاصة . كيف لا وهذه المهمة تقتضيها الغيرة الانجيلية والحمية الرسولية صارخة اليكم ان تناضلوا ضمن الطريقة القانونية لاجل رفع هذه الحالة والالتجاء الى كل ما به اصلاحها مع الشرف والخير لكنيسة مدينة الله انطاكية . فأن صوتكم المتفق او المتغلب بالاكثية يقوم مقام مجمع انطاكية المقدس وحكمه بمسائل كهذه يوجب امتثال من تعيينه لا يقوم الا بصوتكم . فاتفقوا كلكم او اغلبكم على ما به الصالح والشرف والخير . ودراية كل منكم وخبرته اوفر من ان تطرح لديها الوسائط الواجب استعمالها اما بالطلب من السيد اسبيريدون ان ينتبه هو ذاته لاصلاح ذات البين وأماء بالتجاء الى دائرة كنسية اوسع حسب القوانين المقدسة وأما اخيراً وأولاً بقرع أبواب الحكومة العادلة التي أيدها الله اذا شرحت لها الامور لا شك في انها سوف تأخذ بناصر الحق الذي يعلو ولا يعلو عليه . في دمشق تحريراً في ١٧ حزيران سنة ١٨٩٢ تواقع خمسة من الآباء الكهنة وخمسة من الوجوه (١) .

المدارس الروسية : (١٨٩٥) ولجأ بعض الاساقفة الى المقامات الروسية الرسمية والاكليريكية متذمرين . وأفلت روفائيل اسقف بروكلين من يد اليونان وكان لا يزال آتئذ الارشمندريت روفائيل هوايني ، وزار روسيا واتصل بخيتروفو مؤسس الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية . وتحدث اليه في موضوع العمل في فلسطين . فشكا خيتروفو من دخول الاكليروس اليوناني وأعراضه ومصارمته . فاقترح الارشمندريت ايفاد أحد نظار مدارس الجمعية لزيارة مطارنة الكرسي الانطاكي . فقاطعه خيتروفو قائلاً انه يخشى ان يكون هؤلاء مثل زملائهم في فلسطين يحبون المال ويصرفونه على أنفسهم . فأطرى الارشمندريت بأخلاق اثناسيوس متروبوليت حمص واهتمامه بالعلم والتعليم . فأخذ خيتروفو برأي الارشمندريت وأوفد اسكندر قوزما رئيس سمينار الناصرة لزيارة مطارنة الكرسي الانطاكي . فطاف اسكندر قوزما في أبرشيات انطاكية وتحدث الى المطارنة ورفع تقريراً حيد فيه العمل في سورية ولبنان . فبادرت الجمعية الامبراطورية للعمل في حمص في السنة ١٨٩٤ . وفي السنة التالية أخذت على عاتقها مدرسة البنات في دمشق والشويفات ومدرسة الصبيان في عاليه وراشيا الوادي وفتحت ست عشرة مدرسة اخرى معظمها في قرى لبنان . وعني خيتروفو بنقل الكتب المدرسية الى اللغة العربية وعهد بذلك الى اسكندر قوزما وميخائيل عطايا واسكندر ياكوبوفيتش وديميتري بوغوانوف وبولس نيقولايفسكي . وحث آخرين على التصنيف فاشتهر بين هؤلاء خليل بيدس .

موقفنا من رومة : (١٨٩٥) واغتم حبر رومة لاوون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣) فرصة يوبيله الاسقفي فوجه في العشرين من حزيران سنة ١٨٩٤ رسالة الى امراء المسكونة تدعى *Praeclara gratulationis* دعاها كنيسةنا الارثوذكسية الجامعة الرسولية الى الاتحاد بالكرسي الروماني ذاهباً الى ان هذا الاتحاد ممكن بمجرد الاعتراف به انه الخبر الاعظم والرئيس الروحي والمدني الاسمي لجميع الكنائس والنائب الوحيد على الارض للمسيح والموزع لكل نعمة وموهبة . فرد على هذه الرسالة البطريرك المسكوني اثنيموس السابع (١٨٩٥) -

(١٨٩٧) رسالة بطريركية مجمعية تجوز تسميتها على الطريقة الرومانية الرسالة « كل نفس ارثوذكسية تقيّة » لأنها بدأت بهذه العبارة وذلك في آب السنة ١٨٩٥ . وقد نقلها الى العربية آنثد غطاس قندلفت وعاد فاذن بطبعها ثانية سيادة كيريوس ايليا متروبوليت بيروت وتوابعها الجزيل البر والتقوى (١) . وهالك خلاصتها :

« كل نفس ارثوذكسية تقيّة لها غيرة حقيقية مخلصه على مجد الله تحزن حزناً عميقاً وتتوجع توجعاً عظيماً حين ترى ان الشيطان باغض الخيرات الذي قتل الانسان من البدء لا يزال بدافع حسده من خلاص البشر يزرع في كل وقت اصنافاً من الزؤان في حق الرب ليغربل الحنطة ويبيدها . ففي الازمنة الاخيرة فصل الشرير عن كنيسة المسيح الارثوذكسية امماً برمتها في بلاد الغرب اذ نفخ في بعض اساقفة رومة افكار كبرياء ولدت بدعاً جديدة متنوعة خارجة عن القانون ومخالفة للإنجيل .

« ومن ذلك ان بابا رومة الحالي لاوون الثالث عشر الجزيل الغبطة اغنم فرصة يوبيله الاسقفي ووجه في شهر حزيران من السنة الخلاصية الماضية منشوراً الى امراء المسكونة وشعوبها دعا به كنيستنا ايضاً كنيسة المسيح الارثوذكسية الجامعة الرسولية الى الاتحاد بالكروسي الباباوي ذاهباً الى ان هذا الاتحاد ممكن بمجرد الاعتراف به انه الخبر الأعظم والرئيس الروحي والمدني الاسمي لعموم الكنائس والنائب الوحيد على الأرض للمسيح والموزع لكل نعمة وموهبة .

« ولا ريب في ان على كل قلب مسيحي ان يمتلئ شوقاً الى اتحاد الكنائس . ولذا تصلي الكنيسة كل يوم الى الرب من أجل جمع المشتتين ورجوع الضالين الى طريق الحقيقة المستقيم الذي وحده يؤدي الى حياة الكل ابن الله الوحيد وكلمته ربنا يسوع المسيح . وكنيستنا كنيسة المسيح الارثوذكسية على استعداد دائم لأن تقبل كل ما من شأنه الاتحاد اذا كان اسقف رومة يرفض

(١) رسالة بطريركية ومجمعية جواباً على رسالة البابا لاوون الثالث عشر في اتحاد الكنائس وقت عل طبعها ثلاثة حضرة الاب الارشمندريت اغناطيوس هزيم (بيروت ١٩٥٨) .

رفضاً باتماً سلسلة التعاليم الجديدة التي ادخلت في كنيسته وكانت سبب الانفصال الحزن بين الكنائس في الشرق والغرب .

« وتود كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية الارثوذكسية ودأ مقدساً لو ان الكنائس المنشقة تتحد معها على اساس دستور الايمان الواحد . لانه بدون الاتحاد في الايمان على هذه الصورة يستحيل اتحاد الكنائس المرغوب .

« ولاتمام الرغبة التقوية في اتحاد الكنائس يقتضي تعيين مبدأ واحد يرجع اليه . ولا مبدأ سليماً وقاعدة عامة الا تعليم الانجيل الشريف والجامع السبعة المسكونية المقدسة . ولا نعني الخلافات السطحية والفروق الطقسية بل نعني الاختلافات الجوهرية المتعلقة بعقائد الايمان المسلمة من الله وبنظام ادارة الكنائس القانوني المؤسس من الله ايضاً .

« ان الطريقة المقربة الى الاتحاد هي رجوع الكنيسة الغربية الى النظام القديم عقيدة وادارة لان الايمان لا يمكن ان يتغير مع الزمان ولا مع الظروف بل يبقى دائماً هو نفسه .

« وكانت الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الجامع المسكونية السبعة تؤمن وتعتقد وفقاً للاقوال الانجيلية بأن الروح القدس ينبثق من الآب . ولكن الغرب بدأ منذ القرن التاسع ينشر الرأي بان الروح القدس ينبثق من الابن ايضاً فاذا كانت كنيسة رومة تبقى مصرة ولا ترجع الى اعتقاد الجامع المسكونية تكون قد ألفت نفسها تحت المسؤولية التامة امام كنيسة المسيح الواحدة المقدسة الرسولية التي لا تزال تتمسك بالتعاليم الابوية تمسكاً شديداً وتحفظ وديعة الايمان المسلمة اليها غير متغيرة في شيء خاضعة للوصية الرسولية القائلة : « احفظ الوديعة الحسنة بالروح القدس الساكن فيها معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومناقضات العلم الكاذب الاسم الذي انتحله قوم فزاغوا عن الايمان » (١) .

« وكنيسة الجامع المسكونية السبعة اقامت سر المعمودية منذ القديم بثلاث

(١) الرسالة الثانية الى تيموثاوس ١ : ١٣ - ١٤ والاولى الى تيموثاوس ٦ : ٢٠ .

(٢) باسيليوس الكبير في رسالته الى ٢٤٣ الى الاساقفة الايطاليين والافرنسيين

غطسات في الماء ، ولم يزل التعميد بثلاث غطسات محفوظاً في الغرب الى القرن الثالث عشر عينه . واحواض المعمودية التي لا تزال قائمة الى الان في اقدم هياكل ايطالية شهود تنادي عن الحقيقة بكل صراحة . اما نحن الارثوذكسين فبشباتنا امناء على التعليم الرسولي « قد وقفنا مجاهدين عن المتاع العام اعني الكنز الابوي كنز الايمان الصحيح .

« والكنيسة الواحدة المقدسة الرسولية لبثت الف سنة ونيف تتمم سر الشكر الالهي في الشرق والغرب بنخب مخمر على مثال مخلصنا كما يشهد محبو الحقيقة من علماء اللاهوت الباباويين أنفسهم .

« وكنيسة الجامع المسكونية السبعة كانت تعتقد ان القرايين قدس ببركة الكاهن بعد صلاة استدعاء الروح القدس الا ان الكنيسة الباباوية ابتدعت بعد ذلك بدعة جديدة واستبدت بقولها ان تقديس القرايين المكرمة يتم بمجرد لفظ الأقوال الربانية « خذوا كلوا هذا هو جسدي واشربوا منه كلكم هذا هو دمي » .

« وكنيسة الجامع المسكونية السبعة تبعث وصية الرب القائلة « اشربوا منه كلكم » فنأولت الجميع « كلهم » من الكأس المقدسة . اما الكنيسة الباباوية فانها حرمت الشعب من الكأس خلافاً لوصية الرب ولعرف الكنيسة القديمة العام .

« وكنيسة الجامع المسكونية السبعة اتبعت تعليم الكتاب المقدس والتسليم الرسولي فصلت وطلبت رحمة الله للعفو عن الراقدين بالرب وراحتهم . ولكن الكنيسة الباباوية قالت منذ القرن الثاني عشر بالنار المطهرة وزيادة فضائل القديسين وتوزيعها على المحتاجين معتقدة ايضاً بأن الصديقين يحصلون على تمام المكافأة قبل القيامة العامة والدينونة .

« والكنيسة الواحدة المقدسة الرسولية كنيسة الجامع المسكونية السبعة تعتقد بأن التجسد المتعالي عن الطبيعة تجسد كلمة الله الابن الوحيد من الروح القدس ومريم البتول هو وحده كان نقياً وبلا دنس . الا ان الكنيسة الباباوية ابتدعت من

مدة لا تزيد عن الاربعين سنة واعتقدت اعتقاداً جديداً بالحبل بلا دنس بوالدة الاله مريم الدائمة بتوليبتها . وهذه العقيدة لم تعرفها الكنيسة القديمة .

« واذا راجعنا ما قاله ابناء الكنيسة وجامعها في القرون التسعة الاولى نجد ان اسقف رومة لم يعتبر ولا مرة رئيساً اعلى ورأساً معصوماً في الكنيسة وان كل اسقف انما هو رأس كنيسة محلية خاضع لاوامر واحكام مجامع الكنيسة الجامعة بما انها هي وحدها سليمة من الغلط . ولا يستثنى من هذا القانون اسقف رومة مطلقاً كما يوضح التاريخ الكنائسي وان رئيس الكنيسة الابدي ورأسها السرمدى انما هو يسوع المسيح ربنا لانه هو رأس جسم الكنيسة وهو قال لتلاميذه ورسله « وها انا معكم كل الايام الى منتهى الدهر » .

« وبطرس الرسول يتحدث في مجمع اورشليم الرسولي بلسان شخص مساوٍ للحاضرين وهم مساوون له حتى ان بولس وبخه مرة توبيخاً مرأً كما يتضح من الرسالة الى الغلاطيين (١) . والآية « انت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيسة » (٢) تشير الى الاعتراف القويم الذي اعترف به بطرس بالرب « انه هو المسيح ابن الله الحي » (٣) وعلى هذا الاعتراف والايمان أسس الرسل جميعهم وخلفاؤهم التعليم الانجيلي الخلاصي . وهكذا شرح بولس الرسول هذه الآية الالهية شرحاً صريحاً حيث نطق بروح الوحي وقال « بحسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم وضعت اساساً وآخر يبنى عليه ... اذ لا يستطيع احد ان يضع اساساً آخر غير الموضوع الذي هو يسوع المسيح » (٤) .

« كرم الآباء اسقف رومة لانه اسقف اول مدينة في المملكة فنحوه شرف التقدم في الجلسات واعتبروه اول اسقف في الرتبة فقط أعني اولا بين متساوين وهذا التقدم منحوه فيما بعد لاسقف القسطنطينية حين صارت هذه المدينة

(١) « ولكن لما قدم كيفاً الى انطاكية قاومته وجهاً لوجه لانه كان ملوماً » ٢ : ١١

(٢) بشارة متى ١٦ : ١٨

(٣) بشارة متى ١٦ : ١٦

(٤) رسالة بولس الاولى الى الكورنثيين ٣ : ١٠ - ١١

عاصمة المملكة كما يشهد القانون الثامن والعشرون من قوانين المجمع المسكوني الرابع . ولم يرد أي تلميح لا في قانون من القوانين ولا في كتاب أب من الآباء ان اسقف رومة هو وحده رئيس الكنيسة عموماً وقاض معصوم عن الغلط .

« وكل كنيسة ذات رئاسة كانت في اعصر المجامع المسكونية السبعة مستقلة عن غيرها ضابطة سياستها بيدها . وعندما كانت تقوم قضايا مهمة تحتاج الى تصديق الكنيسة كلها كانت تستأنف الى مجمع مسكوني . لان المجمع المسكوني هو وحده كان ولم يزل المحكمة العليا للكنيسة الجامعة كلها . وان كان بعض اساقفة رومة اعتراهم احياناً حب المجد فقاموا يطلبون حقوقاً تزيد عن ملء كيلهم مدعين برئاسة مطلقة فهولاء ويجنوا او زجروا كما كان يليق .

« وعلاقة الشرق مع الغرب علاقة مستقلة تتضح من اقوال باسيليوس الكبير في رسالته الى افسابيوس اسقف سمسطا حيث يقول : « وحقاً ان من طبيعة الاخلاق الصلابة انها متى وجدت من يلاطفها ازدادت تشاغاً . فانه اذا تعطف الرب علينا فالى اي شيء اكثر من تعطفه نحن محتاجون . ولكن اذا استمر غضب الله فماذا تكون مساعدة حاجب كبرياء الغربيين ! فانهم والحق يقال ليسوا على شيء من العلم ولا يطبقون ان يتعلموا . ولكونهم مليئين بالوساوس الكاذبة يفعلون الان ما كانوا يفعلونه قبلاً بمركلوس » . هذا والاوامر اليسودورية كاذبة مزورة .

« وقد وسعت كنيسة رومة الهوة بسين الفريقين باعلانها رسمياً في اواخر القرن التاسع عشر ان اسقف رومة معصوم من الغلط فادهشت العالم المسيحي . ان كنيسة المسيح لا تعرف احداً وجد على الارض معصوماً من الغلط غير ابن الله وكلمته . وبطرس الرسول نفسه الذي يظن البابا انه خليفته انكر الرب ثلاث مرات ووبخه بولس الرسول مرتين بأنه لا يسعى مستقيماً الى حقيقة الانجيل . والبابا ليباريوس وقع اعترافاً آريوسياً في القرن الرابع . والبابا زوسيموس في القرن الخامس استحسن اعترافاً هرطوقياً متنكراً للخطيئة الجدية . والبابا فيجيليوس حكم عليه المجمع الخامس في القرن السادس بسبب سوء

عقيدته . والبابا اونوريوس سقط في هرطقة المشيئة الواحدة فحكم عليه المجمع السادس واعترف خلفاؤه بهذا الحكم .

« ايها الشعوب المحبة للمسيح شعوب البلاد الغربية الأماجد نفرح بكم اذ نرى فيكم غيرة المسيح بانقيادكم للحقيقة التي تعرفونها انه بدون الايمان بالمسيح لا يمكن ارضاء الله . ولكن الايمان بالمسيح يجب ان يكون مستقيماً موافقاً للكتاب والتقليد . وكنيسة الله الجامعة الحافظة في أحضانها هذا الايمان الخلاصي بصفته الحقيقية اي كوديعة الهية لا تمس ايماناً واحداً صحيحاً وسليماً من كل غش كما أسلم اليها منذ القديم وكما شرحه الآباء المتوشحون بالله ان هذه الكنيسة هي واحدة على الدوام وليست كثرة ولا تتنوع مع امتداد الزمن لأن الحقائق الانجيلية لا تقبل تغييراً ولا تطوراً في الزمن كالفلسفات المتنوعة » لأن المسيح يسوع هو أمس واليوم والى الدهور » .

« ولنحذر الرسل الكذبة الذين يأتون بشكل الحملان ويحاولون ان يصطادوا البسطاء فينا بأوعاد متنوعة غشاشة ويحسبون كل شيء حلالاً ويتساحجون به في سبيل الاتحاد بالاعتراف بأن بابا رومة رئيس أعلى ومعصوم وله سلطان مطلق على الكنيسة كلها نائب وحيد للمسيح على الأرض وينبوع لكل نعمة .

« واله كل نعمة الذي دعانا الى مجده الأبدي في المسيح يسوع هو يجعلنا كاملين راسخين مؤيدين مؤسسين . وليمنح جميع الذين هم خارج الخطيئة الواحدة المقدسة الجامعة الارثوذكسية ان يستنبروا بنور نعمته ومعرفة الحق له المجد والعزة الى أبد الأبدين آمين » .

خشونة وفظاظة : وقسا قلب اسبيريدون وولى الاستعطاف اذناً صماء . وقتئذ طفلاريوس يثير الشعب باذلال قصارى همتهم في اذلال الشعب واسبيريدون ضعيف الارادة لا يجيد عما يوحى اليه المشيرون « حتى غدا الدين يتأدى في الارجاف والانتقاص من رجال الفضل والسعي في تحقير بعض المطارنة واذلال الرعية . وكانت الرعية تقوم الاود بالحزم وتارة تنيل الراحة مظهرة ما تسر من النوايا النقية فتعكف على تنشيط لجانها الخيرية ومدارسها المجانية » . ولكن هذه الفرص

والى تدخل الروس واثارة النعرة القومية . وجاء بفيذس فافترض اقتراضاً ان اسبيريدون قوى العنصر الوطني في اثناء بطريركيته وخدم مآرب الروس وارتكب ما ارتكب فكان ما كان من امر تسقيطه (١) .

جرمانوس القائمقام البطريركي : (١٨٩٨) وقبل الجمع الانطاكي المقدس استعفاء اسبيريدون في جلسة السادس من شباط سنة ١٨٩٨ وانتخب جرمانوس متروبوليت ترسييس قائمقاماً بطريركاً وابلغ السلطات المحلية بذلك فرفعته الى الباب العالي فورد التصديق عليه في الثالث والعشرين من الشهر نفسه .

ولما رأى جرمانوس ان المطارنة خولوه هذه المرتبة السامية وان الشعب مسرور به طمع بالكرسي البطريركي . ونفخ نكتاريوس متروبوليت حلب في انف جرمانوس شيئاً من الغرور فأصغى جرمانوس اليه ووعول على البقاء في الكرسي مهما كلفه الامر . وكان نكتاريوس موطناً نفسه على بلوغ الذروة البطريركية متوكئاً على عكاز جرمانوس . ولكن رحمة الله تداركت الكنيسة فكشفت برقع الغرور وتمحلات نكتاريوس ومقاوماته غير المشروعة التي استمر عليها مع ما توجه من الجمع من النصائح والاندازات خطأ وشفاهاً (٢) .

ثم صوّتت الحكومة العثمانية مراعاة الاكثرية في قرار الجمع ولم تعتبر الاكتفاء بالمرشحين من ضمن مطارنة الكرسي الانطاكي ذنباً فأقبل جميع مطارنة ونواب الامة على اجراء الترشيح للمركز البطريركي في السادس من ايار سنة ١٨٩٨ . فأصاب كل مطارنة الكرسي الاحد عشر خطأ من الترشيح . واستثنى منهم بنيامين ديار بكر ونكتاريوس حلب لانها لم يكمل سبعة سنوات في ابرشيئتهما عملاً بالقانون البطريركي القسطنطيني الذي كان ساري المفعول آنذاك في القسطنطينية وانطاكية .

ولم يرق هذا الامر لنكتاريوس فصور المسألة بصورة التعصب الجنسي واثار خواطر جرمانوس وبنيامين لمشايعته . وشكا امره على هذا الاساس الى

كانت تغتم في ابتداع مشاكل جديدة ومتاعب عديدة . ومما يروي والرواية صحيحة ان احد السادة المطارنة خوّف البطريرك عاقبة الاقدام على احدى القرينات التي تغضب الشعب وحبب اليه عيش الدعة والمواذعة وانذره بأن سخط الشعب من سخط الله . فأبى وأوعد بما لا خير فيه (١) .

المناذاة بالسقوط : ولما رأى الشعب عدول اسبيريدون عن جادة الاستقامة قام عليه قومة رجل واحد في يوم عيد الرسولين بطرس وبولس في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٨٩٧ ونادى بسقوطه . فذهب الوالي حسن باشا بنفسه الى دار البطريركية وسمع دعوى الشعب فأعرض عن تطلبات السيد اسبيريدون .

وتولى ناظم باشا ولاية سورية والمسألة البطريركية في معظم اشتدادها فسلك فيها مسلك الاستقامة ورفع الى الباب العالي شكاوي الشعب الانطاكي . فصدرت الارادة السنية السلطانية بوجوب اجتماع المطارنة للنظر في المعضلة والتداول في حلها . فاقبلوا من ابرشياتهم . ملاتينوس اللاذقية وميصائيل صور وصيدا وجرمانوس ترسييس ونيقوديموس عكار واثاناسيوس حمص وغريغوريوس حماة وجراسيموس سلفكياس وغريغوريوس طرابلس وبنيامين ديار بكر ونكتاريوس حلب . ولم يستطع غقراييل بيروت الحضور فاستتاب مطران طرابلس . وبذل اسبيريدون جهده للبقاء على السدة البطريركية لكن بالقسوة والجفاء لا بالحب والولاء . وتحقق لدى السلطات الزمنية المحلية ان هذه الحال غير ممكنة ونصح بعض المخلصين من المطارنة لغبطته ان يستعفي فقدم استعفاؤه في الحادي والثلاثين من كانون الثاني سنة ١٨٩٨ .

وقام بعدحين الارشمندريت كاراباتاكي فصنف لمناسبة يوبيل اسبيريدون الاسقفي كتاباً استغرق مئة وعشرين صفحة بحجم كبير عنوانه «البطريرك اسبيريدون والمسألة البطريركية الانطاكية ضمنه سيرة حياة اسبيريدون في صفحات قليلة وافاض في الكلام بشأن انتخابه الى الكرسي الانطاكي فعزا سقوطه الى ما ارتكبه من اخطاء

1) Bapheidès, op. cit., III, 275.

البطريركين المسكوني والاوروشليمي . والواقع ان الجمع الانطاكي شمل مطارنة من العرب واليونان فأين التعصب الجنسي في الترشيح ؟ واذا كان هنالك شيء من ذلك فالمسؤولية فيه تقع على نكتاريوس وبنيامين وجرمانوس اليونانيين الذين تشبثوا بادخال مرشحين من خارج الكرسي الانطاكي وليس في خارجه أحد من الاكليروس العربي ! وبولس الرسول قال : «ولبستم الانسان الجديد فثمة ليس بعد يوناني ولا يهودي لا ختان ولا قلف لا أعجمي ولا أسكوتي لا عبد ولا حر بل المسيح هو كل شيء وفي كل شيء» (١) .

ملاطيوس القائمقام البطريكي : (١٨٩٨ - ١٧٩٩) وتدارك المدد العلوي الجمع الانطاكي ففصل جرمانوس عن القائمقامية بعد أن أنذره مراراً وانتخب في الثاني عشر من ايار سنة ١٨٩٨ ملاطيوس اللاذقية للقائمقامية . وكثرت التدخلات وتنوعت فلم تصدر الارادة السنية بالتثبيت قبل الثالث والعشرين من شباط سنة ١٨٩٩ .

البطريرك ملاطيوس الثاني . (١٨٩٩ - ١٩٠٦) وقبلت السلطات العثمانية دفتر الترشيح بلا استثناء بنيامين ونكتاريوس . ودعسا القائمقام الجديد الجمع المقدس الى العمل فتمنع المطارنة المخالفون عن الاشتراك وكتبوا انهم لا يعرفون السيد ملاطيوس قائمقاماً رسمياً . فالتأمت هيئة الجمع ثانية واعيد استدعاء المطارنة الثلاثة فأبوا فاستدعتهم الهيئة للمرة الثالثة فأبوا وأضافوا ان فصل جرمانوس وتثبيت ملاطيوس هو بغير محله . فحينئذ قرر الجمع قانونية الجلسات السابقة منذ السادس من ايار . وعمل الجمع بدونهم وأرسل دفتر الترشيح الى الآستانة . وبعد ان قيل فيه وأخذ في المعاملات عليه عرض من المداخلات ما أعاق ارجاعه حتى الثالث من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ . فاستدعى القائمقام المطارنة المخالفين فلم يشاؤوا . ولما كان العمل الانتخابي تاماً منذ الخامس عشر من نيسان سنة ١٨٩٩ ولم يعرض عليه ما يفسده تقدمت المضبطة القانونية بتثبيت ذلك العمل . وفي

(١) رسالة القديس بولس الى الكولسيين ٣ : ١٠ - ١١

الثالث والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ صدرت الارادة السلطانية بقبول الانتخاب وتصديق مأمورية ملاطيوس الثاني بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق (١) .

وامتلأت القلوب سروراً وحمل البرق البشري الى الشعب الانطاكي في أقاصي الأرض . ونشرت الجرائد في مصر والشام هذه البشري بعبارات ملؤها التهتهة .

« وجاء دافعتنا الأيام فيه فوجدت منا قلوباً أشد على الدهر من الدهر وأثبت على الصبر من الصبر ونفوساً أصلب من الحديد تميد لها الجبال ولا تميد وعزائم تفري الصوامر وترغم كل مراغم حتى ساعف الاقبال وسعد المال وصدحت البشري بالاماني فردتها القلوب تردداً وكررتها شداً ونشيداً فتمت النعمة العظمى والمنحة الكبرى الا وان العناية الالهية قد انتدبت الى السدة البطريكية الانطاكية مثال الكمال الاكل وعلم العلم الامثل نبراس الطهارة وعنوان البرارة خاتنيا مصره مقاماً وافوديوس عصره مقاماً الخير الجليل الغيور والراعي النبيل الوقور كيريوس كيريوس ملاطيوس الجزيل الطوبى والفائق القداسة بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق مطران اللاذقية سابقاً » (٢) .

تنصيب البطريك : وما لاح نور صباح الاحد في الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ حتى غصت الكاتدائية المريمية داخلًا وخارجاً ودار البطريكية بجماهير المؤمنين الارثوذكسيين وغيرهم . وفي الساعة التاسعة حضر قناصل الدول وفي مقدمتهم الكسيس بيلاييف قنصل روسية العام في دمشق والبرنس شوخوفسكي كونسليرها . فخرج الجميع من دار البطريكية يتقدمهم خفراء القناصل ويواكبهم عدد كبير من الجند وقصدوا الكنيسة . ولدى وصولهم الى بابها قدم خسرو باشا وخلوصي باشا من قبل المشير ويوسف طنوس وخليل الخوري من قبل الوالي .

فاتشح غبطته بالميتة والبطرشييل والامو فوريون ودخل الى الهيكل وامامه الشموع والمزمارون يرتلون «بواجب الاستيهال» والشماسة يبخرون حتى وصل الى

(١) الارج الزاكي ص ٥٦ والمجلة تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٨٩٩

(٢) بشري المحبة من قلم امين ضاهر خيرالله : الارج الزاكي ص ٥٧ - ٦٠ . راجع ايضاً مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

الباب الملوكي . فانتصب امام المائدة المقدسة والسادة المطارنة على جانبيها .
وحينئذ ابتدأت صلاة التنصيب . فتلا احد السادة التريصاغيون . ثم رتل
طروبارية احد حاول الروح القدس « مبارك انت ايها المسيح الهنا » والقنداق
« لما انحدر العلي مبلبلاً لللسن » . ثم ابتدأ غبطته بطلبات وختمها بالحل .
وبعدئذ وقف في الباب الملوكي متجهاً الى الشعب فثل امامه الارشمندريت بولس
ابو عضل كاتب الجمع المقدس فقاه بالاعلام العظيم الميغا منيا وهذا نصه :

ان الجمع الانطاكي المقدس ومصنف الاكليروس الموقر وجماعة الشعب
الارثوذكسي المبارك قد انتخبوا غبطتكم باتفاق الرأي بطريركاً على مدينة الله
انطاكية العظمى وسائر المشرق بالهام الله وتعطفات المتبوع الاعظم . وهم يدعونكم
بواسطة الابن الحقيق الى هذا الكرسي البطريركي المقدس المؤسس من هامي
الرسل بطرس وبولس الالهيين . فارتقوا اذن اليه ايها السيد الكلي الغبطة وزينوه
عمرأ مديداً كما زينته أسلافكم الرسل الاطهار واغناطيوس المتوشح بالله
وافستاثيوس الكبير وملاطيوس الشريف وسائر الذين تقلدوا زمام هذا الكرسي
المقدس بخوف الله » (١) .

ثم تقدم متروبوليت بيروت ولبنان اول الاساقفة سيامة وسلم البطريرك
عصا الرعاية البطريركية وقال : « الله معك يا مبارك الرب . تشجع وتقو بالرب .
وكن اميناً في الخدمة التي اختارها لك الله الهك . وارع بخوف الله وامانة ونشاط
الرعية المفتداة بالدم الكريم في مراعي الخلاص . وأوردها يتابع الحياة الالهية
حافظاً الايمان ساهراً في الصلاة محباً لله ولشعبه المختار معلماً الجميع وصايا الرب
وحقوقه صائراً مثالا في كل عدل . وخذ يمينك هذه العصا القويمة لتكون لك
نحو الجهال والمتمردين للتأديب والتربية ونحو العقلاء والخاضعين للرعاية والعناية » .

فقبض البطريرك على عكاز الرعاية وخرج من الباب الملوكي يتبعه لقيف
الاساقفة ورقي سدة الرسولين واخذ الصليب وبارك الشعب وقال : « ان جلالة

(١) الارشمندريت بولس ابو عضل الى ادارة الحجة ١٨٩٩ ص ٧٠٧ . والنسفة الفنية في وصف
حفلة السيامة البطريركية (جمعية القديس يوحنا الدمشقي) .

المنصب بالنسبة الى حقارتنا تزيدنا شعوراً بضعفنا واحتياجنا الى نعمة القدير الذي
منه كل رئاسة وسلطة فستعين بنعمة القائل « ان قوتي في الضعف تكمل » ونقدم
لاتمام رغبة اخواننا بالرب الكلي الطهر وابنائنا الاحباء بالروح القدس بارتقائنا
الى هذا الكرسي الرسولي المقدس معاهدين الله الضابط الكل على ان نبذل جهد
القدرة للقيام بامانة ونشاط بواجبات المنصب الذي عهد الينا ثابتين ومحافظين على
الناموس الالهي والترتيبات الشريفة ونفوس الرعية وحقوق الملة حتى النهاية
شاكرين لاختوتنا الكلي طهرهم انتخبهم لنا على ما بنا من الضعة ولبنينا الاعزاء
ثقتهم بنا على ما بنا من الضعف مستمدين العون الالهي والمساعدة الاخوية والطاعة
البنوية للبلوغ الى غاية رضى الاله الذي يدين جميع الخليفة . فنظهر جميعاً اهلاً
للدعوة التي دعيناها ولميراث ملكوت السماوات بنعمة المسيح الهنا الذي له المجد
والعزة والاكرام والسجود مع ابيه وروحه القدوس الى ابد الدهر آمين » .

ثم لفظ اثناسيوس متروبوليت حمص وتوابعها خطاباً اهم ما جاء فيه
قوله : « لنشكر الله الكريم اذ اجزل العطايا وكلل الجهاد بالظفر . فاهني ايها
الكنيسة وسر يا مصف رؤساء كهنة الكرسي الانطاكي بقطف اثمار اتعابك
اليانعة وابتهج ايها الشعب المجاهد في سبيل النجاح والتقدم واعتصم دوماً بمجبال
الالفة والاتحاد والتكاتف » .

واختتمت حفلة التنصيب وبدى بالقديس الالهي فخدم البطريرك الاسرار
المقدسة يعاونه مطارنة بيروت وعكار وحمص وطرابلس واداسيس . وفي ختام
القديس رقي غريغوريوس متروبوليت طرابلس المنبر وقال ما خلاصته : افرحوا
بالرب ايها السيد الكلي الغبطة والاخوة الجزيلو الطهر والذوات الاجلاء والابناء
الاعزاء . تعلمون ان المراحل الالهية بعد ان انارت العقل البشري بالاعلان الالهي
ورسمت له الكهنوت وشرقت بعض البشر برئاسته ما كان من عدو البشر الا
نهض فنصب الفخاخ في سبيل الرؤساء والمروسين وحرّك عواصف المجد الفارغ
في رؤوس بعض الامم فاحتملت الكنيسة من شواذهم مضائب ونوائب في كل
جيل . ولم ننح نحن سكان هذه البلاد من تجارب عدو الخير لاننا لا نزال في العالم

الا ان الذي لا يدع المؤمنين باسمه يتجربون فوق ما يطيقون بل يجعل مع المحنة المخرج قد استيقظ فضرِب اعداءه . ولم يختَر سبط افرام بل اختار سبط يهوذا . ورضي الان ما كان رضىه سابقاً لداود اذ اخذه ليرعى يعقوب عبده واسرائيل ميراثه . وهكذا ارتضى الان ان يرحمنا لانه نظر الى مسكتنا وحزننا اذ اكلنا الرماد مثل الخبز وشربنا الدموع بالكيل . فهاذا نكافيء الرب على كل ما اعطانا لو ان الرب يؤثر المحرقات لكننا الآن نعطي . لكن الذبيحة لله روح منسحق . والقلب المتخشع المتواضع ما يردله الله .

وهذا القلب وهذا الروح قد وجدناهما اليوم في السيد الجليل والراعي النبيل فخر طغمتنا الرهبانية وقدوة ملتنا الارثوذكسية . فانه جبر مجرب في الرئاسة والسياسة مشهور بالدمائة بعيد عن الشكاسة ذو اطلاع على واجبات الراعي ويعلم ان تعليم الرعية ينبوع حياتها وان دوام الالفة عنوان ثباتها وان كل بنينه اخوة وهو لهم اب بالرب . يسهر على نفوسهم من الذئاب الخاطفة حذراً على ايمانهم من سيول الطغيان الجارفة » (١) .

المجمع والبطاركة : (١٨٩٩) وكان اعضاء المجمع الانطاكي قد اعدوا رسالة باللغة اليونانية وبعثوا بها في اول ايار سنة ١٨٩٩ الى الكلي القداية والغبطة كيريوس كيريوس قسطنطين البطريرك المسكوني والى كيريوس كيريوس صفرونيوس البطريرك الاسكندري والى كيريوس كيريوس داميانوس البطريرك الاوروشلمي الفاتقي الاحترام . فذكر بها السادة البطاركة بامور اهمها ما يأتي اذا كنا ثابتين في المحبة فلنا ملء الامل بقداستكم الوادة الله وجميعكم الشريف الا تمسوا حرية الكنيسة الانطاكية الرسولية المقدسة التي هي اقدم الكنائس بعد كنيسة اورشليم الحرة التي جادها المسيح نفسه على المؤمنين باسمه وان لاتزعزعا اساس السلام ولا تجرحوا محبة الجميل . ولننس ما مضى ان اقلقتم افكار الحكومة بتقديم استدعاءات واعتراضات رسمية ضد الكنيسة الانطاكية واجتهدتم باحباط اعمال مجمعها المقدس القانونية ناسبين اليه مخالفة لتعامل قديم لا تعلق له بالاصول الدينية .

والقوانين المسكونية الشريفة تأمر بصراحة وجلاء بان مجمع كل أبرشية له وحده الحق المطلق في ان ينتخب بملء حريته مرشحين من حيث يشاء . ثم اننا نذكر لفظنة قد استكم بمحبة واحترام ان التاريخ الكنسي يروي ان كثيرين من الكرسي الانطاكي نبأوا كرسي القسطنطينية وكرسي اورشليم فلماذا لاتعتبر كل من هاتين الكنيستين ذلك تعامل قديماً ولا ترشح في انتخاباتها من الكرسي الانطاكي بل تحصر الانتخاب ضمن دائرتها الروحانية فقط ! ان احتضانكم لمخالفة المطرانين (نكتاريوس وبنيامين) وسعيكم لمساعدتها بابطال انتخاب المرشحين الذي تم والزام المجمع بانتخاب مرشحين من مطارنة الكرسي القسطنطيني او الاوروشليمي يوسمان مجالا للظنون .

او لم يكف لدمار الارثوذكسية في أبرشيات انطاكية ان اسلافنا رحمهم الله صدقوا ما كانت تذيبه الجرائد عن استعداد وفضائل البعض وانتخبوا منهم بطاركة كانوا لعدم معرفتهم لغة الرعية واحتياجاتها يتصرفون معها بلا اكتراث او لاسباب اخرى كانوا يسلكون غير المسلك الجدير بهم فسيبوا نفور آلاف كثيرة من الارثوذكسيين تؤلف منهم اليوم طوائف كثيرة لم يكن لها قبل وجود في أبرشيات انطاكية . وهذه الطوائف تحارب الارثوذكسية بواسطة البروبوعدنات الغنية والرهبنات الكثيرة حرباً عواناً بالمدارس والكتب والجرائد وغيرها .

ان الظروف الحالية تقضي أكثر من ذي قبل على الرؤساء الروحانيين الارثوذكسيين في كل مكان بأن يحافظوا على وحدانية الروح برباط السلام ويبذلوا كل ما عز وهان في هذا السبيل ويسعوا جميعهم لرفع شأن الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية الارثوذكسية ولاعادتها الى مجدها الاول (١) .

فلما كان ما كان من أمر الانتخاب والتنصيب وجه البطريرك الجديد ملاتيوس الثاني الرسائل السلامية القانونية الى متقدمي جميع الكنائس الارثوذكسية

ان يظهر لمدير المدرسة شهادة معمودية وشهادة تبين حسن سلوكه قبل دخوله ويقدم لغبطة البطريرك الانطاكي صك تعهد بأنه عند حلول الوقت المناسب يدخل في الطغمة الاكليريكية ويكون تحت امر غبطته ويخضع لنظام المدرسة ويبقى فيها الى نهاية دروسه . ويقدم كفيلاً معتمداً يكفله بأنه اذا خالف التعهد يدفع عنه عشرين ليرة عثمانية مقابلة لمصاريف تعليمه وملبوسه وسكنه وما كوله وسائر لوازمه عن كل سنة مدرسية ولو اقسام منها في المدرسة وقتاً قليلاً . (٦) ان المدرسة تقدم للتلاميذ المتعهدين بالدخول في الطغمة الاكليريكية كل لوازمهم من كتب وملبوس وغير ذلك فضلاً عن مصروف التعليم والمأكل والسكن . ولا تكلفهم بارة الفرد من اجل هذا كله . (٧) دروس المدرسة الزامية لجميع التلاميذ . (٨) لا يرخص لاحد من التلاميذ بالخروج من دائرة المدرسة الا لاسباب ضرورية وبمعرفة المدير . (٩) من يخالف نظام المدرسة الى حد يستدعي فصله عنها فلا يعفى من القيام بايقاء المبلغ الذي عليه كما لو خالف تعهده بالدخول في الطغمة الاكليريكية .

وجاء في لائحة الدروس عدد الساعات في كل سنة فكانت اثنتين وثلاثين في كل اسبوع في السنوات الثلاث الاولى وثلاثين في الرابعة والخامسة واربعه وعشرين في السادسة . اما اللغات فانها العربية واليونانية والعثمانية والروسية . واما العلوم فانها الحساب والجبر والهندسة والطبيعات وعلم الهيئة والتاريخ الشريف وتاريخ الكنيسة والكتاب المقدس ومؤلفات الآباء الاطهار واللاهوت والفلسفة وتفسير القديس والصلوات والخطابة والوعظ والحقوق الكنسية والموسيقى الكنسية (١) .

وجوب تعليم الاكليروس : وحملت مجلة المنار الارثوذكسية في عددها الصادر في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ مقالا شائقاً لمدير هذه المدرسة غطاس قندلفت في تعليم المرشحين للخدمة الاكليريكية الشريفة جاء فيه ان هذه الخدمة لا تقوم باتمام بعض الرسوم والاعمال والقروض الخارجية لان رائدها هو قيادة

(١) المدرسة الاكليريكية البطريركية لغيرغوريوس متروبوليت طرابلس

البشر الى الكمال بنعمة الله في الفضيلة والتقوى وانارتهم لمعرفة الله بالايمان به ايماناً قوياً ولنيل خير مرضاته . وأهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الاكليريكي هي الاستعداد الطبيعي لهذه الخدمة ومعرفة مقتضياتها وما تفرضه من الواجبات وحسن السيرة والسريرة وطيب الاثر والذكر . فالخدمة الاكليريكية هي اشرف الخدم تؤهل صاحبها ليكون آلة للنعمة الالهية وللكراسة الانجيلية ونوراً يضيء بالفضائل وينير العقول بالمبادئ وملحاً يصلح كل ما افسدته الايام وراعياً يقود الخراف الى مروج الخلاص ويبعد عنهم الذئاب الخاطفة وللحصول على ذلك يجب عليه ان يحمل عصا الرعاية الروحية التي هي عصا الخطابة والاقناع ويرفع ترس الايمان والفضائل ويستل سيف الحق ذا الحدين ليقطع به جميع ضلالات المناقضين .

والحرب اليوم عوان وهي اشد قوة من مصادمات العصور القديمة . فحاربو الديانة المسيحية اليوم يقاومون الكتاب المقدس نفسه والتقليد الشريف بكل ما يسرته لهم مطالعات التاريخ والفلسفة . فهم ينبدون التقليد وينكرون سلطان الكتاب المقدس وصحته وصدق نسبته الى مؤلفيه ولا يعترفون بسلامته من التحريف . وكثيرون ينبدون المبادئ الاولى في الدين المسيحي فلا يقبلون بوجود اله روعي قائم بذاته ولا يميزون بين المادة والروح (١) .

افتتاح المدرسة الاكليريكية : وفي التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ احتفل في دير اللمند بقديس الهي وبعد نهايته تم تدشين المدرسة الجديدة على يد الارشمندريت ايوانيكيوس رئيس الدير الجديد وسائر آباء الدير وحضور جمع غفير من القرى المجاورة . فتقدم الشكر للاله العلي الذي ألهم لتأسيس هذا المشروع المقدس . ثم قدمت الادعية للسلطان وللبطريرك وللمتروبوليت الوكيل . ووقف في الختام غطاس قندلفت مدير المدرسة واستاذ اللاهوت فيها فلقى خطاباً في فضل العلوم وقائلتها .

ملاحظات بطورية : وفي أواخر السنة ١٨٩٩ حملت الجرائد والمجلات

الارثوذكسية منشوراً بطريركياً رعائياً شعاره : « وكونوا كاملين كما ان اباكم الذي في السموات هو كامل » . وتضمن هذا المنشور ملاحظات بطريركية « هدفت الى الحرص على آداب الملة وتوفير أسباب سعادتها وراحتها وتحسين ظروفها الصحية العامة » وتناولت الخطبة والعرس والمعمودية والمعايدات وزيارة المرضى ومواد متفرقة اخرى . وقال طيب الله ثراه : « اذا قللنا فئة ما يقدم عربوناً في الخطبة لا نقصد امتهان مقام الخطيب او الخطيبة بل بالاحرى تيسير الامور وتسهيل الطرق لتكثر هذه العلائق التي ينتج عنها ازدياد الملة ونموها ونضارتها وزهاؤها . وهكذا القول في الزواج فاننا نحترم شرف هذا السر ونعلم انه مكرم ومضجعه بغير دنس . والله انما خلق المرأة لتعين الرجل . ولو رأى استغناء عنها لما أوجدها . ولذلك لا يجوز وضع العوائق والصعوبات في سبل الزواج . والأعياد اجتماعات حبية تجلب البركة والخير على المحتفلين بها لا اللعنة والضيق للذين ينجان عن البذل والتبذير . والشفقة والحنو فضيلتان في الانسان ولكن عبادة المرضى في غرفهم تجلب العدوى في بعض الأحيان . والموت عند المسيحيين جسر ينقل الذين في الأرض الى السماء فلا يجوز الاجتماع حول الميت والندب والصراخ » (١) .

البراءة السلطانية : وثبتت الحكومة العثمانية انتخاب ملاتيوس الثاني وأصدرت بذلك براءة سلطانية وأرسلتها الى والي سورية . فأعلم والي البطريرك بوصولها . فقام البطريرك في السادس والعشرين من نيسان سنة ١٩٠٠ بصحبه مطارنة عكار واللاذقية وديار بكر لزيارة والي « دولتو ناظم باشا » والتشرف باستلام البراءة . فاستقبل والي البطريرك « بما فطر عليه من اللطف والايثار » وأكد البطريرك اخلاصه لحكومة المتبوع الأعظم « وبسط اكف الضراعة والابتهاال الى الاله المتعال ان يحرس ويصون بوقايته جلالة السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان » (٢) .

(١) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤١ - ٢٤٦

(٢) المنار ١٩٠٠ ص ٥٠٦

جولة رعائية : (١٩٠٠) وبدأ البطريرك جولاته الرعائية بزيارة ابرشية بيروت ولبنان . فحقت ركابه تفقد شؤون ديره في ضواحي الشوير في اواخر ايار السنة ١٩٠٠ . فأرسل ناظم باشا ياوره وخمسة فرسان الى المقر البطريركي واستناب في وداع البطريرك كلا من خليل الخوري ويوسف طنوس . واخذ سلام غبطته في محطة القطار فرقة من الضابطة . وصحب البطريرك نيقوذيموس مطران عكار وارسانيوس مطران اللاذقية والارشمندريت بولس ابو عضل وكاتب البطريرك حبيب كوزمين . فسار بهم القطار حتى صوفر فحل البطريرك وحاشيته ضيوفاً على جبران مرسق . وفي صباح اليوم التالي نهض البطريرك الى حانا فقدم الشكر في كنيسة الملة وزار كنيسة الموارنة . وما ان جاوز خراج حانا حتى لقيه وفد كبير من جميع طوائف ارضون بتقديم الكهنة والاعيان . ولدى وصوله الى ارضون قدم الشكر في كنيسة الطائفة وزار كنيسة الموارنة واستراح في منزل الخوري جرجس مجاعص ثم زار سلمان بسك شقير بكباشي الضابطة اللبنانية . واستلنى المسير بموكبه فخرجت بعبادات لاستقباله عند السفيلة فزار مدرستها حيث القيت القصائد والخطب في اللغات العربية واليونانية والافرنسية والانكليزية . ولم يتجاوز موكبه بعبادات حتى اقبل عليه وفد من المحيضة بتقديم مدير القاطع الشيخ يوسف حاتم . فقدم الشكر في كنيسة المحيضة وسار الى دير مار الياس البطريركي في ضواحي الشوير . فضاقت الطرق بوفود الشوير وبتغرين وعين السنديانة وغيرها وامامهم الانجيل الطاهر ومدير الشوير حبيب ابو فاضل والكهنة بجلهم الكنسية وتلامذة مدرسة الشوير الارثوذكسية . وسار الجميع حتى الدير فكان الالباء كهنة الدير ورهبانه واباء الرهبانية الحلبية المارونية . فذهب الجميع الى الكنيسة حيث اسدى البطريرك لله شكرأ خالصاً والقي الارشمندريت بولس ابو عضل كلمة اثني فيها على العواطف النبوية ودعا للذات الشاهانية وسأل للجميع البركة . وفي يوم الاحد خدم البطريرك الاسرار الالهية وشاركه مطران عكار ومطران اللاذقية . وعقيب القداس اجتمع وجهاء الشوير وبقية القرى المجاورة في هو الاستقبال فالقى بعض تلامذة مدرسة الشوير الارثوذكسية بحضور رئيسها الخوري يوحنا مجاعص القصائد ابتهاجاً بقدم راعي الرعاة ، وفي

ظهر النهار نفسه قدم وفد الرهبانية الخناوية الشورية الكاثوليكية والمطران نعمة الله سلوان الماروني . وعند الغروب وصل قنصل روسية المسيو ليشن وحاشيته . ويوم الجمعة في الثاني من حزيران زار الدير البطريركي قائمقام المتن الشيخ رشيد الخازن مهنتاً باسم نعوم باشا متصرف لبنان . ثم جاء وفد بسكنتا يتقدمهم الكهنة وملحم اغا نكد وراجي ابو حيدر فانبرى صبري اندريا احد اساتذة المدرسة الروسية في بسكنتا فأبان عظم السرور الذي حاق « جميع السوريين الارثوذكسيين » بارتقاء رئيس رعايتهم . وزار غبطته الشوير فاستقبلته الجاهير على اختلاف المذاهب يتقدمهم الصليب الكريم والانجيل الطاهر والكهنة بملابسهم الحبرية . فسار غبطته تواء الى كنيسة السيدة الارثوذكسية ثم زار كنيسة مار بطرس للروم الكاثوليك .

وأعلن البطريرك رغبته في زيارة الرعية في بيروت في الثاني والعشرين من حزيران فأمر الدير البطريركي وفد بيروت من قبل مطران الابرشية ومجلس الملة فيها والجمعيات الخيرية الست الخيرية ودفن الموتى والتعليم المسيحي ومساعدة المرضى والقديس بولس واتحاد البر . وفي صباح الثاني والعشرين برح البطريرك الدير متجهاً نحو بيروت . فاستقبله في عين عار قائمقام المتن وفارسان من الضابطة اللبنانية وساروا بجمعيته حتى انطلياس . وكان ينتظر البطريرك هناك غفرائيل متروبوليت بيروت واسكندر بسك التويني ممثل المتصرف وجم غفير من السراة والوجهاء . وخطب الخطباء فألقى ابراهيم بك الاسود صاحب جريدة لبنان قصيدة قال في مطلعها :

لملك لاق مدح المادحين وشكرك واجب ديناً وديناً

كأننا والقوافي زاهرات نفوق بها نظام الاولينا

ولدى وصول البطريرك الى جسر نهر بيروت حد الولاية رحب به ميشال افندي اده ترجمان الولاية باسم الوالي رشيد بك وقنصل روسية وانطون افندي سالم ترجمان قنصل اليونان ووفد ماروني من قبل جمعية طوبيا البار واخوية مارمارون واخوة الفقراء . وارتقى البطريرك عربة الوالي وامامه ياور الولاية

وكوكبة من الفرسان . وسار والجاهير وراءه حتى بلغ الحديقة الحميدية (ساحة البرج) فبارك الجاهير وترجل وذهب تواء الى الكاتدرائية يتقدمه الصليب الكريم والانجيل الشريف والكهنة والشمامسة وتلامذة مدرسة الثلاثة الاقار . ودخل الكنيسة فقدم الشكر لله العالي ثم رقي السدة الرعائية وقال : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن مع جميعكم . ما ابهج هذا اليوم السعيد الذي يسرت لنا فيه العناية الالهية البلوغ الى هذه المدينة الزاهرة والوقوف في هذه الكنيسة المقدسة ومشاهدة نيافة اخينا الوقور السيد غفرائيل راعيتكم الجزيل الطهر وجميعكم على احسن حال من الصحة والرفاه سيمكنكم التمسك بالايان المسيحي القويم وعلمكم التفاني في خدمة بعضكم بالحب تحت ظل حكومة متبوعنا الاعظم . فاسهروا واثبتوا في الايمان . كونوا رجالاً وتقوا . ولتصر كل اموركم في محبة . اسلكوا بحسب الدعوة التي دعيت بها بكل تواضع ووداعة وطول انسة محتملين بعضكم بعضاً في الحبة مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام لا تنسوا فعل الخير والشركة لانه بذبائح مثل هذه يسر الله . اخضعوا للرئاسات والسلطين .

وجاء قنصلا روسية واليونان مهنتين والسيدة مريم تشيركاسوف « رئيسة المدارس الروسية في بيروت » ولجنة مجلس الملة والوفد الماروني ومطران الروم الكاثوليك ملايوس فكاك . وزار البطريرك سراي الحكومة فجرى له استقبال شائق لائق وقابله الوالي باللطف والاحترام .

مدرسة جامعة في بيروت : وبحث البطريرك في اثناء وجوده في بيروت حاجات الطائفة مع مطرانها واعيانها فلمس لمس اليد خوف الطائفة من نشاط المرسلين الكاثوليكين والبروتستانتين في حقل الدعاية الدينية . وكان هذا الخوف قد ترايد فظهر اثره في الصحف والمجلات الارثوذكسية فقالت المحبة في عددها الصادر في اثناء اقامة البطريرك في بيروت : « ان المدارس التي جعلت غايتها اقتناص الاولاد من احضان والديهم واغرائهم على خيانة مذهبهم وتعليمهم التعصب وبغض كل من هو خارج عن دينهم فحقها ان تهدم هدماً وتحرق حرقاً

وتباد عن وجه الارض لانها انما وجدت لتفرق لا لتجمع وتهدم لا لتبنى وتؤخر لا لترقي». نقول لمس البطريرك هذا الخوف المتزايد فعين لجنة بيروتية للنظر في انشاء مدرسة جامعة برئاسة الارشمندريت بولس ابني عضل. وعقدت هذه اللجنة جلسات متتالية « فأقرت كل ما فيه نيل الرجاء وشرعت في اخراج هذا المشروع من خيز الفكر الى خيز العمل متدرة بالحزم والحكمة » (١).

البطريرك في اللاذقية : وفي الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٠٠ سار البطريرك الى سراي الحكومة في بيروت لزيارة الوالي واعلامه بعزمه على السفر الى اللاذقية. فاستقبل وشيع بالاجلال والاكرام. ثم زار البطريرك قنصلي روسية واليونان للغاية نفسها. وفي السادس والعشرين ركب غبطته متن الباخرة النمساوية فجرى له عند المرفأ وداع رسمي. وركب زورقاً خاصاً وحيته الباخرة برفع الاعلام وأبحرت نقل الخبر الانطاكي وحاشيته الى اللاذقية.

وبلغت الباخرة طرابلس فوفد اليها متروبوليتها غريغوريوس وعدد من الاعيان والوجهاء مسلمين مودعين. ثم جرت الباخرة قاصدة اللاذقية فرست امامهم في السابع والعشرين من تموز. وأحدقت بها الزوارق تقل وجهاء الروم يتقدمها توفيق افندي صوايا ترجمان المتصرف وبعض رجال الحكومة. ولدى وصول البطريرك الى الرصيف استقبله قناصل الدول ووفد ماروني. ثم سار الموكب يتقدمهم فصيلة من الجند وكوكبة من الفرسان والبطريرك والمتروبوليت يباركان الملاقين على الشمال وعلى اليمين حتى مداخل المدرسة. فاستقبله الكهنة بملابسهم الكهنوتية وبالصليب والانجيل ومشوا امامه مرتلين حتى كنيسة القديس نقولا ووس الكاتدرائية. فصلى ودعا للسلطان وقدم للشعب خلفه ارسانيوس المتروبوليت الجديد وحضهم على طاعته ومحبة: وفي الغد زار غبطته ونيافة المتروبوليت شمس الدين باشا متصرف اللاذقية وشريف بك قائمقام العسكرية فردا لها الزيارة في اليوم نفسه في المطرانخانة. وفي نهار الاحد الواقع في ٣٠ تموز احتفل البطريرك بالقداس الالهي يشاركه ارسانيوس المتروبوليت الجديد. وفي ختام

(١) مجلة المنار : ١٣ تموز سنة ١٩٠٠ ص ٦٨٥ . اطلب ايضاً ص ٦٦٩

القداس قرأ الارشمندريت بولس ابو عضل البراءة الكنائسية المؤذنة بانتخاب ارسانيوس وسيامته مطراناً على ابرشية اللاذقية وما يليها.

مجلس الملة في اللاذقية : وفي مساء الاثنين في الحادي والثلاثين من تموز سنة ١٩٠٠ حضر الى المطرانخانة وجهاء الطائفة وأعيانها لاجل النظر في شؤون الملة. ولما تكامل عددهم صلى البطريرك مستمداً المعونة والهداية. ثم شكر المتروبوليت تلبية الدعوة وقال ان الغرض من الاجتماع هو تأليف مجلس ملي ينظر في شؤون الطائفة ويحامي عن حقوقها في كل ابرشية المحفوظة من الله. وبعدما أُلْمَ بأهمية المجلس وفائدته وأشار الى كيفية الانتخاب القانوني وزعت الاوراق على الجميع لينتخب كل منهم ثمانية أعضاء من أهل اللياقة والاستحقاق والغيرة والحمية. ثم جمعت الاوراق واحصيت الاصوات بكل ضبط وتدقيق فأصابت الاكثية ميخائيل سعادة وانطونيوس سعادة وكومين ويوسف صالح وابراهيم نصري وباسيلي كومين وابراهيم عفيف ويوسف فهد وحبيب مرقس. وفي يوم الثلاثاء في اول آب وزع المتروبوليت على الاعضاء رقاعاً يعلمهم بها بصورة رسمية تعيينهم أعضاء مجلس الملة ويدعوهم مساء الخميس في الثالث من آب لعقد جلسة يُنظم فيها هذا المجلس وتُسن قوانينه.

وألف ارسانيوس، والبطريرك لا يزال في اللاذقية، محكمة روحية يرى فيها مع الكهنة « جميع القضايا الدينية ». وبحث أمر الفقراء والمرضى في مجلس الملة فانتقى بموافقة الاعضاء اربع عشرة سيدة وكتب اليهن ودعاهن الى بيت المسيو نقولا فيتالي قنصل انكلتره فبين غاية الجمعية التي سماها باكورة الاحسان وحشهن على كساء المعوزات من بنات السترة ومساعدة الفقيرات وزيارة المريضات واصلاح بعض العادات عملاً بالمنشور البطريركي الرعائي.

مجلس الملة في طرابلس : وفي السابع والعشرين من آب سنة ١٩٠٠ دعا غريغوريوس متروبوليت طرابلس عموم الشعب الارثوذكسي الى دار المطرانيسة لاجل انتخاب اعضاء المجلس الملي. فلبى الدعوة فريق من ابناء الملة وجرى الانتخاب على محوره القانوني فتال اكثية الاصوات قيصر بك نوفل والافندية

جرجس نقاش وحنّا الغريب وسامي صراف وادوار كاتسيفليس وعبدالله نحاس واسعد صوايا وسامي خلاط وابراهيم صدقة وانسطاسي زريق واسعد عرقية .

ما لقيصر لقيصر : ورأى البطريرك الانطاكي ان الواجب يقضي بالاحتفال بالعيد القضي السلطاني فأرسل الى مطارنة الكرسي منشوراً رعائياً اوجب فيه بذل الجهد المستطاع في اعداد الزينة ابتهاجاً بالعيد القضي السلطاني والاجتماع في الكنائس للدعاء ببقاء ولي النعم مؤيداً بالنصر . فنفذ الامر البطريركي في جميع الابريشيات وابرقت المطارنة كل بمفرده وباسم رعيته الى الاعتاب السلطانية . ولنا في تقرير دونه باسبيل جباره وضمنه اخبار هذا الاحتفال في حمة ما ينبغي ان يجري في الكنائس من هذا القبيل . فهو يقول انه اقيم في يوم العيد في حمة قداس حبري حضره اعيان المسيحيين والشعب وانه قبيل ختام القداس حضر وكيل المتصرف « فرتلت اولاً المجدلة الكبرى ثم قرئت رسالة بولس الرسول الآمرة باقامة صلوات وابتهالات من اجل الملوك والحكام والانجيل الذي صرح فيه السيد بوجوب اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله وبعده تلا نيافة المطران غريغوريوس متروبوليت حماه طلبات حارة من اجل حفظ جلالته السلطان وتأنيده بالنصر فأمن عليها الشعب اجمع . وفي الليل اقيمت الافراح عموماً حتى كنت تحسب ان في كل بيت عرساً (١) . وجرى مثل هذا في حلب برئاسة متروبوليت ديار بكر سلفسترس (زرعوني) .

حيث دُعي المؤمنون مسيحيين اولاً : وفي الحادي والثلاثين من آب سنة ١٩٠٠ ابرق البطريرك الانطاكي الى رئاسة مجلس الملة في الاسكندرونة ينسب بوصوليه اليها بجرأ في الرابع من ايلول . فاجتمعت الملة في بيت وكيل البطريرك حنا افندي ظندي صايغ . وانجلي قرار هذه الهيئة عن تأليف لجنة خصوصية للاستقبال . ثم ابرقت هذه اللجنة الى حلب وانطاكية وعروض بقدم البطريرك فأخذت الوفود تتوارد من جميع الجهات . وفي صباح الرابع من ايلول اطلت الباخرة النمساوية رافعة العلم العثماني . فهرع لاستقبال غبطته اعضاء مجلس الملة

والوجهاء وممثلو الطوائف المسيحية . وارسل قومندان الدارعة العثمانية الراسية في مياه الاسكندرونة زورقاً خصوصياً لينقل البطريرك الى البز . ولما ضاق ظهر الباخرة بالوفود نزل البطريرك والحاشية والوجوه والاعيان الى البر فاستقبله الكهنة الارثوذكسيون والارمن بالحلل الكنيسة والصليب والانجيل . واخذت سلامه فرقة عسكرية كاملة . فبارك الجماهير وذهب تواً الى الكنيسة فصلى وشكر وبارك . ثم صعد الكرسي وعلى جانبيه قائمقام البلدة علي نسيب بك وقائد الموقع وقنصل فرنسة . فلفظ الارشمندريت بولس ابو عضل خطاباً اختتمه بالدعاء للسلطان وتكلم الاب بابا يوركي باليونانية مرحباً . ثم انتقل البطريرك الى الكنيسة الارمنية « فدخل هيكلها وصلى وبارك » ثم قال ان اعظم سروره في الحياة ان يرى الشعب المسيحي متحداً برابطة الحب مؤتلفاً اثناً لئلاً سلمياً تحت ظل المتبوع الاعظم . ووقف كاهن الارمن وتكلم بالتركية شاكراً . وفي اليوم التالي زار البطريرك القائمقام والقومندان وقنصل فرنسة فاستقبل بالحفاوة التامة . وأنعم غبطته على تجل حنا افندي صايغ وكيله في الاسكندرونة بثلاث مادلونوات من الذهب الخالص مرصعة بالحجارة الكريمة تمثل قيامة القادي وعليها رسم البطريرك ملايوس الثاني (١) .

وتكاملت وفود الانطاكيين فركب البطريرك عربة خصوصية وواكبته كوكبة من الفرسان وخرج في طريقه الى حيث دُعي المؤمنون مسيحيين اولاً . ولما بلغ موكبه منتصف الطريق اتى للترحيب بغبطته كاهن بيلان الارمني ووجوه طائفته فيها . فدخل كنيسة الارمن وصلى وبارك وحض الشعب على اداء فريضة العبودية للمليك الاعظم . وسار من بيلان قاصداً انطاكية . فلما بلغ نهر البطريركين وجد في استقباله كثيرين من اهالي انطاكية بينهم مهران افندي نجل قنصل المانية . فاستراح وتناول الغداء . ثم استأنف السير الى ان بلغ قسطل الدنك على بعد نصف ساعة عن انطاكية فوجد فيها كبار الموظفين والرجال العسكريين وحيثه فرقة كاملة من الجيش . وجلس عن يساره قائمقام انطاكية وسار باحتفال عظيم

فدخل مدينة الله انطاكية العظمى وذهب توأ الى كنيسة القديسين بطرس وبولس وقدم الشكر لله ثم استناب الارشمندريت بولس ابا عضل ليدعو ويشكر . وزار في اليوم التالي السراي والكنيسة .

كتاب التيبكون : وبينما كان البطريرك يتفقد شؤون الرعية في ابرشيات الكرسي الانطاكي كان تلميذه البار الارشمندريت جراسيموس مسرّة يشتغل ليل نهار ليفاجيء معلمه بهدية تقرأ لها عينه . فانه اعتمد الطبعة القسطنطينية الاخيرة من كتاب التيبكون المصدقة من مجموعها المستعملة في كنيسة العظمى و اضاف اليها فوائده من تيبكون القديس سابا وكتب الخدمة وسبكها بعبارة عربية خالصة وطبعها على نفقته وحبسها وقفاً توزع على جميع كنائس الكرسي الانطاكي وابرشياته واديرته في المدن والقرى تذكراً لارتقاء معلمه راعي الرعاة كيربوس كيربوس ملاتيوس الثاني على السدة البطريركية الانطاكية .

وجاء تيبكون جراسيموس العربي في لحة واربعة اقسام وملحق . والممحة حوت ترتيب فرض المساء والسحرية وخدمة القديس الاله في ايام الاحاد والاعياد على مدار السنة في جميع ظروف وقوعها . والقسم الاول حوى ترتيب الفرض مساء وصباحاً وخدمة القديس الاله في بحر الاسبوع وفي يوم الاحد وصلاة المساء الصغرى و ترتيب السهرانة مع صلاة المساء الكبرى . والقسم الثاني تضمن تيبكون الميناون اي اعياد الشهور الاثني عشر كالاعياد السيدية واعياد القديسين الممتازين . والقسم الثالث حوى تيبكون التريودي الذي تضمن ترتيب الخدم من احد الفريسي والعشار الى يوم السبت العظيم المقدس كخدمة الصوم الاربعيني مع ما فيها من الصلوات المسائية والسحرية وصلاة النوم الكبرى وخدمة المذبح وقديس البروجيازمينا وخدمة سبة الآلام المقدسة . والقسم الرابع تضمن خدمة اعياد البنديكستاري من احد الفصح المجيد الى احد جميع القديسين . والملحق شمل ترتيب حفلات كنائسية كتكريس الكنيسة والغسل الالهى الشريف الذي يقام يوم الخميس العظيم ولا سيما كيفية الاحتفال به في مدينة الله اوروشليم المقدسة وشرطونية رؤساء الكهنة وخدمة جنازة الراقدين . وذيل جراسيموس هذا الكتاب

بتفسير مختصر للكلمات اليونانية الواردة فيه .

التعاليم السنية : وبر بالبطريرك تلميذ اخر وهو غريغوريوس (جبارة) متروبوليت حماة فأكمل في اواخر السنة ١٩٠٠ كتاباً دافع به عن العقيدة الارثوذكسية واسماه التعاليم السنية . ورفعته الى معلمه ملاتيوس الثاني البطريرك الانطاكي . فلمس المعلم فؤاد الكتاب الجديد فدفعه الى الطبع ورسم بأن يوزع مجاناً على كهنة الكرسي والجمعيات الخيرية .

واورد غريغوريوس في هذا الكتاب مقدمة في ماهية السر عند الكنيسة ثم استهل الابحاث اولا في سر الثالوث الاقدس . وهنا اثبت ما جاء في الكتاب المقدس من الآيات الباهرة الناطقة بهذا السر السامي على العقول البشرية . ويبحث في انبثاق الروح الكلي قدسه من الله الآب . فقال ان الاعتقاد بأن الروح القدس ينبثق من الاب والابن مخالف للتعليم الالهى لان « الله لم يره احد قط الابن الوحيد الذي في حضن الاب هو نفسه قد أخبر » (١) . ولان هذا الابن الوحيد أخبر ان « ان الروح القدس من الاب ينبثق » (٢) . ولان الواجب يقضي بالاعتقاد بما علمه الرب والاعتقاد به بدون زيادة « والابن » حذراً من المذكور في الرؤيا « من زاد شيئاً على هذه يزيد الله عليه الضربات ومن اسقط يسقط الله نصيبه من الحياة » (٣) ثم يجيب غريغوريوس على الاعتراض بقول بولس « ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم » (٤) وبالقول « كل ما للاب فهو لي » وغير ذلك من الاعتراضات .

ثم تكلم غريغوريوس في الاسرار اجمالاً فتفصيلاً . ولما اكمل البحث في هذه الاسرار الجليلة انتقل الى الكلام في رسم علامة الصليب الكريم وفي الآيات الكرمة التي تؤيد القول ان العذراء هي والدة الاله . ثم اتى على تحقيق الشفاعة ووجوب استمداد صلوات القديسين ثم ذكر الشواهد الكتابية على اكرام

(١) انجيل يوحنا ١ : ١٨

(٢) انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦

(٣) رؤيا يوحنا ٢٢ : ١٨

(٤) الرسالة الى اهل غلاطية ٤ : ٦

الايقونات المقدسة وبحث بحثاً جليلاً في ان الخلاص يلزم لنيله ايمان مستقيم واعمال صالحة . وقفى بببذة نفيسة في ان الصوم مأمور به من الله . واختتم هذه الحقائق بالكلام عن اعتقاد كنيسة المقدسة الارثوذكسية وكونها ما حادت ولن تحيد عما تسلمته من الرسل الاطهار والآباء القديسين محافظة على ودیعة الايمان النقي في كل العصور حتى انقضاء الدهر .

رفیق المسافر : ونشط في هذه الفترة عينها عبده بني بابا دوبولوس فعرب عن اليونانية كتاب رفيق المسافر الذي أعد بسعي المعلم فوتيرا وباجازة المجمع القسطنطيني المقدس . ومما قاله معربيه ان الواجبات الدينية والفروض الكنائسية هي من اخص الالتزامات الاولى على كل مسيحي قويم الرأي . واضاف المعرب انه لما كانت هذه الفروض صعبة التناول لتفرقها في كتب شتى اي في كتب الانجيل الشريف والرسائل والسواعي وخدمة القداس والترودي والبندكستاري والميناون والمعزي وغيرها وكان جمعها لا يتسنى لكل فرد لندرة وجودها او لغلاء اثمانها فقضت الضرورة بنقل هذا الكتاب من اليونانية الى العربية .

شفاعة القديسين : وظهر في حمص في السنة ١٨٩٦ بحث شائق متين في اثبات شفاعة القديسين . ومن اجل ما جاء في هذا البحث الارثوذكسي المغفل الذي نشرته جمعية الغاية الجليلة الارثوذكسية القول بوحدة المؤمنين بيسوع وبأنه لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا عري ولا خطر ولا سيف بل ولا الموت نفسه يمكن ان يفصلنا وان انفصال المؤمنين غنا بحسب الجسد لا يمنع اتحادهم معنا بالروح . فالكنيسة موجودة على الارض وفي السماء . وهي منظورة . وغير منظورة فالاولى تحوي جميع الارثوذكسيين العائشين على الارض والثانية تضم نفوس الذين قضوا آجالهم في الايمان المستقيم والقداسة . ويؤيد وجود الكنيسة على الارض وفي السماء واتحاد الفريقين قول بولس : « قد اقتربتم من صهيون ومن مدينة الله الحي اوروشليم السماوية وجماعة ربوات الملائكة وموسم كنيسة الابكار المكثوبين في السماوات ومن الله ديسان الجميع ومن ارواح الصديقين الكاملين ومن يسوع

وسيط العهد الجديد » . وهذا يدل دلالة واضحة على وجود الكنيسة في السماء وفي الارض . وبما ان رأس الكنيستين السماوية والارضية واحد وجب الاتحاد بينهما لئلا يكون للرأس الواحد جسمان .

وبناء على هذه الوحدة فالكنيسة المجاهدة على الارض تستدعي في صلواتها قديسي الكنيسة السماوية الظاهرة لاجل معاضدتها لان صلاة البار تقدر كثيراً في فعلها . وهكذا فان كنيسة منذ نشأتها حتى الان تطلب في صلواتها شفاعة القديسين الذين جاهدوا على الارض لاجل المسيح لانهم بحسب درجاتهم اقرب لله منا ومتى اقترنت صلواتنا مع صلواتهم تتقدم الى عرش النعمة كبخور ذكي فينعم الله علينا بما نلتسميه منه لانه يستجيب للابرار .

جميعات التعليم المسيحي : وأدى نشاط المبشرين الكاثوليكين والبروتستانتين في حقل التعليم واقدامهم على اجتذاب الاحداث الى كنائسهم الى نشاط مماثل في الاوساط الارثوذكسية وسعي حثيث لبث التعاليم المسيحية الارثوذكسية في المدارس المالية وخارجها . وسبقت ابرشية بيروت غيرها من الارشيات في هذا المضمار فنشأت فيها منذ السنة ١٨٧٧ جمعية التعليم المسيحي وتلتها في السنة ١٨٨٢ جمعية القديس بولس . ومرت العدوى الى سائر الارشيات فلم تخل ابرشية من جمعية تعنى بنشر التعاليم المسيحية الارثوذكسية . وظلت بيروت في طليعة الارشيات في هذا الحقل من العمل بهمة ايكونوموسها الخوري الياس مجاعص ونشاط ابنها الغيور فضل الله ابي حلقة . وبدأت هذه الجمعية بجمع شبان الملة واولادها في ايام الاحاد والاعياد لتتلو عليهم فصولاً من الكتاب المقدس وتأليف الآباء الاطهار ومواعظ وخطباً تتناسب مع ظروف ذلك العصر . وكانت توزع على الاولاد صور بعض القديسين تنشيطاً وترغيباً . ثم دفعت عبسده بني بابا دوبولوس الى وضع كتاب في التعليم المسيحي يتفق وسن الاحداث في ابرشية .

وفي مطلع السنة ١٨٩٩ أصدر احد اعضاء هذه الجمعية فضل الله ابوحلقة مجلة المحبة مرة في كل اسبوع وجعلها دينية علمية ادبية اخبارية ، وضمن عددها الاولى نبذة تاريخية في انتشار الديانة المسيحية في بلاد اليابان منقولة عن لسان

الياباني دانيال كوثيسي ومقالة تاريخية أخرى عن بيت لحم حيث ولد المسيح وذلك بعبارات انيقة رشيقة ترناح لمطالعتها النفوس ووعدت المحبة يوم صدورها ان تقترح على ارباب الاقلام موضوعاً تجول فيه افكارهم وتعين لذلك جائزة لمن يجوز قصب السبق في هذا المضمار . وفي اوائل السنة ١٩١٠ عينت جائزة قدرها عشر ليرات افرسية وهو مبلغ كبير في ذلك العصر ، لمن يقدم لها تقريراً مسهباً عن الكرسي الانطاكي يشتمل على سلسلة البطاركة الانطاكيين بوجه الايجاز وعلى اقسام الابشيات قديماً وحديثاً واسماء المدن والقرى والمزارع وعدد سكانها الارثوذكسيين وعدد الكنائس واسمائها في كل مدينة وقرية وعدد الكهنة وعدد الكنائس والمعلمين والمعلمات والتلاميذ وحاجة الملة في كل ابرشية وسبيل سدّد الخلل فيها .

جمعية القديس بولس البيروتية . وفي صيف السنة ١٨٨١ اصطاف احد الغيورين الارثوذكسيين في قرية برمانا من قضاء المتن . ولدى سماعه القداس الالهي في كنيسة لم يكذب يفهم ما كان يتلوه كاهنها لقلّة بضاعته وكبر شيخوخته وبعد انتهاء القداس اجتمع هذا الغيور ببعض وجوه القرية وقال انه لا يناسب ان يستمر كاهنكم في الخدمة لعجزه ولاسيما والملة كثيرة العدد هنا . فأجابوه : يا ليت هذا الكاهن مختص بخدمة كنيسينا فقط فانه يخدم كنائس اخرى في القرى المجاورة نخلوها من الكهنة . فحثهم على انتخاب كاهن او اثنين . ولدى عودته الى بيروت جمع بعض الاخوة من ذوي الغيرة والمحبة وبين لهم حالة الملة في لبنان وانه يجب النظر اليها بتأليف جمعية تعنى بقرى الابرشية . فبدأ هؤلاء بواصلون الاجتماع ويقرأون الكتب ويقيمون الصلوات حتى السنة ١٨٨٣ عندما قابلوا غفرائيل متروبوليت الابرشية وعرضوا عليه مشروعهم . فسر الراعي الجليل وحض على مواصلة الاجتماع والصلوات وأطلق عليهم جمعية القديس بولس الرسول ثم سن لهم قانوناً وباركهم .

وفي اول ايار السنة ١٨٨٣ التأمّت جمعية القديس بولس جمعية قانونية برئاسة غفرائيل ونيابة الشماس غريغوريوس حداد (المطران فالبطريرك) وعضوية الخوري جراسيموس فواز رئيس دير القديس يوحنا دوما والخوري جرجس قطيط

والخوري جرجس جنحو والاخوة ابراهيم حايك و ابراهيم سعد والياس يوسف سعد وحنا ثابت وفرج الله رزق الله وفضول صباغة وفضول العم ولطف الله الزهار ولطف الله منسي ومتري حايك ومتري سماط وجبران بشور وجرجس قرداحي ونقولا كفوري .

وانصل رئيس الجمعية بالجمع الروسي المقدس فتبرع هذا الجمع بالف روبل وبكثير من الايقونات والاواني الكنسية . وبذل اعضاء الجمعية من اموالهم الخاصة وجمعوا من غيرهم . واخذوا يطوفون في جهات لبنان من قرية الى قرية ومن مزرعة الى مزرعة يساعدون الكنائس ويؤسسون المدارس . واندفعوا الى خارج ابرشية بيروت ولبنان فعملوا في راشيا وكفرمشكي وظهر الاحمر وعكار وغيرها . وسعوا في نشر نفائس الكتب الدينية على نفقتهم فطبعوا البوق الانجيلي والاورولوجيون الكبير والتعليم المسيحي وما اشبه من الكتب الجليلة .

الغاية الجليلة في حصص « وهب » مشال الغيرة والتقوى الطيب الذكر اثناسيوس متروبوليت حصص وتوابعها لرعاية ابرشيته فرأى كلمة الله حية فعالة أمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل فتدبر بالاعمال الصالحة التي بها اكمل الايمان فأنشأ المدارس بالتعاون مع الجمعية الامبراطورية الروسية ووجد في خليل بيدس خير مدير لهذه المدارس ونظم الجمعيات واللجان للعمل . ففي السنة ١٨٩٦ ألف اثناسيوس جمعية الغاية الجليلة لنشر الفضيلة فعينت هذه الجمعية مطالعة الكتب المقدسة وتفسيرها وتأسيس مكتبة وطنية عمومية يستفيد من مطالعتها سواد الملة .

وانتظمت في السنة ١٨٩٨ جمعية بوق النجاح في نور العفاف والاصلاح فجمعت كنيّة نشيطة من سيدات حصص وكرائمها فكانت تلثم كل اسبوع في يوم الاحد لتلاوة الاقوال الروحية والانشيد الدينية فيتذكرون في كلمة الخلاص وينصرفن لتشجيع الاعمال اليدوية واقتلاع العادات الضارة لتخفيض نفقات ربات البيوت .

اخوية التقوى في أزميز : ولم تنحصر هذه النهضة المباركة في كنيسة

مدينة الله انطاكية العظمى وحدها فخطر التبشير الغربي هدد اخواتها في اوروبة واسية وافريقية كما هدها في جميع ابرشياتها . وكان من نتائج هذا التهديد في ازмир ان انتظمت في السنة ١٨٩٣ لجنة روحية اعضاؤها من العامة واكثرهم صناع وفعلة . واتخذت هذه اللجنة لنفسها الاسم اوسينيا وجعلت غايتها انهاض الحياة الروحية والبطريركية بالانجيل . وترغم اعمالها كركور فافيدس وتكاثر الاعضاء العاملون حتى اصبحوا في السنة ١٢٠٠ سبع مئة بينهم ثلاثون مبشراً من العامة : وبارك متروبوليت ازмир هذا المشروع وايده في ذلك بطريرك الاسكندرية وغيره من الرؤساء الروحيين اليونانيين في كل مكان .

شغور الكواسي : (١٨٩٩ - ١٩٠٢) وشغور كرسني اللاذقية مذ تسلم ملاتيوس الثاني عرش الرسولين . وحرد جرمانوس متروبوليت حلب وبنيامين متروبوليت ديار بكر منذ انتخاب البطريرك . وتوفي متروبوليت ارضروم . وفي الرابع عشر من ايلول سنة ١٨٩٩ رقد بالرب جراسيموس متروبوليت سلفكياس (معلولا وبعلبك وزحلة) وفي السابع من كانون الثاني سنة ١٩٠١ فاضت نفس غفرائيل متروبوليت بيروت ولبنان . وفي الرابع من تشرين الاول من السنة نفسها انصرف نيقوديموس متروبوليت عكار الى جوار ربه .

انتقاء المطارنة : وكان المجمع الانطاكي المقدس قد اتخذ قراراً في ربيع السنة ١٨٩٨ بوضع نظام على غرار نظام بطريركية القسطنطينية . وكانت الحكومة العثمانية قد اذنت له بذلك (١٤ اذار ١٨٩٨) فألف لجنة برئاسة ملاتيوس اللاذقية وعضوية اثناسيوس حصص وغريغوريوس حماة وغريغوريوس طرابلس وجراسيموس سلفكياس واشترك بعض العلمانيين المتصلين في نواميس الكنيسة ونظاماتها . وكانت هذه اللجنة قد انجزت منذ صيف السنة ١٨٩٩ نظام انتخاب البطاركة والمطارنة ونظام تأليف المجمع الانطاكي المقدس « الدائم » ووصلت الى نظام المجلس الزمني .

وفي السنة ١٩٠١ دبح غطاس قندلفت احد اعضاء هذه اللجنة المشتركين سلسلة مقالات في انتخاب الاساقفة وشرطونيتهم ونشرها تباعاً في مجلة المنار

الارثوذكسية في بيروت فأعلن ان اللجنة المشار اليها اقرت مواداً ثلاثاً في الصفات اللازمة لمن ينتخب للاسقفية . ونشر نص هذه المواد فجاءت معربة عن سياسة البطريرك الجديد في انتقاء المطارنة ومجمعه المقدس .

وجاء في المادة الاولى انه يجب على كل منتخب ان يكون عثمانياً عن أب وبلا لوم تجاه الدولة والملة وان يكون قد احرز شهادة بحسن حاله من المحلات التي اقام فيها وان يكون قد اتم الثلاثين من عمره تمام الاعضاء من الذوات المعروفين عند الكنيسة ملماً بلسان الابرشية التي يعين لها . وجاء في المادة الثانية ان « رتبة الاسقفية تعطى لمن يثبت انه تعلم العلوم الكنائسية الارثوذكسية في المدارس الارثوذكسية ونال شهادتها » . ونصت المادة الثالثة على كيفية الترشيح والانتخاب فأشركت الابرشية في « ترشيح ثلاثة من الذوات الذين احرزوا الصفات المحررة في المواد السابقة » وأوجبت على البطريرك ان يبلغ المطارنة اسماء هؤلاء في ظرف اسبوع واحد وان يدعوهم الى الانتخاب بعد اسبوعين (١) .

وأتمى غطاس قندلفت مقالاته سائلاً الله ان يأخذ بيد البطريرك والمطارنة ويمكنهم « سريعاً » من اقامة الرعاية اللازمين الى الابرشيات المترملة « جرياً على ما تفرضه القوانين الكنسية التي لا تسمح ان تلبث الابرشيات مترملة مدة طويلة وعملما بما يقتضيه صالح الرعاية وتعزيز شأن الارثوذكسية دفعاً لمطامع من لا يرغبون في صالحها الحقيقي ويشتمون بضعفها وانحطاطها ويقفون لها بالمرصاد . ولا يهمهم نجاح كنيسة تاريخية قديمة مهمة في جسم الارثوذكسية » (٢) .

وعمل البطريرك بتوصيات المجمع وبمؤازرته فسام ارسانيوس (حداد) شماس غفرائيل متروبوليت بيروت مطراناً على اللاذقية في الثاني من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ وفي الخامس والعشرين من اذار السنة نفسها سام سلفسترس (زرعوني) مطراناً على ديار بكر . وكان سلفسترس قد لبس الاسكيم في دير البلمند ثم التحق بملاتيوس في اللاذقية فغريغوريوس في طرابلس شماساً انجيلياً . ثم رسم قساً وأرسل

(١) انتخاب الاساقفة لغطاس قندلفت : مجلة المنار ١٩٠١ ص ٣٧٨

(٢) المرجع نفسه ص ٣٧٨ - ٣٧٩

الى ترسيس لخدمة ابنائها فأقام فيها تسع سنوات (١). وفي اول كانون الثاني سنة ١٩٠٢ سام قسطنديوس (طرزي) مطراناً على ارضروم . وكان قد لبس الاسكيم في دير مارتقلا معلولا سنة ١٨٥٩ ودرس اللاهوت وسائر العلوم الدينية في مدرسة اليزاريون في اثينا وزار اوروبه واميركة وخدم في الكرسيين الاوروشليمي والاسكندري . وخص ملاتيوس الثاني حلب بعنايته فسام ابيفانيوس (السمرا) متروبوليتاً على حلب والاسكندرونة وتوابعها في الثاني من شباط سنة ١٩٠٢ . ولد في دمشق سنة ١٨٦٧ ودرس في المدرسة البطريركية في دمشق . ثم التحق باثناسيوس متروبوليت حصص فأخذ عنه التقوى والورع والعلم والموسيقى . فلبس الاسكيم سنة ١٨٨٤ ثم تبع معلمه الى حصص ودخل في خدمة غريغوريوس متروبوليت طرابلس وتولى رئاسة دير البلمند ودير مارجرجس الحميرا . وتفوق في الوعظ والكتابة والترتيبات الكنائسية . ثم انتخب المجمع المقدس الارشمندريت الكسندروس (طحان) رئيس الامطوش الانطاكي في موسكو مطراناً لبرشية ترسيس فسامه البطريرك في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ . وكان الكسندروس قد تميز بعلمه ففاز بالشهادة اللاهوتية الاولى من مدرسة خالكي وأجاد الموسيقى الكنسية واللغات العربية واليونانية والتركية والفرنسية والروسية . وتحلى بالورع والتقوى فغبط الارثوذكسيون اخوانهم في ابرشية ترسيس وتمنوا مثل حالهم الحسنة (٢) .

« وحق للكرسي الانطاكي ان ينتزع عنه اثواب الحداد وبرز بملابس العيد ويقابل باصوات الشكر آلاء العناية وانعطافها عليه وبابتسامة البشر مستقبلة الوضاح ونهضته المليئة . وانقضى زمن الترميل والتراخي وجاء وقت الجهد والعمل . مضى الخريف ببسسه وعريه وبدت طلائع ربيعته الجميل واخذت اغصانه تكتسي بالاوراق . واكتحلت عين الناظر بمشهد جميل اذ

(١) مجلة المنار : ٣٠ اذار سنة ١٩٠٠ ص ٤٤٥ - ٤٤٧

(٢) مجلة المحبة ٦ نيسان ١٩٠٢ ص ٢٠٩ والمجلة ايضاً ٢٧ ايلول ١٩٠٣ ص ٤٩٥ وفيها وصف حفلة الوداع في موسكو . والمجلة كذلك ٦ كانون الاول ١٩٠٣ ص ٦٤٣ - ٦٥٣ وفيها وصف سياحته .

رأى الكراسي الفارغة تملأ الواحد بعد الآخر برجال الهدى والفضل وشعوبها المنفرقة تنضم تحت راية الجامعة والتعاقد واطلاها الخالية تبدو بمظهر الشباب والعمران . ولا يسع الناظر الى هذا كله ان يسكت عن اسداء الشكر لراعي الرعاة واعضاء مجمه المقدس الذين ابدوا من الاهتمام بانتخاب اساقفة للابرشيات المترمة حقق بهم الظن انهم الرعاة المختارون للسهر على الخراف وقيادتها الى مراعي الخلاص » (١) .

ابرشية بيروت ولبنان : (١٩٠١ - ١٩٠٢) وشعر غفرائيل بانحراف في صحته في السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٠٠ . ووافق ذلك اليوم عيد مولد السلطان فخرج للكنيسة لاقامة الدعاء للسلطان ثم عاد الى القلاية فلبس اوسمته ونزل الى دار الحكومة للقيام بواجب التهئة باسم الروم . ورجع نحو الظهر ولزم الفراش متألماً . وكانت نزلة صدرية تناقلت مع مرور الايام فضى مستقبلاً وجهه البقاء في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٠١ . فطير منعاه الى البطريرك ، وكان لا يزال في انطاكية في جولته الرعائية ، والى المطارنة . فكتب البطريرك في العاشر من كانون الثاني معزياً محرضاً كهنة الابرشية على القيام بواجباتهم الروحية غير متقاعدين لتأييد الوفاق والمحبة راجياً من اولاده الوجهاء اعضاء القوميسيون ان يواظبوا بلا فتور لرؤية مصالح الطائفة والنظر في دعاوى . وفي الثالث عشر من الشهر نفسه حرر الى الاحياء بالرب الافندية يوسف سرسق وعموم اعضاء قوميسيون المطرانخانة في بيروت ذاكراً ماثر غفرائيل موافقاً على برقيتهم التي اعلموه بها عن اتفاقهم على تسمية الخوري اسبر الباشا وكيلا روحياً ويوسف افندي سرسق وكيلا زمنياً (٢) .

وكانت ابرشية بيروت ولبنان آتئذاً كبر ابرشيات كنيسة انطاكية . فاحصاءات الجمعية الامبراطورية الفلسطينية لقييل السنة ١٩٠٠ تجعل عدد

(١) الانتخابات الاسقفية في الكرسي الانطاكي لادارة مجلة المحبة ٩ شباط سنة ١٩٠٢ ص ٧٥ - ٧٦

(٢) المحبة ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٠١ ص ٣٣ - ٣٦

« العائلات » الارثوذكسية في كنيسة انطاكية كما يلي (١) :

٢٩٠٠	ديار بكر	١٠٠٠	انطاكية ودمشق
١٨٠٠	ارضروم	١٢٠٠	صور وصيدا
٢٥٠٠	ترسيس وادنة	٢٠٥٠	سلفكياس (زحلة بمليك)
٢٥٠٠	اللاذقية	٥٠٠٠	حصص
٢٨٠٠	عكار	١٠٠٠٠	حماة
٨٠٠	طرابلس	١٦٠٠٠	حلب
٢٠٠٠	بيروت ولبنان	٢٠٠٠٠	

وكان غفرائيل يلاقي من المتاعب والمشقات في سياسة ابرشيته هذه الواسعة الكبيرة ما ينوء بحمله كل رئيس . فان دورته الرعائية في لبنان كانت تستغرق أكثر من نصف السنة ومع ذلك لم يكن يستطيع النظر في كل الشؤون التي تعرض عليه ولا الاهتمام بكل ما تدعو اليه الحاجة من الاصلاح والاعتناء بشؤون الكهنة والكنائس . وكانت جمعية القديس بولس في بيروت قد لمست هذه المتاعب قبل وفاة غفرائيل ببضع سنوات فبحث أمر قسمة الارششية الى ابرشيتين في احدى جلساتها العمومية . وقام نجيب طراد فالتقى خطاباً في هذا الموضوع على مسمع غفرائيل فأبان حالة الطائفة في لبنان وما كانت عليه من الانحطاط وأبد كلامه بالتقارير الوافية وذكر المصاعب التي كان غفرائيل يلاقيها في اصلاح الخلل وما كان يحول دونه من كبر الارششية وتعدد حاجاتها وكثرة مطالبها . فلاقى رأيه استحساناً واستصواباً من جميع الحاضرين (٢) .

فلما انتقل غفرائيل الى دار القرار تفاوض اللبنانيون في شأن فصلهم الروحي فأقر عليه رأيهم ورفعوا الى البطريرك والجمع المقدس العريضة التالية :

« نحن ابناءكم الروحانيين القاطنين في جبل لبنان نرفع الى الجمع الانطاكي المكاني المقدس بشخص قداسكم الوافر للشرف هذه العريضة البنوية التي تقدمها بمزيد الاحترام متضمنة طاعتنا وتمسكنا بالخقائق الارثوذكسية المقدسة وعرضنا ما يأتي :

1) Echos d'Orient, 1900, 146 - 147 ; Vailhé, S., Antioche, Dict. Theol. Cath., I, Col. 1415 - 1416.

(٢) « بولس مظران جبيل والبترون » لادارة مجلة المحبة : ١٢ نيسان ١٩٠٣ ص ١٨٢ - ١٨٣

« ان القادي رسول الخلاص العظيم عندما ارسل تلاميذه الرسل بعد قيامته للكراسة في المسكونة كلها اقترحوا على اماكن رسالتهم كما يخبرنا بذلك سفر اعمال الرسل فوقعت سوربة التي نحن جزء منها نصيباً لسلفكم القديس بطرس الرسول . فأتى من اورشليم ماراً بالمدن حتى انتهى الى بيروت فاقام القديس كوارتس اسقفاً عليها . ثم مضى الى جبيل واقام عليها اسقفاً للقديس يوحنا الملقب مرقس . ثم مضى الى البترون فاقام القديس سيلا اسقفاً عليها . وهكذا تدرج الى الكراسي الاخرى كما شرحت ذلك كتب آياتنا القديسين وعلماؤنا الاعلام ولا سيما سلفكم الطيب الذكر البطريرك مكاروريوس الحلبي .

وعليه فان لبنان وطننا العزيز كان فيه اسقفيتان من وضع القديس بطرس . وعلى هذا التقسيم الرسولي ظلت الكنيسة تنمو متدرجة في صدر الديانة المسيحية . ثم لما هدى الله القديس قسطنطين المعظم ازداد عدد الكراسي ونما كثيراً فكان للبنان في ايام ازدهار الايمان كراسي كثيرة زاهرة بالرؤساء الروحانيين الاتقياء والشعب الوافر الطاعة والمستقيم الايمان . لكن الله شاء يسبح الهى ان تجرب كنيسة وصادها بعض المحن فقل عدد المسيحيين في لبنان كساقل في سواء ولذلك ضم الى ابرشية بيروت .

« والان بنعمة القادي ختن الكنيسة وعروسها الطاهر قد نمت ابناء البيعة المقدسة في ظل ظليل دولتنا الابدية القرار بجبل لبنان غوراً غزيراً . واصبحوا بحمده تعالى رعية متسعة نحو خمسين الف . وهو عدد يربو على عدد ابرشيتين سوى ابرشية بيروت في عهد المثلث الرحمت المطران غفرائيل الطيب الذكر .

« ولما كانت تقاليد الكنيسة تؤذن للشعب العديد ان يتولى رعايته راع خاص وكانت ابرشية لبنان مستقلة اصلاً عن بيروت كان من المعدلة والرحمة ان تستجيبوا ملتس ابناءكم الروحانيين ابناء البيعة الارثوذكسية في لبنان وتمنحهم بنعمة الله الانفصال روحياً عن ابرشية بيروت لانه يتعذر على الراعي ان يطوف في كل الارششية ان كانت بيروت ولبنان ابرشية واحدة كما ثبته الواقع في حياة المثالي الرحمت رعاتنا السالفين حتى كان يمر بضع سنوات ولا تشاهد كنائسنا مطراناً الرسمي وذلك لاتساع دائرة الارششية . فن الواجب ان نطلب الانفصال ليمكن راعي لبنان الخاص ان يتفقد قطيعه بأمره .

« ولما كان رعاة لبنان الاولون لا ينقصون منزلة ورئاسة عن رعية بيروت ولا من سواها جئنا نلتس من جئابكم الرسولي ان تقيموا لنا راعياً من ذات درجة احوار الارشيات الاخر . ونحن مستعدون للقيام بكل احتياجاته عن رضى وطية نفس .

« ونؤكد لغبطكم وللسادة المطارنة الاجلاء ان انفصالنا لا نقصد به الا الحصول على نجاح مستمر ونمو متواصل واننا كنا ولا نزال نحب اخواننا ابناء ابرشية بيروت حسب اوصانا الرسول اننا نعرف انفسنا اننا اولاد الله لاننا نحب بعضنا بعضاً .

« فنسترحم من سدتكم الرسولية باسم ابناءكم ارثوذكسي ابرشية لبنان ان يلتزم جميعكم المكاني

المقدس ويستدعي اليه كهنتنا ونواب شعبنا لعرض حقوقهم العادلة ليجري الفصل قانونياً ويقرر تحت رئاستكم استجابة ملتسنا كنائسياً . وفي الختام نسأل العزة الالهية دوام رئاستكم السعيدة ايها السيد الجزيل الطوبى » .

فصل لبنان عن بيروت : (١٩٠١) وعرض ملاتيوس البطريرك هذه العريضة وغيرها على المجمع الانطاكي المقدس وجرت المفاوضة بشأنها . وبعد المذاكرة قرر المجمع باتفاق الاصوات في جلسته المنعقدة يوم السبت في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ اجابة سؤل اللبنانيين وفصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلاً روحياً مطرانية بيروت وجعلها ابرشية لوحدها منفصلة روحياً عن بيروت . وأصدر البطريرك المنشور الآتي الى اللبنانيين :

نومرو ١٦٣٧ : ايها الابناء الاحباء بالرب قدس الكهنة الوريثين والافندية والمشايخ والاختيارية وعموم المسيحيين الارثوذكسيين في انحاء جبل لبنان المباركين . نعمة لكم ورحمة وسلام من لدن الله الآب ابينا والرب يسوع المسيح فادينا والروح القدس المعزي الصالح ينبوع كل تعزية وعطية صالحة .

« وبعد فانا نهدبكم دوماً طالبين اليه تعالى من اجل حفظكم وصيانتكم ونجاحكم روحياً وزمناً ونموكم في كل اعمال الصلاح لاجل اعتلاء شؤونكم وزيادة معموريتكم وبنيانكم في الرب .

« وبناء على المعروضات المتقدمة اليها من لفيقكم قد افترنا ملياً مع هيئة السينودوس المقدس المجتمع لدينا الان . وفي الجلسة السينودسية المنعقدة اليوم قد تقرر فصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلاً روحياً لمطرانية بيروت . ولاجل هذه الغاية قد انفذنا الان من قبلنا اخوينا السيدين كبير اثناسيوس مطران حمص وما يليها وكبير ارسانيوس مطران اللاذقية وما يليها القورين وهما يذكران للفيقكم المحبوب كل ذلك شفاهاً ايضاً .

« وبما ان العمل المشار اليه انما هو لاجل ازدياد معمورية لبنان روحياً وهناء احوال رعيته المحروسة وفلاحها في الرب لا شك انكم تقبلونه بعمل الارتياح والرضا والشكر لعنايتنا الرعائية واهتمامات سينودس كنيستنا الانطاكية المقدسة وتبادروا معاً طالبين الى الهنا القادي الوحيد ختن كنيستنا الارثوذكسية المقدسة

وراعي رعاتها الالهية ان يلهمكم لتسمية ثلاث مرشحين لموقع الانتخاب من رجال اكلتيروس كرسيينا البطريركي المقدس المعروفين بالفضيلة والتقوى والآداب المسيحية وسعة المعارف الروحية والاطلاع لتقدموهم اليها باقرب ما يمكن لاجل اجراء الانتخاب القانوني وتعيين من تختاره نعمة الروح الكلي قدسه مطراناً لابرشيته هذه المحروسة .

« ونحن من الآن نبسط أكف التوسلات الحية تعالى سبحانه ان يوفقكم الى كل خير والصلاح ويصون حياتكم الثمينية ويزيدكم نجاحاً وفلاحاً وينميكم كباراً وصغاراً بالعفاف وحسن العبادة وخوف الله ويبارككم جميعاً بيمينه القدوسة وينقذكم من كل شر وضرر بشفاعته سيدتنا والدة الاله مريم البتول النقية وجميع القديسين .

« نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن مع جميعكم ايها الاحباء للدوام . عن الشام في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ .

الداعي لجميعكم بالرب

ملاتيوس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق »

الترشيح والانتخاب : وعلى أثر ورود هذا المنشور البطريركي اجتمع اللبنانيون من كل القرى وأقاموا وكلاء عنهم لاجراء الترشيح القانوني . وبعد المذاكرة قرر هؤلاء باتفاق الاصوات رفع عريضة للبطريرك يقوضون بها غبطته والمجمع المقدس بانتخاب ذات يليق بالمنصب . فالتأم المجمع في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ وقرر باتفاق الاصوات انتخاب الارشمنديت بولس ابني عضل مطراناً للابرشية الجديدة ابرشية جبيل والبترون وما يليها . وفي الثالث من شباط سنة ١٩٠٢ تمت السيامة في الكاتدرائية المريمية في دمشق .

بولس متروبوليت جبيل والبترون : (١٨٦٥ - ١٩٠٢) ولد في دمشق في السنة ١٨٦٥ من ابوين ارثوذكسيين حبيب وافذوكية فسمياه عزيزاً . ودخل المدرسة البطريركية فأخذ اليونانية والموسيقى الكنسية عن اثناسيوس متروبوليت

حصص فيما بعد . ودرس العربية والرياضيات على ضاهر خير الله الشويري والتركية على جبران لويس . ومنحته المدرسة جائزة الامتياز في العلوم واللغات . وفي آب السنة ١٨٨١ أرسله ابروئوس البطريرك الى القسطنطينية لیتتم دروسه فيها . فالتحق بمدرسة الفنار سنة واحدة ثم انتظم في سلك طلبة كلية خالكي اللاهوتية . وأقام في هذه الكلية سبع سنوات وانهى دروسه في السنة ١٨٨٩ نائلاً شهادة الحداثة في اللاهوت مجيداً العربية واليونانية والتركية والفرنسية . وسيم شماساً انجيلياً في كنيسة خالكي وسمي بولس .

وعاد بولس الى الوطن فانضم الى معية البطريرك جراسيموس واحيلت اليه رئاسة القلم . واستمر في المعية البطريركية في عهد اسبيريدون . وسنة ١٨٩٤ سامه هذا البطريرك قساً وارشمندريتا . وتولى بولس بالاضافة الى اعماله القلمية رئاسة المدرسة البطريركية في الستين ١٨٩٤ ١٨٩٥ . وانتظم في المحكمة الروحية البطريركية فسطر احكامها ونفذ مطالبها . وفاز بثقة المطارنة اعضاء المجمع المقدس فأصبح كاتم اسرار هذا المجمع . واخلص للملايوس القائمقام البطريركي فالبطريرك فأحبه وعطف عليه .

منشور بولس الرعائي : (٣٠ اذار ١٩٠٢) وأصدر بولس متروبوليت جبيل والبترون وتوابعها منشوراً رعائياً في الثلاثين من اذار سنة ١٩٠٢ أعلن به انتخابه وسيامته وحض المؤمنين على الورع والتقوى والطاعة للسلطات الزمنية والدعاء للسلطان . وهو من افضل ما قرأنا لاي اسقف في اية لغة :

« اجد لله دائماً : بولس برحة الله تعالى مطران جبيل والبترون ومسا يليها : النعمة الالهية والبركة الساوية فلتشمل نفوس واجساد ابنائنا الروحيين المحبوبين بالرب الكهنة الورعين والمشايع المحترمين والذوات المعترين وارباب الحرف والفلاحين الاكرمين وسائر المسيحيين الحسني العبادة الارثوذكسين القاطنين في انحاء ابرشية جبيل والبترون ومسا يليها المحفوظة من الله . ليبارك الرب الاله عليهم وعلى حريمهم واولادهم وفي منازلهم وجميع اعمال ايديهم بآتم البركات الساوية ويدفع عنهم شر كل محنة وبلية بشفاعات سيدتنا والدة الاله البتول النقية والرسل المشرفين الكلي مديهم وسائر القديسين المختارين آمين .

امسا بعد فاننا نعلم محبتكم انه بعد انتقال المثلث الرخات السيد غفرانيل مطران

بيروت ولبنان الى الاخدار الساوية وغلو ابرشية من راع قانوني لها ينظر في شؤونها ويدبر امورها ورفع بنو الكنيسة الارثوذكسية المقدسة في جهات لبنان التابعة قبلاً لهذه ابرشية عرائض عديدة الى غبطة امام احبارنا كيريوس كيريوس ملايوس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق الكلي الطوبى والفائق الاحترام مسترحين فيها ان يقرر جمعياً اعاده مجد كنيسة الله فيما بينهم بمعلمهم ابرشية مستقلة كما كان في سابق الزمان وذلك لأسباب هامة سطروها في عرائضهم المذكورة . وبناء على ذلك عندما استدعى غبطته مصاف رؤساء كهنة الكرسي الانطاكي الرسولي المقدس الى دمشق مقره البطريركي ففي الجلسة الجمعية التي انعقدت يوم السبت الواقع في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ تحت رئاسته طرحت العرائض المذكورة لنظر المجمع المقدس . وبمسد قراتها والتمعن بما حوته من الأسباب الموجبة لتقديمها والمذاكرة فيها ملياً اعطي القرار باتفاق الآراء « بفصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلاروحياً مطرانية بيروت وجعلها ابرشية لوحدها منفصلة روحياً عن بيروت » كما قد اوضح غبطته ذلك في المنشور البطريركي الصادر في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ تحت نمرو ١٦٣٧ . وانه بعد اجراء المعاملة القانونية لانتخاب رئيس لهذه ابرشية عقد المجمع جلسة اخرى يوم الخميس الواقع في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ لاتمام الانتخاب . فخب اقامة الصلاة المفروضة واستدعاء نعمة الروح الكلي قدسه واعطاء الأصوات القانونية وقع الانتخاب بالاتفاق على حقارتنا . ويوم الأحد الواقع في ٣ شباط سنة ١٩٠٢ احتفل غبطته والسادة المطارنة الاجلاء بخدمة القديس الالهي ومحموا سيامتنا رئيس كهنة .

« وتقلدنا والحالة هذه رعاية ابرشية جبيل والبترون وما يليها المشتملة على ما كان تابعاً قبلاً لابرشية بيروت ولبنان العامة من المسيحيين الارثوذكسين القاطنين في اقضية الشوف والمثق وكسروان والبترون والكورة بصفة مطران عليها لتقوم بايفاء مقتضياتها الروحية وبمهام الخدم الكنائسية التي مآلها نجاح ابنائها الروحيين من كهنة وعلمانيين في الايمان والتقوى والاعمال الصالحة بحمد اسمه القدوس وخلص النفوس .

وبناء عليه رأينا من الواجب ان نوجه الآن خطابنا هذا نحو محبتكم ايضاحاً لكل ما ذكر اعلاه وبياناً لما لنا وعلينا نحكم من الحقوق والواجبات التي تميمها يتكفل بالوصول الى الغاية الحميدة التي لاجلها اسس رئيس ايماننا العظيم ربنا يسوع المسيح كنيسة المقدسة واقام فيها الرعاية والمعلمين .

« ونوضح بادىء ذي بدء محبتكم اننا اذ قد اتخذنا على عاتقنا حمل هذه الرئاسة الثقيل نصرف كل ما في وسعنا لاتمام واجباتها الشريفة نحكم اولاً بالسهر على ثباتكم في الايمان الارثوذكسي بالارشادات والتعاليم المبنية على « الكتب المقدسة القادرة ان تحكمكم للخلاص بالايمان الذي هو في يسوع المسيح » . وثانياً بالاهتمام في تدبير شؤونكم الروحية والنظر في مصالحكم بعين الحق والعدل واتخاذ كل الوسائل التي تؤول الى توطيد المحبة والالفة والسلام في ما بينكم وفي ما بين جميع الناس لتكونوا راتمين في مجبوحة السعادة وتنتعموا بثمارها اللذيذة . واتكالتنا في ذلك كله على نعمة الرب القائل « ان

قوتي في الضعف تكمل « القادر ان يصنع كل شيء بحيث يفوق جداً ما نسأله او ننصوره على حسب القوة التي تعمل فيها . له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع الى جميع اجيال دهر الدهور آمين » .

« اما واجباتكم ايها الابناء الاعزاء فتقوم بالطاعة لكلام الله والانقياد لنصائحنا وارشاداتنا الرعائية « حتى اذا تمسكتكم بصورة الكلام الصحيح الذي تسمعون من في الايمان والمحبة التي في يسوع المسيح » وحفظتم الوديعة الصالحة بالروح القدس الحال فيكم « تستحقون السعادة الحقيقية التي عني بها السيد بقوله « اما الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها » . « فروضوا انفسكم على التقوى لان التقوى تنفع في كل شيء ولها موعده الحياة الخاضرة والمستقبلية » . اذا واجبات عليكم بصفة كونكم مسيحيين حقيقيين هي ان تتمموا فروض الايمان القويم . ان تطلعوا الكتاب المقدس بالتمعن اللائق به . ان تسموا الصلوات في الكنائس بلا انقطاع بكل السكينة والاحترام لا سيما في ايام الاحاد والاعياد . ان تحافظوا على الصيامات الشريفة التي رتبها آباءنا القديسون . ان تعملوا اعمالاً تليق بالتوبة وتشركوا بالاسرار الخلاصية الطاهرة بكل الوقار . وبالاجمال ان « تغنوا نفوسكم بكل عمل صالح » مستمرين على الايمان متأسسين وراسخين وغير متقلبين عن رجاء الانجيل الذي سمعتموه وكرز به في كل الخليقة التي تحت السماء » و « غير ناسين فعل الاحسان والمؤاسة لانه بذنائكم مثل هذه يرتضي الله » . والله قادر ان يزيدكم كل نعمة حتى تكون لكم كل كفاية كل حين وفي كل شيء فتزدادوا في كل عمل صالح .

« وينوع خاص نوصيكم ايها الكهنة الوردون : « احسروا لانفسكم ولجماعة الرعية . كونوا قدوة لبنيتكم الروحيين بالتعقل بالاحتشام بضيافة الغرباء بالحلم بالقناعة . مدبرين بيوتكم حسناً بحثدين بتربية اولادكم في الخضوع بكل وقار . اتعبوا في كرمه الرب . وان عيرتم ليكن رجاؤكم وطيداً بالله الحي الذي هو مخلص الناس اجمعين ولا سيما المؤمنين . كونوا مثالا للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الايمان في الطهارة . لاحظوا انفسكم والتعليم واستمروا على ذلك فانكم اذا فعلتم هذا تخلصون انفسكم والذين يسمعونكم ايضاً » . صلوا من أجل سلامة العالم ومن أجلنا ذاكرين اسمنا في خدمة القديس الالهي وفي سائر القروض الكنسية تبعاً للقوانين الشريفة .

« ايها الآباء لا تغيظوا اولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره » . لا تطلبوا للمعارف الباطلة الخارجي الذي للتظاهر . بل اسعوا لتغذية نفوس بنيتكم بالحقائق الراهنة التي تبهج العقل بتورها الوضاح وتنش القلب بمعرفة الله المستخرجة من فحص نوااميس مخلوقاته والتأمل بها . « لان قدرة الله الازلية والوهته ترى منذ خلق العالم مدركة بالمبررات » و « احذروا ان يسلمكم احد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنة الناس على مقتضى اركان العالم لا على مقتضى المسيح » . واذكروا ما قاله الحكيم ابن سيراخ « ان كان لك بنون فأحسن تربيتهم . وانه ولد واحد يتقي الرب خير من الف منافقين . والموت بلا ولد خير من الأولاد المنافقين » .

« وانتم ايها المعتنون بالكنائس والمركلون على المدارس والاقواف لا تنسوا « ان بيت الرب

هو بيت صلاة » وأن المدارس هي رياض للنفوس وان الاوقاف مال دائم لثبات كليها تخصصه تقوى المتقدمين لخير مستقبل المتأخرين . واذكروا دوماً انكم اذ قد أوتيتهم على تربيتها وحسن ادارتها وجب عليكم ان تواظبوا على الاهتمام بتنظيم شؤونها والسعي وراء نجاحها لتسير في الطريق المؤدية الى الغاية الشريفة التي وجدت لاجلها .

« ويوجه الاحمال فقول لجميعكم انكم بالمحافظة على كنوز تعاليم الايمان الشريفة التي اخذتموها عن آباءكم وبفحصها بالتمعن ونشر حقائقها في الكنائس والمدارس والبيوت تضعون اساساً أميناً متيناً للنجاح الديني والادبي تبثون عليه ابنية الفضائل بجسارة كريهة مرصوفة بالتقوى والوداعة والصبر فتسكنون فيها فرحين بالروح وتمتعون بنعيمها شاكرين كنز الصالحات ورازق الخيرات . هذا فضلاً عن السعادة التي تحصلون عليها بصدق المعاملة والمسالمة مع الجميع بظل ظليل حامي المعارف وسايغ العوارف ولي عرش آل عثمان وفريدة عقد ملوك الزمان مولانا وولي نعمتنا بلا امتنان جلالة السلطان الغازي عبد الحميد خان « (١) .

جواسيموس متروبوليت بيروت : (١٩٠٢) وانحلت الأزمه فكتب ملاطيوس الى المجلس الملي في بيروت وعموم الارثوذكسيين يستحثهم على اجراء ترشيح راع لبرشيتهم المترملة . فأوفدت الطائفة جماعة من اعيانها ليرفعوا الى البطريرك خضوع المسلة واحترامها ويقوضوا الحكمة أمر انتخاب راع يليق بالمنصب الجليل . وزودت الطائفة الوفد بعريضة مبنية على هذا القرار .

وذهب الوفد الى مركز الكرسي الانطاكي ومشلوا بحضرة البطريرك ورفعوا اليه عريضة الشعب البيروتي فتلقاهم البطريرك بالحنان الأبوي والصدر الرحيب . ثم دعا الجميع الانطاكي الى جلسة انتخابية . فالتأم الجميع في الثامن والعشرين من اذار سنة ١٩٠٢ وانتخب بالاجماع الارشمندريت جراسيموس مسرة رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية اسقفاً وراعياً لأبرشية بيروت المحروسة من الله . وفي مساء ذلك اليوم أبرق غبطته الى سيادة المنتخب يعلن وقوع الانتخاب عليه ويأمره بسرعة الحضور .

وبزغت شمس التاسع والعشرين من اذار تحمل الى بيروت البشري

بأنحلال الأزمة وتحقيق الأمل فصدرت مجلة المحبة لسان جمعية التعليم المسيحي الأرثوذكسية في بيروت في الثلاثين من الشهر نفسه تهنئ الملة والأبرشية بما قبض الله لها من زوال الحزن بعد طول الصبر فنّ عليها بالرجل الذي جعلته موضوع ثقتها واعتبرته الشخص الوحيد الذي يستطيع ان ينهض بها الى ذروة النجاح ويفتح لها أبواب التقدم والفلاح .

« وسيادته رجل عرك الدهر وجرب الأيام وبلاها في حالتي بؤسها ونعيمها . ودرس أخلاق الأمم وعرف أحوال الناس ووعى في صدره جميع ما يعوز من في مركزه من معارف النظر والاختبار . وهو أغنى من ان يحتاج الى افادة او تنبيه وأدرى بما تطالبه به واجبات الأمانة والشرف والدين » (١) .

وأبرق جراسيموس بالقبول والخضوع وقام من الاسكندرية الى بيروت ومنها الى دمشق محاطاً بوجوه الطائفة . ولدى وصولهم الى دمشق استقبلهم في محطتها وفد بطريركي برئاسة الارشمندريت افرام الدبس المنتخب آنئذ لأبرشية عكار . وسار الوفدان الى الدار البطريركية . فلثم جراسيموس بيد البطريرك وصافح السادة المطارنة وأظهر خضوعه واستعداده لخدمة الكنيسة الانطاكية المقدسة فأجابه غريغوريوس متروبوليت طرابلس بخطبة بليغة أعرب فيها عن سرور الجمع المقدس بقدومه .

وفي يوم الخميس في السادس عشر من ايار سنة ١٩٠٢ احتفل البطريرك والمطارنة بسيامة جراسيموس مطراناً على بيروت فلفظ خطبة بليغة بعد تسلم عصا الرعاية استهلها بالاعتراف بفضل البطريرك عليه : « لقد لاق بك ايها السيد الجليل القبطة لقد لاق بك ان تكون انت القائم بهذا العمل الجليل المقدس لقد لاق بك دون سواك ان تكون انت المتمم كما كنت انت البادئ . لقد لاق هذه اليمين المباركة ان ترتبني في مصاف الرؤساء في خدمة الكهنوت كما ترتبني من بادئ الأمر فيها وادخلتني اليها . وليس الفخر لي بهذا كله بل انما الفخر والشرف لك انت الأب والمربي والمعلم والمهذب والمؤسس والباقي » .

ومن أفضل ما جاء في خطابه الكندرائي في بيروت ان أهم ما يطلب منه تربية رجال يخدمون الدين وتربية رجال يخدمون الأدب وان هذا الأمر لا يتم الا بالمدارس . « واذا سمعتم مني كلمة المدارس فلا تظنوا اني اعني بها المدارس الابتدائية والعادية . بل أعني المدارس العالية المدارس التي ترقى العقل بالعلوم العقلية وبالفنون الاصولية وتوجد في الملة حياة واستعداداً لسد كل احتياج عند اللزوم . فالكاهن المتنور المستعد والمدرسة الطائفية المجهزة بكل لوازم العلوم هما العنصران اللذان يحفظان مركز الطائفة ويرقيانها الى اوج النجاح . وعليه فاني أرى ان المشروع في أعمالي وخدمتي يجب ان يبدأ من هذه النقطة » (١) .

وتعددت الوفود المهتمة وتنوعت وكثرت الخطب وتفاوتت . وجاء الوفد الماروني فألقى نجيب حبيقة الشوري خطبة رائعة ضمنها دعوة الى التضامن والاتحاد فقال : « وهذا العيد لم تنحصر بهجته في طائفتك المحبوبة بل كان فيه حظ لسائر الطوائف ولا سيما طائفتنا التي يمثل وفدها الآن بين يديك مولاي ليجدد لسيادتكم ولا برشيتكم أخلص التهانى . فقد شاركنا اخواننا الأرثوذكس في حبك واجلالك . مثلهم رأينا فيك حبراً كريماً كبيراً . مثلهم علقنا عليك آمالاً خطيرة . فنحن ايها السيد النبيل في عصر نقول فيه ما قاله ملك الفرنسيين لحفيده الصاعد الى عرش اسبانية « لم يعد بيننا جبال بيرينه » . نحن في عصر به غدت كل طائفة تنظر في أحبار سائر الطوائف آباء لها كما ترى في أبناء الطوائف اخوانها . نحن في عصر يدعونا الى الاتحاد والأخاء في ظل الراية العثمانية الرفيعة ونرى صالحنا وصلاحنا في الوفاق والوثام بين رؤسائنا كما بين أفرادنا » (٢) .

جلس بيروت المي : (١٩٠٢) وفي الثاني من حزيران السنة ١٩٠٢ اي بعد وصول جراسيموس الى كرسيه بخمسة عشر يوماً جرى انتخاب جديد لمجلس الملة . وقضى البند الثالث من قانون هذا المجلس المصدق من جانب

البطريركية بأن ينظر في جميع مهام الطائفة واحتياجاتها الأدبية والمادية ومراقبة أعمال الجمعيات وانتخاب وكلاء الكنائس وفحص حسابات الأوقاف والنظر في جميع المسائل التي تتحول الى المطرانخانه من قبل الحكومة بما يتعلق بامور الطائفة مع تقرير كيفية توزيع البدلات العسكرية وضبط تحصيلها والمفاوضة والرأي في شأن الانتخابات العمومية كأعضاء المجالس والمحاكم وما أشبهه . وبالجملته فإن خصائص هذا المجلس قضت بالبحث والنظر في كل ما يقع للطائفة من الامور والمشاكل والمحافظة على حقوقها ضمن دائرة الناموس الكنائسي والنظامات الشرعية وكان يشترط في الأعضاء بموجب البند التاسع ان يكون سن كل منهم فوق الثلاثين وان يكون مقيماً في بيروت ومن معتبري الطائفة حائراً على الحقوق المدنية ذا أهلية تامة ومتمتعاً بالثقة العامة ومعروفاً بالمبادئ الصحيحة . ونص هذا البند ايضاً على ان يكون المطران رئيس المجلس الدائم .

واجتمع من المنتخبين في دار المطرانخانه ١٠٥ ذات من الدوات وهم ثلاثة ارباع المدعوين . فقرأ المطران اسماءهم . ولما كان عددهم كافياً لاجراء الانتخاب على ما صرح به القانون طلب المطران ان يكتب كل منهم قائمة باثني عشر منتخباً . ثم جمعت هذه القوائم وتليت علناً فقال الأكثريه بطرس داغر جرجي بسترس جرجي دباس سليم شحادة قسطنطين الخوري لطف الله ملكي نجيب سمرق نجيب نعمه طراد نخله التويتي نصيف الرئيس نقولا منسي ووديع فياض .

مجلس حصص المالي : (١٩٠٢) وانتهت المدة المهيئة لمجلس حصص المالي وعاد اثناسيوس اليها بعد غياب طويل . « فوزعت رقاع الانتخاب واعيدت ففضت في السابع عشر من حزيران » فأصابت أكثريه الأصوات سليمان الخوري عيسى فركوح انطون طرابلسي باسيل منصور نقولا حوي حبيب اسكندر عبد المسيح رزق الدكتور كامل لوقا نصر الله عطا الله انطونيوس سركيس نقولا عريضة ورزق الله رزق (١) .

باسيليوس متروبوليت عكار : (١٩٠٣) هو امين ابن يوسف الدبس البيروني ولد في ترسيس سنة ١٨٦٨ ونشأ فيها . وفي السنة ١٨٨١ توفيت امه ثم ابوه في السنة ١٨٨٢ . فانتقل امين باخوته الصغار الى بيروت حيث ربي في حجر عمه جبران الدبس . وحاول امين الانخراط في سلك الرهبنة فأنع ذووه فظل في بيروت يتعاطى الأشغال ويتردد على غريغوريوس الذي أصبح فيما بعد مطراناً على طرابلس . وسافر امين الى القطر المصري فأقام فيه ردهاً من الزمن ثم عاد الى بيروت سنة ١٨٩٢ وكل قواه منصرفة الى الزهد والحياة الرهبانية . وكان اخوته قد بلغوا رشدهم فتشدد عزمه وغادر بيروت قاصداً غريغوريوس في طرابلس . فوجده منهمكاً بتهيئة مدرسة كفتين . فدخل امين الدير في الثاني من آب سنة ١٨٩٣ . وفي السنة ١٨٩٤ أدخله غريغوريوس بمعيته في طرابلس . وفي اول نيسان سنة ١٨٩٥ سامه راهباً باسم افرام ثم انوغوسطاً فشامساً . وفي صيف السنة ١٨٩٧ انتدبه غريغوريوس وكيلاً لرئاسة دير سيدة ناطور . وفي السنة التالية سافر افرام الى دمشق وزار سيدة صندنايا فسامه اثناسيوس متروبوليت حصص قساً وعينه مرسلانطاكياً في اميركة الشمالية بناء على طلب الارشمندريت روفائيل هوايني . ووصل افرام نيويورك في صيف السنة ١٨٩٨ . ثم انتقل الى كندا لخدمة الارثوذكسين السوريين المنتشرين فيها . فعمل بغيرة ونشاط وأسس في السنة ١٨٩٩ اول كنيسة ارثوذكسية في كندا في مدينة مونتريال . وعلم تيخون مطران الاسكا الروسي بجهود افرام فسُرَّ منها وأجاز له تعليق الصليب والحجر وقت الخدمة الالهية .

وبقي افرام في كندا مواظباً على واجباته بكل صلاح ونشاط مواصلاً الوعظ والارشاد والاعتناء بشؤون أبنائه الروحية حتى السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ اذ اضطرته دواع صحية الى العودة الى الوطن . فوصل بيروت في خريف هذه السنة ثم التحق بمعلمه غريغوريوس في طرابلس . وبعد وفاة نيقوذيموس متروبوليت عكار عينه البطريرك وكيلاً بطريركياً على عكار بطرس بركة مؤرخ في ٨ تشرين الاول سنة ١٩٠١ . فقام بواجبات الوظيفة خير

قيام . وفي السابع من نيسان سنة ١٩٠٢ رقاها البطريك فجعله ارشمندريتاً . وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً في الثاني والعشرين من نيسان انتخبه المجمع المقدس مطراناً على ابرشية عكار . وقضت الظروف بتأخير سياحته بضعمة أشهر حتى يوم الأحد الواقع في ٢ شباط سنة ١٩٠٣ اذ صدرت أوامر البطريك بسياحته مطراناً على عكار في مدينة حمص وعلى ايدي مطارنة حمص وحماه وطرابلس فدعي باسيلوس .

مجلس ملي في دمشق : وفي حزيران السنة ١٩٠٣ تألفت هيئة المجلس الملي في دمشق من اسبر لقيس اسكندر طرزي بطرس قندلفت جبران اسبر جبران شامية جبران عبد النور جبران لويس جبران ملوك سمعان لادقاني مخائيل صيدح ونقولا شاغوري .

استفانوس متروبوليت حلب : وقضى ايفانيوس متروبوليت حلب في شرح الشباب غير متجاوز السادسة والثلاثين . وقد أدركته المنية في دير صندنايا في الثالث من اذار سنة ١٩٠٣ حيث أقام مستشفىاً من مرض ألم به واضطره ان يجتنب كل عمل وحركة . فانتخب المجمع خلفاً له الارشمندريت استفانوس . فسامه البطريك ومطراناً حماة واداسيس متروبوليتاً على حلب في السادس من آب سنة ١٩٠٣ (١) .

وهو خليل ابن يوسف مقبعة الدمشقي . ولد في دمشق سنة ١٨٥٣ ونشأ وترعرع فيها . ثم دخل مدرستها البطريكية . وكان منذ حداثة زاهداً راغباً في الحياة الرهبانية فالتبس في السنة ١٨٨٥ من البطريك جراسيموس السباح له بلبس الاسكيم فأرسله الى دير مار الياس الشوير حيث قدم النذر واتشح بالاسكيم على يد رئيس هذا الدير الارشمندريت اثناسيوس عطا الله فسمي استفانوس . ولما شرطن اثناسيوس مطراناً على حمص في بيروت استدعى استفانوس ورسمه شماساً انجيلياً في كنيسة بيروت الكندراية وألحقه بجمعيته فأقام في حمص سنة ثم رحلها الى

حماة لأسباب صحية . وفي السنة ١٨٩٤ انتقل الى بيروت ليتولى نظارة مدرستها الاكليريكية ويدرس الموسيقى الكنسية . وبقي في معبسة مطران بيروت متفقداً شؤون الأبرشية الواسعة حتى تسم عرش الرسولين ملاتيوس الثاني . فلما جال جولته الرعائية وتحقق ما تحلى به استفانوس من النشاط والغيرة وحسن السيرة والسريرة عينه رئيساً قانونياً على دير البلمند في السابع من نيسان سنة ١٩٠١ . فتسلم مهامه وأحسن ادارة الدير وظل فيه حتى انتخابه لمطرانية حلب (١) .

يواكيم الثالث البطريك المسكوني : وتبوأ يواكيم الثالث السدة القسطنطينية في الرابع والعشرين من ايار سنة ١٩٠١ . وكان من خيرة السادات الأعلام وقد اشتهر فضله بين الأنام منذ ان رقي هذه السدة نفسها للمرة الأولى في السنة ١٨٧٨ خلفاً لسلفه السعيد الذكر يواكيم الثاني . فانه أدار شؤون الكنيسة العظمى آتذ بحصافة عقل وحسن سياسة . ولما عباد المجمع القسطنطيني المقدس ودعاه للكرسي مرة ثانية وقع انتخابه واقعاً حسناً في جميع الأوساط الرسمية والمالية ووردت عليه رسائل التهاني بالالوف . وتوسم المؤمنون الأرثوذكسيون في جميع أقطار المسكونة في قداسته رجل المنصب الخطير وعلقوا على رئاسته خير الآمال .

يواكيم والكنيسة الارثوذكسية الجامعة : وكان قداسته شديد الغيرة على حسن العلاقة بين أعضاء الكنيسة الجامعة وعلى توثيق روابطها فوجه في اوائل السنة ١٩٠٣ رسالة عمومية الى رؤساء الكنائس الارثوذكسية المستقلة تتضمن السؤال عن رأي كل منهم في المسائل التالية : (١) في الوسائل الآتلة الى توثيق وحددة كنائس الله المقدسة الارثوذكسية المستقلة وتوسيع دائرة العلائق بينها . (٢) في علاقة الكنائس الارثوذكسية مع فرعي الديانة المسيحية العظميين اللاتين والبروتستانت ولا سيما مع الكاثوليك القديماء والكنيسة الانكليكانية . والكاثوليك القديماء جماعة من المؤمنين انفصلوا عن رومة سنة ١٨٧٠ لمناسبة القول بعصمة البابا واجتهدوا في ان يكونوا على الحالة التي كانت فيها الكنيسة

قبل انشقاقها الى فرعين يوناني ولايني واحترموا الكنيسة الارثوذكسية . (٣) في التاريخين اليولياني والغريغورياني . وأجابت الكنائس الارثوذكسية عن هذه الاسئلة الثلاثة ونشرت خلاصة اجوبتها جريدة الايشيا الصادرة عن القسطنطينية . والى القارىء ملخص هذه الاجوبة :

توثيق عرى الاتحاد بين الكنائس الارثوذكسية : وأيدت كنيسة اوروشليم توثيق العرى بين الكنائس الارثوذكسية وأوجبت ما يلي : (١) الاخلاص في الاميال والاعمال لكي تحفظ ودعة الايمان الشريفة المشتركة سالمة من كل شائبة (٢) صيانة الانجيل والكنائس من مفسدات المادة والسياسة . (٣) تغذية روح المحبة المتبادل والاحترام المتبادل واجتناب مداخل الكنائس في امور غيرها . (٤) الاشتراك الاخوي في الخدمة الشريفة وتبادل الاخبار المسرة والمكدة وتعاضد الكل وتكاتفهم لسد كل احتياج روحي او ادبي او مادي . (٥) عقد مجمع سنوي مؤلف من وكلاء الكنائس المستقلة في مراكز هذه الكنائس بالتناوب للتداول وتبادل الرأي . (٦) السعي الخفي لتربية نشء صالح يتولى خدمة كل كنيسة ورعايتها .

وجاء الرد الروسي بؤيد عقد المجمع السنوية الدوارة ولكنه لم ير ذلك عملياً نظراً لوقوع مراكز الكنائس في ممالك ودول متعددة مختلفة . اما ما يمكن تأييده بالفعل لتوثيق العرى فانه : (١) تبادل الرسائل بصورة متواصلة . (٢) تبادل الاخبار المسرة والمكدة . (٣) طلب النصيح والارشاد . (٤) وجوب التشاور في مسائل الايمان والمبادئ الاساسية في النظم والقوانين . (٥) وجوب اعتبار الارتباط عربون الحقيقة والحياة الابدية .

ولم يطرق الردان اليوناني والروماني هذا الموضوع . اما كنيسة الصرب فانه ارتأت ان المحبة المتبادلة بين الكنائس الارثوذكسية المستقلة يجب ان تظهر في تبادل الرسائل في كل ما يتعلق في الحياة الكنائسية . وقالت بوجود اجتماع وكلاء جميع الكنائس الارثوذكسية مدة بعد مدة . وأوجبت نقل المؤلفات القيمة التي تظهر بلغات

سائر الكنائس للدفاع عن الايمان المقدس . وجاء جواب كنيسة الجبل الاسود مماثلاً لجواب الكنيسة الروسية .

اتحاد الكنائس المسيحية : ورأت كنيسة اوروشليم انه لا يجوز التفكير في التقرب من البروتستانت واللاتين ما دام هؤلاء يغرون البسطاء من الارثوذكسين لابعادهم عن كنيستهم وما دامت اعمال التبشير هذه تجعل تبادل الاحترام والمحبة من الامور التي يتعذر مناهلها . وقالت كنيسة اليونان قول كنيسة اوروشليم واضافت انه يجب الاقتصاد على المحبة المخلصة نحو جميع الكنائس وان ما هو غير مستطاع عند الناس فانه يصبح مستطاعاً في المستقبل بنعمة الله . وأكدت كنيسة روسية رغبتها في « اتحاد الكل » ولكنها رأت هذا الاتحاد غير ممكن مع البروتستانت واللاتين لانهم يسعون لتقويض اركان الارثوذكسية . اما كنيسة رومانية فانها لم تسمح بحذف او الغاء شيء من العقيدة والتقاليد الارثوذكسية واضافت انه اذا رغب اللاتين والبروتستانت في الاتحاد فليس عليهم الا ان يقبلوا التعاليم الارثوذكسية كما هي . ولم تبد كنيسة الصرب رأياً بهذا الشأن .

الكاثوليك القدماء : ولم ترجع الكنائس الارثوذكسية ما يمنع التقرب من الكاثوليك القدماء والتودد اليهم . وفرقت الكنيسة الروسية بين المتصدين من هؤلاء في الازمنة الاولى وبين رجالهم المتأخرين وأوجبت شرح التعاليم الارثوذكسية وتأكيد الاعتقاد الثابت بأن الكنيسة الارثوذكسية وحدها حفظت ودعة المسيح بدون فساد ومن ثم فهي ايضاً الكنيسة المسكونية .

الانكليكان : ورحبت كنيسة اوروشليم بالتفاهم والتعاون مع الانكليكان ولكنها أوجبت انتظام لجنة من كبار علماء اللاهوت الارثوذكسين تجتمع في القسطنطينية بقرب « الاول بين الكراسي الارثوذكسية » وتتناكر فيما يجب تحديده ثم تعلن بواسطة البطريرك المسكوني ما يمكن ان يتخذ اساساً للاتحاد المنشود . واشترطت كنيسة روسية قبل كل شيء وجوب اقضاء المبادئ الكلوينية ونشر الرغبة في الاتحاد في الأوساط الانكليكانية نفسها .

مسألة تصحيح التأريخ : وهنا أشارت كنيسة الصرب الى وقوع الخطأ الرياضي العالي في الحسابين الغريغورياني واليوناني وانه من المناسب تأليف لجنة من العلماء الاعلام لرفع هذا الخطأ وتقديم حساب جديد يكون أشد دقة من الحسابين . ورأت كنيسة رومانية ان تصحيح الحساب آنئذ يولد العثرات في سبيل المؤمنين . وأشارت كنيسة اليونان الى هذه العثرات وارتأت حساباً جديداً أصح وأضبط من الحسابين المذكورين . أما كنيسة روسية فانها أوجبت المحافظة على التاريخ اليولياني في الفصحيات وفي الأعياد الكنائسية وأجازت استعمال الحساب الغريغوري في غير ذلك .

يواكيم وكنيسة انطاكية : واستبشر الانطاكيون خيراً برجع يواكيم الى الكرسي المسكوني وعلقوا عليه الأمل في الاعتراف بملاتيوس الثاني البطريرك الانطاكي لما عهدوه في قداسه من سعة الصدر واصالة الرأي وفرط المحبة والغيرة على الكنيسة الارثوذكسية الجامعة . ولكن البطريركية المسكونية أبت الا ان تميل اذنها الى ادعاء الأساقفة الانطاكيين المنفصلين فأوقفت الجواب عن رسالة الجلوس التي بعث بها ملاتيوس عند ارتقاؤه حسب التقاليد المألوفة ولم تستطلع رأي الكنيسة الانطاكية في المسائل التي بحثتها مع رؤساء سائر الكنائس الارثوذكسية المستقلة (١) .

الدعاية لاتحاد الكنائس : وحسب العلامة نقولا امبرازي الاستاذ في مدرسة فاكيون في اثينة فأصدر كتاباً يتضمن تواريخ الكنائس المسيحية ودساتير ايمانها واعترافاتها الرسمية من يونانية ولاتينية ولوثيرية وكلونية وانكليكانية وارمنية وقبطية وحشية ويعقوبية ونسطورية وأسباب انشقاق هذه الكنائس . ثم قابل بين عقائد هذه الكنائس في عدة مطالب مهمة كاعتبار قدر الكتاب المقدس وقيمة التقليد الشريف وتوحيد جوهر الله وتثليث اقانيمه وانبثاق الروح القدس وتكريم الايقونات وأسرار الكنيسة السبعة المقدسة . وأورد ما قاله بعض

(١) الكنيسة الارثوذكسية والاتحاد للإدارة المحبة ٢٠ كانون الاول ١٩٠٣ ص ٦٧٩ ومذكرات للكنائس الارثوذكسية في مجلة المنار ٣١ تموز ١٩٠٤ ص ١٦١ - ١٦٥ .

كبار رجال اللاهوت في الكنيسة الارثوذكسية كنيل الانكليزي وستروس الالماني ودولنغر الشهير وهرقر اسقف الكاثوليك القدماء وميشو أحد جهابذة هؤلاء ورأي يواكيم الثالث في اتحاد الكنائس . وأسرع الخوري يوحنا خزبون فنقل هذا المؤلف الى العربية ونشره بين قرائها في النصف الاول من السنة ١٩٠٤ . وأسماء « كنز النفائس » .

وكان بعض رجال الكنيسة الانكليكانية قد نشطوا للعمل في سبيل التفاهم بين الكنائس فأسسوا في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر جمعية الكنائس الشرقية ثم جمعية انتشار ضم الكنائس فجمعية انتشار وحدة الكنائس . ثم أصدر الأب انكتابولس الارثوذكسي في الآونة التي نحن في صددتها مجلة اتحاد الكنائس باللغتين اليونانية والانكليزية وذلك « لاطهار الشعائر المتبادلة بين الكنائس الرسولية الثلاث الارثوذكسية والرومانية والانكليكانية وتوطيد دعائم الصداقة والتعارف بينها والتعرف الى الفضائل الراسخة في وحدة الايمان والرجاء والمحبة . ومما قاله هذا الكاهن في اعداد جريدته الاولى ما تعريبه :

يزعم البعض ان اسباب الخلاف الذي يفصل الكنائس ناتج عن اختلاف التعاليم والطقوس لا عن سوء تفاهم واستخفاف واثرة لا تجوز الا على الجاهل . فوجدت من الضروري ان نتقرب من بعضنا لمعرفة ما بين تعاليمنا من الاختلاف والاتفاق وادراك كنه الحقائق المسلم بها ضاربين صفحاً عن كل ما هو فاسد ومتخذين المحبة التي أوصى بها الرسول اساساً لاعمالتنا وترساً يقينا لصد فجوات الاعداء وبمثل هذه الاستعدادات نوثق عرى الصداقة ونسك اسس الموانع القائمة حتى نرى الغيرة تقودنا من غير انتباه الى الانضمام والبحث في العوامل التي تؤول الى الاتحاد .

« ويدون هذا التور الداخلي وتبادل الآراء للتعارف يستحيل اخذ تار الخصام والتعصب . ومن الواجب ان نبين للجمهور كل ما يحتمل الجدل والريب . ول هذه الغاية نشاهد آفة اللاهوت ان يدونا بأرائهم في كل ما يمكن شرحه بحسب الاقوال الانجيلية . وبمعد تبين كل ذلك يجب على اعضاء الكنائس ان يسعوا وراء هذه الغاية سعياً فاعلياً . وهذا السعي لا يقتصر على الرؤساء بل يشمل الجميع . فاذا كان الاكليروس لا يساعد والعوام لا يساعدون الاكليروس فتحبط كل المساعي وتسقط كل القوة . فالتكاتف بالاعمال امر ضروري للكل » .

اسقف على السورين في اميركة : (١٩٠٤) وكان البطريرك الانطاكي ابروثيوس قد سام في السنة ١٨٧٤ روفائيل هوايني اناغوسطاً في كنيسة

الكاتدرائية . فعاد وسامه برضى والديه راسفوراً (راهباً لابس جبّة) في السنة ١٨٧٩ . وكتب في ذلك الوقت خريستوفوروس جباره عن القسطنطينية يقول ان قداسة البطريك المسكوني يواكيم الثالث أمره ان يحرر لغبطة البطريك الانطاكي لارسال تلميذ انطاكي الى مدرسة خالكي ليكون تحت عناية قداسته الخصوصية . فأوفد البطريك ايروثيوس الراسفور روفائيل الى القسطنطينية في اوائل تموز السنة ١٨٧٩ . ودخل روفائيل مدرسة خالكي على حساب يواكيم الثالث . وعند نهاية السنة الاولى سرّ قداسته من نجاح روفائيل في اليونانية . وفي السنة السابعة لوجود هذا الطالب الانطاكي في خالكي سامه متروبوليت سالونيك شماساً انجلياً . وفي السنة ١٨٨٦ اجتاز روفائيل الامتحانات النهائية وفاز بالديبلومة من الدرجة الاولى . وعاد روفائيل الى دمشق والتحق بمعية البطريك السعيد الذكر جراسيموس وجال معه جولة رعائية واسعة . وفي اثناء وجود البطريك في بيروت طلب روفائيل ان يرسل الى احدى اكاديميات روسية اللاهوتية لمتابعة الدروس فيها . فكتب جراسيموس الى الحجاج الروسي المقدس فجاء الجواب في السنة ١٨٨٨ بالقبول . فقام روفائيل في ايلول هذه السنة الى كيف والتحق بمدرستها . ثم عزل البطريك الانطاكي خريستوفوروس جباره من رئاسة الامطوش الانطاكي في موسكو واضطر ان يفوض روفائيل بادارته . فسامه افلاطون متروبوليت كيف قساً وتوجه الى موسكو في صيف السنة ١٨٨٩ .

ومما يجدر ذكره ان روفائيل سعى في اثناء اقامته في موسكو لاستقدام تلامذة انطاكيين واورشليميين الى مدارس روسية الروحية واعدادهم لخدمة الكنيستين . فوافق الحجاج الروسي وأم روسية ثمانية من دمشق هم اسكندر شامية ومري حريستاني ونعمان صيفي وكامل ابو عضل وقسطنطين نجار وجرجي دير عطاني وستة من حمص وهم انطون بلان وليان الحلبي وعيسى عاقل واسبر مبيض وشكر الله عطا الله وداود صباغ وابربعة من بيروت وهم نخله هواويني والياس قدسي والياس ابو الروس وحنّا رزوق واثنان من طرابلس وهما انطون

خشاب وعيسى زريق وواحد من حاصبيا نصيف ابو جعدة وابربعة من اورشليم وهم بندلي جوزي ويعقوب حنايا وصالح سنونو واسكندر حكيم . فأدخلهم روفائيل في مدارس موسكو وخاركوف واوديسة وروستوف وكالمونا .

ثم كان ما كان من أمر البطريك اسبيريدون الانطاكي فأيد روفائيل موقف الوطنيين فعزله اسبيريدون من رئاسة امطوش موسكو فترك روفائيل موسكو وذهب الى قازان للتدريس فيها والمطالعة والتصنيف (١٨٩٣) فنشر كراريسه في تاريخ الكنيسة المسيحية وتاريخ الكنيسة الباباوية وتاريخ الامطوش الانطاكي في موسكو .

ولم تمض سنتان على اقامة الارشمندريت روفائيل في قازان حتى ورد عليه في ربيع السنة ١٨٩٥ تحرير من «الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في نيويورك» تطلبه فيه راعياً في نيويورك وسائر اميركة الشمالية . فاستشار مطران قازان فأشار عليه ان يسافر الى بطربرج ليستشير نقولاوس مطران الاسكنا وسائر اميركة الشمالية . ففعل فحاز على القبول وعلى مساعدة مالية شهرية من الحجاج الروسي المقدس علاوة عما عينته له الجمعية في نيويورك . ووصل الى مدينة نيويورك في خريف السنة ١٨٩٥ واستأجر محلاً مناسباً للكنيسة في شارع واشنطون حيث السواد الاعظم من المهاجرين السوريين الانطاكيين . ثم شرع في جمع المال لشراء قطعة من الارض للدفن وقطعة ثانية لبناء كنيسة وثابر في ذلك وضحى من ماله الخاص فجاءته المساعدة من السوريين في اميركة ومن روسية ومن الطائفة في سورية ولبنان واستلّف شيئاً من المال فانشأ المدفن واشترى في السنة ١٩٠٢ كنيسة مبنية برسم البيع في شارع الياسيفيك في بروكلين نيويورك !

واستقدم الكهنة والشمامسة وبين هؤلاء افرام الدبس كما سبق واشرنا واحد كتاب التغذية الحقيقية في الصلوات الالهية . وفي السنة ١٩٠٠ أطل عليه الخوري يوحنا مجاعص من الشوير لجمع الاحسان لمدرسته فساعده واستحصل له رخصة بذلك من المطران تيخون . وفي السنة ١٩٠١ جاءه الارشمندريت

ملا تيوس كروم فعينه راعياً في كندا بدلا من الاب افرام الدبس .

ولس المجمع الروسي المقدس نشاط روفائيل ونجاحه . واخذ السادة الاعضاء بعين الاعتبار عدد السوريين المهاجرين الارثوذكسيين ومكانتهم فوافقوا على اقتراح تبخون مطران ألاسكا وانتخبوا روفائيل اسقفاً على السوريين الارثوذكسيين في اميركا في السنة ١٩٠٤ . وطلبوا موافقة البطريرك الانطاكي . فكانت سيامة روفائيل اول خطوة لتأسيس ابرشيات انطاكية في الاميريكتين .

جرمانوس متروبوليت سلفكياس : (١٩٠٤) وكانت ابرشية سلفكياس (معلولا وبعليك وزحلة) لا تزال مترملة بعد وفاة عالم الكرسي الانطاكي الطيب الذكر جراسيموس (يارد) . فسعى البطريرك والمطارنة لايجاد خلف يقوم بأعباء الخدمة الروحية في بقاع العزيز . فوجدوا ضالته في اميركة الجنوبية ما بين الارجتين والبرازيل في شخص الاب جرمانوس شحاده . وكان جرمانوس قد تحلى بالرصانة والتعقل والتواضع وحسن التبرير وشدة الغيرة على كنائس الارجتين والبرازيل والتفاني في سبيل أبنائهما . وكان تقي النفس وديع القلب بعيداً عن التعصب محباً للخير فاستبشر الزحليون به وعلقوا على رئاسته خير الامال . وفي الثاني عشر من ايلول سنة ١٩٠٤ احتفل البطريرك الانطاكي لاقامة القداس في الكاتدرائية المريمية يعاونه مطارنة حماة واداسيس وترسيس . وفي اثناء الخدمة جرت حفلة السيامة بوضع يد غبطته والسادة المطارنة حسب الترتيب المعروف . وبعد انتهائها وقف المطران الجديد وألقى خطبة شكر بها للبطريرك والمطارنة والشعب ثقتهم بشخصه وطلب اليهم ان يشتركوا بالتوسل الى الله تعالى من أجله ليعطيه الحكمة والفهم والمقدرة لتكون خدمته لاثقة لدى الله عز وجل ومفيدة للتبريك .

جولة رعائية بطريركية : (١٩٠٥) وبذل البطريرك طوقه في السنوات الخمس الاولى في تنظيم الكنيسة وحل مشاكلها فركب فيها كل صعب وذلول . وفي مطلع السنة ١٩٠٥ وضع الطريق واستبان البطريرك ما ينبغي سلوكه فاطمأنت

نفسه وعول على اكمال جولته الرعائية التي كانت قد انقطعت بوفاة غفرائيل في مطلع السنة ١٩٠١ .

وفي السابع عشر من ايار سنة ١٩٠٥ بارح البحر الانطاكي دمشق قاصداً حص فأرسل الوالي الى المقر البطريركي ياوره ويوزباشياً وعدداً من الفرسان واستتاب في الوداع نقولا افندي العضامي ترجمان الولاية . وخرج أعضاء القوميسيون الزمني واللجان الخيرية وعدد كبير من وجهاء الطائفة وقنصل روسية في دمشق فحيث غبطته في المحطة فرقة من الضابطات . ثم ركب البطريرك القطار يصحبه جرمانوس متروبوليت سلفكياس وكيله في البطريركية وحبيب كومين كاتم أسرارته وحاشية اكليريكية . وخف لاستقبال البطريرك حتى محطة القصير كل من اثناسيوس راعي ابرشية حص والكسندروس متروبوليت ترسيس ويوليوس بطرس مطران السريان ووفد من وجهاء الطائفة في حص ولدى وصوله الى محطة حص حيته كوكبة من الخيالة . فسار ووجهته كنيسة الاربعين والطريق على طوله مع النوافذ والسطوح ضائقة بالحمصيين على اختلاف الملل والنحل . واستقبله عند مداخل الكاتدرائية مصف الاكليروس بالحلل والصلبان والمباخر والشموع وقرع الأجراس ، وكانت هذه حديثة العهد في حص ، فدخل الكنيسة وبارك وصلى . ثم دفع خطاباً ليد متروبوليت سلفكياس ليتلوه بالنيابة فألقاه بصوته الجلي . وفيه الثناء على راعي الابرشية والحض على الطاعة والاخلاص للدولة . ثم سار الى دار المطرانية . فكان في طليعة المستقبليين اغابيوس معلوف متروبوليت بعليك على الروم الكاثوليك وجساء في التاسع عشر غريغوريوس متروبوليت حماة ووجهائها مرحبين داعين البطريرك لزيارتهم .

وفي السابع والعشرين من ايار قام البطريرك الى حماة فخفت الطائفة بأسرها لاستقباله في محطة القطار وأنفذ متصرف لواء حماة وفداً لاستقبال البطريرك والترحيب به وكوكبة من الفرسان لتحيته ومواكبته الى الكنيسة ومنها الى محل اقامته في دار غنائيل عبدالله . ووصل البطريرك الى الكنيسة وصلى وبارك وشكر ودعا . ثم ألقى متروبوليت حماة خطاباً فرد متروبوليت ترسيس باسم

البطريرك . وزار البطريرك المتصرف وقائد الجند فردا الزيارة حالا . ثم تفقد المدارس فلمس تقدمها ونجاحها . وعاد الى حصص .

اجتماع الاخوة جميعاً : وفي الثاني من حزيران خرج البطريرك من حصص الى طرابلس فاستقبله في العبيدة مطران طرابلس ومطران عكار وقبصر نحاس ممثل متصرف طرابلس وجورج كاتسقليس قنصل روسية ووفد من كهنة الموارنة وعدد كبير من ارباب المناصب ووجهاء القوم . وتابع السير الى طرابلس تواكبه كوكبة من الفرسان . فدخل الكاتدرائية وصلى وبارك ودعا للسلطان ثم قام منها الى كنيسة الموارنة فاستقبله كهنة الموارنة بالتراتيل عند مدخل الكنيسة فدخل وصلى وشكر وبارك فخطب احد الكهنة الموارنة شاكرًا لغبطته محبته الابوية فأجابته غريغوريوس متروبوليت طرابلس بخطاب ارتجالي افتتحه بقوله : « ما أحلى ان يجتمع الاخوة جميعاً » . ثم زار غبطته المتصرف ووكيل قومندان الموقع . وفي اليوم التالي أطل وفسد البطريرك الماروني ووجهاء زغرثا واعيانها فاستقبلهم البطريرك بكل احتفاء .

البطريرك في البلمند : وزار البطريرك ميناء طرابلس ثم تفقد شؤون المدارس الروسية في طرابلس وقام الى مدرسته الاكليريكية في البلمند . وجرت امتحانات الصف المنتهي في اللاهوت العقائدي والفلسفة والادب المسيحي ومؤلفات الآباء وتفسير الكتاب المقدس وقواعده والمدخل اليه والخطابة الكنائسية وتاريخ الكنيسة والنوموقانون واشرف البطريرك على معظم هذه الامتحانات . وكان احياناً يرافقه غريغوريوس طرابلس وباسيليوس عكار والكسندروس ترسييس .

وجاء موعد منح الشهادات في يوم الاحد في العاشر من تموز . فأقام البطريرك قداساً جريئاً شاركه فيه الكسندروس متروبوليت ترسييس . وعند النهاية خرج البطريرك الى الردهة البطريركية واصطف حوله الشمامسة المنتهون ثيودوسيوس ابو رجيلي وايسائيا عبود وفوطيوس صعب وفوطيوس خسيباز

واغناطيوس خوري وباسيليوس شاهين ويوسف ابو طبر والمبتدئان اسكندر يارد وجرجي دبو . فتقدمهم البطريرك في نشيد بعض الصلوات بصوته الرخيم . ثم اوما الى مدير المدرسة غطاس قندلفت فتلا تقريراً عن سير المدرسة في السنة المنصرمة ووجه النصائح للمنتهين وذكرهم بالمبادئ الشريفة وحضهم على الاستمسك بها بكل حرص وبثها في غيرهم بكل غيرة . وعقبه الشماس فوطيوس صعب (بيروت) فلفظ خطاباً وداعياً بالنيابة عن رفاقه . ثم قدمت الشهادات لغبطة فوزعها . وتكلم الكسندروس متروبوليت ترسييس فأبان ما كان يخامر قواد البطريرك وفؤاده لمشاهدة الفعلة النشيطين الذين يخرجون للعمل في حقول الكنيسة وزودهم ببعض النصائح .

خطاب الدكتور حبيب مالك : ورفعت جولة البطريرك الرعائية صوت الانجيل وألفت القلوب بالحبّة وأظهرت قدر الكنيسة واحترام السلطات الزمنية لها وأحيت في قلوب المسيحيين العزة والغيرة . ولعل افضل مساهمة عن شعور الارثوذكسيين خطاب الدكتور حبيب مالك الذي فاه به في دير البلمند لمناسبة زيارة البطريرك :

« وسلام يا دمشق الفيحاء وعلى هوائك النقي وجوك الصافي ومائك الزلال الوف من التحية والاكرام لانه قد خرج منك مدبر يرعى شعب اسرائيل . وكيف لا نفرح ونسر ونحن نرى في افتقاد ابنائكم في انحاء الكرسي اعظم موجب واكبر داع لذلك . وكيف لا نفرح ونحن نرى في شخصكم الطوباي حنو الوالد وانعطاف الاخ ومؤانسة الشريك وهمة البطل وسير الحاكم المقدام . ولنا على هذا عدة ادلة اكتفي بواحد منها هو تشييد مدرسة اساسها التهذيب وجدرانها العلم وسقفها الدين ومقائيج ابوابها بيد رجل الفضل والفضيلة سيادة راعينا النبيل (غريغوريوس) قر كنيسة . ولا بد لي يا ذا الغبطة من التطفل مذكراً بتشديد مدرستين احدهما في دير مار جرجس الحصن والثانية في دير مار الياس الشوير وبذلك تحصل المساواة .

« ولنا وطيد الامل مما سمعناه وما تحقق لدينا ان حالتنا في ايام غبطتك

مستكون ارقى من امس ان دينياً وان ادبياً . والارض عطشانة والبرزور حاضرة
واسباب الخصب متوفرة والاعين محدقة بنا من كل جانب وما علينا سوى
الارادة . واني اقرأ على جبين غبطتكم آيات مؤداها :

«مفتقدين ابناء كم لكي تحبوا في قلوبهم بزور المحبة والالفة ولكي تروا فيهم
ابناء للنور فيمجدون الآب الساوي ولكي تحبوا في قلوبهم حاسيات الشرف
والشهادة والغيرة ولكي تزيدوهم تسكناً بالعرش العثماني » (١)

دير مار جرجس الحمير : وعاد البطريرك من دير البلمند الى طرابلس
فقل كلف فدير مار جرجس الحمير . فجرى له استقبال عظيم وصباح الاربعاء
الموافق لعيد الصليب اقام قداساً حافلاً حضره الجمل الغفير من جميع الجهات المجاورة
ثم نظر في شؤون الدير فانشأ سوقاً فيه شمل مئة وخسين دكاناً فأنفق اكثر من الفلي
ليرة عثمانية .

دير مار الياس الشوير : وفي هذه السنة عينها وافق البطريرك على مد
طريق عربات تصل ديريه في الشوير بالطريق العام . وكان رئيس هذا الدير
الارشمندريت جراسيموس الدمشقي قد بنى تسعة بيوت للشركاء في ابي ميزان
وحارة في القنابة وحارتين في راميا وحارة في الزغرين وحفر اربعة بنايع في ابي
ميزان والقنابة وغرس ١٢٠٠٠ نصبة توت وانشأ مدرسة في الدير لتعليم ابناء
الطائفة من القرى المجاورة .

عيد تحوير الكوسي الانطاكي : وفي الحادي والثلاثين من تشرين الاول
سنة ١٩٠٥ احتفل الاب اغناطيوس رئيس الامطوش الانطاكي في موسكو بقداس
لمناسبة مرور سبع سنوات على وصول ملاتيوس الثاني الى الكرسي الانطاكي
« ولذكري تحرير هذا الكرسي وتعيين من هو جدير به من ابناء الوطن » . وخرج
المؤمنون من الكنيسة لدار الامطوش يقدمون التهاني لرئيسه . ونشرت الجرائد
الروسية خبر العيد الانطاكي مشاركة الانطاكيين بسرورهم (٢)

(١) المحبة ٦ آب سنة ١٩٠٥ من ٤٩٠ - ٤٩٢

(٢) الامطوش الانطاكي في موسكو لغوزي ابراهيم الخوري احد طلبة كلية اللغات الشرقية بموسكو :

المحبة ١٧ كانون الاول ١٩٠٥ من ٨١٤ - ٨١٥ .

الفصل الرابع والخمسون

غريغوريوس الرابع

وفاة ملاتيوس الثاني : وفي مساء الاربعاء الخامس والعشرين من كانون
الثاني سنة ١٩٠٦ شعر ملاتيوس الثاني بتوعك بسيط فأفاد حاشيته بذلك واخذ
بعض الادوية . ثم استدعى احد الاطباء فأسعفه ببعض العلاجات . وفي صباح
الخميس تساءل افراد الحاشية عن صحته فقبل انه لم يزل راقداً . وكان الوقت
ضحى فاستغربوا هذا الرقاد وتقدموا اليه فلم يفهمه بينت شفة . وكانت علامات
للتنفس شديدة . فاستدعوا الاطباء فقرروا انه مصاب بسكتة دماغية شديدة
الوطأة عظيمة الخطر . وعقد المجلس البطريركي المختلط جلسة فوق العادة برئاسة
اثناسيوس (ابي شعر) متروبوليت اداسيس فقرروا وجوب اعلام الوالي والسادة
المطارنة القرييين من دمشق . وارسل الوالي طبيبين ثم جاء بنفسه وشاهد البطريرك
بحالة الخطر الشديد .

وبعد ساعة فاضت روحه بين يدي الاطباء ونودي بوفاته . فعقد
قوميسيون الطائفة المختلط جلسة ثانية وقرر اخبار جميع اساقفة الكرسي الانطاكي
والنائب البطريركي في مدينة انطاكية . وأسرع الشامسة فغسلوه بالزيت والخمر
وألبسوه بدلة رئاسة الكهنوت ونقلوه الى صحن الكنيسة الكاتدرائية ووضعوه ضمن
عرش مكمل بالزهور والرياحين . وأحاط به الكهنة والشامسة يقرأون الاناجيل
ويرنمون الزبور . وبقي هذا الترتيب متواصلاً ليلاً نهاراً الى حين دفنه .

وقبل ظهر الجمعة في السابع والعشرين من كانون الثاني حمل البرق رسالة
من مطراني حص وحماة تفيد وصولها الى دمشق في المساء . فعقد القوميسيون
المختلط جلسة ثالثة وقرر الاحتفال بمآتم البطريرك يوم السبت في الثامن والعشرين
وابتداء من الساعة العاشرة قبل الظهر .

ونوافد القوم على الدار البطريركية للتعزية وفي مقدمتهم كثير من الرؤساء الروحيين . وأظهر الوفد الماروني من شعائر الحب والاخاء ما أوجب الشكر والثناء . فقد قال هذا الوفد : « حضرنا بالثياب عن كل الطائفة المارونية لا لتعزيتكم بل لمشاركتكم بالحزن . فنحن بالمصائب سواء لان كل ما يسر الطائفة الارثوذكسية يسر الطائفة المارونية وكل ما يسوؤها يسوؤنا . وهذه شعائر الموارنة في جميع الاقطار .

وعند الساعة العاشرة من قبل ظهر السبت غصت الكنيسة الكاتدرائية بالقوم على اختلاف الطبقات . وكانت لجنة القوميسيون المختلط تستقبل الوفود . فأقبل الوالي والمشير وقناصل الدول والرؤساء الروحيون وممثلو الجمعيات والوجوه والاعيان . وقام بصلاة الجناز كل من اثناسيوس متروبوليت حص وغريغوريوس متروبوليت حماة وبولس متروبوليت لبنان وجراسيموس متروبوليت بيروت وجermanوس متروبوليت زحلة وعدد عديد من الكهنة والشمامسة . وتولى التأيين متروبوليت بيروت . ثم حمل الفقيد على اكف المطارنة وسير به الى دار الكنيسة واودع الخلد بصحن الدار .

وصباح الاحد احتفل السادة المطارنة ومصف الاكليروس بقديس وجناز عن نفس الفقيد وارتقى المنبر متروبوليت لبنان وتولى التأيين ثانية . وبعد الظهر قام وفد من المطارنة فرد الزيارة لكل من بطريرك الروم الكاثوليك وبقية الرؤساء الروحيين . وفي المساء عقد المطارنة مع أعضاء قوميسيون الملة جلسة عهدوا فيها وكالة اشغال البطريركية لاثناسيوس متروبوليت حص (١) . وفي اوائل اذار صدرت ارادة سنية سلطانية بتصديق قائممقامية اثناسيوس وبلغت من نظارة العدلية الى والي الولاية (٢) .

صدي الوفاة في القسطنطينية والاسكندرية : وحرر بعض اعيان الطائفة الارثوذكسية في ابرشية ترسيس وأذنه عرائض الى المجمع الانطاكي المقدس

وطالبوا باجراء الانتخاب البطريركي الجديد على القاعدة القديمة لاعادة السلام الى احضان الكنيسة . وارسلوا نسخاً عن عرائضهم الى بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واوروشليم . فكتب البطريرك الاسكندري الى زميله القسطنطيني بأسف لخروج الكرسي الانطاكي عن جادة الصواب ويقترح اعادة النظر في المشكلة الانطاكية وتمهيد السبيل لاعادة المطارنة المبعدين الى كراسيهم واشراكهم في انتخاب البطريرك الانطاكي الجديد . ولكن السينودس القسطنطيني المقدس أثر عدم التدخل خشية تفاقم الشقاق واتساعه .

الترشيح : وفي العشرين من نيسان سنة ١٩٠٦ التأم المجمع الانطاكي المقدس لجلسة الترشيح القانوني فجري الترشيح بكل هدوء وسكينة وحاز كل السادة المطارنة اصواتاً . ولكن اثناسيوس متروبوليت حص فاز بالاكثرية ونال غريغوريوس متروبوليت طرابلس اربعة اصوات والباقيون اقل من ذلك . ونظم ضبط الترشيح ونقل الى والي سورية ليعرضه على المراجع الايجابية . وقبلت هذه المراجع قائمة الترشيح بكاملها فاعتبرت كل مطران من مطارنة الكرسي الانطاكي امهلاً للمنصب البطريركي .

غريغوريوس بطريرك انطاكية : وفي الخامس من حزيران سنة ١٩٠٦ عقدت جلسة التفريق برئاسة القائمقام البطريركي كيريس اثناسيوس متروبوليت حص وعضوية كل من السادة غريغوريوس مطران حماة وغريغوريوس مطران طرابلس وارسانيوس مطران اللاذقية وبولس مطران جبيل والبترون وجراسيموس مطران بيروت وباسيليوس مطران عكار واسطفانوس مطران حلب والكسندروس مطران ترسيس وجرمانوس مطران زحلة والخوري يوسف اليان والدوات جبرائيل ملوك وجبران لويس وسمعان اللاذقاني وبطرس قندلفت واسكندر ترزي وداود ابو شعر واسعد ابو شعر وامين يوسف ملوك ونقولا شباط . وقدم مطران طرابلس صك وكالة له من مطران ديار بكر وما بين النهرين مؤرخاً في ١٢ نيسان سنة ١٩٠٦ وصك وكالة له ايضاً من مطران صور وصيدا مؤرخاً في ٢٣ ايار سنة ١٩٠٦ . فكتب أعضاء هذا المجلس مجلس الانتخاب اوراقهم

(١) المحبة ٤ شباط سنة ٦٥ - ٧٨

(٢) المحبة : ١١ اذار سنة ١٩٠٦ ص ١٥٤

السرية . ولدى فتحها تبين ان غريغوريوس متروبوليت طرابلس فاز بالاجماع .

« قرار المجمع الانطاكي المقدس بانتخاب السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس بطريركاً لانطاكية وسائر المشرق الجلسة الثامنة : باسم الاله المثلث الاقانيم غير المنقسم قد التأمنا نحن مطارنة الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس في كنيسة دمشق الكاتدرائية المحمية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم وبناء على ما تقرر في الجلسات السابقة شرعنا في الانتخاب قانونياً وفي وسطنا ايقونة ربنا واهلنا ومخلصنا يسوع المسيح الطاهرة لايجاد شخص فيه الاهلية واللياقة وانتخابه لضبط زمام الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس والقيام بهما روحياً وزمناً . فوضعتنا اولاً اسم اخينا السيد غريغوريوس مطران حماه . ثانياً اسم اخينا السيد غريغوريوس مطران طرابلس . وثالثاً اسم اخينا السيد جراسيموس مطران بيروت الموقرين الذين ادرجت اسمائهم في هذا السجل البطريركي الشريف لبيان دائم وايضاح ثابت . وبعد التضرع والابتهال الى الهنا العظيم واستمداد نعمة روحه القدوس واعطائنا انتدابنا السري القانوني وقع الانتخاب على اخينا السيد غريغوريوس مطران طرابلس الوقور باتفاق الاصوات وهو اصلى صوته الى السيد جراسيموس مطران بيروت الوقور . فقدمنا لاله الضابط الكل الشكر القلي على ذلك تحريراً في اليوم الخامس من شهر حزيران المبارك سنة الف وتسعمائة وست الميلاذ ١٩٠٦ في دمشق » .

وكان اثناسيوس متروبوليت حمص قد اعلن عدم رغبته في الدخول في مصف المنتخبين بفتح الخلاء . وأخذ متروبوليت لبنان نص القرار وتلاه على مسمع الجمهور خارج الكنيسة فعلت اصواتهم بالاستحسان . ثم انتصب اثناسيوس متروبوليت حمص مناظر غريغوريوس فهناً مناظره بانتخابه بطريركاً وهناً نفسه والسادة المطارنة وعموم الطائفة بالسيد الجليل « سائلا الله جل جلاله ان يرعاه بعين عنايته ويوفقه لان يرعى الطائفة وان يمنحه حكمة التدبير » . وعندئذ ألقى البطريرك المنتخب كلمة استهلها بالقول : « ان راعياً لغنم ابيه وصغيراً في اخوته أتى قديماً الى منصب عالٍ في شعبه . انا الراعي الفقير الذي شرفته النعمة الالهية واختصته ثقة اخوته به ودالة ابنائه عليه فرغمته الى المقام السامي في هيئة الكرسي الانطاكي . فيحمد الله على نعمته ويشكر اخوته السادة الاجلاء ويدعو لابنائهم بالرب ضارعاً الى الله تعالى الذي منه كل قوة ومعونة ليؤمله معهم لحسن القيام بالواجب لنيل جميل المكافاة من الديان العادل » .

وهو غنطوس ابن جرجس ابن غنطوس الحداد . ولد في غرة تموز سنة

١٨٥٩ في قرية عبيه وترعرع فيها . وضعه والداه في مدرسة عبيسة الاميريكية فورد من معين العلم زلالاً وبرز على أقرانه ومال من صبوته الى الزهد والتأمل فأيد الله نيته ودفعه الى يد غفرائيل متروبوليت بيروت ولبنان في العاشر من ايار سنة ١٨٧٢ . فتنقف عليه في كل بر وفضيلة وحظي من جانب رضاه بما لم يحظ به أحد قبله فألحقه بمدرسته الاكليريكية . وفي الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٧٥ اتخذته كاتباً له فانبثقت اشعة نشاطه وبان سمو آرائه . وفي التاسع عشر من شهر كانون الاول سنة ١٨٧٧ ألبسه معلمه الاسكيم الرهباني في دير سيدة النورية . ثم سامه شماساً في التاسع والعشرين من آب سنة ١٨٧٩ واناظ به مهام عديدة منها انشاء جريدة الهدية ومنها ايضاً نيابة رئاسة جمعية القديس يولس ومنها وقوفه على طبع كتاب البوق الانجيلي .

ولما استأثرت رحمة الله بصفرونيوس (النجسار) متروبوليت طرابلس انتدب غريغوريوس ليكون خلفاً له فسامه غفرائيل قساً في السادس من ايار سنة ١٨٩٠ . ثم نال نعمة رئاسة الكهنوت من يد البطريرك جراسيموس بمشاركة سيرافيم متروبوليت اداسيس ونيقوديموس متروبوليت عكار وذلك في العاشر من ايار من السنة نفسها . فاشتهر بنشاطه واستقامته وعفافه وزهده ودمائة اخلاقه . وكان ضليعاً في اللغة العربية من صرف ونحو وبيان وعروض وفي الرياضيات والمنطق وفي العلوم الشرعية من فقه وميراث . وكان له ذهن لا يعرض عليه نسيان وقرينة سيالة كالسحاب وتصورات من ابداع ما يعرض للمخيلة وشعر منسجم الخواشي مبتكر المعاني . وكان له اطلاع في اللغة اليونانية وبعض الامام باللغتين التركية والروسية (١) .

حفلة التنصيب : وتبلغ غريغوريوس صدور الارادة السنية بالتصديق على انتخابه بطريركاً لانطاكية وسائر المشرق في السادس من اب سنة ١٩٠٦ فتقرر الاحتفال بتنصيبه يوم الاحد في الثالث عشر من الشهر نفسه .

(١) الارج الزاكي لامين ضاهر خيرالله ص ١٤٣ - ١٤٥ والمنسار ١٩٠١ ص ٧٤٨ - ٧٤٩ والحنة : ١٠ حزيران ١٩٠٦ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

وفي السابعة والنصف صباحاً قرعت الاجراس فتوارد المدعوون الى دار البطريركية وفي طليعتهم ممثلو الحكومة وقناصل الدول والوجهاء والاعيان ووفود الابرشيات .

وخرج البطريرك بموكبه الى الكنيسة الكاثدرائية المريمية لابساً بدلته العادية الجبة والصليب والشمسة والقلنسوة بالللاطية . فشى امامه القواسة ثم حملة الشموع والمرابح والصليب المقدس ثم المرتلون يرتلون الارمس التاسع للشعائين « الله الرب ظهر لنا » . ثم مشى الكهنة والارشمندريتيون ببدايتهم الكهنوتية ثم الاساقفة ثم رؤساء الاساقفة ثم المطارنة غريغوريوس حماة واثناسيوس اداسيس وارسانيوس اللاذقية وبولس جميل والبثرون وجراسيموس بيروت وباسيليوس عكار والكسندروس ترسيس وجرمانوس سلفكياس ثم الشماسية يحملون الديكاريات والتريكاريات والمباخر ثم حامل الشمعدان البطريركي ثم البطريرك المنتخب ووراءه اصحاب المقامات الرسمية .

ولدى وصول البطريرك المنتخب الى مدخل الكاثدرائية الغربي وولوجه الترنكس بدأ المرتلون بترتيل « بواجب الاستيهال » . وتقدم الشماسة فالبسوا البطريرك المنتخب المنبئة . فدخل الكنيسة ببيخره اثنان من الشماسة . ودخل الهيكل مع جميع هيئات الاكليروس وسجد وقبل المائدة المقدسة . ثم تنحى فتقدم غريغوريوس متروبوليت حماة أقدم المطارنة شرطونية لابساً البطرشيل والامفوريون الى امام المائدة المقدسة وبخرها . فقال الشماس بارك يا سيد . فرتل متروبوليت حماة « تبارك الله الهنا .. ايها الملك السماوي » الخ . ثم أعلن قائلاً « لأنك اله رحيم » ثم ختم بعبارة العنصرة . وعندئذ لبس البطريرك المنتخب البطرشيل والامفوريون وبخر حول المائدة المقدسة وأتم الصلاة كأول المطارنة . وبعد الحل تقدم الشماسة وزعوا عنه البطرشيل والامفوروي وبعد ذلك خرج الموكب المؤلف من رؤساء الكهنة والكهنة والشماسة ووقفوا في الخورص صفين . ووقف البطريرك المنتخب في الباب الملوكي متجهاً نحو الشعب . فانتصب كاتب المجمع المقدس الشماس باسيليوس الصيداوي في بهرة الخورص وتلا

بصوت جهوري « الاعلام العظيم » .

« ان المجمع الانطاكي المقدس ومصنف الاكليروس الموقر وجماعة الشعب الارثوذكسي المبارك قد انتخبوا غبطتكم باتفاق الرأي بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق بالهام الله وهم يدعونكم بواسطة الابن الحقيق الى هذا الكرسي الانطاكي البطريركي المقدس المؤسس من هامتي الرسل بطرس وبولس الالهيين . فارتقوا اذاً اليه ايها السيد الكلي الغبطة وزينوه عمرآً مديداً كما زينته اسلافكم الرسل الاطهار واغناطيوس المتوشح بالله وافستاثيوس الكبير وملاطيوس الشريف وسائر الذين تقلدوا زمام هذا الكرسي المقدس بخوف الله » .

وبعد هذا تقدم غريغوريوس متروبوليت حماة الاول سيامة بين المطارنة وسلم البطريرك عصا الرعاية قائلاً : « الله معك يا مبارك الرب . تشجع وتقو بالرب . وكن اميناً في الخدمة التي اختارك لها الله الهك . وارع بخوف الله وامانة ونشاط الرعية المقتداة بالدم الكريم في مراعي الخلاص . واوردها بنابيع الحياة الالهية حافظاً الايمان وساهراً في الصلاة محباً لله ولشعبه المختار ومعلماً الجميع وصايا الرب وحقوقه صائراً مثالا في كل عدل . وخذ يمينك هذه العصا القوية لتكون لك نحو الجهال والمتمردين للتأديب ونحو العقلاء والراضخين للرعاية والعناية » .

وقدم غريغوريوس الاول بين المطارنة العصا وقبل يمين البطريرك غريغوريوس . فتناولها البطريرك وزل من الباب الملوكي يتقدمه الشماسة بالديكاريات والتريكاريات وذهب فصعد الى السدة البطريركية ولفظ خطاباً مستمداً العون الالهي للقيام بمهام منصبه السامي :

« ان خطارة المنصب بالنسبة الى حقارتنا تزيدنا شعوراً بضعفنا واحتياجنا الى نعمة التقدير . ونتقدم لتمام رغبة اخوتنا بالرب الكلي طهرهم وابنائنا الاحياء بالروح القدس بارتقائنا الى هذا الكرسي الرسولي المقدس معاهدين ان ن بذل جهد القدرة للقيام بامانة ونشاط بواجبات المنصب الذي عهد الينا ثابتين ومخافين على الناموس الالهي والترتيبات الشريفة ونفوس الرعية وحقوق الله حتى النهاية شاكرين لاختوتنا الكلي طهرهم انتخايم لنا على ما بنا من الضعة وبئينا الاعزاء ثقتهم بنا على

ما بنا من الضعف مستمد من جميعنا العون الالهي والمساعدة الاخوية والطاعة البنوية للبلوغ الى غاية رضى الذي يدين كل الخليقة . فنظهر جميعنا اهلا للدعوة التي دعتنا لميراث ملكوت السموات .

ثم وقف جراسيموس متروبوليت بيروت في الكرسي المقابل للكرسي البطريركي وأجاب غبطته على خطابه بخطاب ناب فيه عن هيئات الاكليروس والشعب بتهنئة غبطته . فوصف سرور البيعة الانطاكية براعي رعاتها واطهر ما علقته عليه من الآمال وما انتظرت من حكمته وحزمه .

فرتل المارتلون البوليكرونيون البطريركي وبسارك البطريرك الشعب بالصليب الكريم . ثم احتفل غبطته ولقيف الاكليروس بخدمة القديس الالهي . وقبل تلاوة الرسائل اي بعد ترتيل « يا رب خلص المؤمنين واستجب لنا » ارتقى غبطته الكاتندرا الرسولية في صدر الهيكل فهتف متقدم المطارنة « اكسيوس » اي مستحق . ورتل هذه الكلمة المطارنة والاكليروس داخل الهيكل ثلاثاً والمارتلون في الخورصين ثلاثاً ثلاثاً . ثم اعلن الارشدياكون القيمي البطريركية :

« غريغوريوس الاب الاقدس الطوباوي والجزيل الاحترام بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسورية والعربية وكيليكية والبلاد الكرجية وما بين النهرين وسائر المشرق . ابو الآباء وراعي الرعاة ورئيس الرؤساء ثالث عشر الرسل القديسين الاطهار ابونا ورئيس رعاتنا لكن سنوه عديدة » .

فرتلها المطارنة والاكليروس القائمون في الخدمة المقدسة من الهيكل اولاً ثم أعادها المارتلون في الخورصين كل خورص لوحده . وبعد نهاية القداس خرج البطريرك بموكبه الى دار البطريركية (١) .

ولما استقر بالجمع المقام نهض قنصل فرنسة في دمشق وتكلم باسمه وباسم زملائه قناصل الدول مهتئاً وتحنى للبطريرك وللطائفة الارثوذكسية التوفيق والهناء . فشكر البطريرك ما لقيه من المحاملة واللفظ . ثم نهض اسكندر الطرزي فتكلم بالتركية فالدكتور داود ابو شعر شعراً وثراً فجرجي عطية متغنناً بوصف سرور الملة فالدكتور خليل الحايك باسم ابرشية طرابلس فسلم شامية بالنيابة عن لجنة حب

(١) كتاب خدمة رؤساء الكهنة لجراسيموس متروبوليت بيروت : « وهو الذي روعي يوم تنصيب غبطة البطريرك الحالي السيد غريغوريوس الرابع الجزيل القداسة » ص ٩٥ - ٩٦ .

الرحمة فسلم عازي . وفي النهاية وقف البطريرك نفسه فاستهل باستمداد العون الالهي وأعرب عن ثقته بمستقبل سعيد لما توسمه من مضافة وجهاء الطائفة واعيانها ومساعدتهم اياه مادياً وادبياً (١) .

رسائل الجلوس : وفي الرابع عشر من اب سنة ١٩٠٦ اي بعد حفلة التنصيب بيوم واحد وجه البطريرك الجديد رسائل الجلوس الى البطارقة ورؤساء الكنائس المستقلة :

« بعد الديباجة : نبدي اننا نتبع ترتيباً شريعياً وعريقاً في القدم يوجب على رؤساء الكنائس المقدسة المستقلة الروحيين ان يعلموا بعضهم بعضاً بالحوادث المهمة التي تحدث حيناً فحيناً في كنائسهم وان يرسلوا الرسائل السلامية بياناً بخصوصاً لارتقائهم على منصة الرئاسة في تلك الكنيسة . فنقدم برغبة فوادية لنعلم كل قداسكم انه بعد انتقال سلفنا السعيد الذكر ملاتيوس الى الرب في اواخر شهر كانون الثاني للسنة الحالية اجتمعت الهيئة الانتخابية وهي مؤلفة من مطارنة الكرسي الانطاكي الرسولي المقدس الجزيل طهرهم ومن النوات فواب الشعب المحفوظ من الله فأتمت كل المعاملات التمهيدية للانتخاب بحسب الاصول المرعية في اجتماعاتها القانونية تحت رئاسة القائم مقام البطريركي السيد اثناسيوس مطران حص الكلي الاحترام . وفي اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٠٦ اجتمع الجمع الانطاكي المقدس المؤلف من جميع مطارنة الكرسي الرسولي في كنيسة فياح سيدتنا والدة الاله الكاتدرائية في دمشق تحت رئاسة القائم مقام البطريركي المشار اليه . وبتمام الحرية وبارشاد نعمة الروح الكلي قدسه مبدأ كل عمل مقدس وجه انظاره الى ضعفنا بانتخاب حقارتنا باتفاق تام وبرأي واحد بطريركاً لمدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق .

« وبعد ان صدق جلالة متبوعنا الاعظم صاحب الشوكة والافتدار سلطاننا الانخم على انتخابنا القانوني الذي جرى بالصورة المبينة وأعلن رضاه الملوكاني العالي يارادته السنية الصادرة في ٥ آب سنة ١٩٠٦ تم يوم أمس الأحد الواقع ثالث عشر شهر آب الجاري ارتقاؤنا على حسب الاصول المرتبة ترتيباً الى الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس في الكنيسة الكاتدرائية المشار اليها في مدينة دمشق .

« ولما كان من اقدس اهتماماتنا ان نحافظ على رباط الاتحاد والمحبة في المسيح غدير متقطع

(١) المحبة : ١٩ آب ١٩٠٦ ص ٥٣٢ - ٥٣٨ . وبعد الصفحة ٥٤٤ « صورة اهم الخطب والقصاصات التي تليت في حفلة تسليم المكاز لغبطة العلامة المفضل كيريوس كيريوس غريغوريوس الرابع بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق الكلي الطوبى والجزيل الطهر » وبينها خطاب جراسيموس متروبوليت بيروت وخطاب بولس متروبوليت جبيل والبترون .

ينبادر بتحريرنا هذا الاخوي الذي به نعرف كلى قداسكم الوقورة والمشتهاة ما تقدم ونصافحكم بشوق روحي ومقدس ونقبلكم القيلة الفوادية بالمسيح .

« على اننا باستلامنا سكان السفينة المؤسسة من الله سفينة انطاكية المقدسة فلتذهب بغيره حارة ورغبة واحدة فقط في كيف يمكننا بمعونة الله ان ندبر السفينة المحفوظة تدبيراً نافعاً ومرضياً لله ونقودها بسلام لاتمام ارادة الرب الصالحة والكاملة وان نتبع خطوات راعي الرعاة العظيم لناي بشعب الرب الخاص المسلم لمهدتنا الى مراعي نعمة الانجيل وينابيع الخلاص كما يريد الله . غير انه سيكون من اقدس واحلى واجباتنا هذا الواجب اي ان نجتهد في ان نحافظ على الربط المقدسة مع قداسكم الوقورة ربط المحبة والسلام ونقدم صلوات ونضرعات من اجل ان تكون خدمتكم وخدمتنا مشمرة في كرم الرب لجد اسمه الفائق التمجيد . ومن ثم نرغب من تقوى قداسكم الشيء ذاته اي ان تتمتع بمثل ما ذكر وننال منكم الرسائل المتتابة تعزيزاً وتقوية لربط المحبة الاخوية بيننا التي هي كمال التاموس واسمى وصايا المسيح مخلصنا وقادينا ولتوثيق عرى السلام المعطاة الطوبى لضانعيه من فم مخلصنا .

« فعل هذا نصافح هاتكم الموقرة ونطلب من الله مانح النعم ان تكون سنوكم كثيرة وخلصية تتمتعون فيها بصحة النفس والجسد . ونعمته تعالى فلتكن معنا وفيا بيننا على الدوام آمين . مستمد دعاكم اخوكم بالمسيح المستعده لخدمتكم بالرب غريغوريوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق : حرر في رابع عشر شهر آب سنة ١٩٠٦ في مدينة دمشق » (١) .

وسبقت كنيسة موسكو اخواتها الأرثوذكسيات في المحبة فأقام الاسقف انسطاسيوس وكيل متروبوليت موسكو قداساً حبرياً في كنيسة امطوش الكرسي الانطاكي في يوم تنصيب غريغوريوس في الثالث عشر من اب سنة ١٩٠٦ ودعا دعاء حاراً للبطريرك الجديد وألقى كلمة باسم الكنيسة الروسية هنا بها البطريرك الانطاكي غريغوريوس « عمود الكنيسة غير المتزعزع » (٢) وأسرعت جميع الكنائس المستقلة للرد على رسالة الجلوس بالمحبة الاخوية .

وأنعى السلطان العثماني بالسام الحبيدي الاول على غريغوريوس « جزاء اخلاصه وصدق خدمته » فكان هذا الانعام خير رد على اعتراض مطارنة اليونان الانطاكيين الاربعة البعيدين عن كراسيهم الذين اعتبروا مستقيين . وكان رائد يواكيم البطريرك المسكوني مذ تسم السدة القسطنطينية توثيق عرى المحبة والوفاق

(١) مجلة النعمة : ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ص ٢٥٧ - ٢٦٠

(٢) المحبة : ١٦ ايلول ١٩٠٦ ص ٦٠٤

بين الكنائس الارثوذكسية فرد على رسالة الجلوس الانطاكية في الرابع عشر من اب سنة ١٩٠٩ بأحلى منها :

« ايها الاخ المحبوب بالمسيح جداً الكلي الغبطة والقداسة بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق ومساهم حقارتنا في خدمة الاسرار الالهية المشوق اليه كثيراً كيرىوس غريغوريوس . بعد مصافحة غبطتكم الجليلة اخوياً بالرب يحلو لدينا جداً ان نخطبكم بما يأتي :

« ان رايع البطريركيات الشريف المؤلف من كنائس الله الشرقية المقدسة كان دائماً بنعمة الله وبجله التقوى قاطعاً كلمة الحق باستقامة ومرتباً بعري المحبة الاخوية والاتفاق والمعاضدة ارتباطاً لا ينقسم كما كان متحداً بالرأي . فتوطدت بذلك وحدته وأصبح معسكراً قوياً يؤيده التكاتف على المصالح المشتركة العائدة لخلاص وصيانة ذويه والقريبين منه فضلاً عما يتأتى عنها من الارشاد والمساعدة للبعدين . وبما ان هذا الرايع يركز برب واحد واله واحد ومعمودية واحدة فكانت ايضاً رغائيه مشتركة وكذلك مقاصده المقدسة والشريفة التي بها يرشد الى الخلاص ويعمل على البنيان وبكل غيرة حافظ على ثوب الوحدة والاتفاق في الرأي الذي نسجته يد علوية وعملت على صيانتها من كل غرق . فالجد لله الكلي الصلاح ورئيس السلام فانه بمسرتة المقدسة وينعمته تمكن رباط المحبة القوي من ان يبعد النفرة التي دخلت حيث لم يكن لها محل . وأعاد ثائبة القريبين والانسياح الى قراباتهم ونسبتهم السابقة التي ولتها الفطرة والدعوة المشتركة كما شهد بذلك التاريخ القديم والتقليد على مر الدهور . فكان ذلك كله لتعزيتنا المشتركة وخلصنا وفرحنا . فمضى ان لا تعود البتة النفرة والانقسام اللذين لا محل لها وقد تولد لنا عنها حزن عظيم جداً .

« فعليه ونحن بجله الفرح على اعادة العلائق الحبيبة نتقدم بالخير والشوق بناء على قرار مجعني وينادر لمجاوبتكم الجواب اللازم على التحرير الاخوي الذي من مدة ارسلته اليها غبطتكم الجليلة وبه بحسب العادة الجليلة والحسنة اخبرتنا عن انتدابها وارثانها السعيد الى كرسي مدينة الله . ونصافحكم مصافحة اخوية بابتهاج القلب ونهتكم من صميم الفؤاد على انتخابكم . وبمنوع خصوصي نظهر فرحنا اذ نرى في شخص غبطتكم الوقور رئيس كهنة هذبذة بالالهيات دوماً يحافظ على عقائد حسن العبادة بكل دقة ويسوس الرعية بغيره وحنكة وقد اضطرت في فواده الغيرة على رعاية الرعية التقية المؤمن عليها وقيادتها الى ما يرضيه تعالى . كما نرى فيكم ايضاً اخاً كلي الكرامة يحاسب من اقتداس واحلى اهتماماته الغيرة في سبيل المحافظة على الربط الحبيبة الشريفة بيننا التي منها تتأتى الفوائد والبنيان والخلص لكل منا على حدة ومجموعنا سوية .

« واذا نلتس اخوياً للعون العلوي لغبطتكم والتأييد في رغائكم ومقاصدكم المخلصية والمرضية فله نؤكد لكم اننا لا نفر عن رفع اكف الضراعة بجملة لدى مؤسس الكنيسة ومديرها الساهي من اجلكم ومن اجل رعييتكم التقية . وبكل شوق ويعين الاعتبار نقبل دائماً كل ما تكاتبت به اخوكم وتملته لنا . وبكل نشاط نقدم لكم مساعدتنا الاخوية في كل ما تحتاجون اليه وتطلبونه منا في سبيل الخير .

« وعليه نكرر مصافحتنا القلبية لغبطكم الجليلة بقبلة اخوية ونقدم تحياتنا الاخوية من اجل جميع رؤساء كهنة الكرسي الكلي طهرهم الذين اخذنا رسالتهم المشتركة من مدة ايضاً بعين الاعتبار والاكرام ولا نزال بملء الحجة الاخوية . اخوكم المشتاق والمحب لكم بالمسيح يواكيم بطريرك القسطنطينية . القسطنطينية في ١٤ آب سنة ١٩٠٩ » .

وفي الخامس والعشرين من ايلول من هذه السنة نفسها كتب دميانوس بطريرك اوروشليم شاكرًا المخلص الذي رفع سياج التباعد وأعاد ربط المحبة والسلام موافياً من صهيون المقدسة مصافحاً في المسيح مبتهجاً لاتساداب غريغوريوس مصلياً امام القبر الاقدس والجلجلة الرهيبة متوسلاً عضد البطريرك الانطاكي وتقويته (١) .

وانتهز فوطيوس بابا وبطريرك الاسكندرية حلول عيد الميلاد فتوج رده على رسالة الجلوس الانطاكية بالعبارة : « السلام بالمسيح الاله المولود اليوم » فحل الصمت الطويل وتقدم بالاسطر الاخوية فور خروجه من الهيكل الشريف ليتمتع بالبهجة والفرح المشتبه من زمن مديد ويشترك مع بطريرك انطاكية والكنيسة الانطاكية المقدسة لخلاص الجنس (٢) .

وكتب ثيوكليتوس متروبوليت اثينة ورئيس مجمع كنيسة اليونان المقدس في الوقت نفسه ماثلاً امام غبطة البطريرك الانطاكي بالروح بنفس وقلب واحد مبتهجين مصافحاً بقبلة قديسة وأخوية بالرب مبتهلاً من اجل حسن ثبات ومحبة الكنيسة الرسولية الشقيقة كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى التي قبل غيرها تشرفت بقلب المسيحية العزيز (٣) .

زخريامين البطوريرك : ولس غريغوريوس مواهب شماسه زخريا زخريا في الادارة والسياسة وتثبت من اخلاصه وتعلقه بشخصه فجعل باكورة اعماله البطريركية ترقية هذا الشماس المخلص الامين الى درجة القسوسية . فأقام في

(١) المحابر الرسمية بين البطريركية الانطاكية والبطريركيات الاخرى الارثوذكسية : النعمة ١٩٩ ص ٢٥٦ - ٢٦٤

(٢) مجلة النعمة : ١٥ كانون الثاني ١٩١٠ ص ٤٥٩ - ٤٦٢

(٣) مجلة النعمة ايضاً : ٢٩ كانون الثاني ١٩١٠ ص ٤٩١ - ٤٩٤

الخامس عشر من اب سنة ١٩٠٦ اي بعد تنصيبه بيومين قداساً حبرياً لمناسبة عيد انتقال السيدة والدة الاله عاونه فيه كل من ارسانيوس متروبوليت اللاذقية وجراسيموس متروبوليت بيروت وفي اثنا عشر ساعة زخريا قساً .

وبعد نهاية القداس ألقى زخريا في الدار البطريركية كلمة وجيزة استهلها بقول الحكيم : « تفاح من ذهب في اناء مفضض الكلمة المقولة في حينها » . وأردف قائلاً : وتعداد ما لغبطكم علي من الايادي البيضاء ، هو الكلمة المقولة في حينها . فيمبينكم رفعتني من الخضيض في اوائل نيسان سنة ١٨٨٢ . ويمينكم التي وضعتموها في ١٤ ايلول سنة ١٩٠٠ على هامتي في ديركم العامر دير سيدة البلمند جعلتني اخطو خطوتي الاولى في سلك الرهبنة . ويمينكم هي التي رفعتني الى اولى درجات سلك الكهنوت وذلك في ٢٨ تشرين الاوط سنة ١٩٠١ . ويمينكم تجعلني اليوم باكورة عملها المقدس فترفعني الى الدرجة الثانية . فتنازلوا لقبول هذه الكلمة المقولة في حينها (١) .

شغور الكواشي : وفقدت ابرشية صور وصيدا راعيها ميصائيل في السابع من تموز سنة ١٩٠٦ في حاصبيا اثر امراض نزلت على جسمه اللطيف فانتهكت . وكانت هذه الاسقام مصحوبة بصنوف الآلام والوجاع فكان يقابلها برحابة صدر وثبات جنان ملقياً اتكاله على رحمة المولى .

وفي الحادي عشر من شباط سنة ١٩٠٧ أفضى الى ربه سلفسترس (زرعوني) متروبوليت ديار بكر وقد رماه التيفؤيد فأقصده . وتوفي وهو فرح لا ينطق بغير الكلمات : اقبل يارب اتعابي كفارة عن خطاياي الكثيرة . وكان قد سلك مسلك الراعي الصالح فبذل نفسه عن الخراف ورضي بما لم يرض به غيره فان ابرشيته كانت تمتاز بفقرها فلا تؤدي الى راعيها اكثر من عشر ليرات ذهبية في السنة . وكان سلفسترس ينفق هذا الايراد في سبيل الخير ويزيد عليه مما يتناوله من البطريرك الانطاكي للقيام بنفقاته الخصوصية . وفي السنة ١٩٠٢ قام بجولة

(١) مجلة الحجة : ١٩ آب ١٩٠٦

رعائية فانفق خمساً وثلاثين ليرة مقابل عائدات تناولها من ابنائه الروحانيين بلغت شوالاً من حب الفصوليا وكيساً من الكشك . وعلى الرغم من هذا كله فإنه أنشأ مدرستين وياشر عمار كنيسة القديس جاورجيوس . وحافظ على ترتيب الكهنة ونظم الكنيسة والناموس . وعاش عيشة القناعة والزهد والصبر محبباً ليا ليهسه بالعبادة (١) .

وكانت ابرشيته ارضروم لا تزال مترملة منذ وفاة قسطنديوس كما سبق واشرنا . وكان على غريغوريوس ايضاً ان ينظر في امور روم حوران وابرشية بصرى التي لم تر راعياً منذ استعفاء يوايكيوس (الحايك) المنتخب مطراناً عليها في السنة ١٩٠٠ .

راند غريغوريوس وخطته : واتخذ البطريرك الانطاكي الجديد شعاراً له الاية السادسة والعشرين من سفر الاحبار (لاويين) من الفصل العشرين : « وكونوا لي قديسين لاني قدوس انا الرب وقد فرزتكم من الامم لتكونوا لي » . وكان يردد مراراً الاية الخامسة والعشرين من الاصحاح العاشر من بشارة متى : « وحسب التلميذ ان يكون كمعلمه » .

وقال طيب الله ثراه ان القداسة تقتضي امانة اعضائنا التي على الارض لنكون نحن احياء في الجسد كمن لا اجسام لهم فنخدم بكل امانة ذاك الذي لا جسم له وهو محبة وقد أظهر محبته لنا « ببذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » وان نتشرف كابناء النور بكل الصلاح والعدل والحق « ليرى الناس أعمالنا الصالحة ويمجدوا ابانا الذي في السماوات » . وان تكون العدالة قائمة في أعمالنا والرحمة والراقة لا تبرحان من أمام عيوننا لنقطع ما يلزم قطعه من أسباب الفساد وننعمش ما يلزم انعاشه من وسائل الارضاء لله حباً بالله . وان نتخذ الطرائق المناسبة لنشر حقائق ايماننا بين أبنائنا اعترافاً بنعمة الله العظمى علينا .

(١) مجلس ملة الروم في ديار ويكر : المحبة ٢٧ ايار ١٩٠٦ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ و٢١ تشرين الاول ص ٦٨١ - ٦٨٣ .

ولما كان الاكليروس من الشعب وللشعب وكان الاثنان يؤلفان الجسم الذي رأسه يسوع المسيح الحي على الدوام كان اختيار الاكليروس من افاضل الشعب أمراً ضرورياً . وهذا الأمر يتطلب من المتقدمين والوجهاء حسن تربية ابنائهم على ما يلائم هذه الدعوة الشريفة والمنزلة العلية . ولما كان الكهنوت عندنا لا يورث وبابه مفتوح لكل ذي ميل كان لنا ان ننتظر من أبنائنا ذوي الكفاءة واللياقة الاقبال عليه والسعي في سبيله لنيل ما يترتب عليه من رضى الله تعالى وخلاص النفوس وطيب الاحدثة وتخليد الذكر .

وقال رحمه الله : وليعلم الشعب المبارك والاكليروس الموقر ان حياتنا الدينية بهذه الأيام الاخيرة هي بنت سنين لا تزيد عن العشرة فيها عرفت الرعاية صوت راعيها وفهمت لغته . فنحن نسير في سبيل الواجب للملة كابن عشر سنين فلا نقصر عن ابراز الخطوات بين صفوف المواطنين السائرين في طريق الحياة على نغم نشيد السلام . ويشهد لنا بذلك قلة مشاكلنا مع مواطنينا سواء كانوا من المسيحيين او من الملل الاخرى كما تشهد ايضاً رغبتنا المستمرة في اقتلاع أشواك الخلاف وفي غرس اصول المودة والاتلاف .

ونبذل الجهد في ترقية الشؤون العلمية والأدبية بالمساعدة التي تمر من كفنا سراعاً الى القائمين على المحرث الالهي لتنعش الأرواح وتنهض الهمم وتقوي العزائم . والأمل وطيد بأن يتسنى لنا ولملتتنا المحبوبة من وسائل الفلاح ما يرسم الرسوم البديعة في حياة الملة بألوان زاهية وسلامة ذوق فائقة .

وهذا المطابع الارثوذكسية التي كانت قد ابتدأت في خدمة شؤون الملة منذ قرنين ونيف قد توقفنا لاعادتها في دار البطريركية كما توقف السيد الأخ مطران حص الكلي الوقار في انشاء مطبعة وجريدة في حص من خير الشعب ولاجل خدمته وقد اقدمنا على طلب امتياز لجلة الكنيسة الانطاكية فصدرت الأوامر السامية بتمكيننا من اصدارها . وقد سميناهم النعمة لنشر حقائق الايمان وبث روح المحبة واحياء ميث الرجاء .

وتلك المدارس الداخلية التي انشئت في دير سيدة البلمند في اوائل القرن التاسع عشر وما انشئ على اثرها من مثل مدرسة سوق الغرب ودير سيدة كفتين على عهديهما الاول والثاني والمدرسة الاكليريكية في بيروت والمدرسة الاكليريكية المتجددة في دير سيدة البلمند شاهد عدل على سعي الرؤساء ومحبة الملة لبث روح العلم والفضيلة بين ابنائها . وقد اخذ سيادة الاخ مطران بيروت الكلي الوقار يجد في سبيل انشاء مدرسة عالية للملة حاملة اسم السلام كما ان سيادة الاخ مطران حص ينشيء عن قريب مدرسة داخلية في مقر كرسيه المقدس لسد جانب من حاجة الملة . وكل من السادة الاطهار يهتم في دائرته بشؤون المدارس وبعضهم بالميام والمستشفيات وغيرها من المعالم الخيرية بمعاوضة رجال من الشعب .

وهذا الهلال الظاهر يبشر بأن نجاح الامة سيكون يوماً ما بدرأ كاملاً . والمساعي المبذولة من جميع الرؤساء انما هي لاجل حياة الشعب ولتسييح رأس خلاصتنا . فمن اللازم ان يستقبلها الشعب مهلاً ويعينها بسخاء .

ومن واجبات الرئيس ان يكون ليناً فمن حيث نودي لي . وكيفما طلب انعطف . بدون ان يكون له ميل او صبغة او شكل مخصوص او حزب معروف . بل هو للملة جمعاء يمشي مع فقيرها ويحاضر مع غنيها يدخل في جميع اعمالها ويخرج منها بلا غرض يصمه ولا تعصب يلوته . ولئن اقتضت المصلحة احتجابه فهو المحتجب الظاهر والبعيد القريب الذي يلبى الدعوة ويشترك في البلوى ويحسن ترجمة الافكار والتعبير عن الاحوال . ولا يزال هو البصر الذي يستضيء به الجسم والدليل الذي يؤمن معه البلوغ الى المراد (١) .

مدرسة السلام : وفي منتصف حزيران سنة ١٩٠٦ حظي جراسيموس متروبوليت بيروت بفرمان سلطاني خوله حق انشاء مدرسة ملية ارثوذكسية فترغمت اجراس كنائس بيروت الارثوذكسية مبشرة بمحاولة هذه النعمة وخف جراسيموس الى سراي الحكومة فأدى مراسيم الشكر ودعا بتأييد العرش العثماني (٢) . ثم استدعى

(١) المنشور البطريكي « خطاب للاخوة السادة والكهنة وللرهبنة وللشعب » ٥ حزيران ١٩٠٩

(٢) المحبة ١٩٠٦ ص ٤١٠

اليه في دار القلاية كهنة الطائفة ومجلسها وجمعياتها ووكلاء كنائسها وطلب اليهم النظر في ما تقتضيه شؤون المدرسة وما يجب اجراؤه للقيام بها وجعلها من المدارس الكبرى ثم أطلعهم على الخريطة التي أعدها وحضهم على التعاون معه وطلب انتخاب لجنة لهذه الغاية . فجرى ذلك علناً وتم انتخاب خمسة وعشرين وجيهاً من وجهاء الطائفة للعناية بالمدرسة والنظر في شؤونها . وكان بين هؤلاء يوسف سرسق وبطرس داغر ويعقوب كرم ونجيب طراد وثيودوري جيبلي وجرجي عرمان وسعيد صباغة والياس مجدلاي ونخلة حبيب (١) .

وقالت اللجنة المناسبة تأليف هذه اللجنة ان المدرسة ستكون عثمانية ارثوذكسية تغني عن كثير من المدارس الاجنبية وتمكن الطالب من الخروج منها مكتفياً بما تلقاه فيها معتمداً بعد ذلك على دروسه ومطالعاته الخصوصية . ولا بد ان تنمو فتتحول الى جامعة كبرى علمية وطنية يلبق بكل سوري بل بكل عثماني ان يلجأ اليها (٢) .

كلية حص الارثوذكسية : (١٩١٠) وعني اثناسيوس متروبوليت حص بانشاء مدرسة ارثوذكسية عالية . فاستدعى في السنة ١٩٠٧ العالم المربي الارثوذكسي جرجس همام الشويري واستشاره في امور التعليم والبناء . ثم بدأ يجمع المال فأقبل الحمصيون بما عرفوا بسه من غيرة وسخاء . وفي حريف السنة ١٩١٠ فتحت مدرسة حص العالية ابوابها لقبول الطلاب . وتولى نيابسة الرئاسة فيها الخوري عيسى اسعد واشرف على ادارتها وتعليم الرياضيات العالية فيها جرجس همام الشويري . وكانت كنيسة موسكو قد اهدت كنيسة حص جرماً كبيراً ، فاعترضت بعض الاوساط الحمصية على استعماله فعلق بارادة سلطانية سنية .

ابرشية توسيس : ووصل الكسندروس متروبوليت ترسيس الى مركز ابرشيته في الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٠٥ وأظهر كثيراً من التعقل والمرونة

(١) المحبة : ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٦ ص ٧٤٤

(٢) المحبة : ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ص ٧٦٠ - ٧٦١ . ٩ ايار ١٩٠٧ ص ٢٩١ - ٢٩٦

ولكن اليونانيين من أبناء البرشية وقفوا الى جانب جرمانوس متروبوليت الابرشية السابق الذي اعترض على انتخاب ملاتيوس بطريركاً على انطاكية . وتوفي ملاتيوس في مطلع السنة ١٩٠٦ فعاد الكسندروس الى دمشق وبقي فيها . ورقى السدة البطريركية غريغوريوس وشغل كرسي طرابلس فانتخب الجمع الانطاكي المقدس الكسندروس مطراناً على طرابلس في الحادي والثلاثين من كانون الثاني سنة ١٩٠٨ .

« بما ان كرسي ابرشية طرابلس المحروسة من الله قد فرغت بانتخاب سيادة راعيها الجليل السيد غريغوريوس الجزيل الشرف والاحترام وارتقاء غبطته سدة بطريركية مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق بتاريخ ١٣ آب ١٩٠٦ وبقيت هذه الابرشية بدون راع فقد اجتمعنا نحن مطارنة الكرسي البطريركي الانطاكي الموقعين بذيله في مدينة دمشق بأمر واجازة غبطته في الكنيسة البطريركية الكاتدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم واعطينا اصواتنا القانونية لايحاد شخص لائق ومستحق وانتخابه ليتقلد زمام ابرشية طرابلس ويرعى رعيته من الاسماء الثلاثة التي اعطاها لنا غبطته المرشحين من كهنة وشعب عموم الابرشية الموما اليها وهم السيد الكسندروس مطران كيليكيا سابقاً والسيد رفائيل اسقف بروكلن الكلي طهرها وقس الارشمندريتي زخريا راجي الجزيل بره ولدى فتح بطاقات الانتخاب التي قدمها كل منا بيده بعد اقامة الصلاة المفروضة واستمداد نعمة الروح الكلي قدسه وقع الانتخاب باتفاق الاصوات على السيد الكسندروس طحان مطران كيليكيا سابقاً الجزيل طهره فسميناه مطراناً قانونياً على ابرشية طرابلس المحفوظة من الله . وايضاحاً لذلك كله سطر هذا العمل الجمعي في هذا السجل البطريركي موقفاً عليه باعضاواتنا واختامنا بالاصالة والوكالة تحريراً في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة الف وتسعمائة وثمان ١٩٠٨ » .

وعادت العلاقات الى مجراها الطبيعي بين الكرسي الانطاكي وبين الكراسي البطريركية الشقيقة فأبرق الخوري ابراهيم متقدم الكهنة في كنيسة ادنه للبطريرك الانطاكي مهتئاً . واعرض التهاني ايضاً وكيل البطريرك الانطاكي في ابرشية ترسيس فأصدر غريغوريوس في خريف السنة ١٩٠٩ منشوراً راعياً لابناء ابرشية ترسيس وادنه وسائر بلاد كيليكيا باليونانية والعربية جواباً للتهاني و اظهاراً للسرور بما كان من خواتم السلام وشارة الى انه سيرسل راعياً للابرشية يقودها الى مراعي الخلاص :

« لستم غريباء عن اوروشليم لنوضح لكم ماجريات الحوادث لا بل انتم شهود بعضها . وقد علمتم بما وقع من بعض اخوتنا المطارنة من عدم تسايهمم بالانتخاب البطريركي ومجافاتهم لرئيسهم زاعمين عدم صلاحية الرئيس ان لم يكن من جنس معلوم دون سواه كان نعمة المخلص لا تستطيع ان تدخل قلوب امثالنا . الا ان كنيسة المسيح العظمى التي يرأسها بطريرك تكمله شيخوخة سعيدة مترو في الاعمال عارف بالقوانين ويدبرها مجمع مقدس ضم شتات المعارف في صدور اعضائه وجمع حكمة الحكماء في رؤوس رجاله قد أفعمت المحبة المسيحية قلوب هؤلاء الافاضل كما أفعمت قلوب اخوانهم الاحباء غبطة بطريرك المدينة المقدسة ومجمعه المقدس فأطرحوا بالحبّة الخوف وتجاوزوا العقبات وبينوا انهم موقنون بسيادة المخلص على الجميع وسفكه دمه الكريم لاجلهم . فاننا الكل في المسكونة عبيد له وأعضاء لجسده المقدس مرتبطون بهذا الرأس الحي على الدوام » (١) .

وأرسل الوكيل البطريركي في ترسيس الخوري نقولا خشي بياناً بعدد بيوت الملة مجموعة ومفصلة في ابرشية ترسيس وعدد الكهنة والمدارس والكنائس فبلغ عدد العمال الارثوذكسية ١٦٥٠ بينها ٣٤٥ عائلة يونانية و٩٣٠ تركية و٣٧٥ سورية . وبلغ عدد الكهنة في هذه الابرشية ١١ وعدد المدارس ٥ وعدد الكنائس ١٣ (٢) .

زخريا متروبوليت بصرى : وكانت ابرشية بصرى حوران لا تزال خالية من راع قانوني منذ استعفاء راعيها المنتخب يوانيكوس (حايك) في السنة ١٩٠٠ . فانتقى الجمع المقدس الارشمندريتي زخريا راجي زخريا مطراناً على هذه الابرشية في الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨ .

« انه بناء على خلو ابرشية بصرى حوران وقوايعها من راع قانوني بسبب استعفاء الارشمندريتي يوانيكوس الحائك الجزيل بره المنتخب مطراناً عليها بتاريخ ٢١ آذار سنة ١٩٠٠ فقد اجتمعنا نحن مطارنة الكرسي البطريركي الانطاكي الموقعين بذيله في مدينة دمشق بأمر وباجازة

(١) مجلة النعمة : ٣٠ ايلول ١٩٠٩ ص ٢٢٥ - ٢٣٠

(٢) النعمة ايضاً ١٩٠٩ ص ٢٥٦

غبطة السيد الجليل والراعي النبيل كيريوس كيريوس غريغوريوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق
الجزيل الطوبى والاحترام في الكنيسة البطريركية الكاثدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله
الندامة البتولية مريم واعطينا اصواتنا القانونية لايجاد وانتخاب شخص من الثلاثة الاشخاص
المرشحين وهم : قدس الارشيمندريتي كير زخريا راجي و قدس الارشيمندريتي كير اغناطيوس
ابو الروس و قدس القس اثناسيوس مطر الكلي برهم . وبعد اقامة الصلاة المفروضة واستمداد نعمة
الروح الكلي قدسه فتحنا بطاقات الانتخاب التي ارسلها لغبطة سائر السادة المطارنة الغائبين في
ابريشياتهم وقس الانتخاب باكرية الآراء على قدس الارشيمندريتي زخريا راجي الكلي بره فسمي
مطراناً قانونياً على ابرشية بصرى حوران وتوابعها المحفوظة من الله . وايضاحاً لذلك كله سطر
هذا العمل المجمعي في هذا السجل البطريركي موقعا عليه بامضائنا واختامنا بالاصالة والنيابة .

قاضي الشرع وطلاق النصارى : وكان محمد طاهر افندي نائب قضاء
جسر شغور قد نظر في دعوى طلاق قائمة بين جرجس اندراوس من اهالي جسر
شغور وبين زوجته ذبية بنت فارس نقولا فرخ من اهالي اريحا فحكم بالطلاق
وأصدر اعلاناً شرعياً بذلك مؤرخاً في ١٤ جمادي الاخرة سنة ١٣٢٦ مهوراً
بختمه مسجلاً لديه تحت نومرو الضبط ٤٢ صحيفة ١٤٤ ونومرو السجل صحيفة ٧٩
وتقاضى خرج اعلام قدره ١٢٠ غرشاً صاغاً .

واستغرب متروبوليت حلب هذا التدخل فأعلم البطريرك به . فاحتج
البطريرك بعريضة قدمها الى ناظر العدلية وبين فيها مخالفة النائب الشرعي لنص
البراءة السلطانية التي بيد البطريرك ونصوص البراءات السابقة . فانها جميعها تمنع
التعرض لعقد النكاح او فسخه بين شخصين من ملة الروم الارثوذكس الا
لذوي الاختصاص . فورد في الرابع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٠٩
جواب ناظر العدلية موجباً اشعار مأموري الاجراء بعدم تنفيذ قرار هذا
القاضي (١) .

الدستور العثماني والكنيسة : وشاع في صيف السنة ١٩٠٩ انه لمناسبة
اعلان الدستور وانشاء حكومة ديمقراطية شعبية ستلغى حقوق الكنيسة واميازاتها
التاريخية . وانتشر بريد هذا الخبر في الانحاء الارثوذكسية واضطربت به الالسن

فاجتمع المجمع القسطنطيني المقدس والمجلس الملي الدائم المختلط برئاسة البطريرك
المسكوني وتشاوروا في الأمر وارتأوا الاتصال المباشر بالصدر الاعظم والتحدث
اليه في الموضوع . وفي العشرين من ايلول زار البطريرك المسكوني الصدر الاعظم
فاستقبل باللطف والترحاب . وتذاكر الكبيران في الامتيازات فلم يظهر تباين
جوهرى في الرأي . فالصدر أظهر بحسب ان امتيازات الكنيسة والملة تبقى كما
كانت منذ فتح القسطنطينية وان حكومته لا تفكر في تعديلها ولا سيما ما يتعلق
منها بمحاكمة المطارنة والكهنة ومسائل الزواج والطلاق والوصيات والمدارس
واملاك الاديرة والكنائس وجميع المنشآت الخيرية . وأكد البطريرك انه لن
يتغاضى عن اللقب « ملت باشى » الذي منحه اياه محمد الفاتح وانه يجب ان يبقى
له الحق بتمثيل الملة لدى الحكومة الدستورية . فأجاب الصدر انه على البطريرك
ان يعلمه بأقل انقاص من كرامة الدين والكنيسة والاكليروس وانه اذا وقع اي
تعد على اي مسيحي فعلى البطريرك والمطارنة ان يعلنوا ذلك للحكومة كتابة
او شفاهاً (١) .

تجنيد النصارى : (١٩٠٩) وصدر في السابع من آب سنة ١٩٠٩ تعديل
لقانون اخذ العسكر في الدولة العثمانية فجاء في مادتين لا ثلاثة لها . فأوجبت المادة
الاولى الغاء البدلات العسكرية التي كانت تؤخذ من العناصر غير المسلمة اعتباراً
من تاريخ صدور التعديل . وقضت المادة الثانية بتمثل الهيئات الروحية المحلية في
مجالس « سحب القرعة » كما أوجبت اعفاء « كل منصوب ومغزول من بطارقة
وكاتوغيكوس وحاخام باشى ومتروبوليت واسقف وارشيمندريت ووارتايت
وباش حاخام ورؤساء الاديرة ورؤساء الرهبانات » من الخدمة العسكرية .
واستثنى هذا التعديل ايضاً الخوارة والشامسة والذين يعيشون في الاديرة من
رهبان وكهنة وطلبة المدارس المذهبية وتلاميذة المكاتب العالية ومعلموا واحداً
لكل مكتب ابتدائي رسمي في القرى والمعلم الاول والثاني والثالث في المدارس
الابتدائية المنتظمة في المدن (٢) .

وفي الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٠٩ استدعى والي ولاية سورية رؤساء الملل غير المسلمة لسماع تلاوة فرمان السلطاني المؤذن بتجنيد أبناء مللهم للمرة الاولى . فقصد الرؤساء دار الحكومة فقبلوا بالعطف . ثم نزل والي والنائب والمفتي والرؤساء الموما اليهم وبكباشي طابور الميدان وغيرهم من رجال الولاية الى ساحة السراي . فسلم والي بكل اجلال فرمان العالي لمكتوبي الولاية قبله وتلاه . ثم خطب والي مبيناً أهمية الموضوع ومهنئاً الملل غير المسلمة بحصولها على المساواة بالجندية العثمانية . ثم لفظ المفتي الدعاء المعتاد .

ثم قرأ بطريركنا خطاباً في موضوع التجنيد وتلاه بطريرك الروم الكاثوليك بخطاب آخر . وختم كلاهما بالادعية المتوجبة . ثم توجه الجميع الى دائرة البلدية وابتدأوا باجراء المعاينة الثانية . ومن أفضل ما جاء في خطاب غريغوريوس قوله : « الحمد لله الذي جمعنا في الانسانية والوطنية ووجدنا في الجامعة العثمانية » وقوله : « لقد قبلنا بفرمان مولانا على الرأس والعين . وان خلا من مخاطبتنا نحن الرؤساء الروحيين فانه يدعو أبناءنا الى أحضانه وهذا يرضي الطرفين . وبات لكل يتجارون ولا يتناظرون في خدمة الوطن وينهضون بشأنه وان لم تنهضوا فمن ؟ » (١) .

وقدم البطريرك المسكوني تقريراً مسهباً للصدارة العظمى في موضوع تجنيد المسيحيين فاقترح ما يلي : (١) منع تغيير المذهب في اثناء التجنيد وطوال مدة ابتعاد الشباب عن احضان الوالدين . (٢) تعيين كهنة اقباء للجنود المسيحيين يعنون بارشادهم الى الفضيلة والتقوى ويقومون باتمام احتياجاتهم الدينية . (٣) تخصيص محل ملائم للصلاة في اوقات معينة اسوة بالجنود المسلمين . (٤) السماح للجنود المسيحيين بممارسة جميع فروضهم المذهبية . (٥) تأليف فرق مسيحية صغيرة . (٦) ادخال الشباب المسيحيين الى المدارس العسكرية ليتصلعوا بفنونها وليصبحوا اهلاً للترقي في رتبها (٢) .

وفي صيف السنة ١٩١٠ تواردت الجنود من الآستانة وازمير لتعزيز الحملة على جبل الدروز بقيادة سامي باشا . وكان بينهم عدد وافر من ابناء الكنيسة الارثوذكسية الجامعة بعضهم من المشاة وبعضهم من المدفيعين . فترددوا في كل احد على الكنيسة في دمشق . وفي منتصف آب ورد امر تلغرافي من نظارة الحرية الى مركز الفيالق الخامس في دمشق يوجب السماح للجنود الارثوذكسيين بالقيام بالواجبات الدينية لمناسبة عيد انتقال السيدة . وكانت صلاة العيد قد انقضت فاقم قداس خصوصي يوم ثالث العيد باللغة اليونانية . وتقبل الكاهن اعترافاتهم وتقدموا ازواجاً الى مناوله الاسرار الطاهرة . ثم تناولوا طعام الغداء على مائدة البطريرك .

الجمع الانطاكي المقدس : (١٩١٠) وفي الثاني والعشرين من حزيران سنة ١٩١٠ وفي الساعة التاسعة قبل الظهر أم الكاتدرائية المريمية كل من البطريرك والمطارنة اثناسيوس وغريغوريوس (حماة) وارسانيوس وبولس وجراسيموس وباسيليوس واسطفانوس والكسندروس وجرمانيوس وملاتيوس (اميديس - دياربكر) وزخريا وايليا (صور وصيدا) .

فبدأ غبطته : تبارك الله . والمجد لك يا الهنا . وايها الملك السماوي . والارشديا كون (ميخائيل شحادة) قدوس الله وما يتلوها . والاعلان من غبطته ثم طروبارية العنصرة التي اعادها خورص اليمين بعد الذوكصا وقنداق العنصرة بعد الكائن من خورص الشمال . ثم قال غبطته : ارحمنا يا الله ثلاث طلبات والرابعة . « لكي يرسل الرب الاله نعمة روحه القدوس على هيئة الجمع المقدس لتنيرها وترشدنا وتهدي الى ما يرضي الرب لانها ملتجئة الى عظم غنى رحمة . ثم الاعلان : لانك اله رحيم والختم الصغير المختص بالعنصرة . وبصلوات آبائنا القديسين . ثم حضر البطريرك الى امام الانجيل الطاهر الموضوع على قراية في الوسط فسجد وقبله ثم سجد ثانية ورجع الى محله فوقف . فتقدم السادة كل بدوره فعل مثل ذلك ووقف في محله حتى انتهى الكل . وتدرعوا باشارة الصليب وجلسوا .

(١) مجلة النعمة : ١٦ تشرين الثاني ١٩٠٩ ص ٣٤٠ - ٣٤٢

(٢) مجلة النعمة : ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ص ٢٨١ - ٢٨٢

وافتح البطريرك الجلسة مرحباً وأشار الى انها المرة الاولى في تلك الالونة التي فيها اجتمع اثنا عشر مطراناً والبطريرك في دمشق . ثم قال بعد البسملة : كما يضم الاخ اخوته الغائبين كذلك اضمكم الى قلب يتحرك بحبكم يا رؤساء كهنة العلي ومطارنة الكرسي الانطاكي المقدس . تبارك الله الذي جمعنا في هذه المرة الثانية الى هذا المجمع الانطاكي المقدس وجميعنا بالصحة والعافية لكي نمجد بصوت متفق الروح القدس الذي نعمته اليوم جمعتنا وقدرته تقوينا للعمل المرضي لله في شعبه المبارك . ثم ذكر ما كان في غيابهم عن غبطته من الاشغال واحدة فواحدة وانه سيقدم لهم اوراق كل مسألة على حدة . ولقت النظر الى ترتيب برنامج التعليم على قواعد المذهب الارثوذكسي والى ترجمة كتابي اصول المحاكمات الكنائسية وتطبيقها والى مسألة الوصية والاحكام الكنائسية وان تكون مرعية والى التعامل القديم الذي جرت عليه الكنائس في مصالح ايمانها والى مسألة الاراضي التي تطلب حلوليتها لمجرد كون المقيدة على اسمه لم يترك وارثاً مع ان مجرد القيد لا يجعل تلك الاملاك والاراضي مشتركة بمال المقيدة باسمه بل هو امر مشهور ومقرر لدى العموم وفي المراكز الرسمية ان تلك الاموال اموال الوقف وقد تقيدت تلك الاراضي باسم الوقف او باسم المتولي كمتول للوقف ثم ارادت النظارة فأجرت قيدها على اسم المتولي ويقال الان انه ليس له وارث . وأشار البطريرك ايضاً الى ما كان في ايام الدستور من المشاغل الجديدة والى ما نجم من المشاكل عن عدم فهم معنى الحرية . وخصص بيان ما كان يجري في حلب وزحلة وارضروم وصور وصيدا . وتكلم ايضاً عن تأسيس المطبعة البطريركية ومجالاتها النعمة وعن البشارة بطبع الكتب الدينية اللازمة وعن حالة مدرسة البلمند الاكليريكية .

وتوالت الجلسات فكان من نتائجها رفع تقرير مجمعي الى نظارة العدلية والمذاهب بشأن الوصية وبشأن الامتيازات التي تمتعت بها ملة الروم وان هذه الملة واحدة لا تنجزاً ، ونظر المجمع في شكوى الطائفة في حلب ودقق في الاجراءات التي اتخذها اسطفانوس مطران حلب فثبتت نزاهته واستقامته . ولكن المجمع لمس في الوقت نفسه نفور الشعب من اسطفانوس وعدم استعداده للتعاون معه .

وأعرب اسطفانوس عن استعداده للتضحية في سبيل المصلحة العامة فاستعفى وقبل المجمع استعفائه . وشكر المجمع لقداسة البطريرك المسكوني اهتمامه في قضية ارضروم وارساله الشماس جرفاسيوس اكسرخوساً . وكان اليونان من أبناء الملة في ابرشية ترسيس قد تقدموا الى البطريرك المسكوني بطلب راجين تدخله مع المجمع الانطاكي لتعيين اسقف يجيد اللغة اليونانية فتقرر ارسال ايليا متروبوليت صور وصيدا الى كيليكيا لدرس الحالة ورفع تقرير عنها .

واقترح متروبوليت طرابلس نقل مدرسة البلمند الى دمشق لتكون تحت أنظار البطريرك فاقترح متروبوليت بيروت نقلها الى دير مار الياس بيروت وجعلها تحت رعاية متروبوليت بيروت ومتروبوليت جبيل والبترون وان تبقى كما كانت مدرسة اكليريكية بطريركية .

الخطبة والزواج : واعتبر المجمع المقدس الخطبة اتفاقاً ببركة كنائسية بين ذكر وانثى مسيحيين حرين كفوعين يلتزمان به بالاقتران الناموسي المقدس . ويتبن قدم عهدها وشرفها . وسن لها قوانين معينة . ثم نظر المجمع في مشاكل الزواج التي نشأت عن الهجرة عبر البحار فاشترع ما يلي :

(١) اذا كان الرجل والامراة مقترنين عن اتفاق بينهما فقط ولم يكن بينهما مانع كنائسي وحضرا الى بلادنا وهما متفقان ينصح لها لأخذ بركة الاكليل المقدس وتعطى لها بحسب الرسوم . وان كانا غير متفقين فينصح لها ان يتفقا ويقتبلا بركة الاكليل . فان رفضا بعد النصيحة اقتبال بركة الاكليل سواء كان في الحالة الاولى او الثانية فالكنيسة لا تعتبر قرانها شرعياً ولا اولادها شرعيين وترفض كل دعوى زوجية وكل دعوى ومعاملة ارثية لها .

(٢) اذا كان الرجل والامراة مرتبطين مدنياً فقط ولا مانع كنائسي بينهما سواء كانا متفقين او مختلفين فينصح لها بقبول بركة الاكليل . فاذا لم يقبلا لا تأذن الكنيسة اذ ذاك لها او لاحدهما بزواج آخر .

(٣) اذا كان الرجل والامراة مرتبطين مدنياً وناثلين بركة الاكليل من

كاهن غير ارتوذكسي ولا مانع كنائسي بينها فالكنيسة تجري معها بحسب القوانين الكنسية المرعية في هذا الباب .

وبحث المجمع اثر الهجرة في الصلة بين الزوج والزوجة فأوجب ما يلي :
إذا سافر الرجل تاركاً امرأة لها منه اولاداً او بدون اولاد ولم يعد يتفق عليها فإذا تقدمت الشكوى للرئيس الروحي ان يخاطر الرجل رأساً او بواسطة الرئاسة الروحية هناك او غيرها لجلب نفقة للمرأة او ان تعطى المرأة اعلام نفقة تنفذ بواسطة الحكومة المحلية هناك والا فتمعمل واسطة لتسفيرها الى حيث يقم رجلها .
اما إذا تركها وحدها او مع اولادها وتزوج غيرها فبعد تقديم الشكوى للرئاسة الروحية يحكم بصحة عقد الزواج الصائر هنا ويعرف عنه اما للرئاسة الروحية او للحكومة المحلية هناك لاجل ابعاد المرأة الاجنبية عنه وتحصيل النفقة منه لزوجته الشرعية . اما الزوجة فإذا سافرت برضى رجلها او بدون رضاه وامتنعت عن الحضور واثبتت عليها الخيانة الزوجية تنفسخ اذ ذاك عنه (١) .

البطريك وهوران : (١٩١١) وكانت ابرشية بصرى وتوابعها لا تزال مترملة منذ ان استقال اغابوس (صليبا) من وكراته عليها . فخصها غريغوريوس بعنايته وسام زخرياً مطراناً عليها ومدته بالمال للعمل فيها . وشملت ابرشية بصرى وتوابعها حين تسلم رعايتها زخرياً جميع متصرفية حوران باقضيته الخمسة السمية والسويدا وبصرى واذرع وعجلون . وبلغ عدد الدروز فيها ١٦٥٠٠ والمسلمين ٥٣٠٠ والارثوذكسيين ٣٥٠٠ والروم الكاثوليك ٢١٤ والبروتستانت ١٦١ (٢) .

وفي تموز السنة ١٩١١ نهض البطريك غريغوريوس بنفسه الى حوران في جولة رعائية يصحبه كل من البرنس بوريس شاخوفسكي قنصل روسية في دمشق وترجمانه يوسف السبع والمؤرخ الكنسي الشهير باولو كاروليدي والمؤرخ اللبناني عيسى اسكندر المعلوف وارشدياكون الكرسي الانطاكي ميخائيل شجاده . ووصل

(١) المنشور البطريكي : « اننا نوضح لينوتكم » ٢٧ آب سنة ١٩١٠

(٢) اسقفية حوران الارثوذكسية لعيسى اسكندر المعلوف : النعمة ١ شباط ١٩١٢ ص ٧٢١ - ٧٣٥ . واحصاء المطران زخرياً وهو لا يزال مخطوطاً لدى السيد نقولا زخرياً .

البطريك وصحبه الى محطة اذرع فركبوا الخيل وقاموا الى القرية يتقدمهم مطران حوران والكهنة والجنود وجوع غفيرة من فرسان ومشاة . وسار البطريك توأ الى دير القديس جاورجيوس وصلى وبارك . وفي صباح الاحد اقام قداساً حافلاً في الدير وشن المائدة المقدسة التي جددت بعنايته وعناية القنصل والمطران . وخطب في الكنيسة فاشار الى قدمها وكيف تقلبت بها الايام « وأخت عليها الليالي حتى انقذها الاله بعناية القيصصر الذي نظر اليها من اقصى الشمال بعين النسر » . ودعا للامبراطور وللمحسنين . ثم استقدم اليه يوسف السبع فشكر له سعيه بتجديد الدين واعلاء شأن الدير والبسه الوسام الذي منحه اياه الدولة اليونانية ومنحه لقب لوغوئي الكرسي الانطاكي بصلابة وترتيب خاصين . وزار البطريك قرية الدنية فشمسكين فغياغب . ثم عاد الى دمشق (١) .

اصلاح ومصالحة : ثم عاد البطريك الى الطواف فزار عرنة ومجدل شمس والقرى المجاورة . فأصلح بين الاحزاب واعاد الى حظيرة الكنيسة الذين تركوها لمناسبة تلك التحيزات . وتكاثر عليه الوفود من مرجعيون وحاصبيا وراشيا فانتقل الى مرجعيون . فتألف وفد من ابنائها وقصدوا مطرانهم السيد ايليا الذي كان قابلاً في زحلة فعادوا به الى ابرشيته . وعرج البطريك على ميمس فشاهد فيها من آثار الغيرة المسيحية ما أقر عينه واثلج صدره . فابناؤها النازحون الى البرازيل كانوا قد القوا جمعية وشيدوا في ميمس كنيسة متينة جميلة وبنوا مدرسة كبيرة : ثم حدث ما ثنى الجمعية عن خطتها . فاشفق البطريك ان تذهب هذه المكرمة بفواعل الاهمال . فתרع بمبلغ من المال وأنفذ الى الجمعية في سان بولو كتاباً يحرك فيه غيرتها الى الاستمرار على العمل المتلاحق بره المتواصل اجره (٢) .

راشيا : (١٩١١) وقام غريغوريوس من ميمس الى الكفير فلم يجتز المسافة الا في ساعتين ونصف وهي لا ينبغي لها فوق النصف الساعة وذلك لكثرة

(١) حفلة في اذرع : النعمة : تموز ١٩١١ ص ١٦٢ - ١٦٩

(٢) قرية ميمس : النعمة : ايلول ١٩١١ ص ٣٣٥ - ٣٣٧

المستقبلين من المسيحيين والدروز . ثم بارح الكفير الى قرى عين عطا وشبعة وعين حرشه . وفي اثناء هذا الطواف انشأ عدة مدارس وساعد الجمعيات الخيرية وبث شعور النهضة في قلوب ابنائه الطائعين .

وعصارى الاثنى عشر من الشهر من تشرين الثاني قدم الى راشيا . فكان في طليعة الملاقين قائمقام القضاء وشرذمة من الجند فالرؤساء الروحيون بملابسهم الكهنوتية واعلام الكنيسة . ولما بلغ ظاهر البلدة ورأى علم الصليب المقدس ترجل عن جواده وسار بين الجمع حتى بلغ كنيسة السيدة حيث أدى الفروض الدينية ثم شكر المولى وبارك . وزار دار الحكومة والمدارس الروسية وحض التلامذة على الاجتهاد ونشط المعلمين على الخدمة .

البطريك في زحلة : وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني غادر البطريك قرية عين عرب ووجهته زحلة . وكان ينتظره عند جسر دير زينون موكب حافل من الزحليين . فترجل وارتاح ثم ركب عربة معدة له واستأنف السير يتبعه نحو اربعين عربة ويتقدمه جمهور غفير من الفرسان والشبان يقومون على ظهور الجياد بالعاب تدهش الأنظار . وكان ينتظره في محطة سعدنايل قائمقام زحلة وهيأة حكومة القضاء وجرمانوس مطران زحلة . فاستقبل الجميع بوجه وضاح ونظر بعين أب حنون يرى أبناءه بعد طول البعد . ثم جلس جرمانوس الى جانبه وسار ياوران لبنانيان امام عربته وثالث وراءها ومن اليمين واليسار فارسان قد أشهر كل منهم سيفه يميناه . وجرت وراء موكب غبطته عربة القائمقام فعربة زخريا متروبوليت حوران فبقية العربات . وعندما بلغت الجموع مدينة زحلة استبشرت وازدادت حماساً وهتافاً وغطى الحشد الطرقات والباحات والسطوح . ودخل البطريك كنيسة القديس نيقولاوس فصلى وبارك ودعا . ثم استقبل الوفود في دار المطرانية وفي طليعتهم القائمقام وهيئة الحكومة والبلدية والمطران كيرلس مغيب والمطران بولس مراد ونائب البطريك الماروني والقس مفيد عبد الكريم . وأول متروبوليت الابرشية وليمة

دعا اليها وجهاء القوم فاختمتها غبطته بكلمة عبر بها عن موقف الطائفة من سائر الطوائف فجاءت رائعة فتانة :

« انني احب ابناء وطني من جميع المذاهب على السواء . ولا فرق بينهم عندي . الست واياهم ابناء اب واحد وام واحدة . او لسنا جميعاً صنعة خالق واحد . او لسنا نسكن ارضاً واحدة ونستنير بضوء شمس واحدة ونستظل بساء واحدة وترف فوقنا راية واحدة هي راية الوطن العزيز . او لسنا نحن والمسلمون توحدنا جامعة الانساب الى ارض واحدة ووطن واحد او لسنا معاً نعبد الهاً واحداً غير متجزى . »

« لقد انتمش قلبي حيناً نشقت نسم لبنان وانشرح خاطري عندما رأيت اللبنانيين الذين انا واحد منهم . وقد افتخرت بلبنانيتي في تلغراف بعثت به الى دولة المتصرف اشكره فيه على اوامره بشأني لسعادة القائمقام » (١) .

بيروت : وأوفدت بيروت نخبة من وجهائها برئاسة متروبوليتها جراسيموس الى زحلة لتحية البطريك ودعوته لزيارته الثغر . فباركهم ورحب بهم . وكان هناك بانتظارهم اساقفة زحلة والمعلقة وحكام القضاين . فتبذلت الخطب وشرب الجميع نخب الوفد البيروتي . وبارك البطريك مودعيه في الحادي والعشرين من كانون الاول وركب القطار الخصوصي الذي أنقذه يوسف سرسق ليقل غبطته الى بيروت . وبارك البطريك في جديتا والمريجات وبجمدون وعاليه وعاريا . وفي بعبداء أخذت سلام غبطته فرقة من الجند اللبناني واستقبله في محطتها كبار مأموري الحكومة . ولما بلغ القطار محطة الحدث استقبله تلامذة المدرسة الروسية باناشيد رقيقة وانغام فاتنة .

واحتشد في محطة بيروت جمهور من المرحبين لا يحصره العد جمعهم اليها علمهم باقدار الرجال . ومشت عربات جمعيات الملة الارثوذكسية فعربات السريان الكاثوليك فالارمن الكاثوليك فالموارنة فالروم الكاثوليك فجلس الملة الارثوذكسية فكوكبة من الفرسان فعربة نظمي بك قومندان الجندرية في بيروت ومدير البوليس فعربة غبطة البطريك فعربات السادة المطارنة . وتلتها سلسلة من العربات بلغت نحو المئتين والخمسين .

وقصد البطريرك الكنيسة الكاثدرائية فصلى وبارك ودعا . ورحب جراسيموس بغبطنه ودعا للسلطان بالنصر وشكر المتصرف والوالي وقنصلي روسية واليونان . فرد البطريرك بخطاب بليغ حكيم .

واحتفل البطريرك بعيد الميلاد في الكاثدرائية وفي اليوم التالي في كنيسة القديس نيقولاوس . فتقاطر المؤمنون من جميع أنحاء بيروت لحضور الصلاة . واستمر غبطته ساعة كاملة يوزع الخبز المقدس على الحضور ، ورد البطريرك الزيارة للوالي فاخذت سلامه ثلة من الجنود . وزار المتصرف وقومندان الموقع وبطريرك السريان الكاثوليك والقاصد الرسولي . وآسى المرضى العسكريين في المستشفى العسكري (قصر العدلية) واهداهم خزانة نفيسة الصنع . وخص الجامعة الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) بزيارة بعد ظهر الثلاثاء في ٦ كانون الثاني ١٩١٢ . وما كاد موكب الموقر يدخل في باب المنتدى الكبير حتى نهض الجميع اجلالاً واحتراماً وقابلوه بالتصفيق الحاد المتواصل . وبعد ان رقي وحاشيته المنبر وجلسوا على الكراسي رحب الدكتور هوارد بلس الرئيس بالبطريرك والمطارنة والآباء ثم انتدب الاستاذ جبر صومط ان ينوب عنه وعن العمدة بالافصح بما يقتضيه الواجب . فقال استاذنا رحمة الله عليه مما قاله :

« لقد امرني حضرة الرئيس ان اقول ان غبطتكم فوق كل نعوت التعظيم والتبجيل لان اقل ما يقال في مرتبتكم السامية انكم في كنيسة الله الانطاكية السامية ابرو الآباء وراعي الرعاة . وملايين ابناء الكنيسة الارثوذكسية الجامعة يفتخرون انهم من ابناءكم ويدعون الله كما تدعوه الآن ان يطيل لنا في ايامكم ويملي الوطن العثافي بكم آمين ثم آمين » .

وعلى اثر ذلك وقف الرئيس بلس وطلب الى البطريرك ان يخاطب الطلبة . فتبوأ البطريرك الانطاكي المنبر . وكلم اعتر هذا المنبر بمن تبوأ من الخطباء والعلماء ورجال الفضل على اختلاف اجناسهم ومراتبهم ولكنه في هذه المرة بلغ اوج اعترازه بسان تبوأ اسقف المدينة التي دعي فيها المؤمنون مسيحيين اولا خليفة الرسولين بطرس وبولس وورث الشهيد اغناطيوس المتوشح بالله وافستاثيوس العظيم وملاطيوس الشريف . وارتجل اسقف مدينة الله انطاكية العظمى خطبة غراء

كان لها اجمال وقع في النفوس . وكان كاتب هذه الاسطر الحقير بين المؤمنين احد طلاب كلية الآداب في الجامعة فأسعده الحظ بسماع ما فاه به هذا الاب الاقدس :

« قصدت زيارتكم في هذا المعهد العلمي العظيم وكنت اشاهد في طريقي ما كتبه احد رجال الفضل على جدران الشوارع « الى العلم الى العلم » فقلت ما أجل الذهاب الى بيت العلم . وقفت الآن لافرح معكم هذا المعهد الذي تتجلى فيه مواهبكم وفيه يظهر ذكاؤكم الفطري . والعلم ينبوع . وكما ان ينبوع لا يميز بين الايدي الممدودة اليه بل يتدفق عليها جميعاً هكذا العلم لا يميز بين طالبه بل يجري على كل طالب يمد اليه يداً مفتوحة . والعلم نور . والنور من بركات الخالق يشرق على الجميع على السواء . ولكن لا يراه الا الذي يفتح عينيه ويعودها على استقبال النور » .

بين الحدث وبعدها : وقصد البطريرك مركز ابرشية جبيل والبترون فقام الى قرية الحدث ودخل الكاثدرائية اللبنانية وصلى وبارك . وزار متصرف لبنان آنشد يوسف باشا فحيته مفرزة من الجنود وخف لاستقباله عند باب سراي بعدها كبار الموظفين . وجالس الباشا . ثم دعا البطريرك المتصرف الى الغداء في قلاية الحدث . فاشترك في تناول الغداء مع المتصرف الامير فايق شهاب ونسيب بك جنبلاط وحليم بك محاسبجي المتصرفية والامير الاي ملحم بك خوري وسعد الله بك الخويك نائب رئاسة مجلس الادارة وجرجس بك صفا رئيس دائرة الجزا وسليم افندي باز وكيل المدعي العام والياس افندي الشويري وجرجس افندي تامر عضوا الروم في مجلس الادارة وغيرهم . وقال المتصرف : « انني لأول مرة قابلت بها غبطتكم بدمشق شعرت بعاطفة مخصوصة نحوكم ورأيت بنفسي شغفاً بمبادتكم . ثم انني اشاهدكم الان بمسقط رأسكم لبنان بين فريق من مواطنكم يقدرونكم معي حق قدركم فتمكنت بي تلك العاطفة بما تجلي من صفاتكم الطيبة . وبناءً عليه فاني اشرب على ذكركم متمنياً لكم اقبالاً مستمراً ولبنينكم سعادة كاملة بكم » .

وتناول غبطته الكأس وشرب نخب المتصرف واطلق لقرينته العنان فاستهل بالبيت :

بلادي وان جارت علي عزيزة وأهلي وان شحوا علي كرام

وأخذ يتدفق كالسيل واصفاً لبنيان واهله وصفاً بديعاً . وتطرق الى وصف حكامه فخص دولة المتصرف بالذكر مبيناً الثمرات التي جناها اللبنانيون من عدله في عهده .

منشور المحبة : (١٩١٢) وأطل الصوم الكبير فأصدر البطريرك عن مركز مطرانية بيروت في الثالث من اذار سنة ١٩١٢ منشوراً رعائياً يذكر بسر القدا ويحض على المحبة المسيحية ووجوب الصوم استعداداً للاشتراك في جسد الرب وذمه :

« برحمة الله تعالى غريغوريوس بطريرك أنطاكية وسائر المشرق : بملء المحبة الاخوية نعتق بالروح الاخوة الاحباء السادة مطارين كرسينا الانطاكي المقدس . ونهدي البركة الرسولية والادعية القوادية الى أبنائنا الاحباء مصف الاكليروس الموقر الجزيل البر والورع . والنوات الاناضل والعلماء الاماثل والشيخو المكرمين والتجار والصناع والفلاحين ولقيف الشعب الارثوذكسي التابع لكرسينا البطريركي الرسولي المقيم في موطنه والمتغرب في الجهات الاخرى . سائلين للجميع حياة نقية سعيدة بمخافة الله ومزينة بعمل الصالحات واكتساء حلل للصحة والسلامة . فتفيض قلوبهم بالسور وتطق السنتهم بالخبور بالحنان التساييح والتاجيد . ميينين بمجودة تصرفاتهم الدالة على خصوبة الثمر الروحي في حقول حياتهم المباركة انقيادهم بقوى النفوس والجسد الى اتمام الوصية الصادرة من فم الرسول بولس الالهي لهناهم وكرامتهم : « اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » - اف ٥ : ٢ .

المحبة ايها الاخوة الاعزاء والابناء الخويون هي الرباط الذي يربط السماء والارض منذ البدء . فقد « خلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم امشوا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض » . فا اعظم هذه المحبة التي جعلت الانسان سيداً للمبرومات المنظورة . « هذه المحبة العظيمة التي فاقت كل حد قد بدت بعدئذ بمظهر اعظم جداً كان لها مظهر الخلق رمزاً . وذلك ان الانسان حينما سقط في هوة الخطيئة بالمعصية فاضت النعمة الفائقة كل عقل على قياس تلك الزلة الفائقة كل حد لانه « حيث كثرت الخطيئة هناك طفحت النعمة » . فجاء اولاً الوعد الالهي ان نسل المرأة يسحق رأس الحية . ومقاد هذا الوعد الشريف انه سيولد بالجسد ابن الله الوحيد الذي بمحبته للبشر على الارض ظهر وبين الناس تصرف لكي يعيد الجلبة البشرية الى طهارتها الاولى ويسقط عنها حكومة الموت . وقد تم هذا الوعد العظيم بولادة الخلد ربنا يسوع المسيح من العذراء الطاهرة مريم ابنة يواكيم المنحدر من سلالة داود . فهذه المحبة هي التي اوصانا الرسول بولس ان نتخذها لنا مسلكاً لا نحيد عنه بقوله : « اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » .

« ان ما يوصينا الرسول به ملي كلمة المحبة الوجيزة هو ما تضيق الصحف عن استيعابه لاجتوائه كل طهارة في قول وعمل ونية . فهو يستغرق في مضمونه كل تقوى وعفة ونزاهة وسيرة نقية . فتزور بالبركات لنحصد بالبركات في هذا الدهر الخالص ونرث الملكوت السابوي الذي اعده لختاريه . فاذا يا ترى نستطيع ان نخرجه من هذا الكنز المملو بالنقائص التي لا غنى عنها وهي فوق ما يتسع الوقت لبيانها . اننا نكتفي بالقليل القريب تناول . ولا نقول الممتاز بشئ لان محتويات هذا الكنز كلها لا تقدر .

« المحبة التي وجه الرسول اليها مسلكنا هي التي ذكرها في رسائله مراراً عديدة كقوله « المحبة نبي » اي انها تشر كلمة الخلاص في العالم وتزيد المؤمنين نمواً في الصلاح . فان التصرف بوداعة الحكمة الذي أمرنا نحن المسيحيين ان نجعله قاعدة لاعمالنا الزمنية يولينا كرامة في عيون شركائنا في الوطنية والتابعة واللسان والمصالح المعاشية . فيبتنى اعتبارنا على اساس راسخ ويزيدنا رسوخاً في ايماننا القويم ونمواً في العمل المرضي لله الذي به نحيا ونتحرك ونوجد .

« وكقوله ايضاً : « المحبة تتأني وترفق . المحبة لا تجحد . المحبة لا تنفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء » اي ان المحبة تستدعينا الى الروية في ما يعرض لنا من الافكار والاقوال والاعمال فلا تسارع الى افكار السوء « فان فكر الحماقة عظيمة ، ولا الى الاقوال الملوثة فان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يمطون عنها حساباً يوم الدين لانك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » ولا الى اعمال السوء لانه تعالى « يجازي كل احد نظير اعماله » . فهذا هو التأني الذي توجه علينا المحبة وتجعله موصولاً « بالكمال في كل فكر » فنبز اقوالنا خالية من كل شائبة كما اوصانا الرسول بطرس قائلاً « ان كان يتكلم احد فكأقوال الله » . ونقش اعمالنا على مقتضى الطهارة حسب تعليم الرسول بولس بقوله « وكل ما علمت بقول او فعل فاعملوا الكمال باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به » . فبالسير على مقتضى ذلك كله تثبثون الثقة بينكم انتم بعضاً لبعض وبينكم وبين الآخرين الذين تربطكم معهم الروابط العديدة فلا يكون اثر للمباحكات الكلامية والمباحثات الغبية التي يحصل عنها الحسد الذي هو نخر للعظام . وبانتفاء تلك الاسباب يرى كل واحد نفسه وضيقاً فيقول مع النبي داود « انا دودة ولست انساناً عار للبشر وذرلة للشعب » . فسلا يتفاخر بآبائه او بجاهه ولا ينتفخ بفناء ولا بعمله . ولا يقبح رغبة في التمييز والانفراد بالسؤدد او بصفاء الحياة . ولا يطلب ما لنفسه بل يعمل بحسب الوصية القائلة « لا تنظروا كل واحد الى ما هو لنفسه بل كل واحد الى ما هو للآخرين ايضاً » . وباتخاذ هذا المنهاج سيلا لحياه يقدم نفسه في كل شيء قدوة لالاعمال الحسنة متنبهاً من الفجور والشهوات العالمية وعاشاً بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر . وهكذا يظهر التصاقه بالمحبة التي هي رباط الكمال وانصرافه بقوى نفسه وجسده الى اتمام الوصية القائلة « اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » .

« ان للبشرى بالنعمة تستوجب للفرح . واما فيل النعمة التي آتت بها البشرى فيطرح بها الفرح

ولما انتهت الطروبارية سأل اثناسيوس بطرس قائلاً : هل تريد ان تتحد مع الكنيسة الارثوذكسية رافضاً غير الصحيح من معتقدات المذهب اليهقوبي ؟ فأجاب بطرس بورع : نعم اني اريد ذلك . فباركه اثناسيوس قائلاً باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين . ثم وضع يده على رأس بطرس وقرأ الافشين التالي :

« ايها الرب اله الحق انظر الى عبدك الاسقف الآتي ليلتجئ الى كنيتك المقدسة الارثوذكسية ويكون محفوظاً تحت كنفها . وده من تيهه الاول الى الايمان الحقيقي بك . امتحه نعمة ليسير في سبيل وصاياك . لتكن الحاطك باظرة اليه برحتك على الدوام واذنك منصتين لساع صوت قسره . وهكذا فليصر معدوداً من رعيتك المختارة . لان كل قوات السموات تسبحك وتبجدهك ايها الاب والابن والروح القدس الى دهر الداهرين آمين » .

وكان الشماس في ذلك الحين يقدم طلبة « من الرب نطلب » ومصنف المرغنين يؤمن على طلباته قائلاً يا رب ارحم . وبعد الافشين ونجاء الطلبة وجه اثناسيوس الى بطرس الكلام التالي : اترفض تعليم اوطيخسه وثيودوروس وديوسقوروس وسائر المعتقدين اعتقادهم . فأجاب بطرس : نعم اني ارفض ذلك فسأل اثناسيوس : اترفض التعليم الفاسد الذي يقال فيه ان يسوع المسيح ربنا ليس فيه الا طبيعة واحدة فقط . فأجاب بطرس : نعم اني ارفض ذلك . فسأل اثناسيوس : هل تريد اذن ان تتحد بالكنيسة الشرقية المقدسة الارثوذكسية الجامعة وهل تتعهد ان تكون لها من اهل الطاعة . فأجاب بطرس : اريد وأتعهد بذلك من صميم قلبي . فسأل اثناسيوس : هل تؤمن بالاله الواحد الممجّد في ثالوث وكيف تؤمن وهل تسجد له . فأجاب بطرس : « اؤمن باله واحد ممجّد في ثالوث الاب والابن والروح القدس واسجد له . ثم عمل مطانية ساجداً الى الحضيض وقرأ دستور الايمان هكذا :

« دستور ايمان الاسقف بطرس : باسم الآب والابن والروح القدس . اننا الحقير بطرس برحة الله اسقف صدد وتوايها ارجو الكنيسة المقدسة الجامعة الارثوذكسية بحجة الله ان تقبلني في حظيرتها كأحد اولادها المؤمنين .

« نحن (اي هو والشعب المنقاد لصوته) نقبل بتعليمها الجامع ونعبد الكنيسة الارثوذكسية

بالطاعة القانونية واننا نترك نشوزنا السابق ونقصي كل هرطقة ولا سيما هرطقة اوطيخه لانه كان يعلم تعليمًا كاذبًا بقوله « ان المسيح الهنا له طبيعة واحدة » . واما نحن فنؤمن ونعترف ونقر هكذا : « ان ربنا المولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت والمولود في آخر الازمان من البتول القديسة مريم بحسب الناسوت هو واحد بعينه بطبيعتين ووجه واحد واقتنوم واحد مسيح واحد وابن واحد ورب واحد واله وانسان واحد . وايضاً نقول :

« اننا نؤمن ونعترف ونقر انه مساو للآب في الجوهر بحسب اللاهوت . وهو نفسه مساو لنا في الجوهر بحسب الناسوت . وهو واحد من الثالوث الاقدس الاله الكلمة الذي اتخذ من البتول القديسة مريم طبيعة بشرية اعني نفساً ناطقة عاقلة وجسداً وصفقات بشرية وفلا بشرياً ومشية بشرية . ولما جعل متجداً الاله الكلمة في اقنومه الطبيعة البشرية الكاملة مع الطبيعة الالهية الكاخلة صار انساناً ولم يزل الهاً اذ لم يبطل خواص الطبيعتين بالاتحاد ولم يضعف بل كل واحدة من الطبيعتين حفظت خواصها . ولهذا فان في المسيح يسوع ربنا طبيعتين صفتين فعلين ومشيتين مستقرتين فيه بغير امتزاج ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال . ولهذا فالاقوال عن المسيح ربنا المكتوبة في الانجيل ورسائل الرسل لا يحفل اللاهوتيون بينها تمييزاً . فان الكنيسة تعلن بحق ان المسيح هو الاله الكامل نفسه والانسان الكامل نفسه حافظاً خواص كل من الطبيعتين سالمة . ونحن نؤمن ونعترف ان الهنا يسوع المسيح الكائن الهاً بالطبع والصائر انساناً بحسب الطبيعة هو الابن الوحيد المثني في الطبيعة وليس بالاقتنوم .

« واما عن السيدة مريم القديسة الدائمة البتولية فنحن نعترف انها والدة الاله لانها ولدت بالحقيقة المسيح الهنا .

« ونقبل ايضاً بتلك المجامع المسكونية المقدسة التي لم تكن قبلاً مفروضة عندنا واسماؤها هذه : المجمع الرابع الخلقيدوني المنعقد على عهد ماركيانوس الذي رفض تعليم اوطيخه ومن قال قوله بطبيعة واحدة في المسيح ربنا بعد الاتحاد . المجمع الخامس وهو ذاته المجمع القسطنطيني الثاني المنعقد على عهد يوستينيانوس والذي افرز ثيودوروس وتعليمه . المجمع السادس وهو ذاته المجمع القسطنطيني الثالث المنعقد على عهد قسطنطين (الرابع) الذي علم ان في المسيح الهنا طبيعتين وفعلين ومشيتين . الا ان هاتين المشيتين غير مخالفة احدهما الاخرى بل ان مشيته الناسوتية لم تكن تخالف مشيته الالهية بل بالاحرى كانت متفقة معها وغاضمة لها . المجمع السابع وهو ذاته المجمع النيقاوي الثاني المنعقد على عهد قسطنطين وايرياني الذي علم باستقامة السجود للايقونات اي للصور المقدسة سجوداً اكرامياً وافرز اولئك الذين كانوا يجدفون على الكنيسة المقدسة بقولهم عنها انها تسجد للايقونات على مثال الوثنيين الذين يعبدون اصنامهم . ولكننا نحن ابناء الكنيسة نسجد لها لا سجود عبادة كما يجب على المخلوق ان يسجد لخالقه بل سجود اكرام فقط كما نسجد لصليب المسيح وللانجيل . ونقبل ايضاً قوانين المجامع السبعة المسكونية وقوانين المجامع المكانية ناظرين اليها نظراً الى مثال حسن الترتيب في كنائس الله المقدسة .

« ونتمسك بأن نشترك فقط مع أولئك الذين تشترك معهم الكنيسة الارثوذكسية المقدسة . وكل الذين تعتبرهم خارجين عن الاشتراك نعتبرهم نحن أيضاً خارجين عن هذا الاشتراك . ونحن قد شرحنا في رسالتنا جل ما هو محرر هنا . اما الآن فاني أشد بهذا يشفي أيضاً امام هذا المذبح المقدس وامامكم . ونؤمن ان رئيس الرعاة العظيم ربنا يسوع المسيح يبارك عملنا هذا له المجد مع الآب والروح القدس الى دهر الداهرين آمين » .

وبعد تلاوة هذا الصك دفعه بطرس ممضياً بخط يده الى اثناسيوس ليحفظ في الاوراق الكنائسية الى ما شاء الله . فأخذ اثناسيوس الصك وقال : « تبارك الله الذي ينير كل انسان واراد الى العالم » . ثم وجه الاسئلة التالية الى بطرس : هل تعتبر كل الخبايا المسكونية السبعة وهل تقبل بالعقائد والقوانين التي حددتها هذه الخبايا . فأجاب بطرس نعم اعتبرها واعتقد بها . فسأل اثناسيوس هل تعد انك تكرم الايقونات المقدسة المقبولة في الكنيسة الارثوذكسية بحسب اعتقاد هذه الكنيسة معيداً الاكرام المقدم لها الى الصورة الاصلية المرسومة فيها . فأجاب بطرس اني أعد ان اكرمها كما توصي بذلك الكنيسة الارثوذكسية . فسأل اثناسيوس هل تقبل بالقوانين الرسولية وسائر القوانين التي تحدت في الخبايا السبعة المسكونية والتسعة المكانية وباقي التقاليد والترتيبات التي في الكنيسة الارثوذكسية . فأجاب بطرس نعم اني اقبل بها .

حينئذ أعطى المتروبوليت اثناسيوس الاسقف بطرس طرف الامفوربون وقال له بصوت مهيب ادخل الى الكنيسة الارثوذكسية وارفض كل ما ترفضه واكرم الآب الضابط الكل وابنه يسوع المسيح والروح القدس ثالوثاً متساوياً في الجوهر وغير منقسم . ثم سارا معاً الى الباب الملوكي وصوت المرتلين مرتفع بالمزمور السادس والستين « ليتألف الله علينا » ولما بلغا الباب الملوكي وقفا ازاء طاولة عليها الانجيل المقدس والصليب الكريم . فجثا الاسقف امام الطاولة وقبل الانجيل والصليب وحنى ركبتيه وتلا : ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجهه الارض . خلص يا رب عبدك المتكل عليك . كن له يا رب عمود قوة تجاه العدو . يا رب استمع صلاتي وليأت اليك صراخي . ثم قال الشماس « من الرب

نطلب » . ومصنف المرتلين « يا رب ارحم » وكان بطرس قد اعترف عند كاهن قانوني فقرأ اثناسيوس هذه الصلاة :

« ايها السيد الاله الضابط الكل الواضع للخطاة طرائق التوبة الهادي الضالين الى الصراط المستقيم كي لا يهلك احد منهم بل ليكون للجميع ان يقبلوا للخلاص . نشكرك لانك أثرت عبدك الاسقف بطرس بنور معرفة حقلك وجعلته اهلاً للالتجاء الى كنيسة المقدسة الارثوذكسية الجامعة . فأعطه ان يتحد بها باخلاص وثبات عزم . أحصه مع رعيتك المختارة . اجعله اناً طاهراً ومسكناً لروح القدس حتى اذا كان مستنيراً به ومسترشداً يحفظ بدون زيف وصاياك الخلاقية ويكون هكذا مستحقاً لقبول خيراتك السابوية . لانك انت اله الرحمة والرفقة والمحبة للبشر والمريد لكل الناس ان يخلصوا . ولك نزل المجد ايها الآب والابن والروح القدس الآن وكل اوان والى دهر الداهرين آمين » .

ثم قال اثناسيوس : قف حسناً قف بخوف وأيد امام انجيل المخلص وصليبه الكريم الميثاق المعطى منك . فنهض بطرس وقال : اني اتمهد متكلاً على الله بالمحافظة الثابتة على الايمان الجامع المستقيم الرأي الذي اعتقد به الآن برضاي كاملاً وبدون زيف حتى آخر نسمة من حياتي . وباتمام وصاياهم برغبة وفرح وان أصون قلبي ما استطعت من كل دنس . وتأييداً لتعهدتي هذا هوذا اقبل اقوال مخلي وصليبه . ثم قبل الانجيل والصليب . فقال اثناسيوس : تبارك الله الذي يريد الناس كلهم ان يخلصوا والى معرفة الحق يقبلوا . هو مبارك الى الدهور . فجاوب مصنف المرتلين آمين . ثم خاطب بطرس قائلاً : احن ركبتيك امام الرب الاله الذي اعترف به وستأخذ مغفرة خطاياك . فحنى بطرس ركبتيه ورأسه وقرأ اثناسيوس عليه ما يأتي :

« الرب يسوع المسيح الهنا الذي سلم الرسل مفاتيح ملكوت السموات واعطاهم لهم وخلقهم يمد لهم سلطان ربط الخطايا للناس وخلقها فليغفر لك ايها الاخ الاسقف بطرس بواسطتي انا رئيس الكهنة الغير المستحق وليحلك من عقاب اليمين ومن كل خطاياك . وانا بالسلطة المعطاة لي منه تعالى أجعلك متحداً بالكنيسة الارثوذكسية وآتي بك الى مائدة الاسرار الالهية الكنائسية . وباركك باسم الآب والابن والروح القدس آمين » .

ثم بدأ المرتلون « بتون ذيبوتين » واخذ السيدان معاً كيروناً ودخلا الى الهيكل . فرش اثناسيوس بطرس بالماء المقدس من الصنينة المتضمنة ذخائر

الاربعة اصحاب المقام وبعدئذ تصافحوا ولبسا حبال رئاسة الكهنوت وخدموا الاسرار الالهية معاً . وكان بطرس يعاون اثناسيوس في بعض الاعلانات . وبعد الاستحالة أشهر الاسقف اعترافه برئاسة البطريك غريغوريوس الرابع .

وبعد المناولة هنا اثناسيوس بطرس بخطاب ملؤه الحب والتشيط فأجاب بطرس بخطاب طويل اهم ما جاء فيه قوله ان اسباب التباعد بين الكنائس الشرقية لم تكن ايمانية وان الوقت حان لاتحاد هذه الفرق تحت لواء الارثوذكسية وانه ما قىء منذ ان لمس التقوى الحقيقية في نفوس الحجاج الروس يفكر في العودة الى احضان الكنيسة الام وان هذا الميل ظل ينمو فيه حتى اسعده الحظ بمعرفة اثناسيوس الذي اضاف الى استقامة الرأي العمل الصالح (١) .

روفاثيل مطران حلب : (١٩١٢) وشعر كرسي حلب بعد استقالة استفانوس كما سبق وأشرنا فرشح الحلبيون الارثمنديت انطونيوس مبيض من حص الارثمنديت باسيليوس صيداوي من دمشق والقس روفائيل نمر من زحلة . وقدما بذلك مضبطة الى البطريك . فكتب راعي الرعاة في السابع عشر من تموز سنة ١٩١٢ الى المطارنة ان ينتخبوا احد الثلاثة ليسميه مطراناً وأمهلهم في ذلك خمسة عشر يوماً .

وفي السابع والعشرين من ايلول اجتمع في نسا دي البطريك في دير سيدة اليلمند ، وكان غبطته لا يزال مقيماً في هذا الدير مدبراً شؤون مدرسته الاكليريكية ، ارسانيوس متروبوليت اللاذقية والكسندروس متروبوليت طرابلس . واتخذوا الخبران بأمر غبطته الى كنيسة السيدة . ونزل الشماس صفرونيوس (بشارة) حاملاً السجل البطريكي . وبعد الصلاة وضع الخبران بطاقات الانتخاب على المائدة المقدسة ثم نقلها الى طاولة في منتصف الخورس . وفتحت البطاقات المختومة فأحرز روفائيل ثمانية اصوات . فسطر ذلك في السجل ووقع السيدان المشرفان . واطلع البطريك فأعلن انتخاب روفائيل . وفي السادس من تشرين الاول صار

الانتداب الاسقفي وتم بحسب الرسوم المتبعة في كنيسة السيدة الكبرى في دير اليلمند بواسطة السيدين ارسانيوس اللاذقية وجرمانوس سلفكياس . وتسجل اعتراف المنتخب في السجل البطريكي تحت امضائه بحضور سيادتهما وشهادتهما عليه . وتمت سيامة روفائيل يوم الاحد في السابع من تشرين الاول برئاسة البطريك واشترك السادة ارسانيوس اللاذقية والكسندروس طرابلس وجرمانوس سلفكياس وحضور ممثلي ابرشية حلب (١) .

الدستور وامتيازات النصارى : وعلى اثر اعلان الدستور العثماني اثارث صحافة الأستانة وغيرها قضية امتيازات النصارى موجبة الغاءها عملاً بمبدأ المساواة بين جميع العثمانيين . فهب النواب المسيحيون يسعون للمحافظة على هذه الامتيازات مؤكدين ان الانقلاب السياسي لا يستدعي الغاءها وان مصلحة المملكة تقضي بالمحافظة عليها . وأهم ما جاء في جرائد الأستانة في هذا الموضوع ما نشرته جريدة النيوغولوس اليونانية بقلم صاحبها ورئيس تحريرها ستافروس فوتيراس شيخ الصحفيين في العاصمة . وكان غطاس قندلفت مدير مدرسة اليلمند ينقل هذه المقالات الى العربية وينشرها في جريدة الحوادث الطرابلسية . فلما تمت نشرها على حدة بعنوان « امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية » فجاءت سفراً ممتعاً فيه الخبر الشافي عن هذه الامتيازات وكيفية نشوئها وسدت فراغاً في الخزانة المسيحية العربية .

رد على الماديين : ونقل الشماس فوطيوس الخوري في هذه الآونة نفسها من اليونانية الى العربية كتاب بطرس ارماني في الرد على الدهريين فأسماه : شمس الحقائق في اثبات الروح والخالق « واثبت فيه بالعلوم العقلية والطبيعية ان في الانسان روحاً او نفساً ناطقة تدبر الجسد وتستنبط العلوم وان للعالم صناعاً ازلياً ضابط الكل وواضع الشرائع الطبيعية واله الارواح والاجسام ومدبر البرايا ومعتن بكل افرادها واجزاها » . وكان الدافع لنقل هذا الكتاب الى العربية

(١) مجلة النعمة : تشرين الاول ١٩١٢ ص ٤١٦ - ٤١٨ . طلب البراكسيس البطريركي في هذا الموضوع في النعمة ايضاً ١٩١٢ ص ٥٩٦ - ٦٠٢ .

(١) مجلة النعمة : آذار ١٩١٢ ص ٨٥١ - ٨٥٩ .

ارشاد من ضل السبيل بمغالطة المتفلسفين وتحريضات المارقسين عن ظلمات الرب الى صبح اليقين (١) .

الادلة الغراء : وكان ضاهر خير الله الشويري اللبناني يستظهر على اصدقاته البروتستانتين الشويريين، وبعضهم من اساتذة جامعة بيروت الاميركية فيستعين بدليل العقل والنقل ليرد على آرائهم في العقيدة المسيحية . فأخرج في السنة ١٩١٢ كتابه « الادلة الغراء على سمو شأن مريم العذراء » فنبه الى ما وقع في ترجمة الكتاب المقدس البروتستانتية من التحريف في مواضع متعددة . وطارد موسهم وأظهر تحامله . ودافع عن الطقوس مظهراً « تلاعب الدكتور هارفي بورتر في الروايات » . واستشهد باقوال السيد نفسه ليدحض زعم البروتستانت ان السيد له الحمد يستاء من اكرام القديسين . وزد على الدعوى بأن الخلاص انما هو بالايان فقط دون الاعمال . وأجاد في الكلام عن التقليد وانسه كان معروفاً في الكنيسة منذ نشأتها وانه ضروري لتفسير النصوص الالهية .

البطوريك والسلطان : (١٩١٣) ورغب آل رومانوف في الاحتفال بمرور ثلاث مئة عام على اعتلائهم عرش روسية . فكتبوا الى البطيريك يستقدمونه الى روسية لرأس الحفلات الدينية لهذه المناسبة . فلبى الدعوة وأصدر في الثامن من شباط سنة ١٩١٣ منشوراً بطريركياً أفاد به ان واجبات التبعية للدولة العلية أهابت به لبيادر الى المشول امام الذات الشاهانية ليظهر شفهاً تعلقه وتعلق المطارنة والشعب بأهداب الطاعة وانه كان وكانوا وما زالوا جميعاً متمين الى الدولة العثمانية بملء الافتخار لا تريد لهم الأيام الا امانة في الإنقياد واخلاصاً في المعاملات وغيره في الشدائد وانه حظي في الخامس من شباط ١٩١٣ بالمأذونية العالية مجيزة له اتمام هذه الامنية وانه عزم ان يبرح مقره البطيريك في السادس من شباط قاصداً بيروت ومنها الى دار السعادة (٢) .

ولما كانت مهام البطيريكية عديدة ومتنوعة عهد بها بطرس بطريركي

(١) طبع في طرابلس في المطبعة الوطنية لصاحبها لطف الله خلاط سنة ١٩١٢

(٢) مجلة النعمة ١٩١٣ ص ٦٧٣ - ٦٧٦

الى ارسانيوس متروبوليت اللاذقية بالوكالة عنه في مدة غيابه . وحدد البطيريك هذه المهام في هذا الطرس نفسه فجاءت هكذا :

« اولاً تشتمل على جميع المراجعات بين البطيريكية والحكومية بالشؤون الخصوصية التي للبطيريكية كانتخاب اعضاء مجلس الادارة واحوال التجنيد والنظر في الاعتداءات على الاوقاف . اما ما هو من خصائص القوميسيون الزمني فعاملاته تم من هيئته القانونية التي يتولى نيابة الرئاسة فيها ولدنا كير ميخائيل شحاده الجزيل بره بروتوسينجلوس كرسينا البطيريك المقدس في غياهم ويحضر الجلسة التي تترأسونها . والشؤون المستعجلة التي يخبركم بها القوميسيون للبحث بشأنها مع الحكومة تجزئها باتفاق الرأي مع تلك الهيئة الموقرة وما تلزم مطالعتنا فيه ترفعونه اليها . والمحكمة الروحية مستقلة في معاملاتها ونائب رئاستها ولدنا اول الكهنة فيليمون بشاره الجزيل الورع . وما يعرض من شؤونها لسيادتكم تحولونه اليها . واحكامها القانونية تجاز من طرف سيادتكم . وما يلزم اطلعنا عليه ترفعونه اليها ايضاً .

« ثانياً تنظرون في امر الزيجات وترجعون في ما يلتبس امره الى الحكمة الروحية لمسؤولية اعضائها ابنائنا كهنة الشعب بشأنها .

« ثالثاً الشؤون التي ترجع بها الابريشيات المنضوية الى كرسينا المقدس الى منصتنا الرسولية تشملها وكالتكم ايضاً . وما كان منها محتتمل التأجيل تراجعوننا بشأنه . وما كان الاسراع به واجباً تتصرفون به بملء الحكمة وترفعون اليها عن كل شيء بياناً بما توقع لشكون على بصيرة بالشؤون وتكتب اليكم بما نستحسنه .

« هذا ما نكلف اخوتكم ان تعتمدوه في شؤون الوكالة عنا بمدة غيابتنا نكتب لكم عنه رسمياً . وقد ولجنا سيادة الاخ المطران زخريا مطران حوران الجليل بوكالة المدرسة الاكليريكية البلمندية العامرة وبالسيطرة على الاديرة البطيريكية الشريفة يتفقدوها وينظر في شؤونها وحساباتها ويخبرنا بشأنها رأساً . وسيادة الاخ المطران استفانوس الجليل يبقى له اسم النائب ويساعدكم في الشغل الذي ترونه . وكذلك لديكم ولدنا البروتوسينجلوس كير ميخائيل شحاده النياية عنكم في ترويس جلسات القوميسيون في غياهم ووجوده معكم في الجلسات بحضوركم وللاعتاد عليه في اشغال القرى الراجع امرها لمقرنا البطيريك .

« وولدنا الشاس كير فكتور ابو عسلي الجزيل بره يعتمد وكيلا للخروج ولاشغال مصلحة الجند ونحوها من المراجعات في باب الحكومة السنية وللخدمة في الكنيسة شماساً . وولدنا الشاس اندراوس معيقل الجزيل بره للخدمة في المطبعة البطيريكية وليكون مرثلاً في الكنيسة الكاثدرائية . وولدنا وكاتم سرنا امين افندي ظاهر خير الله لادارة وانشاء مجلة البطيريكية الرسمية بمجلة النعمة ولحسابها وكل شؤونها .

« فكونوا كما نعهد بكم من الحكمة والتقوى والروية والهمة والنشاط والاستقامة مثالا للشركاء

في الخدمة وقوة للرعية . والمولى سبحانه وتعالى يأخذ بيدكم ويأجركم بأجل مكافأة وبرينا وجهكم بخير وعافية . ونعمته الغزيرة فلتكن معنا وفيا بيننا . اخوكم في المسيح بطريرك انطاكية وسائر المشرق غريغوريوس « (١) » .

وفي فجر السبت تاسع شهر شباط سنة ١٩١٣ قام البطريرك والحاشية البطريركية الى بيروت ومنها الى ظهر الباخرة توفيقية فشيعة الرجال الرسميون والوجهاء والاكليروس . وانضم اليه في بيروت الكسندروس متروبوليت طرابلس ورست السفينة في مياه ازمير فاقبلت من البر سفينة صغيرة تقل وفداً حكومياً رسمياً ووفداً ملياً ارثوذكسياً . فدعا الوفدان البطريرك لزيارة ازمير . فلبى الدعوة وزار الوالي ثم كنيسة ازمير الكاثدرائية . فاستقبله عند مدخل الكنيسة خريسوستوموس متروبوليت ازمير وكهنته وشعبه . فدخل الكنيسة وصلى وبارك ثم عاد الى الباخرة .

ثم رست التوفيقية في مرفأ الآستانة فرحب به باسم الحكومة طلعت بك مأمور التشريعات ومهندار (٢) البطريرك الانطاكي وحنى بك ميمز قلم نظارة العدلية وكال بك قزح وكيل البطريرك الانطاكي في « دار السعادة » ووفد سفارة روسية ووكيل البطريرك الاوروشيمني . فسارت العربات الى بيرابلاس حيث حصل البطريرك ضيفاً على الحكومة السنية . وبعد الاستراحة سار البطريرك الى وزارة العدلية والمذاهب فالصدارة العظمى حيث قابل الصدر الاعظم محمود شوكت باشا . وسار من هنالك الى دار البطريركية المسكونية فلقبه المطارنة والاكليروس بالحلل الجبراوية وساروا امامه الى الكنيسة الكاثدرائية فعانق فيها قداسة بطريرك المسكونة جرمانوس الخامس وصلى وبارك وعاد الى بيرابلاس . وفي السادس عشر من شباط حظي البطريرك بمقابلة السلطان محمد رشاد وبعبته الكسندروس متروبوليت طرابلس والحاجة سوسان شقيقة غبطته وكال بك قزح الوكيل البطريركي . « ففاضت الاحسانات الشاهانية من القريحة السلطانية » بالوسام العثماني المرصع للبطريرك وبالحجدي الثاني لمتروبوليت طرابلس وبوسام

الشفقة الثاني للحاجة سوسان وبالعثماني الثالث لوكيل البطريرك (١) .

البطريرك الانطاكي في جوائد روسية : ونشرت جرائد روسية خبر قدوم البطريرك الانطاكي ونقلت برنامج استقباله . وذكرت سيرته الحسنة وورعه وتقواه وفصاحته وجهاده وصموده في وجه التيارات الكاثوليكية والبروتستانتية والماسونية . واكدت وجوب استقباله في مقر الجمع الروسي المقدس في بطرسبرج بقرع الاجراس والصلب والهيئات الاكليريكية بجلالها وبرئاسة اسقف (٢) .

البطريرك في روسية : (١٩١٣) وجاء في رسالة للبطريرك غريغوريوس وجهها الى البروتوسينجيلوس مخائيل شحاده في الثالث والعشرين من شباط سنة ١٩١٣ انه وصل الى مدينة بطرسبرج « على اجنحة الحب التي لا تتعب » وانه لاقاه جمع غفير من علية القوم في طليعتهم متروبوليت بطرسبرج ووكيل القيصر في الجمع المقدس وانه بعد صلاة الشكر في كنيسة دير اسكندر نفسكي توجه الى كنيسة قبور القياصرة فقبل الصليب من يده القيصر والدة . وانه بدأ بالتبريك واشترك معه متروبوليت العاصمة ومتروبوليت الصرب ومتروبوليت كيف . و اضاف البطريرك انه سمع القداس الالهي في اليوم التالي في كنيسة سيدة كازان الفخيمة وانه خرج بعد الظهر لاقامة الدعاء لايأساً لحلة رئاسة الكهنوت والتاج والعكاز تقدمه القيصر فاستقبله القيصر والقيصرتان وولي العهد فافتح الصلاة وقرأ الانجيل باللغة العربية .

ثم قابل البطريرك القيصر والقيصرتين وولي العهد في القصر الشتوي « فنطق بمسامع جلالته كلمات لندورة العيد » وقدم الايقونة المحفوظة من الجيل الخامس لتكون البركة للبيت القيصري ، فقبلها القيصر وأجاب شاكرأ . ثم خدم القداس الالهي في الكاثدرائية وتناول طعام العشاء في القصر الامبراطوري « فقال من القرح ما يرجوه الارثوذكسي » وربط فؤاده باللطف سفير الدولة العثمانية دولتو طرخان باشا . (٣)

(١) الوسام المرصع العثماني لكالم قزح : النعمة ١٩١٣ ص ٧١٩ - ٧٢١
(٢) نقلا عن ترجمة ما جاء في العدد ١٣٢٧١ من جريدة نوفوييه فريعا الصادر في ٢٠ شباط سنة ١٩١٣ .

نكرم باقنومك سلطان الكنيسة الاعلى : وخاطب انطونيوس رئيس اساقفة فولين البطريرك الانطاكي باسم كنيسة روسية فقال : لقد مضى زمن ينيف عن مئتي سنة منذ فقدت كنيستنا راعيها الاعلى ونحو ٢٥٠ سنة منذ انقطع حماة الارثوذكسية المسكونية عن زيارتنا . وها نحن الان ننظر اليك بتخشع وسرور فنرى فيك بهجات الكنيسة المسيحية بأجلها لانك باقنومك الرسولي تترأس اعلى قممها . اننا نكرم باقنومك سلطان الكنيسة الاعلى يجذل روحي ممتاز . وان يكن كرسيك خالياً من غناه السابق ومن المجد الخارجى فانه مملوء من ذلك المجد الذي لا يبلى مجد لمجك بكلمة الخلاص وجهادك عن ايماننا الالهى بقلب طاهر وعزيمة ماضية وتعرف حكيم . ونحن لا نكرم رئاسة الكهنوت لاتحادها بالغنى والابهة وانما نكرمها لجهادها بانكار الذات . ولهذا نستجلى في شخصك لمعان بطرس رئيس كنيسة انطاكية الاول ولمعان القديس الشهير اغناطيوس حامل الاله ومعلمي المسكونة ملاتيوس وافستاثيوس وغيرهم من متخذي الله الكثيري العدد الذين زينوا الكنيسة بصفاتهم المتسامية . والشعب الروسي الذي يحترم الجهاد الرسولي الذي تسلسل منذ عهد التلاميذ الاولين الى الان في كاتدرائيتك المقدسة يرى فيك حامل هذا المجد الكنائسي مجد اتفاق الارض مع السماء اتفاق الكنيسة مع المسيح . وهو يرفع صوته الى الله بالتسابيح لانه اصبح اهلاً ان يشاهد اقنومك الكلي الطوبى . ثم ركع انطونيوس جاثياً وقال : « وها هو ساجد امام قدميك يرحب بك وهو جاث ابتهاجاً بدخولك الى دير العاصمة الشالية المقدس » . (١)

مقابلة القيصر : وقابل القيصر ضيفه البطريرك مقابلة الفسائسة البيزنطيين لبطاركة القسطنطينية . فلبس البطريرك المنذية والقيصر بزته الرسمية . ولدى دخول البطريرك نزل القيصر عن عرشه وانحنى امامه فباركه البطريرك وقبله في كتفه . واما القيصر فقبل رأس البطريرك اولاً ثم يده اليمنى . وبقي الاثنان واقفين وبعد ان هنا القيصر البطريرك بسلامة الوصول وسمع جوابه أجلسه على مقعد الى جانب العرش . ثم صعد الى عرشه وقال : « سمعت منذ زمان عن عزمك على

المحيي . اليّ وتمنيت كثيراً ان أراك . واني لعارف برك وتقواك فأرجو منك ان تتوسل الى الله العلي وتصلي لاجلي » . فقال البطريرك : « انني رجل خاطيء يا مولاي . ولكن فليعطك الرب مثل قلبك وحسب ايمانك ويتمم كل آمالك ويؤيد عرشك الى الابد » . فلما سمع القيصر هذا الجواب المثمن كلام داود في مزاميره سرّ وتخشع ونزل عن عرشه وقبل يمين البطريرك مرة ثانية .

اليوبيل : واحتفل في السادس من اذار سنة ١٩١٣ باليوبيل الملكي في كاتدرائية سيدة قازان . فارتدى البطريرك الحلة الاسقفية الذهبية التي اهداها اليه القيصر . وجلس البطريرك على منصة والى يمينه القيصر واسرته والى يساره جمهور الاكليروس فبدأ بصلاة الدعاء باليونانية ولكنه قرأ الانجيل بالعربية .

الكنيسة الروسية والكنيسة المنحازة : وانتهاز البطريرك فرصة وجوده في روسية لازالة سوء التفاهم بين الفرقة الروسية المساة بالمنحازة وبين الكنيسة الروسية الارثوذكسية ولا سيما وان الاختلاف بينهما كان في الترتيبات لا في العقائد . فالبركة مثلاً تعطى عند الكنيسة المنحازة باصبعين فقط اشارة الى ان المسيح اله كامل وانسان كامل .

الكسي اسقف تخيفين : وكان المجمع الروسي المقدس قد أقر ترقية الارشمندريت الكسي الى رتبة الاسقفية فطلب الى البطريرك الانطاكي ان يتولى السيادة . ففعل وسام الكسي اسقفاً على تخيفين . وفي السنة ١٩١٧ انهار في روسية عالم قديم ليحل مكانه عهد جديد . وكان الاسقف الكسي قد أصبح اسقفاً على امبورغ فجعل مساعداً للقائمقام البطريركي في موسكو المتروبوليت سرجيوس ثم وكيل مطرانية نوفوغورود ثم متروبوليتاً على لينينغراد في السنة ١٩٣٣ . فخدمها اثني عشر عاماً بنشاط رعائي نادر . وحين حاصر النازيون لينينغراد في اثناء الحرب العالمية الثانية . حلت بها المصائب والنكبات . فكان السيد الكسي اباً رحوماً وبطلاً صنديداً مجازفاً بحياته في سبيل الشعب . وتوفي البطريرك سرجيوس في السنة ١٩٤٥ فانتخب المجمع الروسي المقدس السيد الكسي متروبوليت لينينغراد خلفاً له .

ولا يزال هذا الخبر الجليل الذي يرضى ملايين المؤمنين في روسيا ويقودهم في طريق الخلاص نحن الى كنيسة انطاكية ويعتبر نفسه اخاً لاساقفتها . وكنيسة انطاكية تغبط بدورها شقيقتها الكبرى كنيسة موسكو على ما يتحلى به خبرها العظيم من حرارة في الايمان واستقامة في الرأي وسعة في الاطلاع وحكمة في الادارة وقد طفحت مدة رئاسته بالجهود الادارية المثمرة والاخوة الحقة والمسامي الصادقة في سبيل السلام العالمي . أمد الله بعمره سنداً للكنيسة في روسيا وفي سائر انحاء المسكونة .

الاسمعة : ومنح القيصر الامبراطور نقولا الثاني البطريرك الانطاكي النوط الذهبي المضروب لتذكاري اليوبيل . واهداه ايضاً وسام القديس اسكندر نيفسكي من الرتبة الاولى وهو من اعظم الاسمعة الروسية وقدم له صلياً مرصعاً بالالماس لكي يعلق على مقدمة اللاطية فوق الجبين . ومنح الكسندروس متروبوليت طرابلس نوط اليوبيل الفضي وسام القديسة حنة من الرتبة الاولى . وشمل عطفه سائر افراد الحاشية البطريركية وغيرهم من وجهاء الطائفة في دمشق (١) .

العودة : وودع البطريرك صاحبي الجلالة القيصر نقولا الثاني والقيصرة الكسندرة في السادس عشر من نيسان ورج بطرسبرج الى دير اللافرا فاعجب بنشاط رهبانه ثم زار انطونيوس في جيتومر وانتقل منها الى بيسكوف وتساروروس متتبعاً الى نوفوغورود وبقي الكسندروس متروبوليت طرابلس في بطرسبرج لشؤون خصوصية .

دير مار الياس الشوير : ولدى عودة البطريرك الى كرسيه استقدم بضعة عشر راهباً روسياً ووكّل اليهم ادارة دير مار الياس الشوير البطريركي . فأعجب نصارى المنطقة بورع هؤلاء الرهبان وزهدهم ووداعتهم ومحبتهم المسيحية الطاهرة ونشاطهم . ولكنهم عادوا فتركوا لبنان في السنة ١٩١٥ بسبب الحرب العالمية الاولى .

غريغوريوس والحرب : (١٩١٤ - ١٩١٨) وقتل ولي عهد النمسة وقرينته في سيراجيفوا في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٩١٤ . وبعد شهر اعلنت النمسة الحرب على صربية فجرت وراءها حرباً عالمية . وما طلع هلال تشرين الثاني سنة ١٩١٤ حتى اعلنت تركيا انضمامها الى الدول المركزية .

وطغى العنصر التركي في عاصمة الدولة العثمانية . واستأثر الثلاثة الكبار بالسلطة ومضوا يسعون بما لديهم من وسائل لصهر العناصر غير التركية . ببوتقة تركية جديدة فطاردوا طلاب الامركزية من ابناء العرب . ولم يروا في المسيحيين مساعدة سهلة الاندماج فذبخوا الارمن وجوعوا اللبنانيين . وطالت الحرب وقلت المواد الغذائية في المانية والنمسة فحصر الاتراك هذه المواد في كل مكان ولا سيما في سهول سورية وصدروها الى اوروبة الوسطى . وجاء الجراد في ربيع السنة ١٩١٥ فاكل الاخضر واليابس . فقلت المواد الغذائية في سورية ولبنان وارتفعت اسعارها . وأصدر جمال باشا امراً مشدداً بوجوب ابعاد المؤن والغلال والحاصلات والعربات والحيوانات وسائر مسببات النقل من الساحل الى الداخلية خشية نزول العدو في الشواطىء فأصبح الساحل بلا قوت ! وطبع الثلاثة الكبار الملايين من «الورق التركي» وسعّروا ليرتهم الورقية بمئة وثمانية غروش واكروها الناس على قبولها . فابتدأت المضاربة بالورق . وسقط سعره فارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً . وتفشت الامراض في صفوف العساكر واشدها هولاً حمى التيفوس وانتشرت بين الاهلين . ثم جاء الجدري والهواء الاصفر فماتت العساكر بال عشرات وتركزت جثثها في الاحراش والوديان . وهجر اللبنانيون تلالهم الى البقاع والداخلية بالالوف فماتوا فيها .

وقرع اللبنانيون باب البطريركية في دمشق فرقت لهم كبد البطريرك ولان لهم فؤاده وحنّت عليهم اضلاعه . وكان رجب الصلبر بسيط الكف سخياً النفس يخف للمعروف ويهتز للعطاء فتسخر وتندى وابتل مالاً بالانفاق . ولم يفرق في عطائه بين مسلم او درزي او نصراني . فنقد ماله فاستدان . وما قىء يأخذ ديناً ويُمسح عطاء حتى بلغ ما اقترضه من المال لهذه الغاية النيلة عشرين الف ذهبيّة او اكثر !

ولم يرَ جمال باشا واعوانه اكرم من غريغوريوس اخلاقاً ولا أنبل فطرة ولا أطيّب عنصراً ولا أخلص جوهرأ فاحترموا وسهلوا اموره . وبادلهم الاخلاص والاحترام ولكنه لم يبذل لهم قياده ولم يكن لهم مطواعاً لا يخالف لهم امراً ولا نهياً . فانه لما طغى حسن حسني رئيس شعبة اخذ العسكر في بيروت وتجرى وقاومه في ذلك جراسيموس متروبوليتها وطلب الوالي عزمي بسك عزل جراسيموس أبي البطريك وامتنع ونبذ الأمر وراء ظهره !

فصل الاول : (١٩٢٠) وقضى الأمر في طول كرم في التاسع عشر من ايلول سنة ١٩١٨ فأخلى الأتراك والامان فلسطين الشمالية واعتزموا الدفاع عن دمشق وما يليها في جبهة تمتد من سمخ حتى شاطئ طبرية الجنوبي الشرقي فالحولة . ثم فوجئوا باحتلال سمخ في الرابع والعشرين من ايلول فأجلوا عن طبرية وعقدوا النية على الصمود وراء خط دفاعي يمتد من عين صوفر حتى الزبداني ماراً بقب الياس وشتورا وتعنابل وعنجر . وفوضوا مصطفى كامل باشا بذلك . ولكن طائرات الانكليز حلقت فوق رياق في التاسع والعشرين من ايلول سنة ١٩١٨ فأمطرت قنابلها على مستودعات الذخائر فلم تبق منها ولم تذر . وتباطأ الانكليز في احتلال دمشق وما يليها من الشمال ليفسحوا المجال لفیصل وركبه . ودخلت دمشق في حوزتهم في الثاني من تشرين الاول فأوعزوا بالابراق الى بلدية بيروت لرفع « علم الشريف » فوق السرايا مؤملين بذلك كله مجابهة الافرنسيين بالامر الواقع او محاولين الخروج من مأزق كانوا قد نسجوا خيوطه بأيديهم عندما تصنعوا للعرب في المودة وتلقوا الافرنسيين قاطعين وعوداً للطرفين متعارضة متعاكسة او غامضة تحتل أكثر من تفسير واحد .

وقامت حكومة افرنسية في الساحل وحكومة عربية في الداخل . وذهب الخلاف بينهما كل مذهب . وتعارضت اهواء السكان وتشعبت آراؤهم ولا سيما وان ولسن كان قد أعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها ونبذ الاستعمار وطرقه وأساليبه . واستبدل سياسة الغرب الاستعمار بالانتداب وقالوا بحق تقرير المصير واقترح ولسن ارسال لجنة تقف على رغائب السوريين واللبنانيين . فجاءت لجنة

كنغ - كراين الاميركية في صيف السنة ١٩١٩ وجابت البلاد طولاً وعرضاً فأجمع السوريون على الاستقلال ولم يرضوا عن انتداب فرنسة . وجهز البطريك بتأييد السوريين في ما ذهبوا اليه ووافقه في ذلك معظم أبناء طائفته . فدخل في عراك مع الافرنسيين دام طويلاً ! ثم دعا فیصل الوجهاء والأعيان الى مؤتمر في دمشق في ربيع السنة ١٩٢٠ فنادوا باستقلال سورية بحدودها الطبيعية وبايعوا فیصلاً ملكاً عليها . فكان البطريك في طليعة المبايعين . ثم جاءت معركة ميسلون في الثاني والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠ واضطر فیصل ان يبرح دمشق فلم يعبأ البطريك بما انطوى عليه نصر ميسلون . وكان كريم العهد ثابت العقيد فحفظ لفیصل عهده وأبر يمينه فخرج لوداعه في أخرج الأوقات . ولعله انفرد بهذا الوداع فتميز به .

المجمع المقدس واميركة : (١٩٢١ - ١٩٢٣) وكان ما كان من أمر الثورة في روسية . فرأى المجمع الانطاكي المقدس ان يقيم في الاميريكتين الشمالية والجنوبية رئيسين روحيين يرعيان نفوس المهاجرين الارثوذكسيين في تلك الاصقاع النائية . فانتخب في اول تشرين الاول من سنة ١٩٢١ ميخائيل شحاده اسقفاً على ريو دي جنيرو وسائر البرازيل وانتخب في السابع من كانون الاول سنة ١٩٢٣ فيكتور يعقوب مطراناً على ابرشية نيويورك .

ثيودوسيوس متروبوليت صيدا وصور : (١٩٢٣) وسافر ايليا (ديب) متروبوليت صور وصيدا الى اميركة الجنوبية في السنة ١٩١١ واستقر في تشيلي . فاجتمع المجمع الانطاكي المقدس في دير مار الياس الشوير وعالج شغور الكرسي في صور وصيدا ونظر في أمر المرشحين الثلاثة الارشمندريت ثيودوسيوس ابو رجيلي والارشمندريت بنيامين حداد والارشمندريت يوسف ابني طبر فانتخب الارشمندريت ثيودوسيوس (ابورجيلي) مطراناً على هذه الابرشية . وصارت سياسته من يد البطريك غريغوريوس في كنيسة الدير المذكور في الثلاثين من كانون الاول سنة ١٩٢٣ .

أبصر ثيودوسيوس النور في مدينة بيروت في السنة ١٨٨٩ من والدين كريمين تقيين سليم ابورجيلي وليبيه بدران . وتلقى علومه الابتدائية في مدرستي

الثلاثة الاقارب والقرير . وحين بلغ سن اليقع شعر بميل شديد الى الحياة الرهبانية . فانتقل الى دمشق وعاش في الدار البطريكية في كنف المثلث الرحمت البطريك ملاتيوس الثاني وتابع دروسه في الآسية . وأنس البطريك من تلميذه ميلا الى الزهد والترهب فأرسله الى مدرسة دير البلمند . « فكان فيها رصيناً هادئاً وقوراً لا يعيش بسرعة ولا يتكلم بصوت مرتفع ولا يشارك الطلبة في اللعب ولا يتسلى بالمزاح . وكان على نحول جسمه وشحوب وجهه ينسام على فراش من القش بعد ان ازاح بيده فراشه القطني الناعم . فنال احترام الطلبة والاساتذة » (١)

وانهى دروسه في السنة ١٩٠٥ فسامه غريغوريوس الرابع شماساً انجيلياً . وفي السنة ١٩٠٨ أرسله البطريك الى ديار بكر لمساعدة متروبوليتها سلفستروس (درعوني) . فسافر اليها بدون تدمر على الرغم من بعدها وشظف العيش فيها . وبعد وفاة راعيها بقي وكيلاً عليها حتى انتخاب ملاتيوس (قطيني) سنة ١٩١٢ خلفاً لسلفستروس . وعاد الى دمشق يجيد التركية التي اتقنها وهو في ديار بكر . فأرسله البطريك غريغوريوس الى مدرسة الجنس في القسطنطينية . فنال شهادتها ثم انتقل الى كلية خالكي اللاهوتية . فقصي في هذه اربع سنوات اجاد في اثنائها اليونانية والعلوم اللاهوتية . وفي السنة ١٩١٥ سيم قساً فارشمنديتاً . ثم عاد الى دمشق واضعاً مواهبه النادرة ومقدرته في اللغات العربية واليونانية والتركية والمامة بالانكليزية والسريانية تحت تصرف البطريك غريغوريوس بصفته كاتم سر خصوصي لغبطته وممثلاً لدى السلطات .

ورعى السيد ثيودوسيوس ابرشية صور وصيدا بأمانة وظهر واخلص خمساً وعشرين سنة . وفي السنة ١٩٤٨ خضع لقرار الجمع المقدس الذي اتخذ بالاجماع وقبل ، بعد رجاء والحاح شديدين ، نقله الى ابرشية طرابلس فكان فيها مثالا للراعي الصالح الامين المنقطع الى عبادة ربه وخدمة الرعية .

وفي السابع عشر من حزيران سنة ١٩٥٨ انتقل المثلث الرحمت السعيد للذكر البطريك الكسندروس الثالث الى دار البقاء فخلا مكانه فانتخب صاحب

(١) كيريوس الكسندروس ، متروبوليت حمص ، جريدة حمص ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٨

الترجمة قائماً بطريكيرياً . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني من السنة نفسها انتخب بالاجماع خليفة للرسولين بطرس وبولس وبطريركاً على انطاكية باسم ثيودوسيوس السادس أمد الله بعمره ونفعنا بعلمه ونزاهته وترفعه وبركة دعائه .

نيفون متروبوليت بعلبك وزحلة : (١٩٢٥) وانتقى البطريك والجمع المقدس خلفاً لجرمانوس متروبوليت سلفكياس الارشمنديت نيفون (سابا وكيل مطرانية حماة) وذلك في التاسع من اذار سنة ١٩٢٥ . وسيم نيفون مطراناً على يد البطريك ويدي باسيليوس متروبوليت عكار وروفايل متروبوليت حلب . ودخل السيد نيفون زحلة مركز ابرشيته يوم سيامته في الثالث والعشرين من شهر اذار .

وهو ابن الاكسرخوس حنا سابا وحنة زمايا . أبصر النور في السويدية (سلفكية انطاكية) في ١٧ اذار سنة ١٨٩٠ . ونذره والده لخدمة الكنيسة فارتدى الثوب الاكلييريكي الابتدائي من ارسانيوس متروبوليت اللاذقية في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٠٥ . ثم التحق بمدرسة اليلمند الاكلييريكية وتخرج على اساتذتها غطاس قندلفت والارشمنديتين الياس اسطفان وغفرائيل كردوس . وفي السنة ١٩٠٩ سيم شماساً انجيلياً في اللاذقية . واصبح في السنة ١٩١٤ ارشدياكون هذه الابرشية . ونفي الاتراك اهله مع بعض سكان السويدية . وأمر هو ان يكون بعيداً عن البحر عشرين كيلومتراً . فكان بجمية باسيليوس متروبوليت عكار في حلبا . ثم جاء الانكليز في السنة ١٩١٨ فابعده الى حلب مع قسطنطين بني والخورى عيسى اسعد وعمر الاناسي . ثم عاد فعينه البطريك وكيلاً لمطرانية حماة بسبب شيخوخة مطرانها . وترك في هذه الابرشية مآثر قيمة يذكرها الحمويون مع الشكر وخصوصاً زمن ثورة جبل العلويين ومهاجرة اليونان من الاناضول .

اغناطيوس متروبوليت حماة : (١٩٢٥) وفي السادس والعشرين من شباط سنة ١٩٢٥ انتقل الى الاخدار السماوية غريغوريوس (جبارة) متروبوليت حماة . فانتدب البطريك غريغوريوس الرابع الارشمنديت اغناطيوس (حريكة)

وكيلاً بطريركياً للابرشية المترملة . ولم يمض بضعة اشهر على تولي هذه المهمة حتى اجتمعت كلمة ابناء الابرشية على اختيار الوكيل البطريركي مطراناً عليهم .
قم انتخابه في السادس من تموز من السنة نفسها . وجرت سياسته مطراناً على حماه في الثالث عشر من الشهر نفسه .

ولد صاحب الترجمة في ٦ آب سنة ١٨٩٤ من ابويه عبدالله حنا حريكه وزوجته فوتين ابراهيم جريج في قرية بترومين الكورة لبنان الشمالي وتناول علومه الابتدائية في القرية اولاً ثم في المدرسة الروسية في اسكلة طرابلس بعهد مديرها خريستوفوروس عاقل . وفي سنة ١٩٠٦ ادخله المثلث الرحمت البطريرك غريغوريوس الى مدرسة البلمند . وفي سنة ١٩٠٩ حينما عادت العلاقات ودية بين البطريركية المسكونية بعهد البطريرك يواكيم الثالث وبين البطريركية الانطاكية كان صاحب الترجمة بين التلاميذ الثلاثة الذين ارسلهم البطريرك غريغوريوس الى مدرسة خالكي اللاهوتية في الاسنانه . وفي صيف سنة ١٩١٤ سم شماساً انجيلياً في دير سيدة البلمند وعاد الى مدرسته وبينما هو في البحر اعلنت الحرب العالمية الاولى واغلقت مضائق الدردنيل فحاول مع رفاقه ان يصلوا الى اسطنبول بواسطة دمه اغاج المينا البلغاري ثم بواسطة ازمير فلم يفلحوا وهكذا بقي نحو ثلاثة اشهر يتجول بين اثينا وسانتيك وجبل اثوس انتظاراً لنهاية الحرب ولم تبين له انها ستطول عاد الى لبنان وبقي بضعة اشهر في دير البلمند الى ان دعاه سنة ١٩١٥ مطران حلب رفائيل ليتولى مديرية المدارس المليية هناك وليكون نائباً اسقفياً قلبى بأمر غبطة البطريرك وظل في حلب حتى نهاية سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩١٨ انتقلت البطريركية الاورشليمية بأمر القائد التركي جمال باشا من القدس الى دمشق لاقترب جيوش الحلفاء اليها فدعا البطريرك غريغوريوس صاحب الترجمة وكان قد رقي الى رتبة ارشمندريت ليكون مضيفاً ومرافقاً للبطريرك الاورشليمي داميانوس واعضاء مجتمعه وفي اواخر تلك السنة انتدبه البطريرك غريغوريوس ليكون مفتشاً على دير مار جرجس الحميراء بعهد رئيسه الارشمندريت ايصاثيا عبود واستطاع اثناء مهمته هذه ان انقذ املاك الدير وكانت قد حجزتها الحكومة التركية بحجة انها املاك محولة .

وبعد نهاية الحرب العالمية الاولى عين رئيساً لدير سيدة البلمند فأعاد المدرسة التي كانت قد تعطلت اثناء الحرب وبقي في هذه المهمة ثلاث سنوات الى ان عينه البطريرك غريغوريوس وكيلاً بطريركياً لابرشية كيليكيا (مرسين) سنة ١٩٢١ فلم يسعه الذهاب اليها بسبب الحوادث بسين الترك والافرنسيين وبقي في الاسكندرونة مع صديقه الارشمندريت حنانيا كساب واسسا هناك اول مطبعة واول جريدة باسم الخليج في هذا اللواء . وفي سنة ١٩٢٤ دعاه البطريرك غريغوريوس الى دمشق وولاه الوكالة البطريركية .

اييفانيوس متروبوليت حمص : (١٩٢٥) وشغل ايضاً كرسي حمص بوفاة السعيد الذكر اثناسيوس (عطالله) فانتخب المجمع الانطاكي المقدس في الثامن والعشرين من آب سنة ١٩٢٥ اييفانيوس (زائد) متروبوليتاً على حمص وتوابعها . وتأخرت شرطونيته بسبب ثورة جبل الدروز الى صباح الخميس في اول كانون الثاني سنة ١٩٢٦ فتمت في كاتدرائية دمشق برئاسة البطريرك غريغوريوس .

هو خليل بن موسى يوسف الزائد ووردة الخوري سايان من دير عطية سوريا ولد فيها في ٤ آب سنة ١٨٩٠ . تلقى دروسه الاولى في المدرسة الروسية وفي صيف سنة ١٩٠٤ بينما هو مع والده في الكنيسة المريمية في دمشق لفت اليه نظر المثلث الرحمة البطريرك ملاتيوس فقال له لا تذهب يا بني الى المدرسة الاكليريكية في دير البلمند فتتعلم وتصير مطراناً . فلبى الدعوة وبعد شهر وجهه غبطته الى الدير المذكور فتلقى دروسه اللاهوتية هناك وكان من الناجحين الاولين . وفي سنة ١٩٠٩ وجهه المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس الى موسكو وبعد سنة ونصف احرز شهادة التصوير الكنسي في دير القديس سرجيوس قرب موسكو وعاد الى سوريا فسيم شماساً انجيلياً في ٢٤ ايلول سنة ١٩١١ وعاد الى موسكو ليخدم في الامطوش الانطاكي هناك ويدرس الفنون الجميلة في اكااديمية موسكو . وفي سنة ١٩١٤ عاد الى سوريا ثم تعذر عليه الرجوع الى موسكو لاحراز شهادته بسبب نشوب الحرب الكبرى . وفي سنة ١٩١٨ رقاها البطريرك

غريغوريوس الى رتبة رئيس شمامسة وتعين مدرساً للآداب العربية في المدرسة التجهيزية الارثوذكسية في دمشق ومديراً لمدارس الطائفة في الميدان وكان وقتئذ يعمل في صفوف الوطنيين والادباء ويحرر مع نخبة منهم «مجلة الرابطة الادبية» وفي اثناء ذلك انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً في لجنته الفنية .

ايليا اسقف معاون لمتروبوليت بيروت : (١٩٢٦) واصبحت بيروت بعد دخول الافرنسيين الى سورية ولبنان مركز سلطة الانتداب فاحتظت بالسكان وتنوعت مهام متروبوليتها الطيب الذكر جراسيموس (مسرة) . وكان قد تقدم في السن وانتابه المرض فرأى من الواجب ان يرقي نائبه الارشمندريت ايليا (الصليبي) الى رتبة الاسقفية . وتفوق الارشمندريت ايليا بصوت رخم وترتيل وقور وباستمساك شديد بالتقاليد الارثوذكسية والمحافظة عليها وبالدراية والحكمة في تدبير الامور وبشخصية بارزة توجب الاحترام . فوافق المجمع الانطاكي المقدس على اقتراح راعي ابرشية بيروت وسم ايليا اسقفاً معاوناً لراعي ابرشية بيروت في الخامس من نيسان سنة ١٩٢٦ (١) .

ولد ايليا من ابوين تقيين ارثوذكسيين في سوق الغرب في اول حزيران حساباً شرقياً في السنة ١٨٨١ . والتحق في السنة ١٨٩٣ بمدرسة بيروت الاكيريكية . فرعاه راعيها غفرائيل برعايته وألبسه الاسكيم في السنة ١٨٩٤ . ثم سامه جراسيموس شماساً انجيلياً في السنة ١٩٠٧ . وفي السنة ١٩٠٩ أصبح ارشدياكوناً لكرسي بيروت . وسافر في السنة ١٩١٣ الى اسطنبول بجمية رئيسه جراسيموس فقابل معه السلطان محمد رشاد ونال جراسيموس العثماني الاول وايليا المحيدي الثالث . فكان ذلك بدء سلسلة من الاعترافات بخدمات سيادته من الحكومات المحلية والاجنبية وشحت صدره فضاق لها على اتساعه ورحابته :

وفي الخامس من نيسان سنة ١٩٢٦ سم اسقفاً معاوناً لمتروبوليت بيروت كما سبق واشترنا . وبعد وفاة البطريرك غريغوريوس في اواخر السنة ١٩٢٨

رقي في الخامس عشر من اذار سنة ١٩٢٩ الى رتبة رئيس اساقفة . وفي التاسع والعشرين من ايلول سنة ١٩٣٦ انتخب متروبوليتاً لابرشية بيروت وخلفاً لمعلمه جراسيموس وتمت سيامته في دمشق على يد الطيب الذكر البطريرك الكسندروس .

غريغوريوس والانتداب الفرنسي : (١٩٢٠ - ١٩٢٨) وحمل الافرنسيون انتدابين الى سورية ولبنان انتداباً دولياً باسم عصبة الامم الجالسة في جنيف وانتداباً كاثولوكياً تاريخياً باسم فرنسة ابنة الكنيسة البكر . فسفراء فرنسة وقناصلها كانوا طوال العصور الحديثة حماة الاكليريكيين الكاثوليكين الاجانب المقيمين في الاراضي العثمانية او المتجولين في ارجائها وذلك بنصوص رسمية متبادلة بين حكومات فرنسة والفاتيكان وبالامتيازات الخصوصية التي اعترفت بها الحكومة العثمانية لممثلي فرنسة في ولاياتها الاسيوية والافريقية . ويلاحظ هنا ان حماية الاكليريكيين الكاثوليكين الاجانب المقيمين في ولاية الدولة العثمانية الاوروبية كانت منوطة بممثلي امبراطور النمسة والمجر . واعاد الفاتيكان النظر في العهود السابقة بينه وبين حكومات فرنسة على ضوء الظروف السياسية الجديدة التي نشأت عن تقلص ظل الاتراك واعلان الانتداب والغاء الامتيازات الاجنبية فوقع في الرابع من كانون الاول سنة ١٩٢٦ معاهدة جديدة (كونكورديوم) مع الحكومة الافرنسية جدد بموجبها اكرام الجمهورية الافرنسية وممثليها في قداديس رسمية معينة تقام في كنائس كاثوليكية معينة في الاراضي الاسيوية التي انسلخت عن جسم الدولة العثمانية (١) .

وبدا من غريغوريوس في عهد فيصل ما أنكرته عليه سلطات الانتداب فاستوحشت من ناحيته وخيل اليها منه الغدر . فأظلم الجو بين الطرفين وتباعدا . ورقب الآباء اليسوعيون الامر ، وكلهم يقظة وشدة ، فاستغلوا ظرف الانتداب ودفعوا بمن ائتمنوا من حملة شهاداتهم الى أهم المراكز وأدقها . وحذا حذوهم العازاريون والاخوة الافرنسيون فكثرت عدد الموظفين المسيحيين الغربيين في دوائر

الانتداب والحكومات المحلية وقل عدد الارثوذكسيين. واستتب الامر للفرنسيين في البلاد وعلى الرغم من هذا كله البطريك فان أبرق يؤيد انتدابهم ولكنهم ظلوا يرون فيه رجلاً بغيضاً.

ولم يجمع البطريك « ذو الخلال » بين محاسن التصديق وحكمة التدبير (المالي) فتراكم الدين وضاق طوق وجهاء الطائفة في دمشق. وجرأت السلطات الافرنسية بعض العناصر على البطريك فشغبوا وشاغبوا فابتعد البطريك عن الشر والفتنة وقام الى لبنان واقام فيه. ثم أظلم بصره فاضطر ان يبقى في لبنان للمعالجة.

وفاته: وبينما كان يوشك ان يختم المجمع السادس الأخير في سوق الغرب اعمال استأثرت بالبطريك رحمة الله وهو يقوم بواجباته الرئيسية دون تضجر او ملل وعلى الرغم من انحراف صحته وضعف بصره. ويروى انه قال وهو يختصر: «لقد صبرت حتى النهاية! » وكانت وفاته في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٨. فنقل جثمانه الطاهر بموكب نادر المثال الى بيروت حيث عرض للتبرك، ثم نُقل الى دمشق ودفن في مدافن البطارقة امام الكاتدرائية المريمية.

بعد وفاته استأثرت بالبطريك رحمة الله وهو يقوم بواجباته الرئيسية دون تضجر او ملل وعلى الرغم من انحراف صحته وضعف بصره. ويروى انه قال وهو يختصر: «لقد صبرت حتى النهاية! » وكانت وفاته في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٨. فنقل جثمانه الطاهر بموكب نادر المثال الى بيروت حيث عرض للتبرك، ثم نُقل الى دمشق ودفن في مدافن البطارقة امام الكاتدرائية المريمية.

بعد وفاته استأثرت بالبطريك رحمة الله وهو يقوم بواجباته الرئيسية دون تضجر او ملل وعلى الرغم من انحراف صحته وضعف بصره. ويروى انه قال وهو يختصر: «لقد صبرت حتى النهاية! » وكانت وفاته في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٨. فنقل جثمانه الطاهر بموكب نادر المثال الى بيروت حيث عرض للتبرك، ثم نُقل الى دمشق ودفن في مدافن البطارقة امام الكاتدرائية المريمية.

الفصل الخامس والخمسون

النظم والقوانين

لجنة السنة ١٨٩٠: وكان ما كان من امر الخط الهايوني الذي دخل في صلب معاهدة باريس سنة ١٨٥٦. وقد سبقت الاشارة اليه فلتراجع في محلها. ثم وضع قوميسیون الروم نظاماً خاصاً لبطريركية القسطنطينية واعترفت الحكومة العثمانية به وادخلته في دستور قوانينها (١) وطبقت مبادئه العامة على سائر البطريركيات والكنائس المستقلة القائمة ضمن حدودها.

واستعفى جراسيموس البطريك الانطاكي وحل محله اسيريدون. فرغب اعضاء المجمع الانطاكي المقدس والشعب عموماً في وضع نظام للكرسي يمنع المداخلات غير القانونية في انتخاب البطريك ويرتب شؤونه على طريقة موافقة للقوانين الكنسية الشريفة ول مقتضيات العصر. وتقرر وضع هذا النظام في المجمع المنعقد سنة ١٨٩٠ لمناسبة انتخاب اسيريدون. وتعينت لذلك لجنة من المطارنة واخذت هذه اللجنة تتداول بشأنه. ولكن الظروف لم تساعد على اخراجه فظلت كنيسة انطاكية خاضعة لاسس النظام القسطنطيني.

لجنة السنة ١٨٩٨: وفي اوائل شباط سنة ١٨٩٨ رفع الشعب الانطاكي عريضتين احدهما الى المجمع الانطاكي المقدس والاخرى الى الباب العالي التمس بموجبها ان يؤذن للكرسي الانطاكي بوضع نظام على غرار النظام القسطنطيني. فاستجاب الباب العالي هذا الطلب وامر والي سورية ان يساعد على اتمامه. وفي الرابع عشر من اذار سنة ١٨٩٨ أعلن الوالي موافقة الباب العالي فقرر المجمع الانطاكي في السادس عشر من الشهر نفسه ان يصير الاهتمام بوضع

النظام المرغوب . وانتدب لذلك لجنة مؤلفة من اربعة مطارنة برئاسة البطريرك ملاتيوس واشترك بعض اصحاب الخبرة من الشعب . وكان المطارنة المنتدبون لهذا العمل اثنا سيوس حمص وغريغوريوس حماة وغريغوريوس طرابلس وجراسيموس سلفكياس . وكان في طليعة الأعضاء العلمانيين غطاس قندلفت . واجتمعت هذه اللجنة في جلسات متتالية وانجزت عملها في السنة ١٩٠١ . وصدق المجمع الانطاكي المقدس هذا القانون دون ان يعرضه على الحكومة .

وبعد وفاة ملاتيوس اجتمع المجلس التشريعي برئاسة اثنا سيوس متروبوليت حمص وعدل هذا القانون فحذف من مادته الأخيرة العبارة التي توجب عرض القانون على الحكومة للحصول على موافقتها . وعليه جرى انتخاب غريغوريوس في ٥ حزيران سنة ١٩٠٦ .

قانون السنة ١٩٠٦ : وجاء هذا القانون في فصول عشرة وفي اربع وستين مادة . وهاك نصه بالضبط :

المادة الاولى : مركز البطريركية الارثوذكسية الانطاكية الرسمي مدينة دمشق (وهو محل اقامة البطريرك) واسقف او اثنين فخريين منها الوكيل البطريركي وسائر المعية البطريركية وفيه يجتمع المجمع البطريركي والمحكمة الروحية والمجلس المختلط والقومسيون الزمني .

الفصل الاول : المادة الثانية : في صفات الذوات المرشحين للبطريركية ان الشخص المرشح لتبوء الكرسي البطريركي يجب ان يكون من مصنف مطارنة الكرسي الانطاكي الموجودين في رعاية احدى ابرشياته والقائمين بها حق القيام .

المادة الثالثة : يجب ان يكون المرشح للبطريركية سالماً من الشوائب في الآداب والاخلاق متضللاً في العلوم والمعارف الدينية والادبية ومتفهماً في بقية الفنون ما امكن ومبرهنأ في سلوكه السابق انه من الذين يحافظون اشد المحافظة على العقائد الدينية والتعاليم الشريفة . وبما انه احد رؤساء الكنيسة الارثوذكسية

واب روعي لجميع الارثوذكسيين التابعين للكرسي البطريركي الانطاكي وهو رابطة اتحاد جميع المطارنة المنضوين الى كنيسة انطاكية الارثوذكسية مع سائر الكنائس المستقلة الارثوذكسية يجب ايضاً ان يكون كفوءاً لان يحامي ويناضل بحرارة عن الإيمان في القول والفعل في كل مكان وزمان وحال حسبما تقتضيه الواجبات الدينية المفروضة على صاحب هذه الرتبة .

المادة الرابعة : لما كان البطريرك من كبار الرؤساء الروحانيين في الكنيسة الارثوذكسية في المملكة العثمانية وجب ان يكون عثمانياً ابساً عن جد مستكملاً للأوصاف المبينة في المادة السابقة وحائزاً على ثقة الدولة العلية وذو اطلاع على الاصول والقوانين ومتصفاً بصفات تليق بمقامه الى غير ذلك مما يستجلب ثقة واعتبار الشعب ليقوم باجراء ما تؤكد البراءة الشريفة والامتيازات المحسن بها من السلاطين العظام وبجميع شؤون الملة الروحية والادارية .

الفصل الثاني : في بيان هيئة المجلس العمومي الذي يتشكل لأجل انتخاب البطريرك .

المادة الخامسة : ان مجلس الانتخاب العمومي للتشريع والتفريق مؤلف من اكليروس وعوام .

المادة السادسة : الاكليروس الذين يلزم وجودهم في مجلس الانتخاب العمومي هم جميع مطارنة الابشيات العاملين والنائب البطريركي في انطاكية او في ابرشية مترملة او وكلاؤهم ونائب اكليروس دمشق والوكيل البطريركي والكاهن المنتخب بحسب المادة الحادية عشرة الآتية .

المادة السابعة : العوام الذي يلزم وجودهم في مجلس الانتخاب العمومي هم عشرة ذوات ثمانية وكلاء عن شعب دمشق وواحد عن محلة الميدان وواحد ايضاً عن شعب انطاكية .

المادة الثامنة : الوكيل عن الشعب يجب ان يكون عمره أكثر من

ثلاثين سنة من أبناء الكرسي الانطاكي ومن تبعة الدولة العلية وحائزاً الاعتبار في محله ومعروفاً بحسن السلوك والدراية والاخلاص للكنيسة المقدسة وللدولة العلية .

الفصل الثالث : في بيان صورة انتخاب البطريرك

المادة التاسعة : عندما يقع الحل في مسند البطريركية الانطاكية يجبر الوكيل البطريركي جميع مطارنة الكرسي ذوي الارشيات والنائب البطريركي في انطاكية بذلك تلغرافياً . وكل منهم يجاب في خلال عشرة ايام معيناً اسم الشخص الذي ينتخبه قائماً من مطارنة الكرسي اصحاب الارشيات وهكذا الكهنة في دمشق يجتمعون وينتخبون ذاتاً والقوميسيون الزمني ايضاً يجتمع وينتخب ذاتاً وفي اليوم الحادي عشر يجتمع المطارنة الذين يوجدون في المركز تحت رئاسة الوكيل البطريركي وتفتح اوراق الانتخاب بأجمعها بحضور الهيئة في الجلسة ذاتها ومن يجرز الاكثرية في الانتخاب يعتبر قائماً . فاذا تساوت الاصوات بحق ذاتين او اكثر تجري الهيئة المذكورة الاقتراع بين المتساويين ومن اصابته القرعة يعتبر قائماً . وحينئذ تنظم الهيئة مضبطة ترفع بواسطة الولاية الجليلة الى الباب العالي لصدور الارادة السنية بالتصديق على القائمة .

المادة العاشرة : بعد صدور الارادة السنية بالتصديق يحرر حالا القائم مقام تلغرافياً الى المطارنة التابعين لبطريركية انطاكية بدعوتهم للحضور بالذات الى دمشق مركز البطريركية في خلال اربعين يوماً من تاريخ الدعوة لاجراء مقتضيات الانتخاب وان تعذر عليه الحضور بالذات لعذر مشروع له ان يوكل من يشاء من مطارنة الكرسي بموجب وكالة قانونية لينوب عنه باجراء المعاملات الانتخابية على ما سيتم في المعاملات المذكورة ويحرر القائم مقام ايضاً في الوقت عينه الى النائب البطريركي في انطاكية الى من يكون وكيلاً بطريركياً في ابرشية مترملة ليحضر بالذات او ليرسلوا وكالة عنهم لاحد الاكبريكيين لكي يوجهوا بدمشق في اليوم المعين لاجل اجراء معاملات الترشيح والتفريق . وللمطران الذي تفوض وكالة او اكثر اصوات بعدد

الوكالات التي تكون فوضت اليه قانونياً سواء اكان في الترشيح او التفريق او في الانتخاب الاخير .

المادة الحادية عشرة : في اليوم الثلاثين من التصديق على القائمة يستدعي القائم مقام الكهنة والقوميسيون الزمني في دمشق لتسمية مائة شخص من معتبري الملة والوجهاء والتجار وارباب الحرف في دمشق وتطبع باسمائهم لائحة ثم يدعوهم القائم مقام هم والكهنة ليجتمعوا في اليوم الخامس والثلاثين تحت رئاسته وينتخبوا تسعة اشخاص لينوبوا عن الشعب في معاملات الترشيح والتفريق على الاطلاق ويكون احد هؤلاء التسعة شخص من الكهنة والثمانية من العوام ويجب ان يتم انتخاب هؤلاء الوكلاء في الجلسة عينها وتحرر مضبطة انتخابهم ويوقع عليها الحاضرون والقائم مقام البطريركي وهكذا يحرر القائم مقام الى كهنة محلة الميدان ان يجمعوا وجهاء الملة في محلتهم وينتخبوا شخصاً منهم بموجب مضبطة بيده منهم ليكون وكيلاً عن شعب تلك المحلة في معاملات الترشيح والتفريق وفي اليوم الاربعين يدعو القائم مقام مجلس الانتخاب العمومي اي المطارنة الذين حضروا الى دمشق عن اصحاب الارشيات والوكيل البطريركي في دمشق والوكلاء العشرة المذكورين ووكيلي انطاكية والوكيل عن ابرشية مترملة للاجتماع في البطريركية في اليوم الحادي والاربعين ومتى تم اجتماع ثلثي المدعوين تفتح الجلسة برئاسته حسب الرسوم ويصير التحقيق عن هوية المدعوين والمصادقة عليها ويقيد كل عضو اسمه في جدول الحضور بخط يده بحسب الاصلة والوكالة وتغلق كل الابواب ويعطى كل واحد ورقة ليحرر فيها سرّياً اسم من يشاء ويراه حائزاً على الصفات المطلوبة لمسند البطريركية من مطارنة الكرسي الانطاكي فقط اصحاب الارشيات بحسب المواد المقررة لذلك ويقوم كل عضو فيضع ورقته في الصينية الموضوعة في منتصف المنتدى ثم يتقدم كاتب الجمع فيضع اوراق الترشيح امام الهيئة ويفتحها اثنان من اعضاء هذا المجلس ينتخبان بالصوت الحي ويعلنان الاسماء المكتوبة فيها واي من ظهر اسمه في هذه الاوراق بقطع النظر عن كثرة الاصوات او قلتها بحسب من المرشحين للانتخاب فتحرر قائمة بأسماء هؤلاء المرشحين ومضبطة

بالعمل يوقع عليها القائمقام وجميع اعضاء مجلس الانتخاب ويجري تسجيل ذلك كله في السجل البطريركي .

المادة الثانية عشرة : القائمة والمضبطة المذكورتان آنفا تقدمان حالا الى الولاية لترفعها بواسطة الى الباب العالي حتى اذا وجد بالفرض اشخاص من الذوات الحرة اسماؤهم في هذه القائمة لا ترى فيهم الاهلية بالنظر الى الامور الملكية يتعرف عنهم من جانب الباب العالي الى البطريركية بواسطة الولاية الجليلية ليصير استثناءهم ويجري الانتخاب على الباقي .

المادة الثالثة عشرة : حالما يتبلغ القائمقام من الولاية الجليلية بتحريرات رسمية جواب الباب العالي المشار اليه يدعو مجلس الانتخاب العمومي الى حالته الاولى الى جلسة رسمية في البطريركية في يوم معين وعند اجتماع الهيئة قانونياً تنلى تحريرات الولاية الجليلية المشار اليها ويحور القائمقام وكل عضو في المجلس المذكور من الاكليروس والعوام بما له من حق الرأي في ورقة سرية اسماء ثلاثة من المطارنة الذين لم يصير استثناءهم من قبل الباب العالي ثم تجمع الاوراق وتضبط في جدول الاسماء المدونة فيها كما جرى في الجلسة السابقة وتراجع بالتدقيق ويوقع على الجدول العضوان المعينان وكاتب المجمع المقدس ويخصص بالبيان اسماء المطارنة الثلاثة الذين حازوا الاكثرية واذا وجد حين ضبط الاسماء تساوي الاصوات يزيد به عدد رابحي الاكثرية عن الثلاثة فيؤخذ العدد اللازم على قاعدة القرعة بين المتساويين ثم يقيد العمل في السجل البطريركي ويوقع عليه جميع افراد الهيئة .

المادة الرابعة عشرة : بعد اجراء مقتضيات المادة السابعة تصعد هيئة المجمع المقدس المؤلفة من المطارنة اصحاب الأبرشيات العاملين الى الكنيسة الكاتدرائية المقدسة يتبعهم كاتب المجمع ومعه سجل الانتخابات وتذكرة بأسماء الثلاثة الذين رجحوا اخيراً الاكثرية وتقفل الأبواب وبعد اجراء الصلاة حسب طقسها المعين يتقدم كل من أعضاء المجمع اصالة او وكالة عن مطران ابرشية

غائب ويضع في صينية على المائدة المقدسة بطاقة مكتوباً فيها اسم من ينتخبه من المرشحين الثلاثة وبعد ذلك يؤتى بالصينية الى الخورس وهناك يضبط عدد الأوراق ثم يفتحها احد المطارنة ويطلع عليها الآخرين وكاتب المجمع يضبط جدولاً بالاصوات فمن ربح اكثر من نصف اصوات المنتخبين يكون هو البطريرك واذا لم يحرز أحد هؤلاء المرشحين تلك الاكثرية يعاد الانتخاب في الوقت ذاته الى ان يربح أحدهم الاكثرية المذكورة ولا يبرح أحد من هيئة المجمع الكنيسة المقدسة حتى يتم الانتخاب ويسجل عمله حالا في سجل الانتخابات المذكورة ويوقع عليه كل من المطارنة بالاصالة والوكالة ويختتمه بختمه . وعلى الأقلية ان توقع على العمل في السجل المذكور بدون اقل ملاحظة ثم تقام صلاة الشكر وتفتح أبواب الكنيسة ويتلو كاتب المجمع العمل الانتخابي على مسمع الجمهور ثم تجمع هيئة مجلس الانتخاب العمومي في قاعة البطريركية وتنظم مضبطة بالعمل يوقع عليها ويختتمها كل أعضاء الهيئة وترفع بواسطة الولاية الجليلية الى المرجع الايجابي الأعلى لاستصدار الارادة السنية السلطانية بمعرفة المنتخب بطريركاً .

المادة الخامسة عشرة : بعد ان تبلغ الولاية الجليلية البطريركية العامة رسمياً صدور الارادة السنية المشار اليها في المادة السابقة يتقرر بأمر المنتخب للبطريركية اجراء الاحتفال بارتقائه الى الكرسي البطريركي الانطاكي حسب الرسوم المفروضة في يوم معين وأقدم المطارنة شرطونية بين الموجودين يسلمه عصا البطريركية ومن ثم يباشر البطريرك أعماله مبتدئاً بارسال المنشور البطريركي الرسمي .

الفصل الرابع : في حقوق وواجبات البطريرك

المادة السادسة عشرة : البطريرك له التقدم على المطارنة وسائر الاكليروس والرهبان التابعين لكرسي بطريركيته وهو الرئيس لمجمع الكرسي الانطاكي المقدس وله الرئاسة العليا على جميع مجالس الملة الزمنية والروحية والولاية على الاديرة المتعلقة بالبطريركية وعلى الكنائس والمدارس والاماكن الخيرية

والاوقاف والجمعيات المنسوبة اليها وله حق التمتع بسائر الحقوق الممنوحة من الدولة العلية الابدية القرار بموجب البراءة الشريفة والامتيازات المذهبية .

المادة السابعة عشرة : على البطريرك ان يحافظ مع الجمع المقدس على التعاليم الارثوذكسية ويراعي قوام السنن والاشتراكات الجمعية المسكونية والمكانية وايفاء القروض والطقوس والتراتب الكنائسية والحقوق المالية المرعية الاجراء منذ القديم وحسن ادارة الكنائس والمدارس والاديرة البطريركية وان يعني ويحافظ على المدرسة البطريركية الاكليريكية المنشأة في دير البلمند لتعليم الاكليروس وتهذيبه وان يهتم مع المجلس المختلط والقومسيون الزمني في رؤية الامور والمصالح الجارية بين الحكومة السنية والملة وسواها وان يجري الاحكام بموجب القوانين للدينية والاصول المرعية وان ينفذ القرارات التي تصدر من مجمع الكرسي الانطاكي المقدس والجمع البطريركي وسائر المجالس المالية الروحية والزمنية على اصولها .

المادة الثامنة عشرة : يعين البطريرك شخصاً لائقاً من الاكليروس البطريركي يقيد في دفتر مخصوص الاواني والامتنعة الكنسية والاشياء الثمينة التي في الكاتدرائية وسائر موجوداتها ويحافظ عليها في خزائن الكنيسة وفي دوائرها ويعين ايضاً محافظاً اكليريكياً مقتدرًا لمكتبة البطريركية التي هي ضمن دائرتها .

المادة التاسعة عشرة : لما كان البطريرك هو الرئيس والمتقدم بين اكليروس كرسية وجب بالطبع ان يكون مثلاً صالحاً متحداً مع المطارنة لما فيه خير الكرسي محافظاً على حسن سلوك جميع الاكليروس وعلى اتساع القوانين وتنفيذها بالطرق المرعية .

المادة العشرون : على البطريرك عندما يرغب التوجه الى ابرشية ما ان ينيء مطرانها وسائر المطارنة عن محل قصده واسم وكيله في دمشق .

الفصل الخامس : في الصفات اللازمة لمن ينتخب للاسقفية وفي كيفية انتخاب الاساقفة .

المادة الحادية والعشرون : كل ذات ينتخب للاسقفية يجب اولا ان يكون من تبعة الدولة العلية اباً عن جد وبلا لوم تجاه الدولة والملة . ثانياً : ان يكون أتم السنة الثلاثين من عمره على الأقل وفقاً لقوانين الكنيسة وتام الأعضاء . ثالثاً : ان يكون من الذوات المعروفين في الكنيسة بمعنى ان تكون سبقت له خدمات صادقة في البطريركية او في الاديرة او في معية أحد المطارنة بصفة اكليريكي لا أقل من ثلاث سنوات ليتمكن من احراز المعلومات الكافية في الامور الكنائسية ويتضمن على حسن ادارة الاسقفية . رابعاً : ان يكون قد تلقن العلوم الكنائسية في المدارس الارثوذكسية ونال شهادتها وكان من أصحاب الأخلاق الحسنة والآداب والنزاهة .

المادة الثانية والعشرون : عندما يقع الحل في مسند المطرانية باحدى الأبرشيات يعين البطريرك وكيلاً عنه فيها من يراه موافقاً ويفيد عنه الحكومة المحلية لأجل معرفته بالصفة المذكورة وعقيب ذلك يبلغ البطريرك تلك الأبرشية بواسطة الوكيل لكي ترشح ثلاثة ممن أحرزوا الصفات المحررة في المواد السابقة في مدة لا تزيد عن الأربعين يوماً من تاريخ البلاغ ويرفعون تلك الأسماء بمضبطة قانونية الى البطريرك والبطريرك يبلغ ذلك الى جميع مطارنة الأبرشيات العاملين في الكرسي بطرف اسبوع وكل واحد من المطارنة عليه ان يحضر بنفسه وأما ان يرسل بطاقة انتخابه واحداً من الثلاثة المرشحين ضمن مغلف مختوم ضمن تحرير مبين فيه اسم من يرغب توكيله ليوقع عنه في سجل الانتخابات ومتى وردت الاجوبة يسلمها البطريرك الى المطارنة المجتمعين لديه فيأخذون المغلفات المذكورة مصحوبين بكاتب الجمع وسجل الانتخابات الى الكنيسة حيث تقام الصلاة المعتادة ويقدم الحاضرون أصواتهم ثم تفض المغلفات ويؤخذ جدول بالأسماء فالرابع الأكثرية هو المنتخب وان تساوت الأصوات يؤخذ واحد على طريق القرعة ويوضع ذلك في عمل الانتخاب في السجل المذكور ويوقع عليه المطارنة الموجودون بالاصالة والوكالة وبعد ذلك يعودون الى نادي البطريرك ويقدمون له السجل معلنين اسم المنتخب . والبطريرك حينئذ

يجز المنتخب وبعد ان يرد منه خبر قبوله يعلن ذلك للبرشية ويعين اليوم الذي تجري فيه سيامته .

المادة الثالثة والعشرون : اذا تأخرت البرشية عن تقديم مرشحها ضمن المدة المعينة في المادة السابقة فيحق للبطريرك ان يرشح ثلاثة من الاكليروس الذين يرى فيهم اللياقة ويجري بحقهم مفاد المادة المذكورة .

المادة الرابعة والعشرون : حين اقتضاء اقامة اسقف فخري يرسل البطريرك اسما ثلاثة من الاكليروس الرهباني الانطاكي الذين يرى فيهم اللياقة لرئاسة الكهنوت الى مطارنة البرشيات العاملين ويطلب منهم انتخاب احد الثلاثة للبرشية القديمة التي سيسميها فينتخبون وتجري سائر المعاملات على ما ورد في المادة الثانية والعشرين ويحق للاسقف ان يرشح عند وقوع الحل في مسند احدى البرشيات .

الفصل السادس : في مجمع الكرسي الانطاكي ووظائفه

المادة الخامسة والعشرون : يتألف مجمع الكرسي الانطاكي (السينودوس) من جميع مطارنة الكرسي ذوي البرشيات ويجتمع ادواراً في كل ثلاث سنوات مدة واحدة في الحل الذي يختاره البطريرك تحت رئاسته في اوائل شهر ايار وفي غير هذا الوقت ايضاً اذا دعت الحاجة اما التأمه فبطلب البطريرك ومن يتعذر عن الحضور لعذر مشروع يقوم احد المطارنة وكيلاً رسمياً عنه .

المادة السادسة والعشرون : لمجمع الكرسي الانطاكي المقدس ان يطلع على الخلاصة التي يجب ان تقدم له من المجمع البطريركي معلنة الشؤون التي جرت في السنوات الثلاث السابقة وان ينظر في مسائل التعليم والوعظ ونشر الكتب اللازمة لفائدة الملة الدينية والادبية وان يرى ويحل كل المشكلات التي تحال اليه بصفة كونه المرجع الاعلى توفيقاً للقوانين الكناسية ما عدا للدعوي التي حكم فيها استثنافياً في المجمع البطريركي او في المجلس المحفظ .

المادة السابعة والعشرون : اذا اطلب ثلثا اعضاء مجمع الكرسي الانطاكي عقد جلسة فوق العادة موضحين الموجب لذلك فعلى البطريرك ان يلي طلبهم ويعقد تلك الجلسة .

المادة الثامنة والعشرون : اذا وقعت حوادث هامة في الكرسي في غير وقت اجتماع مجمع الكرسي المقدس تقتضي نظر المجمع فيها ولم يستدع البطريرك المطارنة للاجتماع لاجل ما ذكر وفقاً للمادة الخامسة والعشرين فللمطارنة ان يقدموا اليه بطلب الاجتماع موضحين السبب وعليه ان يلي طلبهم ويستدعيهم اذا كان الطالبون ثلثي اعضاء المجلس .

المادة التاسعة والعشرون : يعين البطريرك كاتباً اكليريكياً لهذا المجمع واجباته كواجبات كاتب المجمع البطريركي الوارد ذكرها في المادة السادسة والاربعين .

الفصل السابع : في حقوق وواجبات المطارنة

المادة الثلاثون : للمطارنة في ابرشياتهم الحقوق التي تخولهم اياها القوانين الكناسية والبراءة الشريفة والامتيازات المذهبية ولهم بصفة الرئاسة حق السيطرة في دوائرهم على الجمعيات الخيرية والهيئات العمومية المالية وتدريبها والرعية على الاعمال القانونية والثبات والنمو .

المادة الحادية والثلاثون : على كل مطران في ابرشيته ان يعتني بتعليم ابناء ملته العلوم الدينية والادبية في المدارس الارثوذكسية ويجب على من يتقدم الى الكهنوت علمانياً كان او راهباً ان يكون متخرجاً في احدى تلك المدارس ومن تظهر فيه النجابة وحسن الاستعداد يسعى بادخاله في المدارس اللاهوتية الارثوذكسية لتحصيل علوم اللاهوت العالية .

المادة الثانية والثلاثون : على المطارنة الاعتناء بالاعمال الخيرية وعضد القائمين بشؤونها ونفقاتها والاهتمام بالمنشآت الخيرية اللازمة كالملاجيء للايتام والمعزة والمرضى ونحو ذلك .

المادة الثالثة والثلاثون : على كل من المطارنة ان يقيم في ابرشيته وفقاً للقوانين الكنائسية وان يطوف متفقداً احوال رعيته بالذات او بواسطة من يعتمد عليهم عند وجود عذر مشروع .

المادة الرابعة والثلاثون : يجب على المطارنة ان يوقروا البطريرك بما انه المتقدم بينهم ورئيس ملتهم وان يحترموا بعضهم بعضاً وبراوا بعضهم حقوق بعض .

المادة الخامسة والثلاثون : اذا صدر من احد المطارنة امر مخالف للقوانين الكنائسية او المدنية فيجري التحقيق عنه والحكم فيه من قبل مجمع الكرسي الانطاكي المقدس تحت رئاسة البطريرك على مقتضى القوانين الكنائسية والامتيازات المذهبية .

المادة السادسة والثلاثون : اذا رغب احد المطارنة في الذهاب الى ابرشية ما فعليه ان ينيء البطريرك ومطران تلك الابرشية عن ذلك .

المادة السابعة والثلاثون : ان جميع الاحكام المالية الروحية التي تصدر في كل ابرشية يقتضي ان تكون نتيجة فحص وتدقيق وقرار المحكمة ذات الاختصاص في تلك الابرشية بحسب الاقتضاء ضمن دائرة القانون المخصوص المعمول به في دائرة البطريركية الانطاكية .

المادة الثامنة والثلاثون : اذا استعفى أحد المطارنة من ابرشيته او الاساقفة من خدمته وقبل استعفاؤه فله ان يقيم في دير نذر او حيثما يعين له البطريرك والمجمع وعلى البطريرك ان يتدارك ما يلزم له من النفقة .

الفصل الثامن : في المجمع البطريركي .

المادة التاسعة والثلاثون : ان المجمع البطريركي يتألف من خمسة أعضاء اثنان منهم من مطارنة الأبرشيات واثنان اسقفان فخريان وارشمندريت او كاهن تحت رئاسة أحدهم المتقدم شرطونية من ذوي الأبرشيات التابعة للكرسي ويصير

تعيينهم من قبل البطريرك بتمذكرة مخصوصة ويلبث هذا المجمع ثلاثة أشهر في كل سنة ابتداءها في اول شهر ايار ويمكن تمديد هذه المدة الى ستة أشهر بحسب الاقتضاء ولا يصرف النظر عن طلب لعضوية المجمع من المطارنة أصحاب الأبرشيات في دوره الا بسبب عجز سن الشيخوخة او مرض . على ان يدعى من يكون بعده من المطارنة بحسب الترتيب الآتي :

الدور الاول : عكار وديار بكر

الدور الثاني : حماه وحلب

الدور الثالث : طرابلس واللاذقية

الدور الرابع : بيروت وزحلة

الدور الخامس : حمص ومرسين

الدور السادس : جبيل وصور وصيدا

الدور السابع : ارضروم وحوران

المادة الاربعون : وظيفة هذا المجمع النظر والحكم في جميع المسائل الروحية والاعتناء بتنظيم حالة الاديرة البطريركية ورؤية حساباتها والتدقيق فيها وترقية شؤونها والنظر في مسائل التعليم والوعظ ونشر الكتب اللازمة لفائدة الملة للدينية والأدبية وترقية شؤون الملة والحكم في المشاكل المالية والدعاوي الروحية الافرادية نظير الزيجات وسواها بصورة استثنائية بحسب احكام القوانين الكنائسية وفي الامور التي تقرر في مجمع الكرسي الانطاكي ويحال اليه من قبل البطريرك اجراؤها والمناظرة عليها . وفي نهاية كل سنة ينظم مضبطة بخلاصة الاعمال التي اجراها والاحكام التي أعطاها في تلك المدة لكي تحفظ عند كاتب المجمع لتسلم الى مجمع الكرسي الانطاكي مع بقية الأوراق الجمعية الواجب تسليمها له عند الثامنة . وقرارات هذا المجمع تعطى بالاتفاق او بالأكثرية .

المادة الحادية والاربعون . يلتئم المجمع مرتين في الاسبوع واذا مست الحاجة فللبطريرك او للرئيس ان يعقد جلسات اخرى فوق العادة وجميع

القرارات التي تصدر يقتضي ان يوقع ويختم عليها كل من الاعضاء بالذات واما الصور التي تعطى عنها عند الايجاب فيصدق الكاتب على مطابقتها للاصل وتختتم بالمجمع .

المادة الثانية والاربعون : يجب التوقيع على كل القرارات الجمعية من الرئيس وسائر الاعضاء ولا يسوغ لأحد منهم الامتناع عن التوقيع بداعي مخالفة القرار لرأيه بل يجب ان يوقع عليه وله ان يبين تحت توقيعه اسباب مخالفته ولا يحق للرئيس ان يوقف سير الجلسة القانوني او يمنع اعطاء القرار فيها . واحكام هذه المادة تشمل جميع جلسات الهيئات القانونية المتعلقة بالكرسي .

المادة الثالثة والاربعون : لا يجوز للبطيرك الانفراد بعمل من الاعمال المختصة بالمجمع البطيركي واذا اقتضت الحال لاجتماع هذا المجمع بعد انقضاء المدة المعينة لاجتماعه للبطيرك ان يستدعي من يشاء من المطارنة لتشكيل الهيئة القانونية لذلك الخصوص .

المادة الرابعة والاربعون : يعطى من صندوق البطيركية كل من المطرانين صاحبي الابرشيات اللذين يطلبان لعضوية المجمع البطيركي والمجلس المختلط مبلغ عشر ليرات شهرياً بمثابة مصاريف له ويخصص لكل منهما محل لاقامته في دار البطيركية على نفقتها واما من يطلب فوق العادة فتعطى له المصاريف السفرية فقط .

المادة الخامسة والاربعون : ان احكام المواد السالفة تعتبر مرعية الاجراء ايضاً حين خلو المسند البطيركي ووجود قائم مقام بطيركي .

المادة السادسة والاربعون : يعين البطيرك كاتباً للمجمع من طغمة الاكليروس وعلى هذا الكاتب ان يضبط معاملات وقرارات المجمع ويقدم لجانب الرئاسة جميع الاوراق والمعرضات المحالة من البطيرك ويحفظ جميع الاوراق المختصة بمعاملات المجمع واحكامه وان يدون اعمال الجلسة وقراراتها في السجلات

المخصوصة ويوقع عليها وهو مسؤول عن صحتها وسلامتها ويجب ان يكون اميناً وكتوماً للسر .

المادة السابعة والاربعون : للمجمع البطيركي ختم مخصوص منقوش عليه العبارة الاتية (المجمع البطيركي الارثوذكسي بالشام سنة ١٩٠٦) تختتم به كل الاوراق والاعلامات التي تصدر منه ويحفظ عند الرئيس .

الفصل التاسع : في المجلس المختلط

المادة الثامنة والاربعون : المجلس المختلط يتألف من أربعة أعضاء ورئيس بتذكرة مخصوصة من البطيرك اثنان من أعضاء المجمع البطيركي واثنان من ذوي المعلومات والدراية والاختبار من الشعب بدمشق كلاهما من تبعة الدولة العلية حائزان الاعتبار والثقة وسن كل منهما لا يقل عن ثلاثين سنة ورئيس هذا المجلس يكون رئيس المجمع البطيركي .

المادة التاسعة والاربعون : ان انتخاب العضوين العلمانيين يجري بالصوت السري من قبل الحكمة الروحية والقوميسيون الزمني تحت رئاسة الوكيل البطيركي بحسب الاصول وعند جمع الأصوات يؤخذ للعضوية الاثنان المكتسبان الأكثرية ويحفظ جدول الانتخاب لحين الاقتضاء اما مدة عضويتها فسنة واحدة ويجوز تجديد انتخابها .

المادة العاشرون : عند الاقتضاء في غياب المجمع البطيركي يكلف البطيرك من المطارنة من يلزم لاكمال هيئة هذا المجلس .

المادة الحادية والعشرون : يقتضي على كل عضو علماني ان يحضر المجلس ايام جلساته وان يعلم الرئاسة عن غيابه اذا عرض عذر مشروع لكي تستدعي بدلا منه المكتسب الأكثرية في جدول الانتخاب بحيث تكون الجلسات دائماً مكتملة الأعضاء .

المادة الثانية والعشرون : للمجلس المختلط حجرة خصوصية في

البطيركية وخزانة للاوراق والدفاتر والكتب المتعلقة وجميعها باستلام الكاتب وعلى عهده .

المادة الثالثة والخمسون : يعين البطيريك للمجلس كاتباً براتب مناسب يعطى من واردات المجلس ووظيفته كتابة أعمال المجلس والحفاظة على أوراقه وتنظيم الدفاتر اللازمة ويكون مسؤولاً عن كل ذلك وليس له رأي في قرارات المجلس .

المادة الرابعة والخمسون : جميع القرارات التي تصدر من المجلس المختلط يجب ان يوقع عليها كل أفراد الهيئة وتسجل بعد ذلك في سجل خصوصي وبعد ان يوقع عليها في السجل ايضاً تصدر بصورة اعلان بتوقيع الرئيس والكاتب ويجتمع المجلس موضعاً عليه استيفاء الرسوم .

المادة الخامسة والخمسون : للمجلس المختلط ختم خصوصي منقوش عليه العبارة الآتية (المجلس المختلط لبطيركية الروم الارثوذكس بالشام سنة ١٩٠٦) تختم به كل الأوراق والاعلامات التي تصدر منه ويحفظ عند الرئيس .

المادة السادسة والخمسون : المجلس المختلط يرى استئنافاً كل الدعاوى التي حكم بها بداية في المحاكم البدائية الكائنة في مركز البطيركية وفي ابرشيات الكرسي الانطاكي واستؤنفت واحيلت اليه من جانب المقام البطيركي .

المادة السابعة والخمسون : تراعى في معاملات الجمع البطيركي والمجلس المختلط احكام قانون اصول المحاكمات الخصوص وسائر القوانين المعمول بها في دائرة الكرسي الانطاكي اما الرسوم الواجب استيفاؤها من ارباب الدعاوى فتكون بمقدار نصف الرسوم المقدرة من قبل دولتنا العلية في نظامها الخصوص .

الفصل العاشر : في تركات البطاركة والمطارنة وسائر الاكليروس والرهبان :

المادة الثامنة والخمسون : ان ما يخلفه البطيريك من امتعة كنائسية وكتب

واثاث وعقار ونقود واوراق مالية يترك كله للكرسي وفقاً عليه والكرمي يلتزم حينئذ بدفع النفقات اللازمة بحسب الرسوم الكنائسية وبالغاء دينه وتنفيذ وصيته المطابقة للقوانين الكنائسية .

المادة التاسعة والخمسون : ان ما يخلفه المطران ذو المنصب من امتعة كنائسية وكتب واثاث وعقار يلحق بأوقاف ابرشيته وما يبقى من الاموال النقدية او الاوراق المالية فيبعد ان تؤخذ منها نفقات جنازته والحسنة اللازمة عن نفسه بحسب رسوم كنيسة المقدسة ومقدار الدين الذي ثبت بذمته يقسم الباقي بمعرفة البطيريك او وكيله مع اعضاء المحكمة الروحية ومجلس الملة في ابرشيته الى ثلاثة اقسام . الثلث الى البطيريك والثلث الى الورثة من اقربائه والثلث الثالث يشترى به املاك يعود نفعها على الاعمال الخيرية في وطنه .

المادة الستون : فور وقوع وفاة البطيريك يصير الختم على متروكاته من قبل الجمع البطيركي اذا كان ملتصقاً والوكيل البطيركي وقومسيون الملة وعلى متروكات المطارنة في الابشيات من قبل المحكمة الروحية ومجلس الملة في مركز الابشية وعند عدم وجود مجلس فن قبل وجهاء الشعب . اما متروكات المطارنة الفخريين فيختم عليها من قبل البطيريك ان كان ذلك في المركز البطيركي او من قبل الرئاسات الروحية المحلية حينئذ وجدوا . واما متروكات رؤساء الرهبان ورئيسات الراهبات فيختم من قبل رهبنة الدير زيشما يعرف الرئيس الروحي المتولي على ذلك الدير . واما على متروكات الرهبان والراهبات المنتمين الى الاديرة فن قبل رؤسائهم ومتقدمي الرهبنة بالاشتراك او ممن يوكلون من قبل رؤسائهم الروحيين ان توفوا بعيدن عن اديرتهم واما الرهبان الموجودون في خدمة البطيريك او في خدمة المطارنة او المقيمون في دواقرهم الروحية فيختم على متروكاتهم من قبل البطيريك او المطارنة او وكلائهم .

المادة الحادية والستون : جميع متروكات رهبان الاديرة ورؤسائها على اختلاف درجاتهم والراهبات ورئيساتهن تعود للاديرة المنتمين هم اليها ما لم تكن

لهم وصية قانونية فتراعى حينئذ شروطها وهذا أيضاً يشمل الرهبان والراهبات الذين يتوفون وهم داخل الدير والذين يموتون بعيدين عنه حالة كونهم متمين اليه واما الرهبان على اختلاف درجاتهم فالذين يتوفون وهم في خدمة البطريك او خدمة المطارنة او في دوائر ابرشياتهم فكل ما يخلفونه تؤخذ منه نفقة جنانهم والحسنات اللازمة عن نفوسهم وتوفى ديونهم ويقسم الباقي منه الى ثلاثة اقسام الاول لمن يوجدون في خدمته بطريكاً كان او مطراناً والثاني للورثة من اقربائهم والثالث يشتري به املاك يعود ريعها على المحلات الخيرية في اوطانهم وان وجدت لهم وصية قانونية فيعمل بها .

المادة الثانية والستون : بعد تسمية القائمقام البطريكي ينتخب المطارنة الموجودون في دمشق اثنين منهم وينتخب القومسيون اثنين من أعضائه ويباشر الأربعة تحت رئاسة القائمقام البطريكي تحرير تركة البطريك المتوفي ورؤية حسابات البطريكية من واردات ومصاريف عن مدة بطريكيته وحينئذ تفرض الاختام بحضور الذوات الذين ختموها وتباشر هذه اللجنة عملها ويجري بعد ذلك تنفيذ المعاملات المتعلقة بالتركة بحسب مفاد المادة الثامنة والخمسين بمعرفة الهيئة ذاتها . اما المحررات والاوراق فتحفظ مختومة لتسلم الى البطريك الجديد واما باقي التركات فيصير تحريرها ورؤية حساباتها وتنفيذ معاملاتها بحسب مفاد المادتين التاسعة والخمسين والستين بمعرفة من ختموا عليها ومعرفة الرئاسات الروحية .

المادة الثالثة والستون : تحرير تركات العوام ونصفيتهما وتوزيعها على الورثة الشرعيين ونصيب الأوصياء على القصر والمعتوهين وحفظ نصيب هؤلاء ونصيب الغائبين غيبة منقطعة ومحاسبة الاوصياء وتنفيذ وصيات المؤمنين يجري العمل بشأنها وفقاً للاصول المتبعة ولمقتضى البراءة للشريفة والامتيازات المذهبية بمعرفة البطريك والمطارنة في دائرة كل منهم .

الخاتمة : المادة الرابعة والستون : يجري العمل بموجب احكام هذا

القانون من كل من يناط به واذا دعت الحاجة في المستقبل لتعديل او اضافة مادة ما عليه فيجري ذلك برأي مجمع الكرسي البطريكي الانطاكي المقدس .

انتهى في ٣١ ايار شرقي من سنة ١٩٠٦ في قاعة البطريكية . فصدق على هذه النسخة من قبلنا نحن الموضوع امضاواتنا واختامنا ادناه في ٢١ آب شرقي سنة ١٩٠٦ في قاعة البطريكية العامة .

بطريك انطاكية وسائر المشرق
غريغوريوس

مطران حماه وتوابعها
غريغوريوس

مطران اللاذقية وما يليها
ارسانيوس

مطران جبيل والبترون وما يليها
بولس

مطران بيروت وتوابعها
جراسيموس

مطران عكار وما يليها
باسيليوس

مطران كيليكيا
الكسندروس

مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة وتوابعها
جرمانوس

* * *

الفهارس

سلسلة البطارقة (١٤٥٣-١٩٢٨)

الفهرست الهجائي

سلسلة البطارقة

١٤٥٣ - ١٩٢٨

١٦٩٤ - ١٦٨٦	١٥٣	اثناسيوس الرابع	١٤٩٧ - ١٥٢٣	١٣٩	دوروثيوس الثالث
١٧٢٠ - ١٦٩٤	١٥٤	كيرلس الثالث	١٥٤١ - ١٥٢٣	١٤٠	ميخائيل الخامس
١٧٢٤ - ١٧٢٠	١٥٥	اثناسيوس الرابع	١٥٤٣ - ١٥٤١	١٤١	دوروثيوس الرابع
١٧٦٦ - ١٧٢٤	١٥٦	ملقسترس الاول	١٥٧٦ - ١٥٤٣	١٤٢	يواكيم الرابع
١٧٦٨ - ١٧٦٦	١٥٧	فيليمون الاول	١٥٨١ - ١٥٧٧	١٤٣	ميخائيل السادس
١٧٩١ - ١٧٦٧	١٥٨	دانيال الاول	١٥٩٢ - ١٥٨١	١٥٤	يواكيم الخامس
١٨١٣ - ١٧٩٢	١٥٩	افثيميوس الاول	١٦٠٤ - ١٥٩٣	١٤٥	يواكيم السادس
١٨٢٣ - ١٨١٣	١٦٠	سيرافيم الاول	١٦١١ - ١٦٠٤	١٤٦	دوروثيوس الخامس
١٨٥٩ - ١٨٧٣	١٦١	مشوديوس الاول	١٦١٩ - ١٦١١	١٤٧	اثناسيوس الثالث
١٨٨٥ - ١٨٥٠	١٦٢	ايروثيوس الاول	١٦٣٤ - ١٦١٩	١٤٨	اغناطيوس الثالث
١٨٩١ - ١٨٨٥	١٦٣	جراسيموس الاول	١٦٣٦ - ١٦٣٥	١٤٩	افثيميوس الثالث
١٨٩٨ - ١٨٩٢	١٦٤	اسبريدون الاول	١٦٤٨ - ١٦٣٦	١٥٠	افثيميوس الرابع
١٩٠٦ - ١٨٩٩	١٦٥	ملاقيوس الثاني	١٦٧٢ - ١٦٤٨	١٥١	مكاريسوس الثالث
١٩٢٨ - ١٩٠٦	١٦٦	غريغوريوس الرابع	١٦٨٤ - ١٦٧٤	١٥٢	نيوفيطوس الاول

• • •

الفهرست الهجائي

أ — آبل : ليوناردو اسقف صيدا اللاتيني ٢٨ - ٢٧
 ابرشيات : انطاكية ٦٠ - ٦١ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٩ - ٢١٠
 ابن الاحمر : اطلب دوروثيوس
 ابن حمة : اطلب يواكيم
 ابن الذباب : اطلب اثناسيوس
 ابن زيادة : اطلب يواكيم
 ابن الزعيم : اطلب مكاريوس
 ابن القسيس : اطلب متروфанس
 ابن عميش : اطلب اثناسيوس
 ابن كرمه : اطلب افثيميوس
 ابن هلال : اطلب مكاريوس
 ابو سابا : الانطاكي وتشيد كنيسة في انطاكية ١٧١
 ايفغانيوس : مطران بعلبك ٤٠ ، مطران حلب ٢٩٦ ، مطران حصص ٣٧٧ - ٣٧٨
 ابيكليسيوس : وكنيسة انطاكية ٤٦
 اتحاد الكنائس : مجلة ١٥
 اثناسيوس : الثالث بطريرك الانطاكي ٣٧ ، « يوداص الثاني » مطران حصص ٥٤ - ٥٥ ، الرابع بطريرك الانطاكي ١٠٨ - ١١١ و ١٣٠ - ١٤١ ، الارشمندريت (قصر) ١٩٠ - ١٩١ ، (عطا الله) مطران حصص ٢٣١ و ٣٢٥ و ٣٥٧ و ٣٦٢ و ٣٨٢
 اخوية للتقوى : في ازميز ٢٩٣ - ٢٩٥
 اداسيس : مطرانها اغاييوس صليبا ٢٣٣ - ٢٣٤
 الادلة للفراء : كتاب ٣٦٤
 اديار : في كنيسة انطاكية ٢٠٤ - ٢٠٥
 الارثوذكسية : والرد على الكشكة ١٤٦ - ١٤٨

ودهوة رومسة الى الاتحاد ١٩٧ - ١٩٨
 ٢٦١ - ٢٦٧
 ارسانيوس : الراهب الروسي والحجاج ٢٠١ ، مطران اللاذقية ٢٩٥ و ٣٦٤ - ٣٦٦
 ارشروم : مطرانها باثيسيوس ٢٣٤ ، قسطنطينوس ٢٩٦
 اركاذية : ابرشية عكار ٢١٠
 ارمن كاثوليك : اعتراف الدولة بهم ١٧٦
 ارميا : مطران صور وصيدا ٥٠
 ازميز : اخوية التقوى فيها ٢٩٣ - ٢٩٤ ، زيارة البطريرك غريغوريوس ٣٦٦
 اساقفة : انتقاؤهم ٦٤ - ٦٥
 اسبر : جبرائيل والبطريرك اسبريدون ٢٤٨ - ٢٤٩
 اسبريدون : البطريرك الانطاكي ٢٤١ - ٢٧٠
 اسطفانوس : مطران حلب ٣١٠ - ٣١١
 الاسكندرون : والبطريرك مكاريوس ٥٤ ، الخاقا بارشية حلب ٢٥٨ ، والبطريرك ملاتيوس ٢٨٦ - ٢٨٧
 اغاييوس : (صليبا) مطران اداسيس ٢٣٣ - ٢٣٤
 اغائجلوس : الارشمندريت يمين البطريرك موديوس ٢٣١
 اغناطيوس : الثالث بطريرك الانطاكي ٣٧ - ٤٣ ، مطران بياس ٤٠ ، مطران صور وصيدا ١٣٩ ، رئيس الامطوش في موسكو ٣٧٦ - ٣٧٧
 افثيميوس : الثالث بطريرك الانطاكي ٤٣ - ٤٥ ، الرابع بطريرك الانطاكي ٤٥ - ٤٧ ، الصفي وخروجه ٥٣ - ٥٤ و ١١٢ - ١١٩ و ١٢٥ - ١٣٠

افخائيطة : ابرشيتها ٢٣
 افخولوغي : الكتاب وافثيميوس الثالث ٤٥
 اقليمس : الحادي عشر بابا رومسة وكنيسة انطاكية ١٢٤
 الكسندروس : (طعان) مطران ترسيم ٢٩٦ ، نقله الى طرابلس ٣٣٩ - ٣٤٠
 الكسي : بطريرك موسكو وكنيسة انطاكية ٣٦٩
 اليانو : الاب وعمله في الشرق ٢٦ والموارنة ٣٤ - ٣٥
 اميو : الاب اليسوعي والموارنة ٤٦
 اميون : تنصيب البطريرك فيها ٢٧
 انتداب : والبطريرك غريغوريوس ٣٧٩ - ٣٨٠
 انثيميوس : البطريرك الانطاكي ١٧٠ - ١٧١ ، مطران صيدا ٢٣١
 انجيل : ترجمته ٢١٦ - ٢٢٠
 انطاكية : تشيد كنيسة فيها ١٧١ و ١٨٩ ، نبذة بالرومية عن ابرشياتها ٢٠٢ - ٢٠٨
 الخاقا انطاكية بارشية حلب ٢٥٨ ، والبطريرك ملاتيوس ٢٨٦ - ٢٨٧
 انطونيوس : مطران بعلبك ٥٣ مطران بطرسبرج ٣٨٦
 انكتابولس : الاب ومجلة اتحاد الكنائس ٣١٥
 انكليكان : واتحاد الكنائس ٣١٣
 الانوار : في الاسرار كتاب ٢٣٥ - ٢٣٦
 انوشتيوس : الثامن بابا رومسة والامير جم ٧ - ٨
 اوروشليم : واتحاد الكنائس ٣١٢
 اوربانوس : الثامن بابا رومسة والتوسع في الشرق ١٠٦ - ١٠٧
 اومولوغية : دوسيوس كتاب ٧٤ - ٩٤
 ايروثيوس : البطريرك الانطاكي ٢٠٩ - ٢٣٣
 وكنيسة بلغارية ٢٢١ - ٢٢٤ ، اخلاصه ٢٢٥ - ٢٢٦ والعلوم الاكليريكية ٢٣١ - ٢٣٢
 ايليا : متروبوليت بيروت ٣٧٨ - ٣٧٩ ،

(ديب) مطران صور وصيدا ٣٧١
 باثيسيوس : البطريرك الاسكندري وكنيسة - موسكو ٥٩ ، مطران ارشروم ٢٣٤
 باخوميوس : اسقف صيدنايا ٢٣١
 بارسنس : المرسل الاميريكي ١٨٦
 باسيليوس : مطران عكار ٣٠٩ - ٣١٠
 برازيل : ميخائيل اسقف عليها ٣٧٣
 بروتستانت : والبطريرك مكاريوس ٦٦ - ٧٤
 والكنيسة الارثوذكسية الجامعة ٧٤ - ٩٤
 والارسلالية الاميريكية ١٨٦ - ١٨٩
 برون : الاب اليسوعي والموارنة ٣٤ - ٣٥
 بريك : انطونوس ميخائيل ١٥٧
 يستاني : بطرس وازمة حاصبيا ١٩٤ - ١٩٦
 بطرس : موغيله والعقيدة ٤٦ ، اسقف صدد وانضمامه ٣٥٧ - ٣٦٢
 بطرسبرج : والبطريرك غريغوريوس ٣٦٧ - ٣٦٨
 البطريرك : المسكوني وامتيازاته ٥ - ٦ وسائر البطارقة ١٣ - ١٤
 بعلبك : مطرانها ايفغانيوس ٤٠ ، مطرانها انطونيوس ٥٣ ، مطرانها نيوفيطوس ١٩١
 بطرانها نيغون ٣٧٥ ، اطلب ايضا زحلة
 بدنان : اميرها والبطريرك مكاريوس ٥٣ - ٥٤
 بلغارية : كنيستها والبطريرك الانطاكي ٢٢١ - ٢٢٤
 بلمند : الدبر وتجديده ٣٣ - ٤٤ وقد غسل اليسوعيين ١١٢ والمدرسة ١٩٠ - ١٩١ و ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٧٧ - ٢٧٩ وزيارة البطريرك ملاتيوس ٣٢٠ - ٣٢٢ وانتخاب مطران حلب روقائيل ٣٦٢ - ٣٦٣
 بلمندي : انطوري جرجس ١٣٦
 بقليلة : مطرانها جرمانوس ١٠٣
 بفيامين : مطران بيروت ٢٣١ ، مطران ديار بكر ٢٥٧
 يورفيوريوس : (اوبنسكي) والكشكة ٢٠١ - ٢٠٢

بولس : القديس جمعية في بيروت ٢٩٢ ،
(ابو هضيل) مطران جبيل والبترون ٣٠١ -
٣٠٥

بياس : مطرانها اغناطيوس ٤٠ ، مطرانها
جبرائيل ٦٢

بيروت : مطرانها يواكيم (ابن جمعة) ٢١ ،
مطرانها يواصف ٥٠ ، مطرانها فيليبوس
(فرج) ٥٣ ، مطرانها سلفستروس ١١٠ ،
وصول البطريرك فيليمون اليها ١٥٦ ،
مطرانها يواننيكيوس ١٥٨ ، تجديد
كنديرائتها ١٥٨ ، اضطهاد الروم فيها
١٦٤ - ١٦٥ ، وصول المرسلين الاميركيين
اليها ١٨٧ ، ترميم دير مار الياس ١٩٠ ،
مدرسة الاقار الثلاثة ١٩١ ، مطبعتها
الارثوذكسية ٢٠٧ ، وكنيسة بلغارية
٢٢٣ - ٢٢٤ ، مطرانها غفرائيل ٢٨٨ -
٢٣٠ ، مدرستها الاكليريكية ٢٣٠ ،
مطرانها بنيامين ٢٣١ ، والبطيرك اسبريدون
٢٥٦ ، والبطيرك ملاطيوس ٢٨٣ - ٢٨٤
وجمعية القديس بولس ٢٩٢ ، وفاة غفرائيل
٢٩٧ ، ومطرانها جراسيموس ٣٠٥ - ٣٠٧
ومجلسها الملي ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ومدرسة
السلام ٣٢٨ - ٣٣٩ ، والبطيرك غريغوريوس
٣٥١ ، ومطرانها ايليا ٣٧٨ - ٣٩٧

ت - تاريخ : تصحيحه وكنيسة الصرب ٣١٤

تامر : جرجي بك والبطيرك ٣٥٣

تجديد : النصاري ٣٤٣ - ٣٤٥

ترسيم : مطرانها جرمانيوس ٢٣٤ ، مطرانها
الكسندروس ٢٩٦ ، ابرشيتها ٣٣٩ -
٣٤٠ ، والبطيرك غريغوريوس ٣٤٠ -
٣٤١

التعاليم السنية : كتاب ٢٨٩ - ٢٩٠

التعليم المسيحي : جمعيات ٢٩١ - ٢٩٢

توراة : ترجمتها ٢١٦ - ٢٢٠

تبييكون : وافتيموس الثالث ٤٤ وجراسيموس

بيروت ٢٨٨ - ٢٨٩

ثيوهوسيوس : مطران ديار بكر ٥١ ، السادس

البطيرك الانطاكي ٣٧٣ - ٣٧٤ .
الجامعة الاميريكية : والبطيرك غريغوريوس - ج

٣٥٢ - ٣٥٣ .

جباره : الخوري غبريل ٢١٤

جبرائيل : مطران بياس ٦٢

جبيل والبترون : مطرانها ٣٠١ - ٣٠٥

الجنود : والبطيرك مكاريوس ٥٢ - ٥٣

جراسيموس : مطران الزيداني والقرزل ٥٣ ،
مطران حلب ١٣٧ و١٤٥ ، مطران صور

وصيدا ٢٢٧ ، مطران زحلة ٢٣٢ ،
البطيرك الانطاكي ٢٣٣ - ٢٤٠ ، مطران

بيروت ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٣٠٥ - ٣٠٧ ،
رئيس مار الياس الشوير ٣٢٢

جرمانوس : مطران بمقيلية ١٠٣ ، مطران

ترسيم ٢٣٤ و٢٦٩ - ٢٧٠ ، مطران

حما ٢٣٤ ، مطران زحلة ٣١٨ ، الخامس

البطيرك المسكوني ٣٦٦

جسر شغور : قاضيها وطلاق النصاري ٣٤٢

جم : الامير العثاني ويايا رومة ٧ - ٨

جناديوس : الثاني البطيرك المسكوني ٥ - ٦

جنيلاط : سعيد وبروتستانت حاصبيا ١٩٣ -
١٩٤ ، نسيب والبطيرك غريغوريوس

٣٥٣

حاصبيا : وفاة البطيرك دوروثيوس فيها - ح

٣٦ - ٣٧ ، والبروتستانت ١٩٢ - ١٩٧

حبيب : الخوري يوحنا ٢١٤

حركة : الطوشة ٢١٤ - ٢١٦

حزبون : الخوري يوحنا ٣١٥

الحصن : اسقفها ديونيسيوس ٣٧

حلب : مطرانها غريغوريوس ٢٣ ، مطرانها

ملاطيوس ٤٠ ، مطرانها متروفانس ٤٩ ،

يده الكتلكة ١٠٦ - ١٠٧ ، مطبعتها ١١١

مجلس الملة فيها ١٣٦ ، مطرانها جراسيموس

١٣٧ فصل ابرشيتها عن الكرسي الانطاكي

١٥٢ - ١٥٤ ، مطرانها فيليمون ١٥٤ ،

اعادة ابرشيتها الى الكرسي الانطاكي ١٧٠ ،

مطرانها نكتاريوس ٢٥٨ ، الحناق

الرابع البطيرك الانطاكي ٢٠ - ٢١ ،

الخامس البطيرك الانطاكي ٣٦ - ٣٧ ،

مطران طرابلس اطلب يواكيم الخامس

دوسيوس : البطيرك الاوروشيمني والتعاليم

البروتستانتية ٧٤ - ٩٤ والكتلكة ١٦٦

دوماني : المطران يوسف والبطيرك غريغوريوس

٣٥٧

ديار بكر : مطرانها ٥١ ، مطرانها بنيامين

٢٥٧ ، مطرانها سلفستروس ٢٩٥

ديونيسيوس : اسقف الحصن ٣٧

راس بعلبك : مجملها ٣٩ - ٤٣ - ر -

راشيا : والبطيرك غريغوريوس ٣٤٩ - ٣٥٠

رسالة البطاركة : والجمع في بيت لحم ٧٤ - ٩٤

رفيق المسافر : كتاب ٢٩٠

الروس : اطلب موسكو

روفايل : (هوايني) والكنيسة في اميركة

٣١٥ - ٣١٨ ، مطران حلب ٣٦٢ -

٣٦٣

الروم الكاثوليك : انفصلهم عن الكنيسة الام

١٠٣ - ١٥١

رومانوس : اسقف الزيداني ١٠٦

رومانية : كنيتها واتحاد الكنائس ٣١٣

رومة : تواصل وتحادث ٢٥ - ٣٠ ،

ومكاريوس البطيرك الانطاكي ٩٦ - ١٠١

ومنسج الاشتراك في القدسيات ١٤٨ ،

والدعوة الى الاتحاد ١٩٧ - ١٩٨

٢٦١ - ٢٦٧

زيداني : اسقفها يواكيم ٤٠ و٥٥ ، اسقفها

جراسيموس ٥٣ ، ورومانوس ١٠٦

زحلة : مطرانها مثوديوس ٢٢٧ و٢٢٩ ،

مطرانها جراسيموس ٢٣٢ ، مطرانها

جرمانوس ٣١٨ ، والبطيرك ملاطيوس

٣١٩ ، والبطيرك غريغوريوس ٣٥٠ -

٣٥١ ، مطرانها نيقون ٣٧٥ اطلب ايضاً

بعلبك

زخريا : مطران عكار ١٧٣ ، مطران حوران

الاسكندرونة وانطاكية بها ٢٥٨ ، مطرانها

ايفانيوس ٢٩٦ ، مطرانها اسطفانوس

٣١٠ - ٣١١ ، مطرانها روفائيل

٣٦٢ - ٣٦٣

حما : مطرانها شياون ٣٧ ، مطرانها سمعان ٤٠ ،

مطرانها ملاطيوس ٤٨ ، مطرانها نيكيفوروس

٢٣١ ، مطرانها جرمانوس ٢٣٤ ،

والبطيرك مسلاتيوس ٣١٩ - ٣٢٠ ،

مطرانها اغناطيوس ٣٧٥ - ٣٧٦

خص : مطرانها هازار ٣٧ ، مطرانها يواكيم

٤٠ ، مطرانها فيلوثيوس ٤٥ و٤٨ ،

مطرانها اثناسيوس « يوداس الثاني »

٥٤ - ٥٥ ، مطرانها اثناسيوس (عطا الله)

٢٣١ ، وكتاب شفاعة القديسين ٢٩٠ ،

وجمعية الغاية الجلييلة ٢٩٣ ، ومجلسها الملي

٣٠٨ ، وكنيتها الارثوذكسية ٣٣٩ ،

وانضمام الاسقف بطرس ٣٥٧ - ٣٦٢ ،

مطرانها ايفانيوس ٣٧٧ - ٣٧٨

حوران : مطرانها كيرلس ٣٧ - ٤٣ ، مطرانها

نقولاولوس ٤٠ ، مطرانها غريغوريوس

٣٤١ - ٣٤٢ ، مطرانها زخريا ٣٤١ - ٣٤٢

والبطيرك غريغوريوس ٣٤٨ - ٣٤٩

خ - خريسانتوس : مطران عكار ٢٣٤

الخط المايوني : والنظم والقوانين ٢١٠ - ٢١٤

الخوري : الشيخ سعد وموقفه من الروم ١٦٥ ،

خليل بك والبطيرك اسبريدون ٢٤٢

خيراته : المسلم ضاهر الشوري والاوله القراء

٣٦٤

د - دانيال : البطيرك الانطاكي ١٥٩ - ١٧٠

الدستور العثاني : والكنيسة ٣٤٢ - ٣٤٣ ،

وامتيازات النصاري ٣٦٣

الدلالة الامة : كتاب ١١٦ - ١١٧

دمشق : تزيين كنديرائتها ٤٥ ، والكتلكة

١٣٨ ، ومجموعها ١٥٧ ، والقوميسيون

٢٣٧ - ٢٣٨ ، ومجلسها الملي ٣١٠

دنديني : الاب اليسوعي والموافقة ٣٤ - ٣٥

دوروثيوس : الثالث البطيرك الانطاكي ١٨ ،

— س — سريان : انضمام اسقف صدد ٣٥٧ — ٣٦٢

سكولاريوس : يمارض الاتحاد ٣

سلفستروس : مطران بيروت ١١٠ ، الاول
البطريك الانطاكي ١٤٣ — ١٧٠ ، مطران

ديار بكر ٢٩٥ و ٣٣٥

سليمان : النصراني وتنصيب البطريك ٣٧ ،
الخوري وولاية دمشق ٥٣

سمعان : مطران حماه ٤٠ ، اسقف صيدنايا ٤٠
سوق الغرب : مدرستها الارثوذكسية ٢٣١

سويدية : ترميم كنائسها ١٨٩

سيرافيم : البطريك الانطاكي ١٧١ — ١٧٥ ،
القائم مقام البطريك ٢٤١

سيفا : يوسف باشا وتدخله ٣٧

سيان : مطران حماه ٣٧ ، اسقف صيدنايا ٥

سيمون : القس ودير البلمند ٣٣

— ش — شامية : جبرائيل والبطريك اسيريدون ٢٤٨ —
٢٤٩

شاهين : سليم والبطريك اسيريدون ٢٤٨ —
٢٤٩

شفاهة القديسين : كتاب ٢٩٠ — ٢٩١

شهاب : الامير فايق والبطريك غريغوريوس
٣٥٣

شور : ديرها مار يوحنا ١١٢ — ١١٣ ،
ديرها مار الياس ٢٣٢ ، والادلة الغراء

٣٦٤ والريهان الروس ٣٧٠

شوري : الياس افندي والبطريك غريغوريوس
٣٥٣

— ص — صاقرزي : ملاتيوس ٤٥

صباغ : موسى وانتخاب البطريك اسيريدون
٢٤٨ — ٢٤٩

صخرة للشك : والرد على رومة ١٣٤

الصرب : كنيتهم وتصحيح التاريخ ٣١٤

صفروتيوس : (الكلزي) والبطريكية ١٥٥ ،
مطران طرابلس ٢٢٧ ، (التجار) مطران

طرابلس ٣٢٧

صور : مطرانها مكارتيوس او مرقس ٤٠ ،
مطرانها ارميا ٥٠ ، وافثيميوس صيفي

١١٣ — ١١٤ و ١٢٥ — ١٣٠ ، مطرانها

اغناطيوس ١٣٩ ، مطرانها ميخائيل
٢٢٦ — ٢٢٧ ، مطرانها ايليا (ديب)

وغبطة البطريك ٣٧٣

صوم : (الرسل) والبطريك اثناسيوس الرابع
١٣٣ ، (الكبير) ومنشور البطريك

غريغوريوس ٣٥٤ — ٣٥٦

صيда : اسقفها اللاثيني ٢٧ — ٢٨ ، مطرانها
افثيميوس ٢٣١

صيدح : ميخائيل وانتخاب البطريك
اسيريدون ٢٤٨ — ٢٤٩

صيدنايا : اسقفها سيمان ٤٠ ، سيان ٤٥ ،
لاونيديوس ١٠٣ ، باخوميوس ٢٣١

طاناس : كيرلس بطريك الروم الكاثوليك — ط —
١٤١ — ١٤٢ ، عودته الى دير الخلس

١٤٨ — ١٥٠

طرابلس : مطرانها دوروثيوس (البطريك
يواكيم الخامس) ٢٤ ، وتنصيب البطريك

اغناطيوس فيها ٣٧ ، يواكيم ٤٠ ،
ملاتيوس ٥٤ ، مجملها والكنائس ١٧٨ ،

مدرستها ٢٠٧ ، مطرانها صفرونيوس
٢٢٧ ، يوانيكيوس ٢٣١ ، غريغوريوس

٢٣٤ ، مجلسها المسلي ٢٨٥ — ٢٨٦ ،
مطرانها الكسندروس ٣٤٠ ، والبطريك

غريغوريوس ٣٥٧ ، وغبطة البطريك
٣٧٤

طفلاويوس : بين البطريك اسيريدون ٢٥٨
٢٦٧ — ٢٦٨

عازار : مطران حصص ٣٧

عاصم باشا : والي سورية والبطريك اسيريدون
٢٤٢ — ٢٤٣ و ٢٤٥ و ٢٤٦

عثانيون : والماليك ٨ — ١٢ ، ونظام الحكم
١١ — ١٣ ، والقساد ١٦ — ١٧

عجمي : القس يوحنا ٣٦

عربي : المعلم يوسف ٢٣١

عزقة : والبطريك غريغوريوس ٣٤٩

عكار : مطرانها يوسف ٤٩ ، نقولاوس ٥٤

فيصل الاول : والبطريك غريغوريوس ٣٧٢

فيكتور : (مقبوب) اسقف نيويورك ٣٧٣

فيلاريوس : مطران موسكو وكنيسة انطاكية
١٩٧

فيلوثيوس : مطران حصص ٤٥ و ٤٨

فيليبوس : (فرج) مطران بيروت ٥٣

فيليمون : مطران حلب ١٥٤ ، البطريك
الانطاكي ١٥٥ — ١٥٨

قارة : مجملها ١٩ — ٢٠ ، اسقفها مكارتيوس — ق —
٢٢ ، يواصف ٤٠ و ٤٨

قره حسن : باشا ومطران حلب ٤٨

قسطنديوس : رئيس اساقفة سيناء والكرسي
الانطاكي ١٧٥ ، (طرزي) مطران ارضروم

٢٩٦

القسطنطينية : سقوطها في يد الاتراك ٣ — ٤ ،
مجملها والرد على الكائس ١٤٦ — ١٤٨

القلاليس : حربها ١٧٨ — ١٨٦

قندلفت : غطاس ومدرسة البلمند ٢٧٧

كاثوليك : القدامى واتحاد الكنائس ٢٣١ — ك —
كاراباتي : الارشمندريت ويويل البطريك

اسيريدون ٢٦٨ — ٢٦٩

كوشيون : والكائس في الشرق ١٠٦

كائس : ومجمع القسطنطينية (١٧٢٢) ١٣٢
وصخرة الشك ١٣٤ والرد عليها ١٤٦ —

١٤٨ وفرنسة ١٦٠ — ١٦٣ ومعموديتها
١٦٦ — ١٧٠ ودواوين الحكومة المحلية

١٧٢ واعتراف الدولة ١٧٦ وفرنسة ١٧٩

كفرعقاب : تكريس كنيتها ٥٠

كفوري : الحفدي يوسف ١٧٨

كفير : والبطريك غريغوريوس ٣٤٩ — ٣٥٠

كهنة : انتقاؤهم ٦٢ — ٦٤ ، في كنيسة

انطاكية ٢٠٥ — ٢٠٦

كنائس : اتحادها ٣١١ — ٣١٥

كندا : كنيتها الارثوذكسية ٣٠٩

كتر النفاس : كتاب ٣١٤ — ٣١٥

كومين : حبيب سكرتير البطريك ملاتيوس

٣١٩

زغريا ١٧٣ ، والاسم اركاذية ٢١٠ ،

مطرانها نيقيديوس ٢٣٠ — ٢٣١ ،
غريسانثوس ٢٣٤ ، باسيليوس ٣٠٩ —

٣١٠

عيتا : البقاع والبطريك يواكيم الخامس ٢٩

عين التينة : دخول سكانها في الاسلام ٥٢

— غ — للغاية الجليلية : جمعية في حصص ٢٩٣

غريغوريوس : مطران حلب ٢٣ — ٢٤

الثالث عشر بابا رومة والموارنة ٣٤ — ٣٥

مطران حوران ٤٨ ، وكيل البطريك

سلفستروس في حلب ١٤٥ — ١٤٦ ، مطران

طرابلس ٢٣٤ و ٢٧٧ و ٢٧٩ ، (جبارة)

والتعاليم السنية ٢٨٩ — ٢٩٠ ، والبطريك

ملاتيوس ٣١٩ — ٣٢٠ ، الرابع البطريك

الانطاكي ٣٢٥ — ٣٣١ ورسائل الجلوس

٣٣١ — ٣٣٤ وشغور الكرسي ٣٣٥ —

٣٣٦ وارشبة ترسيم ٣٤٠ — ٣٤١

والنظم والقوانين ٣٤٥ — ٣٤٨ وحوران

٣٤٨ — ٣٤٩ والحدث ويقيدا ٣٥٣

وطرابلس ٣٥٧ والسلطان ٣٦٤ — ٣٦٦

واوزير والآستانة ٣٦٦ وروسية ٣٦٧ —

٣٧٠ والحرب العالمية الاولى ٢٧١ — ٢٧٢

والانتداب ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٩ — ٣٨٠

وفاته ٣٨٠

غزة : والخراج والدخول في الاسلام ٥٢ — ٤٣

غفرائيل : مطران بيروت ٢٢٨ — ٢٣٠ و ٢٩٠

غفرالدين : الامير وثؤون البطريكية ٣٧ — ٤٣

— ف — فرح : اطلب فيليبوس

فرحات : المطران جرمانوس ووفاة البطريك

اثناسيوس ١٤٠

الفرزل : مطرانها جراسيموس ٥٣

فرنسة : والكنائس في الشرق ١٦٠ — ١٦٢

والبطريك مكسيموس مظلوم ١٧٩

فسك : المرسل الاميريكي ١٨٦ — ١٨٧

فوطيوس : الشاس والرد على الماديين ٣٦٣ —

٣٦٤

فيرسو : الاب اليسوعي والبلمند ١١٢

كيرلس : مطران حوران والبطريركية ٣٧ -

٤٣ ، الثالث البطريرك الانطاكي ١٠٣-١٣١

الخامس البطريرك المسكوني ١٦٧ - ١٧٠

كينغ : المرسل الاميريكي ١٨٧ - ١٨٨

ل - لاذيقية : مطرانها نيوفيطوس ٥٦ ، ملاتيوس

٢٢٦ والبطريرك ملاتيوس ٢٨٤ ومطرانها

ارسانيوس ٢٩٥ و ٣٦٤ - ٣٦٦

لاونديوس : اسقف صيدا ١٠٣

لبنان : ابرشيت ٢٩٧ - ٣٠١

لويس : جبران وانتخاب البطريرك اسبريدون

٢٤٨ - ٢٤٩

ليتورجية : اورولوغيون البطريرك اثناسيوس

١٣٣ - ١٣٤

م - ماريناكي : قنصل اليونان في بيروت ٢٤٢

مالك : الدكتور حبيب والبطريرك ملاتيوس

٣٢١

متروفانس : مطران حلب ٤٩ و ٥١

مثنويوس : البطريرك الانطاكي ١٧٥ - ٢٠٨

والمرسلون الاميريكيون ١٨٩ وترسيم

الكنائس ١٨٩ - ١٩٠ والروس ١٩١ -

١٩٢ وازمة حاصبيا ١٩٢ - ١٩٧ مطران

زحلة ٢٢٧ و ٢٢٩

مجدد شمس : والبطريرك غريغوريوس ٣٤٩

المخلص : الدبر ١١٥ و ١٣٨ - ١٣٩

مدارس : الاكليريكية في كنيسة انطاكية ٦٤

و ٢٠٦ - ٢٠٨ ، مدرسة السلام في بيروت

٢٣٨ - ٢٣٩ ، كنيسة حصص ٢٣٩

اطلب بلندن

مراد : المطران يولس والبطريرك غريغوريوس

٣٥٠

مرقس : مطران صور ٤٠

مرهج : اخوري موسى ٢٣٢

مشاقة : ميخائيل وازمة حاصبيا ١٩٤ - ١٩٦

مطبعة : حلب والبلند والشور ١١١ ، مطابع

٣٣٧

مظلوم : البطريرك مكسيموس والتبعة الفرنسية

١٧٩ ، رئيس مرخص ١٨٠ - ١٨٤

بطريرك مستقل ١٨٥ - ١٨٦

معلوف : المطران اغاييوس والبطريرك ملاتيوس

٣١٩

معمودية : اللاتين ١٦٦ - ١٧٠

مغيب : المطران كيرلس ٣٥٠

مكاربيوس : (ابن هلال) اسقف قارة ٢٢ ،

مطران صور وصيدا ٤٠ ، الثالث البطريرك

الانطاكي ٤٨ - ١٠٤ ، الصباغ اطلب

ميخائيل السادس

ملاطيوس : مطران حلب ٤٠ ، الصاقي ٤٥ ،

مطران حماة ٤٨ ، مطران طرابلس ٥٤ ،

الياقوي ٢٤٢ ، الثاني البطريرك الانطاكي

ونشأته ٢٢٦ ورقاسته ٢٤١ - ٢٢٢ ،

وزحلة ٢١٩ وخاة ٣١٩ - ٣٢٠ وطرابلس

٣٢٠ والبلند ٣٢٠ - ٣٢٢ ومارجرجس

الحمراء ٣٢٢ والقوانين ٣٨١ - ٣٨٢

وفاة ٣٢٣ - ٣٢٤

ملحم : الامير المعني والبطريرك ٥٠

مالك : والعثمانيون ٨ - ١٢

منشور المحبة : في الصوم ٣٥٤ - ٣٥٦

موارنة : والبطريرك دوروثيوس ٢٠ - ٢١

والاغلاط ٣٤ ومدرستهم في رومة ٣٥ - ٣٦

والاب امير اليسوعي ٤٦ وبطريرك الارمن

في الآستانة ١٨٥ والبطريرك ملاتيوس الثاني

٢٢٠

موسكو : بطريركها الاول ٣١ - ٣٢ ، نيقون

وسياسته ٥٩ ، والبطريرك مكاربيوس

الانطاكي ٥٤ و ٥٩ - ٦٠ ، بمشة انطاكية

اليها ١٩١ - ١٩٢ ، الامطوش الانطاكي

فيها ١٩٧ ، والاهتمام بكنيسة انطاكية

وكنيسة اوروشليم ١٩٩ - ٢٩١ ، والجمعية

الروسية الارثوذكسية ٢٢٤ - ٢٢٥

وانتخاب البطريرك اسبريدون ٢٥١ واتحاد

الكنائس ٣١٢ ، وتحرير الكرسي الانطاكي

٣٢٢

موسى : المكاربي البطريرك الماروني ٢٠ - ٢١

موغيله : بطرس والبطريرك الانطاكي ٤٦

ن - نقد البنات والارامل : ٢٢ - ٢٣

نقولا : الثاني قيصر روسية والبطريرك

غريغوريوس ٣٦٨ - ٣٦٩

نقولاوس : مطران حوران ٤٠ ، مطران عكار

٥٤ ، مطران الاسكا ٣١٧

نكتاريوس : مطران حلب ٢٥٨

نو : الاب اليسوعي ٩٨

نوتاراس : وعائم الشيوخ والكرادلة ٣

نيقون : مطران بعلبك وزحلة ٣٧٥

نيقوديموس : مطران عكار ٢٣٠ - ٢٣١

نيقون : رئيس كنيسة موسكو ٥٩

نيقيفوروس : مطران حماة ٢٣١

نيوفيطوس : مطران اللاذقية ٥٦ ، البطريرك

الانطاكي ١٠٣ - ١٠٨ مطران بعلبك ١٩١

نيويورك : اسقفها فيكتور ٣٧٣

همام : المعلم جرجس الشوري ٢٧٧

الولايات المتحدة : اسقفها ٣١٥ - ٣١٦

وود : ريتشارد والازمة في حاصبيا ١٩٣ -

١٩٤

ي - ياسي : والبطريرك مكاربيوس ٥٤

اليسوعيون : مدارسهم في الشرق ٢٦ والموارنة

٣٤ - ٣٥ وابرشيات انطاكية ١٠٦ -

١٠٨

يني : عبده كتابه ٢٩٠

يواصف : اسقف قسارة ٤٠ و ٤٨ ، مطران

بيروت ٥٠ ، الثاني البطريرك المسكوني

٢٥ - ٢٦

يواكيم : الرابع البطريرك الانطاكي ٢١ - ٢٣

الخامس البطريرك الانطاكي ٢٤ - ٣٢ ،

السادس البطريرك الانطاكي ٣٢ - ٣٣

و ٣٦ ، مطران حصص ٤٠ ، مطران طرابلس

٤٠ ، اسقف الزيداني ٤٠ ، الثالث البطريرك

المسكوني ٣١١ - ٣١٥

يوانيكيس : مطران بيروت ١٥٨ ، مطران

طرابلس ٢٣١

يوداوس الثاني : مطران حصص ٥٤ - ٥٥

يوسف : مطران عكار ٤٩ ، الباشا المتصرف

٣٥٣

يوليوس : الثالث بابا رومة ٢٦



EDITION
1988

*

Tous Droits Réservés
pour Tous Pays

Editions de la LIBRAIRIE St. PAUL

* Beyrouth - Rue du Liban
B.P. 11 - 4459
Tél.: 444973 - 448806 - 449801

* Jounieh - Rue St. Paul
B.P. 125 (LIBAN)
Tél.: 911.561 - 933.052

ASAD
RUSTUM
22

THE CHURCH OF THE CITY OF GOD GREAT ANTIOCH

BY

ASAD J. RUSTUM, M.A., PH. D.

Historian to the Apostolic Throne of Antioch

« Εἰς μίαν, ἁγίαν, καθολικὴν καὶ ἀποστολικὴν Ἐκκλησίαν »

VOL. III

1453 — 1928 A.D.

EDITIONS ST. PAUL
BEYROUTH & JOUNIEH
(LIBAN)